مذكرات

بهاء الدين نوري

الجزء الثاني

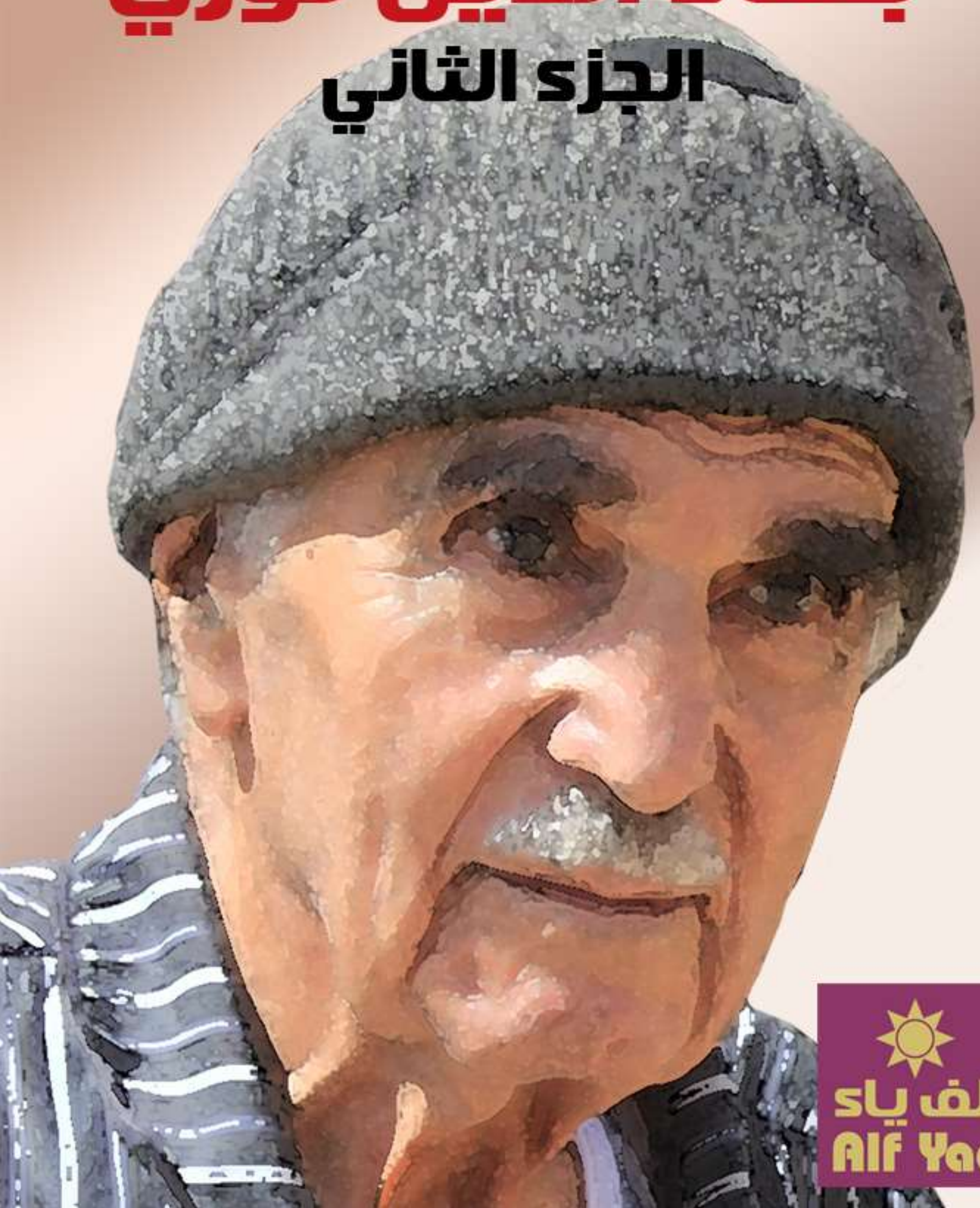

ألف ياء
Alf Yaa

مذكرات بهاء الدين نوري
الجزء الثاني

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

المؤلف: بهاء الدين نوري
الكتاب: مذكرات ـ الجزء الثاني

صدرت النسخة الرقمية: كانون الثاني/يناير 2025

- **الناشر: «ألف ياء AlfYaa»**
- **الموقع الإلكتروني:** www.alfyaa.net

- جميع حقوق توزيع النسخة الرقمية بكل التنسيقات (PDF، ePub وMobi و/أو أي تنسيق رقمي آخر محفوظة لـ**«ألف ياء AlfYaa»**
- جميع حقوق الفكرية محفوظة للمؤلف
- يعبِّر محتوى الكتاب عن آراء مؤلفه. **«ألف ياء AlfYaa»** ناشرة للكتاب فقط وهي غير مسؤولة عن محتوى الكتاب

- **تصميم الغلاف والإخراج: طالب الداوود**

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

بهاء الدين نوري

مذكراتي

الجزء الثاني

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

المحتويات

كلمة إلى القارئ 7
عودة إلى بشتاشان - 1.. 9
اتفاقية ديوانه كما جرت في الواقع..17
الهروب من المعتقل والإخفاق في تأسيس الحزب البديل..33
أول زيارة لمقر الطالباني 41
جولة بين منظمات إيرانية..48
صفقة المصالحة الأولى وتلتها المصالحة العامة..50
اشتداد القصف الجوي واستخدام الأسلحة الكيمياوية..53
الأنفال ورحيل البيشمرگة 59
قررت البقاء وبدأناه بمعركة القلعة 66
مفارز سرية بين حشود معادية وانهيار بعض المفارز 75
عدنا إلى داخل قوبي..83
من هدوء قوبى إلى صخب المدينة 91
عبر جبل قنديل إلى الجهة الثانية منه..94
ماذا رأيت في سوريا؟..97
لاجئا سياسيا في السويد 108
انتصار النزعة القومية العربية في حشع..118
حرب تحرير الكويت والعودة إلى كردستان 123
إصدار مجلة ديموكراسي 128
قيام سلطة الجبهة الكردستانية أول برلمان منتخب في الإقليم 131
عشرة أعوام مع حركة الديمقراطيين صعوبات العمل
الحزبي في الظروف المستجدة..135
اللجنة التحضيرية الموقتة 139
تجدد اقتتال الأخوة في 1994 كارثة كبرى حلت بالإقليم..144
اندماج هش مع جماعة منشقة على حشع تحول بعد 31 آب إلى وبال علينا.....151
بعد انتخابات 1992 تغيرت خارطة الأحزاب السياسية 153
إضراب مفتعل وقف وراءه أوك..156
اقتتال الحزبين كلفنا ثمنا غاليا 158
سكرتير حزب العمل على استقلال كردستان ذهب إلى بغداد ليطلب
ألفي دولار من مخابرات صدام!..161
مؤتمر كردي نظمه بكك في أوروبا 167
لماذا المبالغة في تعظيم الراحل إبراهيم احمد؟..173
التوحد مع فريق تركوا صفوف حعاك..175
رفضت المشاركة في وزارة كوسرت رسول عام 1997 177
عاقبنا نوشيروان لاستنكارنا مذبحة فانسحبنا من التحالف مع أوك...............179
تجربة التحالف مع أوك 187

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

بين العرب الهاربين من نظام صدام وجدنا الصالحين والطالحين 192
مشروع مقترح لتأسيس قوة نظامية بدل الميليشيات في الإقليم.....................194
مؤتمرات المعارضة العراقية في صلاح الدين ونيويورك ولندن 198
رسالة عتاب ونقد إلى الطالباني بصدد تعامله غير العادل معنا 207
سقوط الطاغية التكريتي...212
رسالة مفتوحة إلى الرئيس الأمريكي..213
دعونا إلى سحب الثقة من الحزبين الحاكمين في الإقليم 217
تجارة الفايلات 227
سرقة القاصة في المقر 229
وداعا أيها العمل الحزبي...232
أول انتخابات نيابية بعد سقوط صدام..234
مجلة ماديا...239
سفرة إلى فينا للمعالجة 241
جلال الطالباني ومسعود البارزاني كما عرفتهما 246
رأيت نوشيروان مصطفى في عهدين من حياته 260
حوار بين قره داغيين علماني وإسلامي..263
مع (البروفيسور الألماني) في مستشفى ببرلين 267
التحزب الضيق يشوه الأدب أيضا 273
حشع لم ينجب فقط أبطالا مضحين بل فرخ أيضا أثرياء رأسماليين............276
سحب الإجازة القانونية من حركة الديمقراطيين 279
أنا والربيع العربي 281
ظاهرة سنودن ـ ويكيليكس هل هي ظاهرة اجتماعية عالمية جديدة؟ 288
أَمَرُّ الذكريات 290
مع (البروفيسور الألماني) في مستشفى ببرلين 301
الرسالة الأخيرة...302
الملاحق...327
مشروع مقترح لإصلاح الوضع في الإقليم 329
نداء الحركة الديمقراطية العراقية إلى جميع العراقيين الشرفاء 332
مشروع مقترح لحل النزاع بين بغداد وأربيل.......................................337
من الذين التحقوا بمفرزتي في قرداغ...340
قبيل نشر الجزء الثاني من مذكراتي
قصة الجزء الأول من مذكراتي مع حازم السامرائي.................................342

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

كلمة إلى القارئ

كتبت الجزء الأول من مذكراتي في غضون عشرة اشهر عام 1991 وطبعتها في 460 صفحة، غطت ذكرياتي من أيام الطفولة وحتى 1984 وهي السنة التي هجرت فيها الحزب الشيوعي. واختلف الأمر مع كتابة الجزء الثاني إذ لم أستطع إكمال الكتابة حتى في غضون ثلاثة أعوام. والسبب هو المرض المقرون بمتاعب الشيخوخة طوال السنوات الست الأخيرة. وقد آثرت نشر ما أنجزته، رغم أنني لا اعتبره مكتملا، بأمل أن يقرأه الآخرون وأنا باق في الحياة. وأكرر هنا ما كتبته في مقدمة الجزء الأول من أنني ذكرت الوقائع بأمانة تامة، اللهم إلا إذا خانتني الذاكرة. وجاوزت في الكتابة مجرد العرض وتناولت بعض الإحداث بالتحليل والاستنتاج. وضمنت الكتاب بيانات ورسائل كتبت في السنين المنصرمة، ونشرت ملاحق أعتبر ها جزءا من الكتاب.

تناولت في هذا الجزء أيضا، شأن الجزء الأول، أسماء الكثيرين من الناس تارة بالمديح والتقدير وأخرى بالانتقاد والإدانة، وأعرف بأنني أسبب بذلك الإزعاج للبعض وأثير شديد الغضب لدى البعض الآخر. لكنني لم استطع تجنب ذلك ولا يستطيع أي شخص تجنبه طالما يلتزم جانب الصدق والصراحة في تسجيل ذكرياته بعد أن يكون قد كرس كل حياته- اكثر من ستين سنة للنشاط الحزبي- السياسي. وأظن أن من الغرابة أن ينشر الرجل مذكراته ويكون الجميع راضين عنها، بل العكس هو الصحيح. وأؤكد بثقة تامة أنني لم اضمر العداء الشخصي لأي إنسان وطني ممن لا يرضون عما كتبت عنهم، بل كتبت ذكرياتي على حقيقتها دون الانحياز إلى جانب احد ضد آخر. وآمل ألا تدخل مذكراتي هذه ضمن كتب المذكرات التي تكاثرت في السنوات الأخيرة، وهي أشبه بسجل لإحصاء عدد اللقاءات والاجتماعات والتنقلات ووجبات الطعام وما إلى ذلك، دون أن تغني بشيء مكتبتنا الوطنية الثقافية ودون أن تنقل شيئاً من تجارب جيل قديم إلى جيل جديد. إذا لم يكن في جعبة الإنسان ما يكتبه أو لم يكن بمقدوره صياغة أفكاره دون الاستعانة بأقلام الآخرين فالأفضل ألا يكتب ذكرياته في كتاب.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

* * *

تسارعت وتيرة التآكل في جسم الحزب الحاكم والنظام السوفيتي خصوصا منذ أن ظفرت القوى الستالينية، عن طريق شبه انقلاب، بإقصاء خروشوف ووضع بريجنيف عام 1964 على رأس الحزب والدولة. وإبان الأيام التي كنت منشغلا بكتابة الجزء الأول من مذكراتي ظفرت تلك القوى بإقصاء غورباتشوف وإسقاط النظام السوفيتي. ولهذا كرست القسم الأكبر من مقدمة الكتاب آنئذ لبحث ذلك الحدث، الذي كان من كبريات الإحداث في القرن العشرين. واليوم، وبعد مرور اكثر من عشرين عاما على انهيار النظام السوفيتي، أجد لزاما علي أن أعود مرة أخرى إلى ذلك الموضوع الشائك نفسه واطرح السؤال الذي طرحته الحياة نفسها ولم تجب عليه للآن: ماذا بعد سقوط النظام السوفيتي وهل سقطت الاشتراكية إلى غير رجعة؟ أم أن ما حدث لم يكن الكلمة الأخيرة للتأريخ وان (الجايات أكثر من الرايحات) كما يقول المثل الشعبي؟ وقد قررت ترحيل هذا الموضوع إلى مؤخرة الكتاب آخذا بنظر الاعتبار أنه يخص فئة معينة من القراء.

المؤلف

كردستان العراق- السليمانية
تشرين الثاني 2012

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

عودة إلى بشتاشان - 1

أثيرت مناقشات كثيرة حول إحداث بشتاشان عام 1983 وقدم عدد من المثقفين عرائض ومذكرات تطالب بمقاضاة جلال الطالباني باعتباره المسؤول الأول عن المذبحة. وحمل آخرون نوشيروان مصطفى المسؤولية الرئيسية لأنه كان يقود مباشرة مسلحي أوك في القيادة، فيما دافع آخرون عن أوك على اعتبار انه عمل ما عمل دفاعا عن النفس. وقد تناولت في الجزء الأول من مذكراتي إحداث بشتاشان وارتأيت وانا في مستهل الجزء الثاني من المذكرات، العودة إلى تلك الإحداث وان استنكر بشدة مواقف كل من الحزب الديمقراطي في كردستان إيران وعصبة كادحي كردستان – كومه لَه ى زه حمه تكيَشانى كوردستان – إذا صح ما ذكره السيد قادر رشيد في كراسته المكرسة لتناول تلك الإحداث والمنشورة باللغتين الكردية والعربية، من أنهما دعما نشاط أوك ضد الشيوعيين. وإذا كان الحزبان المشار إليهما بريئين من هذه التهمة فإن عليهما أن يجيبا ويقدما الأدلة والإيضاحات التي تبرئ ساحتهما، وإذا التزما الصمت إزاء الأمر فإن ذلك يثير أكثر من علامة استفهام حولهما.

إن إحداث بشتاشان لم تكن سوى فصل جديد من فصول اقتتال الأخوة المأساوي في كردستان، ورغم أن الاقتتال كان بالدرجة الأساسية بين مسلحي الأطراف القومية في الأحزاب الكردستانية وان من أثارها كان زعماء تلك الأحزاب، فإن الشيوعيين العراقيين لم يبقوا بمعزل عن تلك الإحداث، سواء بسبب أخطائهم أو بسبب أخطاء الحركة القومية الكردية.

وقبل أن تتطور الخلافات إلى حد الصدام المسلح بين اطراف الحركة القومية الكردية، اكتوى الشيوعيون بنار اقتتال الأخوة عام 1963، حين كان حدك قد تحالف مع البعثيين وحلفائهم الضباط الكبار لتنفيذ الانقلاب العسكري الفاشي في 8 شباط عام 1963. كان حدك يعاني من صراع داخلي محتدم بين رئيسه الملا مصطفى البارزاني من جهة وبين جناح المكتب السياسي الذي كان إبراهيم أحمد سكرتيرا له وجلال الطالباني

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

عضوا فيه من جهة أخرى. وقد خشي إبراهيم أحمد والبعض الآخر من أن يتحول الشيوعيون المضطرون على الهروب من المدن واللجوء إلى الجبال حاملين القطع القليلة من السلاح، إلى منافسين لحدك، فأمر بنزع سلحتهم وسجنهم. ولما رفض الشيوعيون الامتثال لهذا الأمر سارع المكتب السياسي في اللجوء إلى العنف، وكان توازن القوى في صالحهم وأوقعوا خسائر روحية بين الشيوعيين، وكان من بين الشهداء في قاعدة سرتك كريم كويركي وحسن شكر طالباني وبكر نملي ورشيد كريم حسن وإبراهيم محمد وهاب وحمه رشيد كريم وخضر أمين فتاح وعبدالله روزبياني وفخر الدين حسين ومحمد عبدالرحمن شاسوار ومحمد لطيف روزبياني وملا صالح وهاب زنكنه، وفي قاعدة ولسمت ملا عبدول صوفي وغفور أحمد وعزيز خضر ولي وحسين خرشيد، وفي باوكوجك عبدالله عنايت وفرحة علي رمضان.

كان ذلك أول صدام مسلح بين حدك وبين الشيوعيين العراقيين في كردستان، أي أول صفحة من صفحات اقتتال الأخوة، وعقب ذلك وفي 1964 أقام مسلحو حدك مذابح بين كوادر وأعضاء الحزب الشيوعي العراق (حشع) في مدينة السليمانية إذ استشهد من الشيوعيين كل من عبد الرحمن صالح خْلّه، عضو لجنة محافظة السليمانية والذي قتل تحت التعذيب وأحرقت جثته، وملا علي وملا محمد أمين وعمر مام علي ومحمود برنجفروش ونوري محمد علي وعثمان سيواني وعارف حسين كوپاندرو وعبد الله المضمد وإسماعيل پالوان (الذي جرح ولم يمت) وكريم عبه حْرَه (الذي جُرح ولم يمت بل بقي مقعداً). وقد اختُطف كل من عزيز توتنجي وكريم زه نگنيانه لغرض قتلهما ولكن أقاربهما مارسوا ضغطاً شديداً على القتلة لإرغامهم على إخلاء سبيلهما، وأطلق سراح محمود دزيي من السجن كمؤامرة لقتله، وداهمته مفرزة من القتلة بعد وصوله إلى بيته مباشرة وقتلوه بوابل من الرصاص.

ويجدر بالذكر أن عصابات القتلة، الذين اتخذوا من نبع كاني ماسي في ضاحية السليمانية مقراً لهم، كانوا يتألفون من عملاء الأمن التابع لنظام البعث ومن اتباع كلا جناحي البارتي، جناح رئيس الحزب وجناح المكتب السياسي وكانوا جميعاً مسلحين بمسدسات البعث وكان المجرم عگيد صديق تابعاً لتنظيم البارزاني ظاهرياً وكادراً بعثياً في واقع الحال، وكانت تلك

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

الأطراف الثلاثة، رغم الخلافات فيما بينها، على اتفاق في إسقاط حكومة عبد الكريم قاسم وتصفية الخصوم السياسيين. (منقولة عن مذكرات أحمد حامد).

العنف الذي بدأه حدك ضد الشيوعيين لم يلبث أن انتقل إلى صفوف حدك نفسه بين جناحي البارزاني والمكتب السياسي، كان ذلك في عام 1964 أول فصل من فصول اقتتال الأخوة داخل الحركة القومية الكردية المسلحة، وقد انتهى هذا الفصل سريعا ولصالح رئيس الحزب حيث هزم المكتب السياسي عسكريا إلى خارج البلاد ولجأ إلى مدينة همدان الإيرانية حيث أصبحوا في ضيافة ساواك (الأمن العام الإيراني) لمدة سنة، ولم يعودوا من هناك إلا بعد سنة مستسلمين للبارزاني علنا، ومصممين على التحضير سرا لفصل جديد من اقتتال الأخوة، بدأ بإعلان التمرد على البارزاني اعتمادا على دعم نظام بغداد لهم بالمال والسلاح منذ 1966 ولحين الإعلان عن اتفاق الحادي عشر من آذار 1970. ويجدر بالذكر أن أيا من أعضاء المكتب السياسي لم يتخلف في الذهاب إلى همدان، لكن كلا من نوري شاويس وعلي عبدالله قد رفض الذهاب إلى بغداد والتعاون مع النظام، وبعد بيان آذار انسحب إبراهيم أحمد من الساحة وترك العراق ليقيم لاجئا في لندن، فيما غدا صهره جلال الطالباني خليفة له.

وطيلة 22 سنة أعقبت تأسيس الاتحاد الوطني الكردستاني في 1975 استمر مشهد اقتتال الأخوة بين أوك وبين حدك، مع بعض الهدنات والانقطاعات، وكان احد ابرز الفصول ما عرف بمعركة حكاري عام 1977. وقد نقل لي قادر رشيد، بعد لقاء له مع احد مسؤولي أوك (وهو د. كمال خوشناو) في العاصمة البلغارية، بأن نكسة الحركة الكردية المسلحة في إحداث حكاري كانت أكبر – حسب قول كمال – من نكسة 1975. ورغم أن كل طرف يلقي اللوم في تلك الإحداث على الطرف الآخر، فإن القرائن ترجح أن المسؤولية الرئيسية تقع على عاتق الطالباني، لأن مسلحي أوك هم الذين كانوا ذاهبين إلى مناطق تواجد مسلحي حدك، ولأن ما يبرر به أوك الذهاب إلى هناك غير معقول، إذ بأي منطق يرسل الطالباني 700 شخص بهذه الطريقة العشوائية ليجلبوا السلاح من سوريا إلى إقليم كردستان؟ أوليس من البديهي أن نقل السلاح في مثل تلك الظروف إنما

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

يتطلب تشكيل مفارز صغيرة مؤلفة من عناصر جيدة وسريعة الحركة، مزودة بالبغال وبعض المستلزمات الأخرى؟ إن إحداث حكاري، أو هذا الفصل الجديد من اقتتال الأخوة، انتهت بهزيمة جديدة للطالباني، إذ لم يعد من مئات المرسلين سوى بضعة عشر شخصا.

لم تكن إحداث بشتاشان سوى فصل جديد من فصول اقتتال الأخوة في كردستان، ولم تكن هذه الإحداث الفصل الأخير والختامي في الاقتتال، بل كان الفصل الأشد خطورة والأكثر إضرارا بقضية الشعب الكردي التحررية هو ما جرى في التسعينيات من القرن العشرين، أي ظروف ما بعد إقصاء صدام عن معظم أنحاء الإقليم وتحول أوك وحدك إلى حزبين حاكمين في كردستان. وقبل أن نسأل: من المسؤول عن إحداث بشتاشان ينبغي أن نسأل: من المسؤول عن اقتتال الأخوة عامة طوال عشرات السنين، بين سني 1963 – 1997 وان نسأل أيضا: هل انتهى اقتتال الأخوة من حيث الجوهر أم ظل مستمرا حتى يومنا هذا ولكن بأشكال جديدة؟ وهل كان يمكن تفادي اقتتال الأخوة في إقليم كردستان وفي ظل الأوضاع التي مرت على هذا الإقليم؟

وقد حدثت في منطقة بالك جولة محلية قصيرة من الاقتتال بين مسلحي حشع وأوك قبل إحداث بشتاشان بحوالي سنتين، والذنب في ذلك وقع كليا على عاتق قيادة أوك، كما أوضحت في الجزء الأول من مذكراتي.

أنني لا استطيع وجدانيا إلقاء المسؤولية عن مأساة بشتاشان على قيادة أوك وحدها وتبرأة الآخرين، فقد كنت بنفسي شاهدا على الإحداث، كنت مسؤولا عن تنظيمات ونشاطات حشع في قاطع السليمانية وكركوك، وأمكن لي أن أتابع التطورات بدقة، أتذكر جيدا وانا في مقرنا العسكري بجبال هورامان، سلسلة البرقيات اليومية التي كان يأتي بها إلينا ريباز – عامل اللاسلكي – وهي مرسلة من كريم أحمد وملا أحمد بانيخيلاني وآخرين في المكتب السياسي والمكتب العسكري، وتوصينا بالابتعاد عن أوك وبالتنسيق مع حدك وحسك والاستعداد للعمل بغية تأديب أوك - على حد تعبير أحمد بانيخيلاني. في ذلك الوقت كان سكرتير حشع عزيز محمد مقيما في موسكو على بعد آلاف الكيلومترات من إقليم كردستان، وكان كريم أحمد قائما بأعمال السكرتير، يساعده باقر إبراهيم وعمر علي الشيخ وعبد الرزاق

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الصافي وكاظم حبيب وسليمان أسطيفان وأحمد بانيخيلاني وغيرهم، وكان كريم أحمد قد نسي انه وقع قبل بضعة أسابيع فقط اتفاقية للتعاون الاستراتيجي مع سكرتير أوك جلال الطالباني. كانت هذه الاتفاقية تحمل توقيع كل من جلال الطالباني وكريم أحمد الداوود، وكنت شخصيا أحد الذين لم يرضوا عنها (وكان ذلك في شباط 1983 على ما أتذكر).

لقد بذلنا نحن في الهيئة القيادية للإقليم (هندرين) قصارى الجهد وأفلحنا في العمل لتأسيس قوة عسكرية متواضعة قوامها قرابة الف وخمسمائة مقاتل موزعين في جميع أنحاء كردستان ومزودين بعدد غفير من الكوادر الحزبية الجيدة، كانت قوة ذات نوعية جيدة، قوة عقائدية مجاهدة، وكانت الخلفية السياسية لهذا النجاح في نشاطنا تعود بالدرجة الأولى إلى صواب نهجنا السياسي وموقفنا الحيادي المتوازن إزاء الحزبين الرئيسين – أوك وحدك -، وعلى اثر عودة المكتب السياسي من المهجر إلى داخل البلاد – إلى الجبال في كردستان – واخذ الزمام بأيديه، بدأت الأمور والمواقف تتغير لغير صالحنا. كان من ابرز النقاط السلبية التي كشفت عن تخبط القيادة بعد اشهر قليلة من عودتها من المهجر عقد الاتفاق الاستراتيجي الذي وقعه كريم أحمد مع الطالباني دون دراسة الأمر في اللجنة المركزية ودون التشاور مع العناصر القيادية التي واكبت تطورات العمل في سني ما قبل عودة القيادة. كان هذا الاتفاق يتنافى مع نهج الحياد الذي سار عليه حشع منذ بداية تشكيل الفصائل المسلحة. كان يثير المخاوف لدى قيادة حدك من أن يكون حشع قد تخلى عن حياده وانحاز إلى جانب أوك في جو مشحون خيم عليه شبح الاقتتال. وبعد بضعة أسابيع انقلبت الآية وانتقلت القيادة إلى المعسكر الآخر، فاقحم مسلحو حشع في قاطع أربيل وبعلم وتوجيه القيادة في معركة باليسان، حيث كان مقر أوك، وبشرنا المكتب العسكري – ونحن في جبال هورامان – بأن قوات جود المشتركة التابعة لحدك وحشع وحسك ومن معهم استولت في 28 نيسان 1983 على مقر أوك وطاردت فلول المهزومين. كان ذلك قبل إحداث بشتاشان بيومين فقط، كان ذلك خطأ سياسيا وغباءا عسكريا من أصحاب القرار في قيادة حشع. فبأي منطق تجوز تبرأة القيادة الشيوعية والأحزاب القومية الأخرى في إحداث بشتاشان؟ أوليس من الإنصاف أن يحمل حشع وحدك وحسك قسطا من مسؤولية تلك الإحداث؟

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

فالجميع كانوا مخطئين ومشاركين في تحمل المسؤولية، غير أن مسؤوليتهم كانت على درجات متفاوتة، فالمسؤولية في إثارة اقتتال الأخوة تقع بالدرجة الأساس على كاهل قيادة أوك طوال سني الاقتتال بوجه عام، بما في ذلك اقتتال سنة 1983، كان من واجب الشيوعيين أن يبذلوا كل جهد ممكن ومن منطلق الحياد لغرض الحيلولة دون اقتتال الأحزاب القومية، ولا يمكن القول انه كان من المؤكد منع الأحزاب القومية من التشابك المسلح فيما بينها، ولكنه كان من المؤكد أن بإمكان قيادة حشع أن تتجنب إقحام الفصائل الشيوعية المسلحة في هذه المعارك والتمسك بموقف الحياد والدعوة إلى المصالحة ونبذ الاقتتال. وقد اخبرني البعض من كوادر أوك في وقت لاحق بأنهم كانوا متذمرين من استمرار اقتتال الأخوة، وكانوا يفكرون جديا في الانضمام إلى صفوف الفصائل الشيوعية فيما لو بقي حشع على حياده، لكن مشاركته في الاقتتال غيرت اللوحة السياسية وحطمت القوات العسكرية التي بناها الشيوعيون خلال السنوات الأربع المنصرمة وأودت بحياة عدد كبير من الكوادر الحزبية التي لم تعوض.

كان على قيادة حشع أن تدرك في تلك الأيام بأنها لا تملك قوة عسكرية مدربة لدرجة كافية ومؤهلة للدفاع عن قاعدة بشتاشان ولإلحاق الهزيمة بالعدو المهاجم، وبعد الإخفاق في المعركة والهروب من القاعدة كان على القيادة أن تتخذ موقفا حضاريا بتحمل مسؤولية الهزيمة نتيجة لأخطائها وتقديم الاستقالة عن مراكز المسؤولية الحزبية والعسكرية وتسليم مقاليد العمل السياسي والعسكري إلى أولئك الشيوعيين الذين عارضوا السياسات الخاطئة ووقفوا ضد إقحام الشيوعيين في اقتتال الأخوة. بيد أن اغلب أعضاء المكتبين السياسي والعسكري، إن لم نقل كلهم، سلكوا سلوكا مغايرا. فالقائم بأعمال السكرتير داخل البلاد كريم أحمد الداوود وزميله أحمد بانيخيلاني انقلبا منذ لحظات وقوعهما في أسر أوك – في اليوم الثاني من أيار 1983 – مائة وثمانين درجة وأخذا يدعوان المسلحين من إذاعة أوك لا إلى تأديب أوك، بل إلى نبذ الاقتتال والتعاون مع مسلحي أوك والخروج في مفارز مشتركة معهم. وتناسيا أنهما كانا قبل يومين في تعاون سياسي وعسكري مصيري مع حدك وحسك، وكان عليهما أن يلتزما الصمت بعد وقوعهما في الأسر.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أما المكتب السياسي، الذي ذاق مرارة الهزيمة السياسية والعسكرية ووصل بصعوبة بالغة إلى احدى القرى الحدودية داخل إيران، وراء جبل قنديل، فإنه لم يملك الشجاعة ليعلن انه أخطا سياسيا وعسكريا وسبب بذلك ضربة جديدة كبيرة لحشع، بل بحث عما يبرر به الهزيمة وعمن يجعل منه كبش فداء. وقد وجد هذا الكبش في مسؤول قاطع السليمانية وكركوك بهاءالدين نوري والمسؤول العسكري للقاطع عبدالله ملا فرج، لأنهما لم يفعلا ما فعله مسؤول قاطع أربيل يوسف حنا القس من المشاركة في اقتتال الأخوة، ولم يجلبا قواتهما من جبال هورامان إلى منطقة بشتاشان للدفاع عن مقر قيادة الحزب!! ومهد المكتب السياسي بهذه الحملة الإعلامية التشويهية ضدي وضد عبدالله ملا فرج لإقصائنا عن المسؤولية ولإسناد مسؤولية القاطع إلى أحمد بانيخيلاني الذي أشرت إليه آنفا. وقد لقي مسؤول القاطع الأول لأوك ملا بختيار نفس المصير لأنه اتفق معي على ألا نتقاتل في قاطعنا. وملأت إذاعة أوك وأجهزة إعلامها الدنيا ضجيجا متبجحة بالانتصار العسكري الكاسح على خصومه في (جود) ولم تكن قيادة أوك على المستوى الذي يمكنها من تفهم أن الجهة الوحيدة التي انتصرت سياسيا كانت نظام صدام التكريتي.

أكرر هنا أن جميع الأطراف المتقاتلة تتحمل المسؤولية عما حدث في بشتاشان وعن اقتتال الأخوة بشكل عام، غير أن أوك يتحمل القسط الأكبر من المسؤولية، وفي أوك يتحمل سكرتيره الطالباني اكثر من أي شخص مسؤولية اقتتال الأخوة، يليه نوشيروان مصطفى الذي عمل بحماس كبير وكمهندس لاقتتال الأخوة، وبوصفه الشخص القيادي الثاني في أوك. ومن المؤسف أن سلسلة طويلة من معارك اقتتال الأخوة ذهبت ضحيتها ألوف الشباب في كردستان وكلفت هذا الوطن غاليا جدا قد طويت دون حساب أو عقاب على قاعدة (عفا الله عما سلف)، غير أن ما كتب حتى الآن من تاريخ الحركة الكردية، سيما خلال القرن العشرين وحتى يومنا هذا، لم يكن آخر السطور.

يطيب لي أن أقول أنني كنت على الدوام ضد اقتتال الأخوة وضد المشاركة فيها، وسعيت قدر المستطاع ليكف الجميع عن هذا الاقتتال. وقد كنت ولا أزال افسر ظاهرة هذا الاقتتال في كردستان، شأن بلدان أخرى

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

عديدة، بأنها ناجمة عن تخلف الوعي السياسي – الاجتماعي، عن اعتماد قادة الأحزاب والحركات على أسلوب لا حضاري ولا ديمقراطي في الصراعات الداخلية الجارية، حيث يسعى القوي لإخضاع الضعيف بدلا من التعايش معه والاعتراف المتبادل. فالمنافسة الحزبية – السياسية بين الزعماء والأحزاب في المجتمع الكردي المتخلف لم تكن سوى لون آخر من الوان الصراعات في المجتمعات القبلية، والزعيم المنتصر يرى من حقه ان يحتكر الساحة السياسية لنفسه ولأنصاره وان يخير الآخرين بين الابادة والولاء له. ولم يكن هذا الإقليم المكان الوحيد لهذا اللون من الاقتتال، بل شاهدته بلدان كثيرة، نذكر منها كردستان إيران وكردستان تركيا ولبنان وفلسطين وأفغانستان والسودان وكثرة من البلدان المتخلفة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، بل حتى في بلدان أوروبية أكثر تقدما حضاريا مثل مكونات الاتحاد اليوغسلافي السابق، بين الصرب وبين الجماعات غير الصربية، وفي القفقاس بين أرمينيا وآذربيجان السوفيتيتين سابقا.

وقد تحول اقتتال الأخوة في بعض البلدان إلى تجارة مربحة لبعض العناصر والفئات، سيما من العسكريين الذين غدوا حماة لزراعة المخدرات في المناطق التي سيطروا عليها ونظموا عمليات التهريب إلى شتى أنحاء العالم مبررين هذه الجريمة بأن ذلك مصدر لتمويل الحركات "الثورية"، كما كان الحال لدى طالبان في أفغانستان وفي كولومبيا بأمريكا اللاتينية ...الخ.

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

اتفاقية ديوانه كما جرت في الواقع

في شباط 2012 زارني ملا على (عبد الله ملا فرج) في منزلي بالسليمانية وأهداني نسخة من مذكراته المطبوعة باللغة الكردية في (266) صفحة. وقد قرأتها ووجدت فيها أمورا تمسني. وقررت أن أرد وأوضح. ولو سألني احدهم عما إذا كنت منسجما مع ملا علي خلال فترة عملنا سوية في الحزب الشيوعي العراقي- حشع- لأجبت، قبل أن أقرأ تلك المذكرات، بأننا كنا منسجمين حتى يوم توقيعه على اتفاقية ديوانه.. وهو الاتفاق الذي وقع في قرية ديوانه بناحية قرداغ في محافظة السليمانية بين قاطع (حشع) في السليمانية وكركوك وبين القاطع الأول لأوك في السادس والعشرين من أيار 1983. غير أن ما اتضح لي بعد قراءة المذكرات هو أن المسألة لم تكن على هذه الصورة بالنسبة إليه وأنني كنت مخطأ عندما زعمت باننا كنا منسجمين، بتعبير أدق فأنني كنت في غفلة من الموقف الحقيقي لملا علي. فهو كتب نصا في مذكراته:

"كان أبو سلام (بهاء الدين نوري) في السابق يدعمني، ولكنه قد أصبح يحاربني منذ أن غدا مسؤولا عن القاطع". (ص 176).

كانت هذه مفاجأة حقيقية لي لأنني أنا الذي طلبت من المكتب السياسي عند تكليفي بمسؤولية القاطع تعيين هذا الرجل مسؤولا عسكريا في هيأة القاطع. وهل يعقل أن أطلب إرسال رجل معي لكي أبدأ بمحاربته منذ أول يوم؟ وكان بالإمكان أن اعتبر ما كتبه هنا زلة لسان لولا نقاطا أخرى كثيرة تؤكد أنه لم يكن على انسجام معي منذ البداية، كما سآتي على ذكره. وعلى أي حال فان الرجل لا يلام عندما يفصح عن مشاعره الحقيقية. وقد أكون أنا الملام لأنني لم انتبه في تلك الفترة إلى واقع الحال، إلى ما يضمره رفيقي إزائي. لكني الآن على قناعة بأنه يقول الحقيقة عن عدم انسجامه هو معي. والدليل على ذلك هو سلسلة نقاط أخرى سأتطرق إليها. وبقدر ما يتعلق الأمر بي فان توقيع اتفاقية ديوانه بالشكل الذي حدث سجل أكبر نقطة خلاف بيني وبين ملا علي طيلة العمر. ولهذا أبدأ النقاش من هذه المسألة.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

* * *

كتب ملا علي في مذكراته، وهو يتناول اتفاقية ديوانه، يقول:

"عقد اجتماع موسع ضم 32 كادرا حزبيا وعسكريا من رفاقنا في قرية إمام قادر لمناقشة رسالة وردت من ملا بختيار يطلب فيها التفاوض والاتفاق. وقد شخص الاجتماع الرفاق الثلاثة ملا علي ونصرالدين وسعيد البرزنجي كأعضاء وفدنا إلى المفاوضات." (182-183).

ويضيف إلى ذلك: "إن الاجتماع خوّل الوفد لكي يوقع على الاتفاق الذي يروق له، وأنه حدد للتباحث مع الجانب الآخر النقاط التالية كتابة:

1 ـ طلب اطلاق سراح رفاقنا المعتقلين لدى أوك مع أسلحتهم فورا.

2 ـ ألا يعترضوا سبيل نشاطنا الحزبي. كل طرف يمارس عمله الحزبي بحرية.

3 ـ تشكل لجنة لمعاقبة كل من يتحرك ضد الطرف الآخر. ويقتل من قتل شخصا أخر على غير وجه الحق." (ص182-183).

ويردف قائلا: " في الجلسة مع وفد أوك قدمنا اليهم النقاط. فقالوا : ننفذها كلها، وقد راقت لهم، ونحن لدينا فقط نقطتان، وهما عبارة عما يلي:

1 ـ نحن في عداء مع الپارتي وحسك. فنريد منكم ألا تأتوا بهم إلى منطقة قرداغ وألا تكونوا معهم في الأماكن الأخرى لأننا نقاتل ضدهم، وإذا كنتم معهم فستتشابكون في القتال. (ص183).

2 ـ أن نقوم أحيانا بفعاليات مشتركة لضرب العدو، أي السلطة الحاكمة." (ص183).

ويضيف ملا علي: "راق لنا جدا أن اتفقنا. وقبل بدء الجلسة قدموا إلينا برقية واردة من كريم أحمد وملا أحمد بانيخيلاني، ذكرا فيها أنهما اتفقا مع قيادة أوك على ألا يتقاتل الطرفان في أي مكان. نحن اتفقنا من الأعلى على ذلك، وعندما رأينا ذلك صدقنا تصديقا تاما." (ص183-184).

يستمر ملا علي في الكتابة فيقول: "نحن عدنا إلى قرية إمام قادر. قال لنا

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أبو سلام: كان عليكم ألا توافقوا على هاتين النقطتين. فأجبناه: وكيف منحتمونا التخويل... إن من حقنا أن نتحاور ونتفق. وقد استحسن جميع الرفاق الاتفاق عدا أبو سلام، الذي تصور في البدء بأن خبر الاتفاق لا يصل إلى مسامع قيادة الحزب وأوك إلى أن سمع بأن محمد فرج يقرأ بنود الاتفاق عن طريق جهاز اللاسلكي لملا بختيار." (ص184).

انتهى ما كتبه ملا علي حول عقد اتفاق ديوانه مباشرة.

وبما أنه كتب ما راق له مجانبا الحقائق ومغيرا في سرد الإحداث بالشكل الذي راق له، فأنني أعرض أولا تلك الحقائق – ولحسن الحظ فان كثرة من الرفاق لا يزالون أحياءاً، وهم شهود على ما أقول:

1- الاجتماع الموسع الذي ضم 32 رفيقا، كما يشير إليه ملا علي، كان واحدا من سلسلة الاجتماعات التي عقدتها أنا للرفاق، وضم 36 رفيقا، بهدف الاطلاع على آراء وأمزجة رفاقنا وتوحيد التصورات والمواقف وليس لتخويل الوفد المزمع إرساله للتفاوض ولا لتحديد أعضاء الوفد أو النقاط التي يجب أن تطرح علي الطرف الأخر. لا أعرف هل يجهل ملا علي أو يتجاهل أبسط قواعد العمل الحزبي- السياسي حتى يحول مهمات قيادة القاطع إلى اجتماع موسع يعقد للتداول؟ إن تخويل الوفد المفاوض وتشخيص نقاط التباحث هما من صلاحيات ومهمات قيادة القاطع، ولم نعط مثل هذا التخويل أبدا. ولماذا التخويل ومكان التفاوض يبعد عنا قرابة كيلومترين فقط؟ أليس من المألوف أن يلتقي وفدا التفاوض عدة مرات ليعود كل وفد – بعد الجلسة - إلى مرجعيته ـ قيادته - ويقدم تقريره عما جرى ويستمع إلى توجيهات قيادته؟

2 ـ إن ملا علي نفسه الذي خول نفسه في تحديد النقاط التي طرحها على وفد (أوك) وفي توقيع الاتفاق بشكل فوري وخلال السويعات الأولى من أولى الجلسات. وهو ارتكب بذلك خطأ تأريخيا جسيما لا يغتفر له. وعندما بدأت بقراءة مذكراته كنت اعتقد انه يعترف بهذا الخطأ ويعتذر إلى رفاقه الذين خذلهم بهذا العمل، ولكنني وجدته على العكس من ذلك، وجدته يستميت في الدفاع عن خطأه هذا.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

ماذا أردت أنا من التفاوض مع قاطع أوك

وأي اتفاقية كنت أنشد؟

بصفتي المسؤول الأول عن قاطع حشع رفضت أوامر قيادة الحزب بخوض القتال إلى جانب الپارتي وحسك ضد أوك لأنني كنت اعتبر اقتتال الأخوة خطأ لا يغتفر، وتفاهمنا- أنا وملا بختيار المسؤول الأول عن قاطع أوك- بألا نتقاتل ضد بعضنا. وعليّ، هنا، الإقرار بأن موقف ذلك الرجل كان مشرفا أيضا إذ رفض هو الآخر تنفيذ أوامر قيادته. لكن خطر التشابك في القتال ظل محدقا إذ كان من المحتمل أن يتشابك بعض الرفاق المتطرفين، وهم وجدوا بين الجانبين، وأن يجرّوا الجميع إلى خوض قتال لم نرغب فيه ولم نقرره باختيارنا. وكنت اعتقد أن الطريق إلى تجنب الاقتتال إنما كان في فصل بيشمرگه الجانبين عن بعضهم جغرافيا، عن طريق مرابطة قوتنا في مكان وقوتهم في مكان أخر، مع قطع طريق المماحكة اليومية بينهم. فاردت التفاوض مع قاطع أوك من اجل تحقيق هذا الهدف الذي كان يصب في مصلحة الطرفين على حد سواء. وقد كونت مع نفسي، وبتشاور مع بعض الكوادر حولي، تصورا ملموسا عن تقسيم شهرزور بأن يكون شرق طريق عربت- دربنديخان منطقتنا، ويكون غرب الطريق، وهو أكبر أضعافا، منطقة لأوك. وأخذت في ذلك بنظر الاعتبار أننا كنا قد أنشأنا قاعدة خلفية لنا في جبال هورامان، مما يوفر لنا نقطة تراجع يمكن الدفاع عنها إذا ما هاجمتنا السلطة الحاكمة أو قوات البيشمرگة أيا كانت.

فكتبت عدة نقاط بخط واضح على قصاصة ورقة وتحدثت تفصيلا عن النقطتين الأساسيتين مع البرزنجي، المسؤول الحزبي عن قواتنا الذي كان مقيما بيننا، بعكس ملا علي الذي كان مقيما في مكان آخر.

وكانت النقطتان الأساسيتان بين النقاط التي هيأتها للتفاوض هما التاليتان:

1- توقيع اتفاق بين الطرفين على أن نرفض حتى النهاية الاقتتال بيننا.

وأردت من ذلك أن نبعد شبح الخوف عن بعضنا البعض ونثبت ثقافة التعايش السلمي.

2- أن نفصل بين قوات الطرفين بانسحاب مسلحي أوك من منطقة شرق طريق عربت- دربنديخان إلى غرب الطريق لنرابط نحن في مشرقه ويكون

«AlfYaa منشورات «ألف ياء

الطريق المبلط فاصلا بيننا ونحتفظ بالعلاقات على الصعيد القيادي-الدبلوماسي.

ولو تحقق ما خططت له لبقينا في علاقة طبيعية مع قاطع أوك، بعيدا عن مخاطر الاقتتال من جهة، وأصبحنا بين جماهير قرانا في منطقة جيدة وقادرين على أن نلعب دورا إيجابيا في التهدئة والتقارب حتى بين أوك وبين الپارتي وحسك. ومن المؤكد أنه كان لجانبينا – نحن وأوك – مصلحة في تحقيق ذلك. ولو تسنى لي أن أسير الأمور وفق الخطة لأمكن لنا بكل تأكيد جلب قيادة حشع من تحت رحمة الباسدارية في الجهة الأخرى من جبل قنديل إلى مقر محصن لنا في جبال هورامان بدلا من بقائها طويلا داخل إيران ثم انتقالها بمساعدة الپارتي إلى منطقة خواگورك النائية الخالية من البشر.

إن ملا علي، الذي عينته أنا رئيسا لوفد التفاوض المرسل إلى قرية ديوانه، قد ذهب ليوقع خلال ساعة اتفاقية ذيلية بائسة أملاها عليه الطرف الآخر، فأفسد علينا كل شيء بسبب جهله لفن التفاوض ولفن العمل السياسي، بل لرفضه الالتزام بقواعد العمل التنظيمي والسياسي. وبذلك وضع الكرة في ملعب القيادة الغارقة حتى أذنيها في الأخطاء والمحتارة فيما يتأتى عليها عمله:

- حاولت القيادة، بعد هزيمتها العسكرية السريعة في بشتاشان، تبرير موقفها عن طريق إلقاء مسؤولية الهزيمة علي أنا لأنني لم أبادر فورا إلى نقل قوات قاطعنا إلى بشتاشان لغرض الدفاع عنها ضد هجوم أوك. ومن المؤكد أن هذه المحاولة كانت تنتهي إلى الفشل لأن المطلعين على الوضع السياسي والجغرافي في المنطقة آنئذ كانوا يدركون جيدا بأنه كان يستحيل علينا، بتلك العجالة التي أرادتها القيادة، إيصال مسلحينا إلى منطقة القتال في بشتاشان، وذلك لأننا لم نملك الطائرات العمودية ولا خط سير مبلط تسلكه السيارات المليئة بمسلحينا، بل كان علينا السير في الطرق والممرات الجبلية، وفي العديد من الحالات أثناء الليل لتجنب الاصطدام بالربايا العسكرية لنظام صدام، وان نواصل المسير أياما عديدة في مناطق واقعة تحت سيطرة السلطة أو مسلحي أوك، الذين كانوا قادرين على اعتراض طريقنا بسهولة، وأن نواجه مشكلة تدبير الأكل ومحطات الاستراحة

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

لمقاتلينا، وان.. وأن ...الخ علما أن تسلسل الإحداث المأسوية جرت بسرعة قياسية لم تسمح بأي تحرك منظم ومدروس: في 1983/4/28 هاجمت قوات جود (قوات الپارتي وحشع وحسك وباسوك) مقرات قاطع أربيل لأوك في قرية باليسان بمنطقة خوشناوتي. وبعد يومين من ذلك شن مسلحو أوك بقيادة نوشيروان مصطفى هجوما انتقاميا على بشتاشان، حيث كانت مقرات القيادة لحشع وحسك ومقرات للپارتي وباسوك، وانتهى كل شيء في الأول من أيار 1983. ترى ما الذي كان بمستطاعنا أن نفعل، ونحن في مناطق شهربازار وشهرزور وقرداغ. أنا لم اكن أبدا مع اقتتال الأخوة، إلا أن إيصال المسلحين بتلك العجالة إلى بشتاشان لم يكن ضمن الممكنات حتى في حالة وجود شخص آخر مسؤول عن القاطع بدلا عني وراغب أشد الرغبة في نقل قواته إلى هناك.

لذلك كان من الطبيعي فشل حملة المكتب السياسي والمكتب العسكري المركزي لجعلي كبش الفداء. لكن ما فعله ملا علي في ديوانه قد قلب الآية ومنح القيادة المهزومة ذريعة حقيقية إذ قدم الدليل على أن قاطعنا متحيز في هذا الصراع المحتدم إلى جانب أوك ضد حشع (وفي الواقع كان ملا علي وحده المتحيز إلى أوك). وهذا ما سهل على قيادة حشع أن تخاطب الشيوعيين العراقيين والمتعاطفين معهم في كل مكان: (ألا ترون أيها الرفاق ما فعله سكرتير قاطع السليمانية وكركوك بهاء الدين نوري؟ أليس هذا الرجل مسؤولا عما جرى لحشع بسبب ارتمائه في أحضان أوك؟).

- وكجزء من هذه الذيلية تعهد ملا علي في بند من بنود الاتفاق، الذي وقعه في ديوانه، بألا يتجول بيشمرگتنا برفقة بيشمرگه الپارتي وحسك في قرداغ أو في أي مكان آخر، لأن رجال هذين الحزبين أعداء لأوك، وأباح لأوك أن يطلق الرصاص على رفاقنا عندما يراهم متواجدين مع مسلحي ذينك الحزبين. ويبدو لي أن ذلك لا يعني شيئا سوى التبعية لأوك وفقدان استقلاليتنا السياسية، والتعهد بألا نتعاون مع أي طرف لا يرضى عنه أوك. وكنت أنا إلى جانب الحياد بين المتنازعين بدلا من الانشداد إلى ركاب بعضهم ضد البعض الآخر.

- إن سفك الدماء الغزيرة في بشتاشان وكذلك في قرداغ – قرب مسويي- قد خلق أجواءا شديدة التوتر وحاجزا نفسيا كبيرا بين مسلحي

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الطرفين. وإزاء ذلك كان علينا أن نضع برنامجا لتطبيع العلاقة بشكل تدريجي يتقبله منتسبو الطرفين. لكن ملا علي افرد في الاتفاقية بندا خاصا بالجولات المشتركة بين بيشمرگه الطرفين. هذا في وقت كان مجرد الحديث عن الجولة المشتركة استفزازا بالغ الشدة لرفاقنا، الذين كانوا يتساءلون عما إذا جفت دماء شهدائنا. إن الاتفاق على الجولات المشتركة في أيار 1983 كان مدعاة لإثارة الاستفزاز والحقد حتى لدى رفاقنا المعارضين لاقتتال الأخوة.

- ويدعي ملا علي في مذكراته بأن جميع رفاقنا أيدوا الاتفاق ما عدا أبو سلام. ويعرف الجميع أن عشرات من أحسن رفاقنا تركوا الحزب والقاعدة العسكرية احتجاجا على توقيع الاتفاق. وإذا كان هناك مؤيدون للاتفاقية المبرمة فانهم لم يتجاوزوا عدد أصابع اليد من اتباع ملا علي نفسه.

- ذكر ملا علي في مذكراته أنه اطلع عند لقائه مفاوضي أوك في ديوانه على رسالة من كريم أحمد وبانيخيلاني قالا فيها انهما اتفقا (طبعا بعد اعتقالهما) مع قيادة أوك على عدم الاقتتال وحل المشاكل عن طريق التفاوض والقيام بالجولات المشتركة... الأمر الذي زاد من قناعته بصواب التوقيع على الاتفاق). وهذا تبرير غير مقبول أبدا لأن ملا علي كان يعرف أنهما أسيران في قبضة أوك ولا يحق لهما التفاوض باسم حشع. وقد سماهما بنفسه في مذكراته بمنهارين- وكان على حق. فلماذا ناقض نفسه بنفسه واعتبرهما هنا مرجعية قيادية لنفسه؟

- لم يكتف ملا علي بعدم العودة إلينا لغرض التداول معنا والاستماع إلى ملاحظاتنا قبل ان يوقع على الاتفاق- كما هو المألوف في مثل هذه الحالة- بل اختفى عني حتى بعد توقيع الاتفاقية خشية ان اتصل سريعا بقيادة قاطع أوك وأرفض الاتفاقية بتلك الصورة. أنني حاولت عبثا استدعاءه ولم يأت إلا بعد حوالى 24 ساعة، وبعد أن تأكد من أن أوك قد نشر من إذاعته نص الاتفاقية. وقد سمعت نص الاتفاقية قبل أن أرى ملا علي من إذاعة لأوك فحاولت الاتصال بقيادة قاطع أوك وذهبت لهذا الغرض إلى قرية دوكان، ومعي آمر السرية محمود حسن، سعيا لإبلاغ الطرف الآخر بأنني لا أوافق على اتفاقية كهذه. لكني لم افلح فيما أردت. وهكذا فرض ملا علي الاتفاقية رغم أنفي. وتحملت أنا المسؤولية الرئيسية عما فعل لأنني كنت المسؤول

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الأول عن هذا القاطع. لقد أردت أن ننتقل إلى شهرزور ونبقى على علاقة اعتيادية مع قاطع أوك، مع فصل القوات عن بعضها، نحن في شرق طريق عربت- دربنديخان وهم في غربه. لكن ملا علي لم يدعنا لنفعل ذلك بتوافق مع قيادة قاطع أوك إذ حطم بتصرفاته اللامسؤولة ما كنت أنوي عمله. واضطررت بعد ذلك إلى الانتقال إلى شهرزور بشكل آخر، أعني بالاتفاق سرا مع محمد الحاج محمود ومع الپارتي على إبعاد قوة أوك من شرقي الطريق إلى غربه. وتم لنا ما أردت، ولكنه لم يكن بالإجراء الأمثل.

ولم يثمر شجاري وحدتي مع ملا علي، الذي لم يعد إلينا إلا بعد أن أخزاني وأخزى نفسه. وقد فكرت في أن أعاقبه بتجميد مسؤولياته كافة، وكنت أدرك بأنه يستحق أشد العقوبات. لكني، وبعد أن فكرت مليا في الأمر، عدلت عن فكرة العقاب آخذا بالحسبان الظروف الحساسة والمعقدة التي كنا نمر بها وقررت التأجيل والبحث عن أسلوب أفضل لوضع الأمور في نصابها. وقد توصلت مع نفسي إلى أن أفضل السبل لإعادة اصطفاف الكادر وإصلاح الوضع وإعادة توزيع المسؤوليات وإعادة بناء الهيأت الحزبية والعسكرية إنما هو اللجوء إلى انتخابات حزبية وعسكرية كما سيأتي.

- في معرض دفاعه عن الاتفاق الذيلي الذي وقعه يحاول ملا علي إيهام الآخرين بأنني عارضت الاتفاق المذكور إرضاء لقيادة حشع ولأظهر الالتزام بسياسة الحزب. وهذا لا يمت إلى الحقيقة بصلة، إذ أن الجميع عرفوا ويعرفون أنني كنت معارضا ثابتا لنهج قيادة حشع في التحالف مع نظام صدام وفي زج الشيوعيين في اقتتال الأخوة، ولم أخف قط معارضتي، بعكس ما فعله ملا علي في أكثر من موقف. وهو كان ينتقد القيادة بتهمة التبعية وراء الپارتي، ولكنه كشف عن نفسه في اللحظات الحرجة بأنه كان الوجه الآخر لذات عملة القيادة، أي النسخة الثانية لنفس العقلية واختلف عنهم في التفاصيل إذ اختارت القيادة التبعية وراء الپارتي فيما اختار هو التبعية وراء أوك بحكم ظروف تواجده.

2- وقضايا منافية للحقيقة

- في سعيه للظهور بمظهر بطل السلام ضد اقتتال الأخوة ولإظهاري أنا

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

بمظهر مؤيد للاقتتال، لم يكتف ملا علي بالتفسير الخاطئ لمعارضتي للكيفية التي عقد بها اتفاق ديوانه، بل ذهب إلى حد اختلاق قصص لا تمت إلى الحقيقة بصلة. فلنسمعه يقول في مذكراته:

"لغرض الهجوم على مقر قاطع أوك في حاجى مامند زارني كل من ملازم كريم وعثمان قاله منور وقدموا إلي رسالة من أبي سلام حول هذه المسألة. فبادرت إلى جمع اللجنة وأبلغتهم بمحتويات الرسالة. فقالوا: سبق أن جلسنا نحن مع ممثلي أوك واتفقنا معهم على عدة نقاط. فاين لنا ذلك الاتفاق من هذا الهجوم على مقر قاطع أوك؟ وباختصار فان أعضاء اللجنة جميعا لم يرضوا بالقيام بأي هجوم. فأبلغت الأخوين كريم وعثمان : نحن لا نستطيع القيام بمثل هذه المعركة. وإذا رغب أبو سلام فليذهب هو حسب رغبته لهذا القتال. وتراجع أبو سلام وعاد أدراجه بصحبة قواته" (ص187).

والقصة الثانية المختلقة هي التالية:

"انطلق أبو سلام مع قوة كبيرة في جولة، فذهب إلى قرية (مجه كوير) ثم إلى قرية (سوله) حيث وجد آمر فصيل من أوك يدعى (درويش صالح)، فيجرده من السلاح ويحجزه عنده. من الواضح أن ذلك كان على العكس من اتفاقنا مع أوك". (ص185).

اذا كانت مذكرات امرئ ما تثمن، قبل كل شيء، بمدى مصداقيتها في سرد الإحداث بأمانة وكما هي، فان مذكرات ملا علي تُحرم من هذا التثمين، لأن الحكايتين المرويتين أعلاه عاريتان عن الصحة من ألفهما إلى يائهما. ويذكرني ما نقلته هنا بقصة – أو نكتة - (خسن وخسين ثلاثتهم بنات معاوية). فانا لم أفكر مجرد التفكير في الهجوم على مقر قاطع أوك أو أي مقر آخر له لأنني صممت على ألا أخوض اقتتال الأخوة إلا في حالة الدفاع عن النفس ضد هجوم نتعرض له، ولأنني لم أر في تلك الفترة أبدا الأخوين كريم وعثمان ولا رسالة أو وسيط منهما، ولأنني لم أزودهما ولا غيرهما بأي رسالة تحريرية أو شفهية تتعلق بالهجوم على مقر قاطع أوك، ولأنني لم أرافق، ولا شبرا واحدا، أية قوة لغرض الهجوم على مقر قيادة القاطع في حاجى مامند. والشيء نفسه بالنسبة إلى قصة جولتي إلى قريتي مجه كوير وسوله، إذ لم أقم باي جولة ولم ادخل أيا من تينك القريتين ولم أرَ في عمري

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

درويش صالح الذي يدعي ملا علي بأنني جردته من السلاح وحجزته عندي...الخ. واكثر من كل ما ذكرت آنفا، فأنني لم اسمع من أي إنسان ولا كلمة عن هاتين القصتين طوال 29 عاما أعقب اتفاقية ديوانه، بل سمعتهما وقرأتهما لأول مرة في مذكرات ملا علي في شباط 2012. بقي أن أسأل ملا علي: من أين استقى هذه المعلومات الكاذبة وأين توثق منها حتى يغني بها مذكراته؟ ولماذا لم يعرض علي تلك الرسالة المزعومة التي استلمها من كريم وعثمان ولم يحدثني ولا مرة عنها طيلة 29 عاما سبقت نشر مذكراته؟ كان من المحتمل أن أكون ميتا قبل طبع مذكرات ملا علي فلا يكون هناك من يدافع عني ضد هذه التلفيقات الصارخة. لكنني بقيت لحسن الحظ حيا لكي اكشف الحقيقة. ولا يسعني إلا أن أضع علامات الاستفهام حول إحداث أخرى منشورة في كتاب ملا علي وتخص أشخاصا آخرين وافتهم المنية قبل صدور الكتاب.

أعود إلى قصة درويش صالح. حقا إن هذا الرجل قد أعتقل من قبل رفاقنا بعيداً عني ودون علمي، شأن كادر وسطي لأوك يدعى جعفر. ولكن ما سمعته لاحقا هو انه لم يخرج من قرية سوله، بل أعيد إليه سلاحه فيما بعد وأخلي سبيله بتأثير التدخل من ملا علي أو شخص مثله، فيما أُبقي جعفر رهن الاعتقال حتى بادلناه بأربعة من رفاقنا المعتقلين في بشتاشان.

محاولة الإصلاح عن طريق الانتخابات

أسبقت أنني لم ألجا إلى معاقبة ملا علي، بل قررت اللجوء إلى أسلوب ديموقراطي ـ انتخابات ـ لإعادة اصطفاف الكادر وإعادة بناء هيأتنا الحزبية والعسكرية على شتى الأصعدة. وقد قدمت إلى رفاقي مشروعا متكاملا لإجراء الانتخابات، وكنت أدرك أن المكتب السياسي، والقيادة بوجه عام، لا تدعم أبدا مثل هذا المشروع، بل على العكس من ذلك. ولهذا حاولت إمرار المشروع دون أن أخبر القيادة وقبل أن يتسنى للقيادة التدخل لإلغائه. قلت للرفاق أن ثقة الشيوعيين بقادتهم هبطت إلى ما يقارب الصفر. وهذا يجعل من الضروري والملح أن نقوم بلون من الاستفتاء في الحزب ونترك لرفاقنا انتخاب من يريدون في الهيئات الحزبية والعسكرية، وبذلك يمكن استعادة الثقة بين القاعدة وبين القيادة. إذا انتخبونا فسنبقى في مناصبنا مزودين بثقة

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

الرفاق وإذا انتخبوا غيرنا فسنواصل العمل تحت قيادة المنتخبين الجدد. وقد أفلحت في كسب التأييد من بانيخيلاني أولا، ولكن أبو تارا عارض بشدة الانتخابات الحزبية والعسكرية. وأظن أن سبب ذلك كان خوفه من عدم إعادة انتخابه. وأيد ملا علي الانتخابات الحزبية وعارض العسكرية بحجة أن مثل هذا العمل لا يشمل المجال العسكري. لكن السبب الحقيقي لمعارضته كان خوفه أيضا من عدم فوزه في الانتخابات. أما بقية الكوادر والرفاق عامة فإنهم رحبوا بالانتخابات حزبيا وعسكريا.

كان فوج حلبچه عندنا، فرتبنا على جناح السرعة إجراء الانتخابات فيه، وقدمنا قائمة مرشحينا وأبقينا أمر الفوج نفسه علي كلاشنكوف مرشحنا لمنصبه لأنه كان شابا شجاعا وذكيا ومحترما بين رفاقه، وتركنا للآخرين خارج قائمتنا ليرشح من يرغب لأي منصب. وقد رشح توفيق الحاج نفسه لمنصب أمر الفوج منافسا لعلي كلاشنكوف ورشح آخرون لمناصب مختلفة. وفي انتخابات جرت بالاقتراع السري ودون أي تدخل فاز جميع مرشحي قائمتنا بأغلبية ساحقة أو بالإجماع، باستثناء شخصين- عضو في لجنة قاعدية حزبية وآمر فصيل في الفوج. وأشهد أن اللذين انتخبا كانا أفضل من مرشحينا في القائمة. ولم يحصل توفيق المنافس لعلي على أكثر من 12 صوتا.

بعد ذلك نزلنا، أنا وبانيخيلاني، إلى القرى في شهرزور لنشرف على الانتخابات في فوجينا الآخرين. وحددنا اليوم التالي لإجراء الانتخابات في جامع القرية التي كنا فيها. وكنت مصمما على ترشيح محمود حسن – وكان آمر سرية - كبديل عن حمه رشيد قرداغي وعبدالله مامه كبديل عن نصرالدين هورامي لفوجينا هناك. لكن المعارضين للانتخابات - ابوتارا ولا أدري ما إذا شارك ملا علي وبانيخيلاني أم لا - كانوا أكثر استعجالا وشطارة منا، ففي 1983/8/25 استلمنا من أبو تارا برقية المكتب السياسي، التي تم بموجبها إقصائي وإقصاء ملا علي من هيأة القاطع وعين بانيخيلاني مسؤولا عن الهياة ونقل أبو تارا من منصب المسؤول الإداري في الهيأة إلى منصب المسؤول العسكري للقاطع. وبهذا القرار وجهت قيادة حشع ضربة قاضية إلى القاطع وليس فقط إلى مشروع الانتخابات الذي أردت به استعادة الثقة المفقودة بين القيادة وبين القاعدة. فمنذ تلك الأيام بدأ العد التنازلي في

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

تدهور وضع القاطع، الذي كان التشكيلة الحزبية - العسكرية الوحيدة، التي كانت متبقية بحالة اعتيادية سليمة في منطقة سوران حتى ذلك الحين. ولم يلبث بعد ذلك الإجراء أن عاد مسلحو أوك إلى شرق طريق عربت - دربنديخان وانسحب الشيوعيون مرغمين إلى مقراتهم المعلقة في جبال هورامان. ولا أظن أن أيا من أعضاء المكتب السياسي فهم ما ارتكبه من خطأ جسيم بحق الحركة الشيوعية في العراق.

وأريد هنا أن أتحدث قليلا عن ملا أحمد بانيخيلاني، الذي تولى قيادة القاطع منذ إقصائي أنا. فقد كان هذا الرجل كادرا شيوعيا جيدا ومناضلا فلاحيا فذا في منطقته وقاد النضال الطبقي التحرري للفلاحين بكفاءة وجرأة قبل ثورة تموز 1958. إنه بطل النضال الثوري في اطار الكفاح الفلاحي ضد الإقطاعيين المتداخلة مصالحهم مع مصالح النظام الملكي الاستعماري. لكن وضعه بدأ بالتغير بعد ثورة تموز حيث أنيطت به مسؤوليات أخرى لم ينجح في الاضطلاع بها ولم يرق إلى مستوى متطلبات الظروف المستجدة والمعقدة بالغة التعقيد، مثله مثل عريف في الجيش ناجح في إدارة فصيله - كعريف فصيل- ولكنه يجد نفسه في وضع مغاير تماما عندما يمنحونه رتبة الجنرال ويتأتى عليه أن يؤدي مهمات جديدة تختلف من حيث الجوهر عن مهماته السابقة. وهو لم يكن بذلك الرجل الذكي الذي يستطيع تطوير مستوياته السياسية والثقافية كي يتمكن من مواكبة التطورات واستيعاب المستجدات. فكان من غير المستغرب، والحالة هذه، أن يكون شديد الحماس في إقحام أعضاء حزبه إلى اقتتال الأخوة جنبا لجنب مع الپارتي وحسك ضد أوك لغرض (تأديب أوك) على حد تعبيره، وأن ينقلب 180 درجة بعد خسارة أول جولة من القتال وإثر وقوعه أسيرا في قبضة أوك. والنماذج الفلاحية من هذا النوع كثيرة في الحركة السياسية. لكن اسوا ما كان عنده هو أنه لم يعرف حتى النهاية قدر نفسه ولم يدرك حقيقة مستواه الفكري والسياسي الذي لم يرق إلى مستوى الكوادر الوسطية - كما يتجلى ذلك في مذكراته.

أنا وعصيان ملا علي

يتحدث ملا علي في مذكراته عن عصيان (أو انشقاق) قام به على

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

القاطع وعلى حشع في 1983/12/25 حيث نزل مع توفيق حاجي إلى شهرزور وحاول جمع مسلحي حشع وراءه، ولكنه أخفق وعاد أدراجه بعد حوالي شهرين. ويدّعي أنه كان قد اتفق معي على هذا العصيان ولكني لم أف بعهدي ولم أرافقه. بإمكان القارئ أن يقرأ ص 191-192 نصا ليطلع على ما كتب عن العصيان وعن علاقتي بالأمر.

وأجد لزاما علي أن أوضح حقيقة المسألة، بقدر ما يتعلق بدوري، وأبين أسفي لأن ملا علي لم يكتب الإحداث كما هي، بل سطّر ما راق له وتصور أنه في صالحه.

قبل شروق الشمس من صبيحة 1983/12/25 أيقظني احدهم في خيمتي بكرجال وأخبرني أن ملا علي يريدني وينتظر في أحد البساتين. نهضت وذهبت. وقد سار ورائي أحد الشابين (سالار عبدالله زنكنه وتحسين كربلائي) اللذين كلفهما بانيخيلاني بالتجسس ومتابعة تحركاتي. وصلت المكان وجلست مع ملا علي وتوفيق حاجي، واتضح أنهما قدما ليأخذاني معهما إلى شهرزور، أي لنعلن العصيان على حشع. كانت هذه مفاجأة إذ لم يجر مسبقا أي اتفاق بيننا ولم ألتق مع ملا علي منذ أن ذهب إلى (هزاربر) ولم أر توفيق بالمرة بعد انتخابات الفوج. والأهم من هذا وذاك أنني لم أتوصل مع نفسي في ذلك الوقت إلى أن أنشق. فقد انتميت إلى حشع في ربيع 1946، يوم كانت الحركة الشيوعية في العراق تعاني من الانشقاقات وتربينا بروحية محاربة الانشقاق والحفاظ على وحدة الحزب وساهمت شخصيا في تصفية الكتل والتيارات الانشقاقية وترسخت لدي ثقافة التمسك بوحدة الحزب ولم أتزحزح عن ذلك إبان المنعطفات في مسير الحركة والعقوبات المتكررة اللاعادلة التي تعرضت لها خلال سني نضالي. وغدوت متشبثا بالوحدة إلى درجة الجمود حتى سنة 1984 حيث جاوزت القيادة كل الحدود المنطقية في الاعتداء على حقوقي بطردي من الحزب دون أي مواجهة أو محاسبة وباعتقالي رهن الإقامة الجبرية. عندئذ تمردت وهربت من المعتقل وهجرت حشع وغيرت قناعاتي فيما يخص الانتماء والبقاء في الحزب، أي غيرت علاقة الزواج الكاثوليكي مع قضية الانتماء الحزبي. وفي مذكراتي التي كتبتها عام 1991 قلت انه كان على أن اهجر حشع في سنة 1975 بدلا من أن أظل حتى تختار القيادة لحظة إبعادي.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وبعد فوات الأوان اقتنعت بأنه كان علي ترك حشع احتجاجا على إقحام نفسه في اقتتال الأخوة، بدل الانتظار حتى تستعيد القيادة المتخبطة أنفاسها وتتخذ من أمثالي كبش الفداء متشبثة بكراسيها التي كان عليها أن تتركها في 1979، حين انهيار تحالفها مع نظام صدام وانهيار الحزب نفسه.

لو كنت مع ملا علي في عصيانه لما قبلت بكتابة ذلك (المشروع) الهزيل (أو النقاط الست) الذي نشره في مذكراته، وأولى النقاط فيه هي المطالبة بعودة القيادة من الخارج (في 1983)، علما أن تلك القيادة قد عادت في 1982 واجتمعت في أيلول تلك السنة وقررت تشكيل القواطع وتعيين ملا علي نفسه مسؤولا عسكريا في أحد القواطع! لوكنت مع العصيان لقدمت برنامج العمل المستنبط من وثيقة التقييم التي كتبتها وقدمتها إلى المكتب السياسي في 1979، عند انهيار التحالف الذيلي، وليس في 1983 كما ذكر ملا علي في كتابه.

لو كنت مع العصيان لما اعتمدت على أناس غير جديرين بأي ثقة وغير فاهمين لشيء من السياسة أو التنظيم أمثال توفيق حاجي وفتاح كلالي وروبيتن ورسول، الذين اعتمد عليهم ملا علي وسرعان ما أكدوا عدم جدارتهم بالاعتماد.

عندما جاءني ملا علي في صبيحة 12/25 كان يتصور بأني سأتبعه وأسير وراءه لأنني كنت ممتلأ سخطا على القيادة في القاطع وفي المركز. وكنت ساخطا حقا، ولكنني كنت متمسكا بالحفاظ على وحدة الحزب وتصرفت بوحي من عقليتي تلك وليس بعقلية ما بعد 1984. وقد بذلت قصارى جهدي، خلال فترة عصيان ملا علي لكي يعود إلى الحزب. وعاد أخيرا ولكن ليس بنتيجة جهدي بل لأنه لم يحسن التصرف هناك ولأنه اصطدم بواقع مرير دفعه إلى التراجع عما قام به. ولنستمع إلى ما قال بنفسه في كتابه:

"ومن العجيب أن توفيق حاجي كان مغترا بنفسه وحشد زمرة خاصة به لتسير وراءه وكأنه مسؤول كبير. وكان من العبث أن يتحدث إليه المرء." (ص193).

"في أواخر الشهر الواحد من 1984 بلغ عدد مسلحينا 64 شخصا، لكنها

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

كانت قوة مفككة للغاية. فقد حشد كل من فتاح گلالي وتوفيق حاجي ورسول وروبيتن عددا من المسلحين وراء نفسه، وكان يأبى أن يرى أحدا أعظم من نفسه." (ص193).

ويلومني ملا علي لأنني رفضت الذهاب معه لكي أضع نفسي تحت رحمة (ستافه) من الكوادر السياسية والعسكرية، المكون من هؤلاء. وانا ألوم الآن نفسي ليس لعدم ذهابي مع ملا علي بل لأنني لم ادرك آنئذ بأنه كان من حقه أن يختار لنفسه الطريق الذي يروق له في العمل الحزبي-السياسي بدلا من علاقة الزواج الكاثوليكي مع أي حزب، ولم يكن من حقي أن اضغط عليه ليعود إلى حشع.

ويجدر بالذكر هنا أن يعرف القراء أن ملا علي لم يستطع كسب أي واحد من رفاقه الذين يدعي في كتابه بأنه كان في أقصى درجات الانسجام والعلاقة الوثيقة معهم، أمثال نصرالدين هورامي وحمه رشيد قرداغي وعلى كلاشنكوف وغيرهم. لم يستطع ولا كسب واحد منهم إلى جانبه أثناء عصيانه ونزوله إلى شهرزور، في حين ينتقدني، أنا الذي ذكر أنني بدأت بمحاربته منذ أن عينت مسؤولا عن القاطع، لأنني لم انضم إليه في عصيانه!!

آخر ما يحتاج بعض الإيضاح

1- ينتقد ملا علي ما قمت به من تشكيل مفارز سرية صغيرة لإبقائها في قرداغ وراءنا حين انسحابنا إلى شهرزور، ويقول أنني تركت المفارز لقتل رجال أوك. وأظن انه غاضب لأنه لم يكن، هو المسؤول العسكري للقاطع، الشخص الذي يقرر تشكيل أو عدم تشكيل هذه المفارز. واعتقد أن تشكيل المفارز السرية كان عملا صحيحا وضروريا لغرض الحفاظ على قدر من المعنويات والعزيمة النضالية لدى رفاقنا وتنظيماتنا الحزبية المدنية في قرى قرداغ ولإعلام الجميع بأن حشع لا يزال موجودا في المنطقة. وقد دلت نتائج وجود المفرزة السرية خلال تلك السنين على أنها كانت مفيدة وضرورية، وان معارضة وجودها لم تمت بصلة إلى مصلحة الحركة الشيوعية. وأتساءل: لماذا كان من حق أوك أن يحتفظ بمفارزه ويعمل ما

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

يشاء في قرداغ آنئذ، ولم يكن من حقنا أن نترك حتى مفرزة سرية صغيرة؟

2- يقول ملا علي في كتابه انه ذكر في اجتماع لمناقشة ما إذا كانت منطقة بشتاشان تصلح لإنشاء مقر القيادة فيها، بأنها غير صالحة وستكون مقبرة للشيوعيين. ربما قال ذلك، ولكنه كان يتصور بأن السلطة الحاكمة هي التي ستهجم وتحطم، ولم يخطر بباله أن يحدث ذلك كنتيجة لاقتتال الأخوة بين الفصائل المسلحة في كردستان. وأظن أن ملا علي لا يدرك للآن أن الكارثة التي حلت بحشع لم تكن بسبب هجوم الجيش، بل بسبب خطأ وغباء قيادة حشع سياسيا وعسكريا.

3- ويقول ملا علي انه اقترح إنشاء المقر لقيادة القاطع في قلعة شميران ويصر على أنها كانت المنطقة النموذجية وكان للپارتي مقر فيها. ورغم أنني لا أتذكر شيئا من النقاش حول هذه المسألة، فأنني أقول أن قلعة شميران كانت تصلح لمقر فرعي بالنسبة لجهة تملك أعضاء ومؤيدين لنفسها في تلك المنطقة، كما كان الپارتي ولكن جبال هورامان كانت هي الأفضل بما لا يقاس كمقر للقاطع. وكان لحسن حظنا أن لم ننشئ مقر القاطع في شميران.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

الهروب من المعتقل
والإخفاق في تأسيس الحزب البديل

في 15 تموز 1984 هربت من المعسكر الذي نقلنا إليه المكتب السياسي حيث فرضت علينا، أنا وعبدالله ملا فرج، الإقامة الجبرية، وكان في المعسكر رفاق إيرانيون من تنظيمات حزب توده وفدائيي الشعب وجماعة المؤتمر الرابع المنشقين عن الحزب الديمقراطي الكردي – الإيراني. هربت وحيدا، وكانت هذه نقطة ضعف حقيقية وسببها – كما أسبقت – هو أن قيادة حشع هي التي اختارت الوقت المناسب لانزال ضربتها في وقت لم اكن أفكر إطلاقا بأن أنشق (على الأقل في ذلك الظرف) ولم أهيئ نفسي لشيء من هذا القبيل. في طريق الهروب بت ليلة في ضيافة سكرتير حسك محمد الحاج محمود بجبل سورين، وساعدني في اليوم التالي لاستئجار سيارة أجرة والوصول إلى السليمانية، فيما كان اتباع المكتب السياسي يبحثون عني في منطقة لولان للقبض علي حيا أو ميتا. وبعد يومين أو ثلاثة سافرت من المدينة إلى قرية (تكيه) في قرداغ ودخلت مسقط رأسي – الدار القروية التي كنت قد ولدت فيها قبل ذلك بسبعة وخمسين عاما. وكان شقيقي نجم الدين ساكنا مع عائلته هناك.

أنا الآن في بعض الأمان وعلي أن افكر جديا في المشروع الذي جئت من أجله، لكنني هنا وحيد وخاوي الجيوب، فكيف ابدأ؟ مشروعي هو تأسيس حزب شيوعي بديل، يجب أن يعرف الجميع بذلك، لا مفر لمن يريد العمل هنا من إقامة علاقة ما مع أوك المسيطر في هذه المنطقة، بل لا مفر من الاستعانة به من نواح معينة ودون الإخلال بالاستقلالية. وقد استجاب الطالباني لطلبي المتواضع: تزويدي بالآلة الكاتبة والرونيو. وفي وقت لاحق قدموا لي مبلغ عشرين الف دينار، وكنت حريصا على ألاّ اكثر من الطلبات. ولاحظت اهتمام قيادة أوك بشأني واعتبرت ذلك طبيعيا لأنهم كانوا في حالة حرب ساخنة مع أحزاب جود وبضمنها حشع.

من أين البدء بالعمل؟ الخطوة الأولى الهامة هو النشر، ليعرف الآخرون

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

ما هو هدفي، وكانت الأولوية لوثيقة التقييم لسياسة حشع التي أثيرت حولها مناقشات كثيرة خاصة عند عقد التحالف مع حزب البعث الحاكم وما آل إليه وضع حشع على أثر انهيار التحالف. وقد أردت نشر هذه الوثيقة شخصيا وباسمي دون الانشقاق، لكن ذلك كان يعتبر في نظر القيادة من الجرائم التي لا تغتفر. كنت على ثقة من أن الغالبية الساحقة من الشيوعيين العراقيين يتفقون مع الأفكار والتقييمات التي تضمنتها الوثيقة، غير اني كنت مخطئا في تصوري عما يتخذون من الموقف التنظيمي، فالشيء الذي اتضح لاحقا افهمني بأن التربية الحزبية بروحية الحفاظ على وحدة الحزب كانت راسخة وعميقة الجذور لدى الشيوعيين العراقيين – على الأقل حتى ذلك الحين – لدرجة ترقى إلى العقيدة الدينية. فالكادر الحزبي، مهما اختلف فكريا مع قيادته، كان يتمسك بوحدة الحزب التنظيمية وقد يترك صفوف الحزب ولكنه لا يقبل الانضمام إلى تنظيم منشق. وإذا أراد حل الخلافات والمشاكل فإن عليه أن يفعل ذلك داخل التنظيم الحزبي وحسب. ولا أستطيع تخطئة هذه التربية بالنسبة لظروف الأربعينيات والخمسينيات حيث كان حشع يمر بمرحلة التكوين وتوطيد أسسه الفكرية والتنظيمية، ولكنها لم تعد صالحة في ظروف لاحقة، وقد انهارت هذه التربية في الثمانينيات، وبالأخص بعد البيروسترويكا التي بادر إليها غورباتشوف. وسبب الانهيار يعود إلى تنامي الوعي لدى الشيوعيين وتعاقب الأخطاء والنكسات وتراكم التجارب...الخ.

بدأنا النشر الحزبي وعدت إلى الاسم الذي اختاره فهد لجريدة الحزب (القاعدة)، وقد أصدرت منها أعدادا، كما أصدرت نشرة حزبية داخلية باسم (الإنجاز) وهو اسم نشرة مماثلة أصدرناها في الخمسينيات، ولتوضيح المواقف والخلافات داخل القيادة حول قضية اقتتال الأخوة أصدرت كراسة صغيرة ضمنتها نصوص البرقيات المتبادلة بيني وبين كريم أحمد والمكتب العسكري المركزي. وأصدرنا بيانات ونشرات داخلية. وكان التوزيع محدودا لأن النظام الفاشي كان يهدم دارا لمجرد تعليق بيان سري على جدرانه وكان يقتل إنسانا فيما لو ضبط وهو يعلق البيان. ولم تكن لدينا إذاعة ولا أي وسيلة فعالة، فضلا عن أن تنظيماتنا الحزبية كانت محدودة وصغيرة، وسأكون ممتنا لمن يكون محتفظا ببعض تلك المنشورات ويرسل لي نسخة منها. أما لماذا لم تبق لدي نسخ منها، وانا كنت في منطقة قرداغ المحررة، فإن وراء ذلك قصة مأساوية: بذلت جهودا وأنفقت نقودا لكي

«AlfYaa منشورات «ألف ياء»

يكون لدي مخبأ مناسب بحجم غرفة صغيرة اخفي فيها، في حالة ترك المنطقة اضطراريا، نسخا من الوثائق وبعض الأجهزة والوسائل وما شاكل، فهل سأنجح في ذلك؟ كلا مع الأسف، هيأت المخبأ على خير ما يرام ووضعت فيه ما أردت، وكنت واثقا من أن الجنود والجحوش لن يهتدوا إليه مهما فتشوا، لكنني لم احسب الحساب لفلاحي القرية الذين كانوا قد هجروا بيوتهم وسكنوا في (سيلة) القريبة نسبيا من المخبأ، وكان بينهم عمر محمود أمين الذي كان جبانا وفضوليا في آن واحد، وهو من أقاربي، وكان يحوم حول كل شيء بحثا عن الملجأ من القصف الجوي. وقد رأى المخبأ في طور البناء، وعندما اقتربت قوات صدام من قرية تكية وهرب القرويون انهار عمر والتحق بأحد الأفواج الخفيفة للجحوش وقدم هديته، المخبأ الذي فتحوه ونقلوا كل ما حواه إلى السلطة البعثية باستثناء علبة كان فيها حوالي 3-4 كغم من العسل، وربما خافوا من أن يكون مسمما.

* * *

المهمة الرئيسية التي واجهتني بعد وصولي إلى قرداغ كانت بناء التنظيم الحزبي، والعرقلة الرئيسية كانت عدم وجود خطوط تنظيمية أو مجموعة كوادر حزبية عندي، وذلك لأنني لم أتهيأ للانشقاق، بل فرضته القيادة البيروقراطية. تذكرت شابا شيوعيا يدعى عمر عبدالكريم، كان مقيما في السليمانية وعلى صلة حزبية خاصة معي منذ كانون الثاني 1982 حيث جاءني لأول مرة إلى قرية بلكجار يوم كنت على رأس مفرزة مسلحة من مئتي شخص. وتحدث إلي عمر في ذلك اللقاء عن عمله في خلية ماركسية منفصلة عن حشع لأسباب فكرية، وكانت تضم آخرين، منهم ابن أخي أنور نجم الدين ورهيل نوري شاويس وفريق الحاج جبار وياسين رشيد، وقد تفككت الخلية بعد أن دبت في صفوفها الخلافات، وقرر عمر بعدئذ العودة إلى صفوف حشع وجاء إلي في بلكجار لهذا الغرض. وكنت اطمح إلى أن اشكل معه خطا تنظيميا منفصلا عن الخط الرئيسي كاحتياط. وكرر عمر زياراته لي في مقراتنا بقرية حاجي مامند ثم بجبال هورامان. وبعد وصولي إلى قرداغ جاءني عمر وبحثت معه سبل العمل التنظيمي، أصبح هذا الشاب هو الكادر الرئيسي لدي في مدينة السليمانية، وعرض علي ما كان له من الصلات، ولكونه من ذوي الميول الأدبية اقترح منذ البداية إصدار نشرة

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

أدبية، فاستجبت لاقتراحه رغم شحة إمكاناتنا في الكتابة والطباعة، بأمل أن يساعد ذلك على إقامة صلات لنا مع وسط الأدباء والمثقفين، سمينا النشرة (هونه رمه ندي كورد – الفنان الكردي)، وكان عمر يوزعها بنفسه في السليمانية، وقد أتاني ذات يوم، وبعد توزيع نشرتنا الأدبية المتواضعة، ليحدثني عن خلافات محتدمة في أوساط الأدباء والمثقفين حول شكل التنظيم النقابي لهم وارتباطه بالقضية القومية للشعب الكردي وشكل العلاقة مع التنظيمات المماثلة في بغداد، وقال عمر أن محمد سعيد حسن كتب كراسة بهذا الصدد، وعبثا حاول العثور على من يتجرأ على طبعها له، خصوصا لأنها تتضمن انتقادات موجهة إلى نوشيروان مصطفى. وطلب عمر طبع الكراسة من قبلنا، فاستجبت لطلبه بعد أن قرأت الكراسة ووجدت أنها لم تخرج عن حدود المناقشات الفكرية. وعلى اثر طبعها وتوزيعها في المدينة زارني – لأول مرة – محمد سعيد حسن في مقري بقرية تكية ووجدته شابا ذكيا ومغرورا في نفس الوقت. وقد دعوته إلى نزهة لدربند تكية مشيا على القدمين، فاستجاب وذهبنا سوية وتسلقنا الجبل إلى نقطة يرى منها المرء مناظر خلابة داخل دربند وقوبي، ولم أعرف أنه تعب لدرجة شديدة إلا بعد أن انفجر أو كاد ينفجر من الإرهاق.

* * *

كان ميرزا كادرا وسطيا في منظمتنا، قادما من بهدينان مشتغلا في مطعم سياحي بالسليمانية، في نفس العنوان الذي حدده عمر لنا في حالة إرسال بريد حزبي من القرية، وقد أرسلنا إلى هذا العنوان بريدا متكونا من رسالة وبعض النشرات ومسدس، ولم يكن مراسلنا متعرفا على هذا الرفيق، فسأل عن ميرزا داخل المطعم وأشار إليه أحدهم قائلا:

- ذاك الشخص ميرزا الذي تسأل عنه.

وذهب المراسل إليه وأخذه إلى زاوية ليسلمه رزمة البريد والمسدس قائلا:

- هذا بريد حزبي مرسل إليك يا رفيق!

استلمه ميرزا في قلق شديد وحيرة من أمره، أي بريد وأي حزب؟ هذه هي المرة الأولى في حياته يسمع هذه الكلمات، فهو لم ينتم يوما إلى أي

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

حزب ولا يعرف لماذا يرسل إليه بريد حزبي. فاستلم البريد في ارتباك شديد واسرع في الحصول على إجازة من مديره لكي يغادر المطعم فورا ويذهب إلى بيته هربا من الخوف والقلق، جلس في بيته مستغرقا في التفكير، باحثا عن تفسير لما حدث! وفجأة انفرج وضعه بعد أن تذكر أن هناك في المطعم شخصا آخر بنفس الاسم، وفكر في نفسه "لا بد من أن يكون هناك التباس، فالبريد مرسل للشخص الآخر"، فنهض ليذهب مسرعا إلى المطعم والى زميله ميرزا ويقول له:

- يخرب بيتك يا ميرزا، كدت أموت بسكتة قلبية من خوفي، خذ بريدك هذا وقل لجماعتك ألا يكرروا هذه الغلطة.

* * *

كان شبابنا يوزعون المنشورات بحماس بالغ في مدينة السليمانية يدا بيد بين معارفهم وتعليقا على الجدران في الشوارع والأزقة، وكان الجحوش ينصبون الكمائن فوق الأسطح بهدف اصطياد "المخربين". وقد وقع فريق من الموزعين في الكمين أثناء تعليق النشرات، فاستشهد على الفور جميل قادر وهرب آسو كمال لكي يقبض عليه عند ملاحقته ولكي يحكم عليه في محكمة عواد البندر بالسجن المؤبد. كان جميل الشهيد الأول لمنظمتنا، وجريمته انه أراد تعليق بيان سياسي على احد الجدران! ولولا المحاولات المكثفة من والده العالم الديني لنُفّذ في آسو حكم الإعدام أيضا.

حولنا مسدسين في "معمل القرية" إلى كاتمي صوت وسلمتهما لعمر عبدالكريم فإلى شابين من رفاقنا، وكان أحدهما أرسلان الحاج صابر – أكثر شجاعة، فاستخدم الكاتم في تصفية مجرمين من أزلام النظام، وفي محاولته لتصفية خائن آخر اعتقل ونفذ فيه حكم الإعدام.

في خريف 1985 وقبل أن نفلح في ترسيخ تنظيماتنا الحزبية في مدينة السليمانية اعتقل مسؤول تنظيمنا الحزبي في السليمانية عمر وعنوان البريد ميرزا وقدما إلى محكمة عواد البندر، رئيس محكمة الثورة الذي لم يكن لديه أي قانون، واصدر عليهما الحكم بالسجن 15 سنة و10 سنوات، وكان ذلك ضربة كبيرة موجهة إلى منظمتنا الحزبية الفتية في السليمانية.

قمت بمساع لإيجاد ركائز تنظيمية في بغداد ومدن أخرى، ولهذا الغرض

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

سافرت بنفسي إلى العاصمة، وأرسلت لاحقا عمر عبد الكريم إليها، وطرقت أبواب بعض المناضلين القدامى، من بينهم هادي صالح متروك الذي بقي على طيبته المعهودة وحماسه الثوري، لكن تقدم السن ومتاعب حياة الفقر والقلق تركت بصماتها على وضعه وقدراته النضالية. وقد فكرت في وضعي وإمكانات العمل الحزبي ووجدت أنني لا املك المقومات الضرورية، لا من الكادر الحزبي ولا من المال، لتوظيف بعض الرفاق وتأمين حياتهم لمواصلة العمل الحزبي هناك، يضاف إلى ذلك أن سنوات التحالف الذيلي للشيوعيين مع نظام صدام قد مكنت العدو الفاشي من تحطيم التنظيمات الشيوعية ونشر شبكة واسعة من المندسين في بقايا التنظيمات الشيوعية داخل بغداد ومدن أخرى، الأمر الذي زاد من صعوبة العمل وضرورة الحذر الشديد في الاتصالات بين الشيوعيين السابقين. يضاف إلى ذلك أن الظروف تغيرت جديا، إذ لم أعد أنا ذلك الشاب الذي كان في الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين، يوم انتقلت من السليمانية إلى بغداد للعمل الحزبي، ولا الحزب الشيوعي بقي محصنا بذلك العطف الجماهيري الواسع كما كان أيام العهد الملكي. على العكس من ذلك، فإن الحركة الشيوعية قد دخلت في حالة الجزر والانكماش ليس فقط على صعيد العراق، بل على صعيد العالم كله.

أرسلت ذات مرة عمر عبدالكريم إلى بغداد وزودته بعنوان شيوعي سابق وصديق عرف باسم (أبو جمال) شقيق العنصر القيادي في حشع الشهيد طالب عبدالجبار، الذي استشهد أيام الانقلاب الفاشي في 1963. وكانت علاقتي مع أبي جمال وثيقة طيلة وجودي في بغداد لسني ما بعد ثورة 14 تموز 1958. وفي ظروف صعبة أسكنني مع زوجتي الشهيدة عايدة ياسين في بيته ببغداد لستة اشهر. وعندما وصل عمر إلى أبي جمال وسلمه رسالتي رحب به الأخير ترحيبا حارا ونظم استقبالا له في بيته دعا إليه بضعة عشر صديقا من الشيوعيين السابقين وأصدقائهم وقدم عمرا اليهم قائلا:

- هذا الشاب المناضل مرسل إلينا من أبي سلام (بهاءالدين نوري) واردت أن أعرفكم عليه وارحب به باسمي وباسمكم.

وقد قبل أبو جمال ضيفه أمام الجميع، وقلده الآخرون من الحضور،

«AlfYaa منشورات «ألف ياء

وكان ذلك رمزا لشعبية الحركة الشيوعية في الماضي وبين الأوساط العمالية – الميكانيكية.

بعد أن التحق بنا عدد من الرفاق العرب أصبح بإمكاننا أن نرسل بعض الرفاق – طبعا بهويات مزورة – إلى المدن وان نستقدم البعض الآخر، أو تزور العوائل أبناءها لدينا، وكانت الزيارات مجازفة يقدمون عليها. ومن العوائل التي أتت إلى قرية تكية لزيارة ابنها يوسف هادي متروك، أتت إليه أمه بسعاد، وكانت امرأة أمية بسيطة وطيبة وزوجة رفيقي القديم عامل النسيج الشيوعي هادي متروك، ومن الطرائف أن أم عدنان (بسعاد) كانت جالسة على كرسي بيننا، أمام المقر، وتفرجت على جبل (سبيين) العملاق المنتصب إزاءنا، أعجبت به وهو جبل رصاصي لونه شبيه بلون الكونكريت الرصاصي، بعد إمعان النظر في الجبل نطقت المرأة الأمية البسيطة فقالت:

- كم هو رائع هذا الجبل، وهل بناه الفلاحون؟

طرحت أم عدنان سؤالها بجد ولم يخطر ببالها أن بناء جبل كهذا وبحجمه الاعتيادي أمر تعجز عنه الدول الكبرى وليس الفلاحون في قرية صغيرة وبائسة.

وفي مرة أخرى كانت منيرة (أخت يوسف هادي) قد أتت بصحبة ابنها البالغ من العمر حوالي عشر سنوات لزيارة أخيها، وكنا في ذلك الوقت قد تركنا مقرنا في القرية بسبب كثافة القصف الجوي والمدفعي المستمر وانتقلنا إلى مقر احتياطي على بعد بضعة كيلومترات داخل غابة، حوالي منتصف النهار ظهرت في السماء قاصفات سوخوي سوفيتية الصنع وبدأت بالقصف الجوي، كان هناك على بعد كيلومترين من مقرنا أشباه بيوت لحوالي عشرين عائلة فلاحية هربت من بيوتها في القرية ولجأت إلى هذه البقعة التي سميت (سيلة)، ادركنا بسهولة أن هدف هذا القصف هو هؤلاء الفلاحون وليس مقرنا، القت الطائرات براميل لتنفجر في الجو وتنشطر إلى آلاف القنابل التي تقع لتنفجر على الأرض، وقد شمل القصف خطا طوليا يمتد من سيلة وعبر تكيه وبلكجار إلى قرية بلخة، كان ذلك أول مرة رأيت فيها القصف العنقودي المحرم دوليا. شارك في القصف أربع طائرات سوخوي على ما أتذكر، لكنني لم اسمع أن يكون قد أدى إلى قتل احد، لأن

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الفلاحين كانوا قد هجروا بيوتهم القروية بحثا عن مكان آمن بعمق الصخور والغابات. أثناء القصف كانت الفتاة الزائرة منيرة مرتعبة لدرجة خيالية، كانت تبحث عن مخبأ تختبئ فيه من الطائرات ومن البشر ومن كل شيء، فيما كان ابنها فرحا اقصى ما يكون الفرح، ويعبر عن فرحه بحركاته وأصواته الطفولية وكأنه وجد ضالته التي كان يبحث عنها. لم يكن هناك أي مقر ولا أي منطقة عسكرية ولا أي مقاومة للطائرات، ومع ذلك استمر القصف حتى أفرغت الطائرات حمولتها من القنابل العنقودية.

* * *

علي أن اعترف بأننا اخفقنا في تأسيس الحزب البديل، ولم ادرك أول مرة بأننا غير قادرين على إقامة تنظيم شيوعي بديل، بل كنت أتصور بأن التذمر الواسع في تنظيمات حشع وبين كوادره تجاه القيادة التي رفضت الإقرار بأخطائها وما نجم عنها من نكسات، يؤدي في نهاية المطاف إلى تغيير تناسب القوى في صالحنا، غير أن ما كان يحدث على ارض الواقع هو أن الكوادر الحزبية هجرت حشع والقيادة ولم تنتقل إلى صفوفنا، بل انتقلت إلى المهجر، إلى البلدان الأوروبية وغير الأوروبية للحصول على اللجوء أو الإقامة والعمل.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أول زيارة لمقر الطالباني

بعد حوالي السنتين من وجودي في قرية تكية قررت القيام بزيارة إلى السكرتير العام لأوك جلال الطالباني في مقره بقرية ياخسمر (وتسمية القرية تركية ترمز إلى فترة طويلة من التسلط العثماني في المنطقة) بشهربازار. تحركنا فجرا في صيف 1986 أنا وسامان (حيدر الطالباني) المسؤول العسكري لقاطع أوك الأول، وكان برفقتنا عدد من مسلحي الطرفين. توقفنا في قرية (جافران) قبل بزوغ الشمس وتوزعنا على بيوت القرية ـ كما هي العادة عند البيشمرگة ـ لتناول الفطور. كنت قد دخلت هذه القرية للمرة الأولى رغم أنها قريبة من قرية تكيه، كان البيت الذي جلسنا مع سامان واثنين من مسلحينا فيه يعود إلى شاب هادئ قليل الكلام. ولم يلبث أن دخل إلينا رجلان مسنان من فلاحي القرية لغرض الترحيب بسامان المعروف عندهم. وهذه القرية مشتهرة في ناحية قرداغ (قضاء قرداغ حاليا) بحب المبالغة ورش البهارات على ما يُروى، فقررت مع نفسي أن أحاول استثارة احدهما لعله يروي بعض الحكايات ويبالغ فيما يروي، قلت موجها الكلام إليه:

- يتراءى لي أيها الأخ انك من الصيادين الذين صالوا وجالوا في قوبي قرداغ، ولا استبعد أن تكون قد رأيت في قوبي الغرائب والأعاجيب.

نظر إلي الرجل وكأنه لم يرني قبل تلك اللحظات وأجاب كمن يعتبر ذلك من البديهيات.

- وكيف لا؟ كان قوبي مليئا بالأعاجيب، ذهبت ذات يوم إلى الصيد هناك، قبيل الظهر أشعلت النار ووضعت كتلي الشاي بجانبها، وظهر فجأة على مسافة قصيرة شيء ظننته خنزيرا، أمسكت ببندقيتي وتهيأت لقتله بعد أن يقترب أكثر، ولما اقترب وقبل أن يمهلني لإطلاق النار هبت عاصفة منه واغمي علي فورا، بعد حوالي الساعتين عدت إلى وعيي وادركت أن ذلك الشيء لم يكن خنزيرا، بل حية ضخمة واكتفت لحسن الحظ بتخويفي وتحذيري دون أن تبلعني.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وانبرى صاحبه الرجل المسن الآخر الجالس بجانبه ليشهد له:

- انه صادق، وشاهد الكثيرون من أهل هذه القرية آثار تلك الحية وهي تزحف على الحشيش الأخضر واليابس.
- وكيف أرسلت تلك العاصفة القوية التي أفقدتك الوعي؟ سالت الرجل.
- العاصفة كانت نفخة من فمها أرادت بها الإغماء.
- شيء عجيب، وأظن انك شاهدت الأعجب من ذلك.
- ولم لا؟ أجاب الرجل وروى قصة اكثر غرابة، وحين ركبنا السيارة واستأنفنا السفر سألت سامان:
- هل سمعت ما قاله الرجل؟
- إذا بقيت يوما واحدا في هذه القرية سمعت اكثر من مئة كذبة من هذا القبيل.

عبرنا شارع السليمانية – كركوك قرب قرية تينال مركز ناحية بازيان، بعد أن كنا قد أرسلنا مفرزة صغيرة لإقامة كمين في الشارع، وصعدنا الجبل بجانب قرية بيبيجك لننزل من الجهة الثانية ونتوزع على بيوت قرية (زاير) في أعالي الجبل ونتناول العشاء، ثم لننزل إلى قرية (حاجيآوه) حيث كان احد أبناء الحاج إبراهيم جرمكا، وتأتى علينا العبور مساء إلى الجانب الشرقي من شارع السليمانية – دوكان وان نتوزع على بيوت قرية (يالانقوز) في منتصف الليل لتناول العشاء. ثم تحركنا إلى قرية (زيوي) في مضيق جبل بيرمگرون، وكان من دواعي سروري أن وجدت في زيوي صديقي المقاتل الشيوعي محمد كريم قرجتاني مقيما في بيت وهو في وضع نفسي لا يُحسد عليه. كانت هذه القرية محررة فعلا ولا يتجرأ النظام على دخولها. ولهذا خرجنا منها في وضح النهار لنتسلق جبل بيرمگرون الشاهق مشيا وننزل من الجهة الأخرى على قرية (قزلر) ويتوزع رجالنا على بيوت القرية، فيما ذهبنا أنا وسامان وآخران لنحط الرحال في بيت المغني المعروف محمد جزا الذي كان هاربا من السلطة البعثية ومقيما في تلك القرية المحررة. تناولنا لدى محمد جزا وجبة لذيذة من اللحم المشوي الذي كان الرجل قد هيأه لنفسه ولعائلته. وفي نفس اليوم وصلنا مقر الطالباني في قرية ياخسمر، كان منزله هنا مغايرا تماما لما شهدته في (توزله – نيوزنك) ربيع 1979، ففي توزله كان يسكن كوخا بسيطا بناه له المقاتلون انفسهم من الطين والحجارة والأخشاب، بينما كان المبنى في ياخسمر عصريا مشيدا

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

بين الأشجار وتحته ملجأ محصن إلى حد ما، وقد نقل مواد البناء من مدينة السليمانية إلى ياخسمر أثناء هدنته مع صدام في 1983-1984.

رحب بنا الطالباني بحرارة وغدونا ضيوفا عليه في مقره، ورغم انه كان شهر رمضان فإن الأكل والشاي كان يقدم إلى ضيوفه بصورة اعتيادية، إلا أنه نفسه كان صائما في الظاهر، وكان البعض يشكون في مصداقية صومه. وبعد فترة من الاستراحة جلسنا ثنائيا وبادلنا الآراء حول مختلف الشؤون في إقليم كردستان وفي العراق والحرب الدائرة بين العراق وإيران والوضع في كردستان تركيا وغير ذلك. كانت الجلسة مفتوحة وقابلة للتطرق إلى أي موضوع يريده هو أو أريده أنا، وقد اخبرني الطالباني في تلك الجلسة بأن هناك مفاوضات بين أوك وبين اطراف جود، وان أحمد بانيخيلاني موجود في وادي (سفره وزرون) حاليا بانتظار رسالة جوابية يفترض أن ترسل إليه من قيادته حول بعض النقاط المعروضة من قبل أوك، وقال الطالباني "أن بانيخيلاني سألنا عما لدينا من معلومات بشأنك"، وذكر الطالباني انه ينتظر المعلومات بهذا الصدد من بانيخيلاني ومن حشع لأن بهاء الدين نوري كان شيوعيا بين الشيوعيين.

- حسب معلوماتنا ارتبط بهاءالدين نوري بنظام بغداد. قال بانيخيلاني مخاطبا الطالباني.
- إن ذلك غير معقول ولا يصدقه احد ولا يستحسن التشهير بكل شخص يترك صفوفكم – أجابه الطالباني.

وقد صدّقت الطالباني فيما ذكر بخصوص بانيخيلاني، لأني كنت اعرف أن هذا الرجل قال مرارا وفي اجتماعات لرفاقه الشيوعيين، بعد أن هربت من المعتقل في 1984:

- أن لدى حشع معلومات عن رقم سيارة الاستخبارات العسكرية التي نقلت بهاءالدين من السليمانية إلى بغداد ويعرف الحزب رقم الغرفة في الفندق الذي نزل فيه ببغداد.

رثيت أنا لحال الحزب الذي يقاد بعقلية من هذا القبيل، وبحثت عن رجل يذهب إلى حيث لا يزال يقيم بانيخيلاني في سفره وزرون، وطلبت من شخص اسمه حميد ويذهب إلى هناك: أرجوك يا أخي أن توصل الرسالة الشفهية التالية إلى الرفيق أحمد بانيخيلاني:

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

- "لو قال لي ألف شخص أن بانيخيلاني قد أصبح جاسوسا للسلطة البعثية لما صدقتهم لأنني اعرف بانيخيلاني ومعدنه جيدا، أما إذا قالوا انه لا يفهم شيئا من السياسة فإني أصدقهم واصفق لهم". لا ادري هل وصلت رسالتي هذه إليه أم لا، لكن ما اعرفه هو أن هذا الرفيق قطع كل لون من الوان العلاقات معي منذ 1984 وتجنب كل لقاء معي منذ ذلك الحين.

باركت المصالحة بين أوك واطراف جود وأشرت إلى أن الاقتتال كان خاطئا من البداية وطلب المصالحة اليوم اعتراف ضمني بذلك الخطأ، فوافقني على ذلك وألقى المسؤولية على الطرف الآخر، وأشار – وكان محقا في ذلك – إلى أن حشع أدرك في وقت متأخر بأنه كان مخطئا في إقحام نفسه في ذلك القتال، وكانت وجهات نظرنا متماثلة تقريبا تجاه (PKK) وشخص أوجلان.

وأشرت إلى وضع أوك التنظيمي والخلل الجدي فيه وضرورة المعالجة، ذكرت أن في القرية التي أعيش فيها بقرداغ آمر كرت (ما يشابه آمر سرية) للبيشمرگة ولا أعرف كم هو راتبه، فقال "انه يقبض خمسة وعشرين دينارا شهريا"، فتكلمت عن مصروفات هذا الشاب وقلت:

- انه يدخن السجائر ويشتري يوميا علبة سجائر (روثمن) بدينار واحد، أي ينفق شهريا ثلاثين دينارا فقط على التدخين، ويأتي سائق سيارة الأجرة باللحم إليه يوميا من المدينة إذا لم يذبح هنا حيوانا، وعلمت انه يشرب الويسكي ويستضيف أحيانا الآخرين، فمن إين له ما ينفقه؟ علما انه من عائلة فقيرة تنتظر هي منه المساعدة المالية! لا أظن أن هذا الرجل هو الوحيد من نوعه، أفليس ذلك ظاهرة بحاجة إلى العلاج؟ وهل هذا الشاب هو الوحيد من نوعه؟

وافق الطالباني على وجود المشاكل والمظاهر السيئة في تنظيمات أوك وقال أن لديهم مشروعا لإصلاح الوضع الداخلي، لكني لم ألمس في الفترة اللاحقة إجراءات إصلاحية ولم يتغير شيء نحو الأحسن.

كان احد المطالب التي قررت عرضها على الطالباني قضية اعتقال ملا بختيار وبشكو نجم الدين وخوله كشكول الذين اعتقلتهم أوك بسبب انشقاقهم عليه وتشكيل منظمة (راية الثورة – آلاي شورش). وكنت قد أرسلت في

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

1985 بُعيد اعتقال هؤلاء رسالة مع يوسف هادي إلى الطالباني للمطالبة بإطلاق سراحهم وتنفيذ الاتفاق الذي أبرم معهم قبل الاعتقال، وقد قلت للطالباني أن مشاكل من هذا النوع لا يمكن أن تحل عن طريق العنف والسجن، والصحيح هو إخلاء سبيلهم ليمارسوا نشاطهم السياسي بالشكل الذي يروق لهم، أجاب بهدوء:

- يريد منا ملا بختيار أن نطلق سراحه ونرسله إلى بلد أوروبي فنقدم إليه هناك مخصصات شهرية تؤمن له عيشه.
- اطلقوا سراحهم وليذهبوا إلى حيث يشاؤون، ولا داعي للخوف من نشاطهم، وخاصة بعد أن عممتم رسالة البراءة التي قدمها ملا بختيار إليكم ليعلن ندمه مما فعل من عمل انقسامي.
- من الأفضل أن ترى نوشيروان مصطفى، هو المعارض الرئيسي لإطلاق سراحهم، وقررت مع نفسي أن أفاتح نوشيروان حين التقي به، وقلت للطالباني:
- هل يمكن لي أن اطلب السماح بلقاء لي مع ملا بختيار في سجنه؟ فهو كان في نفس القرية التي اسكنها وكنا أصدقاء.
- لك الحق في هذا الطلب، زره متى تشاء.

ذهبت لزيارة ملا بختيار، وكان في سجن انفرادي على بعد بضع مئات الأمتار من مقر الطالباني حيث كانت نقطة السيطرة التابعة للمقر، كانت غرفة صغيرة مشيدة من البلوكات الكونكريتية ومسقفة بصبة كونكريتية عليها اكثر من متر من التراب. فيما كان بشكو وخولة كشكول في سجن آخر على بعد اكثر من كيلومتر، أوصيت الحارس الذي كان معي بالجلوس على بعد خمسة امتار من باب السجن لكي لا يجلس آخرون أمام الباب للتنصت علينا. ويجدر الإشارة هنا أنني كنت قد قرأت رسائل ملا بختيار التي تنازل فيها لأوك وأرسلها إلى الطالباني. ها أنا جالس معه في سجنه، بعد التحيات قلت له:

- استغل أوك رسالتك بشكل واسع، فاستنسخها ووزع نسخا كثيرة منها.
- لو لم نقدم تلك الرسالة لأعدمونا، وفي سبيل ماذا نعدم يا أبا سلام؟

وقع هذا الجواب وقع الصاعقة علي، أن يضعف الإنسان في بعض اللحظات تحت التعذيب أو خوفا من الإعدام، فإن ذلك شيء مفهوم، أما أن

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

يفلسف الضعف والانهيار ويبحث عن تبريرات غير منطقية، فإن ذلك أمر مغاير. كدت أنفجر واصرخ في وجهه: "وهل يليق بسياسي مستقيم الأخلاق أن يجمع حشدا من المناضلين ويسبب قتل وتشريد البعض منهم بسبب انشقاقهم عن حزبهم وأن يكيل لهم الوعود الرنانة، ثم يقول لهم في اللحظات الحرجة – في سبيل أي شيء أضحي وأعدم؟". لكنني كتمت انزعاجي وأشفقت عليه، فغيرت الموضوع. فهو مظلوم أيا كان موقفه ولا يوجد أي مبرر من وجهة النظر الإنسانية المعاصرة، لاعتقاله ولتهديده بالسجن والإعدام، ولا سبب لهذه المعاملة معه سوى رغبة قيادة أوك في احتكار الساحة السياسية فقط لنفسها وللموالين لها، وقد أخبرته بأني طالبت الطالباني بإخلاء سبيلهم وتركهم ليمارسوا نشاطهم السياسي كما يروق لهم، وقد أجاب الطالباني بما أسبقت، فقال ملا بختيار:

- أنا لم اطلب من أحد إيصالي إلى الخارج، ولا دفع أي مخصصات لي، أريد فقط اطلاق سراحي، وانا مستعد لأدفع اليهم كل فلس أنفقوه علي منذ اعتقالي وحتى هذه اللحظة، وأضاف قائلا: أنا استطيع الهروب، ولكني أريد أن يطلقوا سراحي من جانبهم.

التزمت الصمت إزاء ما قال ولم أتفوه بكلمة ولم اشجعه بأي شكل على الهروب، بل غيرت الموضوع وسألت عما إذا كانوا يقدمون إليه الخدمات بصورة مناسبة، فأجاب:

- لم يقصروا في تقديم الخدمات إلينا.

في اليوم التالي من لقائي مع ملا بختيار قلت للطالباني:

- لا يطلب ملا بختيار إيصاله إلى أوروبا ولا صرف مخصصات له، بل يريد فقط اطلاق سراحه وتركه من باب السجن وهو مستعد لإعادة المبالغ التي أنفقت عليه منذ لحظة اعتقاله وحتى الآن.
- دعني أتكلم بصراحة – قال الطالباني – أنني كنت ولازلت مع إخلاء سبيله، قلت لرفاقي اطلقوا سراحه ليذهب وستجدونه يتعارك مع سالار عزيز ويشبعان بعضهما ضربا، اذهب واقنع نوشيروان بإطلاق سراحه وانا موافق.

سافرت في اليوم التالي إلى قرية (بركلو) حيث كان مقر نوشيروان ومكثت عنده في تلك الليلة، وكان المبنى شبيها بمقر الطالباني، وقد صادفت

«AlfYaa منشورات «ألف ياء

هناك الدكتور محمود عثمان أيضا، ومن بين المواضيع التي تطرقت إليها مع نوشيروان مسألة اعتقال ملا بختيار، قلت لنوشيروان أن الطالباني موافق على اطلاق سراحه إذا كنت أنت موافقا، وأجاب نوشيروان:

- كلا لن أوافق ولا أثق به، لأنه كذب علينا كثيرا.

عبثا حاولت أن أزحزحه عن موقفه، وقد ذكر في مجرى الحديث أن ملا بختيار طلب من القيادة بعد اعتقاله إعادة شيئين له: مبلغ عشرة آلاف دينار كان قد ادخره من رواتبه + الرسائل المتبادلة بينه وبين زوجته روناك.

قدم لي الطالباني قبيل مغادرتنا لمقره عشرين الف دينار. وعدنا عبر الطريق نفسه الذي سلكناه من قرداغ، وقد ملكت لأول مرة في حياتي الحقيبة المسماة "دبلوماسية" قدمها لي الدكتور فؤاد معصوم لأضع فيها النقود. قبلت شاكرا هدية الدكتور ولكنني لم أضع فيها النقود، بل وضعتها في حزامي، وقد حاولت مع نفسي تقييم زيارتي ولقاءاتي مع الطالباني واقتنعت مع نفسي بأنه قائد سياسي قومي كفوء وقادر على إدارة دفة النضال القومي التحرري، لكنه لا يجمعه جامع مع الماركسية، رغم اعترافه لدي بأنه كان ماويا في السابق، ورغم ما سمعته من آخرين من انه كان الشخص الرئيسي في تأسيس العصبة الماركسية – اللينينية التي شكلت الجناح الأنشط والأقوى بين أجنحة أوك الثلاثة.

في طريق العودة بتنا ليلة في قرية (ميولي) حيث كان مقر الفوج (أو الفرقة) 57 من قوات أوك، وقد اخبرني مسؤول القاعدة آزاد سكرمة بأن ملا بختيار قد هرب من السجن والقي القبض عليه في اليوم التالي بميرگه پان في سفوح جبل بيرمگرون. ولم ادر كيف هرب ولماذا اختار ذلك الوقت، بعيد زيارتي له في السجن، ولم ادر كيف قبض عليه سريعا هناك. وقد علق احد رفاق مفرزتي على الحادث فقال: فشل في عمله الانشقاقي كما فشل في هروبه.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

جولة بين منظمات إيرانية

كان في قرية مالومه (شهربازار) عدد غير قليل من مقرات كردية وغير كردية لمنظمات إيرانية، بينها مقر الحزب الديمقراطي الكردي – إيران وحزب كومونيست إيران – مقر كومله – وتنظيمات أخرى. وقررت في ياخسمر القيام بزيارة لمقر كل من الحزب الديمقراطي الكردي ومقر كومله. ذهبت إليهما ولقيت الترحيب من المسؤولين، ولم اجد في مقر الديمقراطي ولا في مقر كومله أحدا من المسؤولين الذين كنت اعرفهم في السابق. وتحدثت بصورة غير مباشرة عن مخاطر اقتتال الأخوة الذي كان دائراً بين الحزبين في كردستان إيران وناشدتهم الكف وتعلم التعايش فيما بينهم.

كان المسؤول الحزبي الأول في مقر كومله (فاروق باباميري)، وكانت كومله في أوج شعبيتها في ذلك الوقت، وكان مقره مزدحما بالشباب من الجنسين، وكان الحماس الثوري باديا على الوجوه، وفي الساعات القليلة التي بقيت معهم أعطاني فاروق انطباعا جيدا كمناضل ثوري، وبدا لي انه محترم بين رفاقه.

كان من الإجراءات الجيدة التي اتخذتها قيادة أوك إزاء الحزب الديمقراطي وكومله أن أبلغتهم بأن الاقتتال هنا، داخل كردستان العراق، ممنوع، وأن كل من يخالف هذا القرار يعاقب ويُقصى عن هذا البلد. وكانت المعارك العسكرية تدور بين مسلحي الطرفين داخل كردستان إيران فيما كانت مقراتهما جنب بعضها في (مالومه) دون العراك حتى بالشتائم.

وكانت هناك كثرة من المقرات لأحزاب كرتونية، يسارية متطرفة وتحمل أسماءً طنانة، وأحد هذه الأحزاب كان متكونا من زوج وزوجة يعيشان في خيمة (اغلب المقرات كانت عبارة عن خيم) علقت على بابها لافتة ضخمة. ومن الطرائف أنني وجدت الخيمة باقية عندما زرت المنطقة نفسها بعد سنة، لكن محتواها لم يبق كما كان، بل انشق الزوجان على بعضهما، أي تحولا إلى حزبين – كما قيل لي – وغادرت الزوجة المنطقة في مسعى للوصول إلى بلد أوروبي بأمل الحصول على اللجوء، وبقي

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الزوج هو القائد وهو القاعدة لحزبه.

عند عودتي إلى قرداغ كتبت رسالة إلى قيادة كلا الحزبين، الديمقراطي وكومله، ناشدتهما فيها الكف عن اقتتال الأخوة والتعلم من تجربة الحركة الكردية في العراق، وقد ارتكبت خطأ فنيا ووضعت رسالة الحزب الديمقراطي في الظرف المعنون إلى كومله ورسالة كومله في الظرف المعنون للديمقراطي، غير أن محتويات الرسالتين كانت متشابهة.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

صفقة المصالحة الأولى
وتلتها المصالحة العامة

في ذروة اقتتال باليسان وبشتاشان كنا، أنا وملا بختيار، متفقين في الرأي على أن أي حزب من الأحزاب المتقاتلة لن يزاح من الوجود عن طريق القتال، ومهما طال الاقتتال وأيا كان المنتصر فيه، فإن المتقاتلين سوف يجلسون حول المنضدة لغرض التفاوض والتصالح، وأكدت وقائع ما بعد بشتاشان صحة هذا الرأي. وكنت على قناعة راسخة بأن المخاصمة والاقتتال لا تصب إلا في مصلحة النظام البعثي، وان المصالحة تكون في صالح كردستان والعراق وفي صالح تلك الأحزاب نفسها المتورطة في الاقتتال. أما آن الأوان لمحاولة التصالح؟ فكرت في الأمر مليا، بالأخص عما استطيع بنفسي القيام به، وقررت أن اجرب الأمر في منطقة تواجدي وان أدق أولا باب صديقي محمد الحاج محمود عضو قيادة حسك ومسؤول قاطع السليمانية.

أرسلت من قرداغ رسالة إلى محمد الحاج محمود في 1984، أي بعد وصولي إلى قرداغ بفترة قصيرة، سألته عما إذا كان يستحسن فكرة المصالحة ويقبل وساطتي بهذا الصدد بينه وبين الطالباني. وشجعته بالطبع على المصالحة مؤكدا أن الآخرين من اطراف جود سيقتدون به. أخذت منه الضوء الأخضر، فكتبت رسالة إلى سكرتير أوك، الطالباني، مقترحا عليه عقد صفقة مصالحة مع محمد الحاج محمود الذي جسست نبضه، وأبديت استعدادي لأكون وسيطا بين الطرفين. أجاب الطالباني بالموافقة وذكر في الرسالة الجوابية انه يريد حضوري في اجتماع يعقد بين الجانبين في وقت قريب، وانه سيوعز بذلك إلى شوكت الحاج مشير لينظم الاجتماع، وليبلغك بالموعد والترتيبات. وبعد أيام قليلة عقد اللقاء بين الطرفين المتنازعين وتوصلا إلى اتفاق المصالحة دون أن يخبرني احد بالموعد والحضور. ولم اعرف ما إذا كان استبعادي عن المشاركة بتصرف شخصي من شوكت أم بموافقة الطالباني. لكن ما كنت اعرفه هو أن شوكت كان يكره الشيوعيين حتى من الرافضين لاقتتال الأخوة وبصرف النظر عن رأي هذا وذاك إزاء

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

قضية شعبه. وقد أيدت المصالحة وفرحت بها واعتبرتها ضربة موجهة ضد دعاة الانتقام والاستمرار في اقتتال الأخوة – سواء في أحزاب جود أو في أوك. وكنت على ثقة من أن هذه تكون البداية وستعقبها صفقات أخرى، لأن الأحزاب المنتسبة إلى جود – وهي الحزب الديمقراطي الكردستاني والحزب الشيوعي العراقي والحزب الاشتراكي الديمقراطي الكردستاني ومن حواليهم – مطرودة إلى داخل الأراضي الإيرانية أو باقية في شريط حدودي ضيق داخل كردستان العراق ولا تستطيع التجول في بلدها الذي سيطر عليه أوك في معظم مناطق محافظتي السليمانية وأربيل.

إن اقتتال الأخوة فتح جراحا لم تلتئم في صفوف الحركة التحررية الكردية، وكان جريمة كبرى بحق الشعب الكردي، وكان ولا يزال من العدل أن يحاسب المسؤولون عنه وان ينزل بهم العقاب الذي يستحقونه.

* * *

في أعقاب الانتكاسة العميقة للحركة الكردية المسلحة عام 1975 تمزق الحزب القومي الكردي التقليدي – حدك – الذي كان يقود الكفاح المسلح وظهرت على أنقاضه عدة تنظيمات وجماعات كردستانية، كانت الرئيسية منها هي أوك وحدك والحركة الاشتراكية الكردية التي كان صالح اليوسفي زعيما روحيا لها وعلي العسكري زعيما ميدانيا. وكان مقتل علي العسكري في إحداث حكاري (اقتتال الأخوة) كارثة حقيقية للحركة الاشتراكية، إذ كان اليوسفي شخصية ضعيفة ومتشبثة بالبقاء في بغداد علنا. فضعفت الحركة الاشتراكية تدريجيا ودخلت في عداد الأحزاب الصغيرة، إلى جانب حشع الذي أصبح هامشيا بسبب تخبطه الفكري – السياسي المستمر.

لقد انهكت الحروب والمغامرات المتواصلة نظام البعث في الثمانينات، وكان من شأن ذلك أن يوفر فرصة مؤاتية لأحزاب وحركات المعارضة الكردستانية لكي توجه ضربات جدية إلى النظام وتحقق نجاحات جيدة فيما لو اتحدت منذ بداية الثمانينيات. غير أن انجرار هذه الأحزاب إلى الاقتتال الداخلي أنهكها هي الأخرى ولم يعد لها رشدها إلا في وقت متأخر. وقد أسبقت أن قلت أن جلال الطالباني أخبرني عند زيارتي إلى مقره في قرية (ياخسمر) صيف 1987، بأن أحمد بانيخيلاني كان عنده قبل أيام لغرض التفاوض باسم أحزاب جود (الجبهة الوطنية الديمقراطية) التي الفت من

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

حشع وحدك والحزب الاشتراكي الديمقراطي الكردستاني، بهدف المصالحة. ولحسن الحظ انتهت تلك المفاوضات إلى المصالحة. وفي وقت لاحق تم تتويج المصالحة بعقد جبهة سميت (الجبهة الكردستانية) التي ضمت في صفوفها أوك وحدك وحشع وحسك وحزب كادحي كردستان وحزب الشعب المنشق سابقا من حدك وباسوك. ولاشك في أن هذا التحالف، ولو جاء متأخرا، ذا أهمية كبيرة سياسيا ومعنويا وأعاد شيئا من الثقة إلى الجماهير، رغم أن المسلحين لم يستطيعوا إزاحة قوات صدام من أي مدينة أو منطقة سكنية في كردستان، بل بقوا في الشريط الحدودي وحواليه. والاهم من كل ذلك ان التحالف بين تلك الأحزاب قد منحها فرصة ثمينة لمواجهة الوضع المستجد بعد حرب الخليج الأولى في 1991، والتي اندحرت فيها جيوش صدام، وفقدت القسط الأكبر من قدرتها القتالية.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

اشتداد القصف الجوي
واستخدام الأسلحة الكيمياوية

كانت الحرب العراقية الإيرانية التي أثارها صدام التكريتي بتحريض من الدول الغربية، متواصلة وداخلة في مرحلة من الركود والمراوحة، ورغم أن هذه الحرب خففت الضغط على الحركة الكردية المسلحة ومكنتها، خلال السنوات الأولى، من توسيع المناطق المحررة من سلطة النظام البعثي، إلا أن النزاعات المحتدمة في الصف الكردي، وبالدرجة الأساسية بين حزبي الطالباني والبارزاني، حالت دون الاستثمار الجيد لظروف الحرب، إذ أن هذه الحركة كانت منهمكة في صراعات داخلية قاتلة وحريصة على مقاتلة بعضها اكثر من حرصها على مقاتلة النظام العفلقي الفاشي، وأضاعت بذلك فرصة تاريخية لا تعوض. كان صدام يملك التفوق في السلاح الجوي والصاروخي إزاء إيران، ولكنه لم يكن قادرا على اجتياح الأراضي الإيرانية كما كان خلال الفترة الأولى من الحرب. بل العكس من ذلك، فقد عززت إيران قواتها البرية وانتقلت إلى شن هجمات وتمكنت من تحرير مدينتي عبادان والمحمرة، وكادت القوات الإيرانية تستولي على مدينة البصرة لو لم يستخدم دكتاتور بغداد – للمرة الأولى – السلاح الكيمياوي المحرم دوليا ضد المهاجمين. وقد اضطر صدام على حشد قواته الرئيسية ضد القوات الإيرانية ومكن ذلك البيشمرگة الأكراد من استعادة السيطرة على مناطق هامة من أراضي الإقليم، بما في ذلك مناطق في عمق كردستان. وانحصرت سيطرة النظام البعثي في المدن وشبكة الشوارع الرئيسية المحمية بربايا عسكرية متسلسلة. وأكرر، لو اتحدت القوى الكردية – السياسية والعسكرية – اتحادا حقيقيا راسخا بدل التشتت والاقتتال، لتعاظمت قدراتها العسكرية في وجه الطاغية. لكن رغبة زعماء أوك وحدك في احتكار الساحة والانفراد بالسيطرة كانت فوق إرادة الوحدة السياسية القادرة على حشد الجهود ضد العدو الفاشي. وكان الحزب الشيوعي العراقي هو المؤهل في تلك الظروف ليلعب الدور الرئيسي في المصالحة وجمع الأحزاب والجماعات الوطنية المتشابكة في صراعات دموية. لكن عودة

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

المكتب السياسي إلى كردستان ليقود اجتماع اللجنة المركزية في أيلول 1982 ويرسم النهج الذي افقد الحزب استقلاليته السياسية وحياده بين المتصارعين القوميين، كل ذلك جعل من حشع نفسه جزءا من المشكلة وطرفا في الصراعات. ففقد الشيوعيون القدرة على أداء دور بنّاء كان يفترض أن يلعبوه، وسارت الأمور على هوى الطاغية التكريتي وحلفائه، على الأقل بالنسبة للقضية الكردية، وهوى الدول المجاورة.

حين فقد صدام، بسبب حربه الطويلة مع إيران، قدرته على اجتياح المناطق الكردية المحررة بقوات برية – كما كان يفعل سابقا – فإنه استخدم على نطاق واسع قواته الجوية وأسلحته المحرمة دوليا ضد هذه المناطق وضد المدنيين العزل ومواشيهم ومزروعاتهم. كنت، شخصيا، شاهدا على عشرات ومئات حوادث القصف الجوي والمدفعي ضد قواعد الفدائيين العسكرية في القرى وفي المناطق الجبلية. وكشفت السنوات الأخيرة التي سبقت إيقاف الحرب العراقية – الإيرانية ألواناً جديدة من القصف المكثف الذي لم نعهده من قبل. ففي احدى المرات ظهرت في سماء قريتنا (تكية) قاصفات سوخوي الضخمة لتلقي قنابلها على القرية الصغيرة المهجورة وتزن كل قنبلة نصف طن من المتفجرات، وقد وقعت قنبلتان على القرية وقنبلتان خارج القرية، أصيب منزل محمد علي الأطرش بقنبلة، وكان البيت المؤلف من طابقين فارغا مهجورا، ولكن الرجل كان قد جلب قبل القصف بساعة حماره لغرض نقل بعض الأشياء من هناك، وألقيت القنبلة على غرفة من الطابق الأول حيث الحمار، وفي اليوم التالي ذهب صاحب الحمار لتفقده وهو كان متأكدا من أن الحمار قد قتل، لكنه لم يتصور انه لا يجد هناك أثرا، لا قطعة من اللحم ولا من العظام ولا...الخ. فكان الحمار قد تبخر تبخرا، وكان القرويون يواسون صاحب الحمار قائلين له:

- شكرا لله على عدم وجود أي من أولادك هناك أثناء القصف، فقد جعل الله من هذا الحمار فداءا لكم.
- كانت هذه إرادة الله ولا مرد من إرادته هو رب العالمين.

* * *

وفي يوم آخر كانت قنابل من لون آخر – فوسفورية ضخمة محرمة دوليا. شاهدت قبلئذ قنابل ضخمة تلقى من طائرات نظام بغداد على قواعد

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

البيشمرگة ، لكنني لم أشاهد من قبل مثل هذا القصف الفوسفوري، ولم يقتل القصف أحدا لأن القرية كانت مهجورة ولم يكن فيها من البشر إلا مفرزتنا الصغيرة. وكان لي في البيت ملجأ دخلته أثناء هدير الطائرة، لم تصب القنابل أي دار في القرية، بل وقعت كلها في أطرافها على بعد مئة متر أو مئتين. ووقعت احدى القنابل في سفح تلة المقبرة قبالة القرية، فقطعت عددا كبيرا من أشجار البلوط الضخمة داخل المقبرة، وأخرجت جميع الأبواب المقابلة لها على بعد أكثر من مئتي متر داخل القرية لتلقى بها في الأزقة. بعد ساعتين من القصف ذهب البعض من شبابنا إلى المقبرة للتفرج على الأشجار المقطوعة، ومن جملة ما وجدوا كان طيرا – نقار الخشب – سلخ منه ريشه بالكامل وكان عاريا كليا، فأتوا به وهو حي ويتحرك، بدأ يقفز على أرض الغرفة، أردت الاحتفاظ به في قفص، وفي صباح اليوم التالي وجدناه ميتا.

راينا القصف العنقودي والفوسفوري والقنابل الضخمة وغيرها، لكننا لم نر بعد القصف الأشد فتكا – القصف بالسلاح الكيمياوي، الذي بث الرعب بين الفلاحين والمقاتلين. بهذا السلاح أوقف صدام هجوم القوات الإيرانية نحو البصرة، أفلا يستخدم، كذلك، هذا السلاح المحرم دوليا لتحطيم الحركة الكردية المسلحة، بل لإبادة الشعب الكردي؟ كان هذا السلاح في حوزة هتلر أيضا إبّان الحرب العالمية الثانية، واقترح عليه احد جنرالاته استخدام هذا السلاح لإيقاف زحف الجيوش السوفيتية والغربية، ورفض هتلر استخدامه، لكن الدكتاتور العوجوي لم يرفض استخدامه ضد الجيش الإيراني وضد البيشمرگة وضد الجماهير الكردية العزلاء في حلبچه وفي سيوسينان وباليسان وفي شتى أنحاء كردستان، وإذا كان هتلر قد رفض استخدامه ضد جيوش أجنبية معادية ومهاجمة، فإن ابن العوجة قد استخدمه ضد السكان المدنيين من بني وطنه المفترض أن يحميهم ويحرص على سلامتهم. تلك كانت أخلاق وأيديولوجية البعثيين العفالقة.

كانت المقرات العسكرية لقيادة القاطع الأول لأوك موجودة في قريتي تكية وبلكجار الواقعتين في سفوح جبل سبيين، فكان من المتوقع أن يصب النظام جام غضبه عليهما وان تتعرضا للقصف الكيمياوي المكثف. وحدث ذلك فعلا، إذ ظهر في الجو سرب من الطائرات، في 27 شباط 1988 قبل قصف سيوسينان وحلبچه بأسابيع وألقت قنابل كيمياوية ضخمة على القريتين، غير أن هذه الغارة الجوية – الكيمياوية لم تحقق للسلطة البعثية الغرض المرجو لأن القريتين كانتا مهجورتين وانتشر السكان بين الغابات خوفا من هذا القصف.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

على الرغم من أننا كنا قد بنينا مقرا احتياطيا في مكان آخر ونقلنا إليه المؤن والتجهيزات، إلا إننا ظللنا باقين داخل قرية تكيه في ذلك اليوم، حيث كان أفراد المفرزة ينتشرون في ساعات النهار خارج القرية ويبقى الخفر وحده ليحضر الطعام لرجال المفرزة ويتجمعون في الموعد المحدد ليتناولوا الطعام سريعا وينتشرون من جديد. وخرجت وحدي من القرية صباح ذلك اليوم نحو دربند وصعدت من هناك سفح الجبل حيث بساتين العنب الديمية، التي كانت سابقا احد المصادر الرئيسية لمعيشة القرويين الذين كانوا يحملون العنب في سلال على ظهور حميرهم لمقايضته بالحنطة والشعير في قرى گرميان وقرداغ وشهرزور، وكنت على مرتفع مشرف على المنطقة حين مزق هدير المحركات في الجو الصمت والهدوء، ركزت نظري على أول طائرة ظهرت في الجو والقت القنبلة الأولى على الأرض قرب قرية بلكجار، فتصاعد دخان كثيف داكن ميال إلى الأصفر، ولم انتبه على الفور بأن الهدف من إلقاء تلك القنبلة كان لمعرفة اتجاه الرياح من قبل الطيارين ليحسبوا حسابه في القصف، وبعد ذلك بدأ القصف بإلقاء قنابل ضخمة على كلتا القريتين، أسقطت اربع قنابل على (تكيه) سقطت إحداها جنب مبنى المدرسة الخالية من البشر والثانية على الجهة الثانية، لاحظت أن دوي الانفجار لم يكن عاليا كما يقترن عادة بانفجار قنبلة ضخمة. وكان ذلك مبعث الحيرة بالنسبة إلي في اللحظات الأولى، لكنني سرعان ما اهتديت إلى حل اللغز: انه السلاح الكيمياوي الذي شاهدته لأول مرة، واتضح لاحقا أن الكثيرين من البيشمرگة والفلاحين والمتواجدين حوالي القريتين قد توصلوا إلى نفس الاستنتاج، فاقتربوا من القريتين دون المجازفة بدخولهما.

كنت على مسافة كيلومتر من القرية، وانتظرت بعد انتهاء القصف قرابة ربع ساعة قبل ولوجها، وكنت أول إنسان دخلها، عندما اقتربت منها شممت رائحة شبيهة برائحة خليط من الثوم والتفاح، ناديت فوق سطح مقرنا الشباب المختبئين حوالي القرية، فأسرعوا إلي وبدأنا جولة في القرية. وجدنا قبل كل شيء عددا من الأبقار المصابة بالكيمياوي والميؤوس من بقائها. وذهبنا إلى منزل الفلاح حسين محمد الذي كان واحدا من ثلاث عوائل موجودة في القرية أثناء القصف. كانت الأم فاطمة في حال خطرة، وأحاطت بها بناتها دون أن يقدرن على شيء، زرقتها بإبرة أتروبين من الإبر الثمانية التي أرسلها إلينا رفاقنا في مدينة السليمانية. ودخلنا بعد ذلك البيت المجاور واخبرونا أن والدهم علي حسن في وضع خطر وانه اخذ على حمار إلى مستشفى الشيوعيين أمام دربند نارامسين، وكان هاتان

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

العائلتان على مسافة حوالي خمسين مترا من مكان الانفجار للقنبلة. لكن الدارين كانتا على تلة مرتفعة حوالي 25 مترا من نقطة الانفجار، والغازات السامة اثقل من الهواء الاعتيادي، والأرض منحدرة، تقاطر الفلاحون بعدئذ على القرية بمن فيهم زوج فاطمة والفلاح المسن صديق الذي كانت زوجته في مخبأ قرب القرية. حين وصل صديق إلى القرية نزل من حماره بجانب الحفرة التي صنعتها القنبلة وتفرس فيها لحظات واقترب منها ودخل إليها، وقد ترسب فيها مسحوق رمادي تنبعث منه الريحة، ضرب الفلاح برجليه على المسحوق وهو يشتم صداما بصوت عال يسمعه آخرون ولم يتجرأوا على الاقتراب من الحفرة، بل حذروه وانذروه:

- أهذا هو السلاح الكيمياوي الذي يخيفوننا به كل هذا الوقت؟ تبا لصدام الكذاب ولسلاحه هذا الذي أخاف به الناس.
- أخرج من الحفرة أيها الحاج صديق، لماذا ترمي بنفسك إلى هذا الجحيم؟ انك أقدمت على الانتحار وتترك زوجتك العجوز لوحدها.
- مِمَّ أحذر أيها الجبناء؟

أخيرا وبعد هذا الاستعراض الذي تباهى به، خرج صديق من الحفرة وذهب إلى بيته حيث تنتظره زوجته آسكه، وبعد ذلك بساعة أتتنا إلى مقرنا احدى بنات فاطمة وأخبرتنا أن والدتها في وضع خطر ورجت ذهابنا إلى بيتها، وصلت مع اثنين من رفاقي بيتها ووجدت زوجها قد عاد وجلس بجانبها قلقا وترجى محاولة إنقاذها من الموت، زرقتها ابرة أتروبين ثانية وقلت لزوجها حسين:

- لا تقلق عليها، ستستعيد وعيها خلال يومين أو ثلاثة، وقد شفيت فعلا، لكن صديق أصبح في وضع صعب، بل على شفا الموت، زرته وزرقته إبرة أتروبين وقلت له مازحا:

- لا توقع نفسك مرة أخرى في مصيدة صدام.
- توبة وألف توبة، لن أكرر هذه الحماقة إذا كتب لي البقاء.

في الليل تنامى القلق المقرون بالاحمرار والآلام في العيون والأنوف بين أفراد مفرزتي، وطلبوا العلاج، وكنت بنفسي مثلهم، لكنني أخفيت قلقي وهونت عليهم الأمر وطمأنتهم قائلا إنها إصابات بسيطة لا تشكل أي خطر ولا حاجة لزرق الإبر، يكفي أن نغسل أجسامنا ونغير ملابسنا، وقد تحسن وضعنا في غضون يومين فعلا.

في قرية بلكجار قتل القصف إسلاميا من العرب المنتسبين إلى الأحزاب الشيعية – المجلس الأعلى ومنظمة العمل الإسلامي وحزب الدعوة -،

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

وكانت القوة الأكبر بينهم (فيلق بدر) الذي كان تابعا للمجلس الأعلى ومموﻻ من النظام الإيراني، شأن أي وحدة عسكرية من جيشه. وكان فيلق بدر في الجهة الأخرى من الجبل وبقي في مكانه حتى بعد انسحاب الفصائل الكردية المسلحة، وكان المشاع أن نظام طهران قد ورطهم طالبا منهم البقاء والصمود حتى تصل قوات الحرس الثوري الإيراني إلى المنطقة، وكان وجود الأحزاب الإسلامية الأخرى رمزيا وحسب، وتعارفت في تلك الأيام مع عدد من مسؤولي تلك الأحزاب، خاصة مع عناصر منظمة العمل الذين كانوا اكثر انفتاحا، ولا أتذكر أسماءهم سوى جواد العطار وحيدر.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

الأنفال ورحيل البيشمركة

الأنفال كلمة جديدة في القاموس السياسي الكردي، ولم تكن شائعة الاستعمال حتى في اللغة العربية، وهي اسم سورة من سور القرآن تبحث – على ما أظن – قضايا الغنائم وحصيلة أعمال النهب في الغزوات الإسلامية. ولا ادري من الذي اقترح لدى صدام هذه التسمية للعمليات العسكرية التي خطط لها ضد الحركة الكردية المسلحة، لكن من المؤكد أن الاقتراح راق لصدام دون أن يكترث الأخير للفارق الزمني الذي جاوز الف عام بين الأنفالين.

بدأت عمليات الأنفال العسكرية قبل إعلان الهدنة بين طهران وبغداد، غير أن الحرب بين البلدين كانت قد دخلت فترة من الركود والمراوحة، وكان صدام يدرك بأن الجانب الإيراني لم يعد قادرا على شن هجمات عسكرية فعالة، خاصة بعد أن جوبه هجومه على البصرة بالسلاح الكيمياوي، وان ليس هناك أي أفق لانتصار العراق. فالأمور كانت متجهة شطر توقف القتال، والضغوط الدولية كانت تتزايد لحمل الطرفين على إيقاف القتال، فيما اقتنع حكام طهران أيضا بألا أمل في الانتصار ولا مفر من الهدنة. وحتى الخميني الأكثر تشددا وقع بنفسه على قرار الهدنة وكأنه يشرب – حسب تعبيره – كأسا من السم.

بدأت عمليات الأنفال في شتاء 1988 بالهجوم على المناطق المحررة في محافظة السليمانية وفي اكثر النقاط حساسية. فالهجوم تركز أول الأمر على منطقة (دولي) التي وجدت فيها مقرات قيادة أوك. وقد استدعت القيادة معظم قواتها من مختلف المناطق للدفاع عن المقرات المتعرضة للهجوم. واستمر القتال أياما وجها لوجه بين جيش النظام وبين فصائل البيشمركة. وانا شككت في صواب ذلك كنهج عسكري لدى قيادة أوك (رغم أنني لم أبح بذلك إلا بعد انتهاء القتال)، ولازلت أعتقد أنه كان الأفضل تكتيك الكر والفر كحرب عصابات وليس القتال الجبهوي بين قوتين غير متكافئتين، وقد استغل نظام صدام حشد قوات أوك للدفاع عن مقرات القيادة فبدأ بشن هجوم

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

آخر في منطقة أخرى حساسة (قرداغ)، وكثفت السلطة الغارات الجوية والقصف المدفعي لدعم قواتها البرية من الجيش والجحوش، وبديهي أن كل قتال جبهوي كان ينتهي في صالح النظام إبّان تلك الظروف. يضاف إلى ذلك أن سحب قوات أوك من المناطق الأخرى كان يضعف قوات البيشمرگة في تلك المناطق. ورغم أن الأحزاب الأخرى كانت تملك مفارز مسلحة في تلك المناطق، لكن القوة الرئيسية المعول عليها في القتال إنما كانت تابعة لأوك. وهي كانت مدربة على القتال بصورة جيدة وحائزة على كفاءة قتالية جيدة، لكنها لم تدرب على القتال الجبهوي ولم تملك مقومات مثل هذا القتال.

كان هجوم السلطة في قرداغ على محورين، أولهما محور جبل كولان – زرده، والثاني محور دربنديخان – باوخوشين جبل سيوسينان، وجوبه الهجوم بمقاومة جمع لها أوك بقايا مسلحيه، وشاركت فيها مفارز حشع وحدك وحسك وآخرين. وساهمت مفرزة لنا في معركة جبل زرده منذ بدايتها وحتى نهايتها. وكان المسؤول العسكري لقوات أوك في زرده جميل هورامي، وكان للمرتزقة – الجحوش وجحوش الطوارئ الخونة – دور خاص ومؤثر، لأنهم كانوا من أهل المنطقة، وعلى الرغم من أن المصالحة بين الأحزاب الكردستانية قد أعلنت قبل هجوم السلطة، إلا أن اقتتال الأخوة خلال الأعوام السابقة كان قد انهك قوات البيشمرگة معنويا وماديا، واضعف التأييد الجماهيري لها، الأمر الذي سهل مهمات النظام عسكريا وسياسيا. استبسل المقاتلون الكرد وصمدوا عدة أسابيع في دولي ثم في قرداغ، وفي مختلف المناطق. لكن الهزيمة في نهاية المطاف كانت متوقعة. وتجب الإشارة هنا إلى أن الدكتاتور التكريتي لم يتورع في اللجوء إلى أي سلاح، بما في ذلك السلاح الكيمياوي المحرم دوليا، ضد المسلحين وضد المدنيين معا، بغية كسب النصر العسكري.

كنت أثناء عمليات الأنفال العسكرية مقيما في قرية تكية وحواليها، وكنت قد شاهدت بنفسي جانبا كبيرا من تلك العمليات منذ بدايتها وحتى نهايتها، وكتبت باللغة الكردية عند وصولي إلى السويد عام 1990 كتابا حول الإحداث بعنوان (الخرابة)، وكان احتلال جبل زرده في شباط 1988 بعد أيام من المعارك العنيفة الخطوة الرئيسية الأولى في احتلال قرداغ. فالجبل مشرف على منطقة واسعة من وادي قرداغ، تسارعت بعد ذلك وتيرة التقدم

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

لقوات السلطة حتى استولت في 1988/3/31 على جبل سيوسينان وسط وادي قرداغ. وقد نقل الجيش بالطائرات العمودية الخيم والتجهيزات العسكرية إلى فوق الجبل وأقام عليه حوالي عشر ربايا عسكرية. وكان ذلك إيذانا بالسيطرة على وادي قرداغ. فانسحب المقاتلون إلى داخل قوبي قرداغ، ورغم أن قوبي منطقة حصينة لا يسهل الاستيلاء عليها إذا وجدت فيها قوة دفاعية نشيطة، بيد أنها لا تملك العمق الجغرافي، بل تكون محاصرة من كل الجهات حين يكون العدو مسيطرا على قرداغ وسنگاو معا، يضاف إلى ذلك أن المقاتلين لم يملكوا، داخل هذا الوادي الجبلي المغطى بغابة كثيفة من أشجار البلوط، المؤن واي عتاد سوى ما كانوا يحملونه كل مع نفسه. والاهم من هذا وذاك أن البيشمرگة فقدوا معنوياتهم وقدرتهم على خوض القتال. ولهذا كان من الطبيعي أن يصبح الموضوع الرئيسي المطروح للنقاش بين المتجمعين هناك – وهم مقاتلون مع البعض من عوائلهم التي لم يريدوا تركها لقمة للجيش والجحوش، ومع عدد من الجنود الفارين الذين كانوا منتشرين في القرى قبل احتلالها – هو قضية الانسحاب العام نحو الشريط الحدودي الإيراني بعد أن حسمت المعارك في قرداغ لصالح السلطة الفاشية. كان مسؤول القاطع الأول لأوك قادر الحاج علي قد ذهب على رأس القوة الرئيسية للقاطع إلى دولي – شهربازار للمشاركة في الدفاع عن مقرات القيادة. وكان عضو هيئة القاطع (عمر فتاح) هو المسؤول بالوكالة أثناء هجوم السلطة على قرداغ. وأثناء تواجد البيشمرگة في قوبي عاد قادر من دولي وبدأ القتال فورا ضد القوات الحكومية في منطقة گرميان ونقلت القوات المرابطة في قوبي إلى هناك لتقاتل الجيش والجحوش قرابة أسبوعين في وجه قوات حكومية كبيرة. وانتصرت السلطة هناك أيضا واضطرت قوات البيشمرگة على التراجع إلى داخل قوبي في 14 نيسان 1988. زاد عدد المسلحين من أوك وأحزاب جود ومن حواليهم عن الفي شخص بينهم عوائل ومرضى وشيوخ فضلوا الهروب على الوقوع أسرى للنظام، وكان الانهيار المعنوي باديا على الوجوه ولم يبق سوى القليل ممن احتفظوا بتماسكهم ومعنويتهم. كان قادر الحاج علي متماسكا، لكنه وقع تحت تأثير ضغط شديد من بعض عناصر أوك ومن الأحزاب الأخرى، وكان الخوف لدى بعضهم حملهم على الإلحاح بالانسحاب الفوري للتخلص من (الفخ) حسب تعبيرهم.

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

تحركت الوجبة الأولى بقيادة جافر مصطفى بعد ظهر 1988/4/15 سيرا على الأقدام باتجاه أعالي وادي قرداغ، لكي تدخل إلى بازيان وتتوجه عبر طرق جبلية شطر حدود إيران، وكان العدد يقارب الألف شخص، وترك الكثيرون من هؤلاء حميرا وبغالا ركبوها من گرميان إلى قوبي أو نقلوا حاجاتهم الضرورية من الغذاء والفرش والعتاد الحربي ...الخ. وكان من المتفق عليه أن تأتي برقيا أخبار الوجبة الذاهبة ووضع الطريق، قبل أن تنطلق الوجبة الثانية من قوبي، ولكن الاتصال قد انقطع بين الفريقين ولم يصل أي خبر، فيما اشتد الضغط من المنهارين معنويا – وكانوا كثيرين – والمترددين على قادر الحاج علي لحمله على الرحيل. ومما زاد من إصرار هؤلاء أن ظهرت في الظهيرة طائرة عمودية تطير على ارتفاع منخفض تقارب الخمسين مترا، كان ظهور الطائرة مفاجأة غير متوقعة بالنسبة إلى الموجودين، لأن المكان لم يكن ممرا عاديا للطائرات العسكرية والمدنية ولا يمكن تفسيره بشيء سوى انه محاولة لمعرفة ما إذا كان في قوبي شيء من قوات البيشمرگة و(العصاة). وكانت كيفية ظهور ومرور الطائرة مبعث الإثارة والتساؤلات بين الحاضرين، لاسيما ذوي المعنويات الهابطة منهم، الذين كانوا يتوقعون ظهور طائرات أخرى سريعا لغرض القصف الجوي بعد أن انكشف امر المسلحين للسلطة، غير أن الطيار مر فوق هذا الحشد البشري البالغ عدده قرابة ألف شخص دون أن يطلق قنابل أو رصاصات، وكأنه لم ير شيئا. والمسلحون وقفوا بدورهم صامتين مرتبكين وكأنهم يقولون لخصمهم الطائرة فوق رؤوسهم: "تجاهلنا ونتجاهلك بدورنا، وكأننا لم نر بعضنا". ولا ادري ما إذا كان قادر الحاج علي ضمن المتأثرين من ظهور الطائرة أم على العكس من ذلك، غير أن قرار الرجل قد اتخذ دون انتظار خبر حول مصير وجبة اليوم السابق.

في عصر ذلك اليوم 1988/4/16 تحرك موكب المنسحبين في خط سير طويل، مقسم إلى أجزاء إذ كان لكل حزب موكبه الخاص، وقد حدد رجال أدلاء للسير أمام الموكب وخلفه، وكانت الإطلاقة الأخيرة والوحيدة، التي سمعت في قوبي أمام قلعة نارامسين، رصاصة كلاشنكوف صفى بها الشيوعيون جاسوسا من جواسيس النظام البعثي وقع في قبضتهم قبل أيام وكان عليهم في لحظات أن يطلقوا سراحه أو ينفذوا فيه حكم الإعدام. وتركت جنازته على جانب الطريق دون الدفن. وقد واصل الموكب مسيره

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

عبر الوادي الجبلي تحت ضياء الشمس دون أن تلقى أي صعوبة. وعندما حل الظلام، وكان الجو غائما وممطرا قليلا، بدأ الانحدار عبر (دربند سركو) للخروج من قوبي. كان الظلام دامسا والطريق منحدرا ومبللا وكأنه فخ نصب لهؤلاء. كان المسير في هذا المنحدر شديد البطء، وكان الانزلاق والوقوع كثيرا وشبه شامل، ولم نقطع تلك المسافة، التي تقارب كيلومترا واحدا، إلا بشق الأنفس وخلال وقت طويل. وأحس الجميع بكثير من الراحة عندما خرجنا من المضيق (دربند) ووصلنا إلى وادي قرداغ. وفي ضحى 4/17 وصلنا قرية (فيكه دره) القريبة من (قازانقاية) لنجدها خالية من البشر تماما وأبواب الدور مفتوحة وكان الفلاحين يقولون للجحوش والجنود الذين سيدخلونها:

- لا نغلق الأبواب لكي لا تكسروها، فادخلوها وكلوا ما تركناه لكم وخذوا من ممتلكاتنا المنقولة ما يحلو لكم وابقوا فقط على دورنا لنجدها إذا كتب لنا أن نعود يوما!

الجميع متعبون، جياع، راغبون في النوم والاستمتاع بقسط من الراحة لأننا لم نذق في الليل لا الأكل ولا الشاي. توزعنا من تلقاء انفسنا على البيوت المهجورة. وكنت مع أخي علاء وبعض رجال مفرزتنا في بيت لم نعرف من هو صاحبه. أكلنا ما امكن إحضاره وشربنا أقداحا من الشاي بشهية قياسية وتمددنا بأمل النوم عندما دخل علينا احد رجال المفرزة ليبلغنا بخبر غير مفرح: اسمعوا هذا الإنذار جيدا وانهضوا وهيئوا أنفسكم لأن قوات عسكرية ترافقها الدبابات متجهة صوب هذه القرية.

الخبر مزعج حقا، فالتصادم مع جيش النظام هنا محفوف بالمخاطر لأن معنا نساء وأطفال وأناس آخرون غير مؤهلين للقتال. والأنكى من ذلك أن المقاتلين أو غالبيتهم الساحقة منهارو المعنويات كما يحدث عادة للجيش المصاب بالهزائم خلال القتال. عزاءنا الوحيد هو في أن الغابة والجبل قريبان ويمكننا الاحتماء بهما. وأخيرا صدر الأمر العسكري للجميع:

1 - إرسال مفرزة من المقاتلين الجيدين لنصب كمين للقوة العسكرية القادمة على بعد بضع مئات الأمتار خارج القرية.
2 - انسحاب رجالنا إلى الغابة في سفح الجبل خلف قرية قازانقاية.

بدأ الانسحاب فورا، ولم يلبث أن عادت مفرزة الكمين الدفاعي نحونا

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

لتقول أن القوة العسكرية التي كانت متوجهة إلى قرية فيكدره قد رجعت أدراجها. إذن لم يعد هناك خوف من معركة يفرضها العدو في ظرف ملائم له وحده. وعندما وصلنا إلى سفح الجبل فوجئنا بشيء غير منتظر: المفرزة التي انطلقت قبلنا بيوم من قوبي – في 4/15 – موجودة هنا ولديها جريحان أصيبا في اليوم السابق! كيف حدث ذلك وأين؟ أجابنا احد رجال المفرزة المشاركة في العملية: جلسنا تحت بعض الكهوف لغرض التخفي والاستراحة، ولم يلبث أن مر على الطريق حشد من الجحوش ورأى احدهم دابة مربوطة مما لفت انتباههم وبدأوا يبحثون عن صاحب الدابة ورأونا، فصاحوا علينا:

- من انتم وماذا تفعلون هنا؟

وقد وجهوا بنادقهم نحونا وتأتى علينا خوض معركة بادلنا فيها الرصاص وأوقعنا بينهم إصابات وأسرنا احدهم برتبة آمر السرية وجرح منا شخصان هما خالد في رأسه ورؤوف في عضده، ثم انسحبوا هاربين وانسحبنا نحن إلى هنا.

منذ أوائل نيسان بدأ الارتحال من منطقة سنگاو وعبر الزاب الصغير شطر الحدود الإيرانية، وذلك لأن سيطرة السلطة على منطقة قرداغ نشرت اليأس والقنوط بين الكثيرين من الشبان الذين كانوا جنودا فارين من الخدمة، ملتجئين إلى قرداغ وما حواليها دون أن ينضموا إلى صفوف البيشمرگة ، وانجر وراءهم حتى البعض من البيشمرگة. أما الرحيل بصورة رسمية فإنه بدأ بعد سيطرة النظام على گرميان – سنگاو أيضا في أواسط نيسان. وفي 16 نيسان 1988 رحلت آخر مفرزة من محافظة السليمانية، ولم يبق سوى المفارز السرية الصغيرة التي شكلتها بعض الأحزاب لتبقى خلف خطوط العدو.

قبل الرحيل الرسمي كنت مع رفاق مفرزتي في قوبي منذ الأول من نيسان، وكنت اعرف أن هناك أناسا يرحلون عبر گرميان شطر طقطق. فجمعت رفاق المفرزة وقلت لهم: تعلمون أيها الرفاق أن النظام الدكتاتوري على وشك أن يستولي على آخر بقعة من المناطق المحررة من محافظتي السليمانية وكركوك، وان الخيارات المتاحة أمام أمثالنا هنا هي التسلل إلى المدن بشكل من الأشكال أو الرحيل إلى الحدود الإيرانية والى داخل إيران

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أو البقاء هنا مختفين لمواصلة النضال في ظروف صعبة مليئة بالمخاطر، كل شاب منكم حر في أن يختار بملء إرادته أيا من هذه الخيارات منذ الآن، ولا نريد أن يبقى أحد دون رغبته، ولا نلوم أحدا على الخيار الذي ينتقيه لنفسه. أما بالنسبة إلى الرفيقتين الموجودتين بيننا فإن ليلى هي التي تقرر، بالتفاهم مع زوجها شرف الدين وجهتهما المقبلة. والخيار الأفضل أمام رفيقتنا روناك هو التسلل إلى المدينة المناسبة، هنا في العراق، وليس البقاء في الجبال ولا السفر إلى إيران. وعلى شقيقها الرفيق فؤاد أن يرافقها إلى النقطة المناسبة لتوديعها من هناك.

وقد سافرت روناك مع أخيها إلى گرميان ثم توجهت هي إلى بغداد وتوجه اخوها فؤاد (خليل) إلى إيران، وفي وقت لاحق استطاع الوصول إلى هولندا وكون هناك عائلة ولايزال هناك. وذهب البعض الآخر إلى گرميان أيضا ومن هناك إلى الحدود الإيرانية. وكان بين الذاهبين إلى گرميان رفيق عربي كان اسمه الحركي عندنا شادمان – على ما أتذكر – واخفق في الخروج نحو الحدود وعاد نحو قوبي بهدف العودة إلينا، ولكنه وقع فوق الجبل في كمين لجحوش الأفواج الخفيفة – وكان بين الجحوش البعض من أهالي قريتنا تكية – وسلم بعدئذ إلى السلطة. لا اعرف تفاصيل ما جرى له، لكنني أعلم أنه لم يقتل.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

قررت البقاء
وبدأناه بمعركة القلعة

تلكم كانت إحداث ما قبل 15 نيسان. أما اليوم، الخامس عشر من نيسان، فان علي أن أقرر ما إذا كنت ابقى بنفسي في منطقة قرداغ، خلف خطوط العدو، أم أرحل مع الراحلين نحو إيران. ظللت مترددا ولم أحسم مع نفسي ما إذا كنت سأبقى أم العكس. لكنني لم أتردد في أن اشكل مفرزة صغيرة ممن يبقون طوعا دون تردد في حالة رحيلي شخصيا. وقد وقع الاختيار على كل من آزاد نجم الدين ومحمود صديق وحمه آسو علاء الدين، الذين كانوا شبانا من أهل المنطقة ومتحمسين للبقاء وقادرين على تدبير أمورهم في الإدارة والصيانة والتخفي. وعندما ذهبت المفرزة الأولى في 4/15. بقيت في قوبي دون أن أتحرر من التردد. لدي الفرصة في هذه الليلة لكي افكر بصورة افضل في المسألة. كنت افكر في ما يترتب على بقائي من متاعب جدية حقيقية وما إذا كنت استطيع مواصلة النضال السياسي والعسكري في منطقة جبلية وعرة بعيدة عن المدن ولم تبق في القرى الآهلة، سابقا، بالناس ولا البشر سوى جنود صدام والجحوش المرتزقة من الأكراد. ولا شك في أن هؤلاء سيملؤون قوبي أيضا بعد رحيل البيشمرگة ، فالبقاء لن يكون أمرا سهلا، خصوصا بالنسبة إلي أنا الذي لم اعد شابا خفيف الحركة، بل جاوزت الستين من عمري. فكرت كثيرا فيما افعل ورجحت الرحيل في اليوم التالي ولكنني لم أزل مترددا، وقد اصطففت مع رفاقي في مفرزتي باستثناء الثلاثة المقرر بقاؤهم كمفرزة سرية في المنطقة، لنرحل ضمن الرحيل العام. وقد وصلت بصحبة الراحلين إلى قرية قازانقاية – كما أسبقت – وانا لا أزال مترددا. وهناك أعدت النظر وتذكرت سنوات حياتي النضالية السابقة، ومر شريط طويل من ذكريات أيام الاختفاء واللحظات التي تعرضت فيها للخطر وأصبحت فيها من الموت قاب قوسين أو أدنى، سواء أيام صباي عند تسلق الجبال أو في حياتي النضالية. وتساءلت: هل يجب أن يتهيب المناضل السياسي من الأخطار والمغامرات.. فقررت البقاء في قرداغ، خلف خطوط العدو البعثي الفاشي. وبذلك أنهيت

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

التردد الذي ساورني منذ بعض الأيام. علي الآن أن أعود شطر قوبي، وسألت شقيقي علاء فيما إذا كان يريد العودة معي أم يرافق المنسحبين نحو الحدود، فأجاب:

ـ انا باق معك هنا

وسألت محمد علي قادر، وهو من أهل القرية ومن أقاربنا، عما إذا كان يرغب في البقاء فأجاب:

ـ أنا مستعد للبقاء واعتبره كما لو أننا حصلنا على الحكم الذاتي.

ـ وعليك حمل رشاشة بيكيسي معنا

ـ على العين وعلى الرأس.

والشخص الرابع الذي بقي معنا كان يدعى (علي كومونيست)، وكان شابا قويا في جسمه وفي رجليه، بسيطا في رأسه إلى درجة كبيرة. وقد حسبت المقاتلين الثلاثة الذين أبقيناهم في قوبي، وأبلغت رفاقي الآخرين بالسير ضمن المنسحبين نحو الحدود. وذهبت إلى قادر الحاج علي وعمر فتاح لأودعهما واطلب منهما الإيعاز إلى مفرزتهم السرية التي تبقى في المنطقة بالتعاون معنا. فسألا عما إذا كان بالإمكان ترك رفيقيهما الجريحين خالد ورؤوف معنا إلى حين تحسن وضعهما. كنت اعلم الصعاب التي قد تترتب على وجود جريحين معنا في منطقة لا يوجد فيها إلا الجنود والجحوش. غير أنني لم استطع رفض الطلب لقناعتي بأن سير هذين الجريحين مع الباقين عبر طرق جبلية وبين ربايا الجيش والجحوش امر بالغ الصعوبة بالفعل، ولأنني رأيت من واجبي الإنساني أن اقدم العون إلى شابين جرحا أثناء القتال ضد العدو الفاشي. فقبلت بقاءهما عندنا، وتركوا معهما أربعة فدائيين هم عمر غريب – شقيق احد الجريحين – ومحمد مهدي (ابن عائلة أبادها القصف الكيمياوي في قرية سيوسينان) ورزگار وعبدالرزاق. تحركنا نحن العشرة للعودة إلى قوبي، وانضم إلينا شابان آخران من فدائيي أوك (فرهاد بجكول وستار جميسموري) قائلين أنهما ذاهبان لتنفيذ مهمة موكلة إليهما. عدنا من نفس الطريق الذي سلكناه في اليوم السابق، ونحن 12 شخصا. وصلنا مساء إلى الكوخ الذي بناه سابقا الجنود الفارون داخل دربند سركو ليناموا فيه آمنين. وكان الجريحان على بغلين، والحيوان في مثل هذا الوضع يشكل عبئا ثقيلا علينا من بعض

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

النواحي، بقدر ما هو ضروري لنقل الجرحى وبعض الحاجيات من ناحية ثانية. بعد شرب الشاي وتناول الأكل استسلمنا للنوم داخل الكوخ، وأخذنا قسطا مناسبا من الراحة، وعندما استيقظنا كانت الشمس على وشك الشروق فأسرعنا في الرحيل صعودا. وبدا الطريق أسهل بما لا يقاس مقارنة مع الليلة الفائتة، وقد اتضح الآن، ونحن نرى حوالينا الأشياء، أية فوضى سادت في صفوف المنسحبين حين انسحاب البيشمرگة في الليلة السابقة، وأي ارتباك يصيب الجيش الذي يهزم في المعركة وتنهار معنوياته! وجدنا أنواعا من قطع الأسلحة مرمية على جانبي الطريق، آر بي جي وقذائفها، كلاشنكوفات ومخازنها المليئة بالعتاد، أكياس من الخبز وأنواع الأغذية، قطع من أنواع الملابس، بضمنها نسائية، بطانيات وأفرشة خفيفة ...الخ. يقينا أن بعض المنسحبين ألقوا بهذه الأشياء على جانبي الطريق تحت جنح الظلام لأنها قد غدت عبئا لا يطاق بالنسبة اليهم، واي وضع يكون فيه المقاتل الفدائي وهو يجرد نفسه بنفسه من السلاح ويصبح أعزل في منطقة واقعة تحت سيطرة عدوه؟ صعدنا الجبل لندخل في قوبي وجلسنا هناك لنأكل ونشرب الشاي. بعد فترة وجيزة جاءني عمر غريب ليخبرني بأن الفوضى التي شاهدناها في طريق الصعود موجودة هنا أيضا. وقد وجد هو وآخرون عددا من بنادق الكلاشنكوف ومخازنها المليئة! إن الله وحده العليم بأية مجازفة أو مصاعب حصل البعض من أصحاب هذه البنادق على سلاحه قبل سنتين أو ثلاث، وكم فرح بها في حينه! وها هو يعتبرها عبئا لا يطاق ويرميها جانبا بملء إرادته اليوم.

وجد شبابنا هناك كتبا ودفاتر، بينها دفتر مذكرات لأحدهم، ربما كان من الجنود الفارين، أفرد الرجل قسما من الدفتر لعرض مغامراته الجنسية التي جاوزت الثلاثين مغامرة حسب ادعائه، طبعا في المدينة، وبصرف النظر عما إذا كان يصدق أو يكذب فإن رمي هذه المذكرات بدلا من حرقها يدل على فقدان اتزان الرجل.

مشينا في قوبي بحذر وحيطة مخافة أن يكون العدو قد تسلل إليه في اليوم السابق، وفي ليلة 18-19 بتنا على الطريق متخذين من قطعة نايلون مفرشا وغطاءا، وفي صبيحة التاسع عشر من نيسان وصلنا إلى نفس المكان الذي انطلقنا منه في 4/16 أمام قلعة نارامسين. ابتعدنا عن الطريق

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

حوالي مئة متر واقمنا شبه خيمة لوقاية الجريحين من المطر، ثم خرجنا، أنا وعمر غريب، لنرى نبع ماء صغير في مكان اعلى وندرس ما إذا كان يصلح للإقامة فيه ولو مؤقتا، وقد كانت مفاجأة صاعقة حين رأيت حشدا من الجنود والجحوش قدر عددهم بمئتين وخمسين مسلحا مقبلين داخل قوبي وفي نفس الطريق الذي قطعناه صباحا، انهم يبعدون عنا بين 2 – 3 كم. عدنا نحو المفرزة وجمعتهم لأخبرهم بالحدث ونحدد الموقف، طرحت على الرفاق ما اقترحته:

- بالنظر إلى وجود هذين الجريحين المفروض أن نحميهما، ولأننا لم نرتب وضعنا هنا ولم نرسخ أمورنا، فإننا نسعى جهدنا إلى تحاشي الصدام مع العدو ولن نكون مبادرين إلى القتال، بيد أن علينا أن نكون على أهبة الاستعداد لخوض المعركة برجولة فيما إذا فرض علينا القتال. استحسن الحاضرون جميعا ما طرحته، فبادرت إلى توزيع مقاتلينا العشرة على ثلاثة مواقع، قررت أن أصعد بنفسي إلى قلعة نارامسين، وأخذت معي أربعة آخرين هم علاء وفرهاد وعبدالرزاق وستار، وحين صعدنا لم أجد بيننا علاء، انه تخلف وبقي في اسفل القلعة. وحددت لعمر غريب ورزگار ومحمد مهدي مكانا قريبا من القلعة وملائما للحفاظ على سلامة الجريحين قربهم دون أن يعيق ذلك مشاركتهم في القتال. وأرسلت حامل رشاشة بي كي سي محمد علي قادر بصحبة علي أمين وعلي جقلباوه إلى سفح الجبل المقابل لنا. وأبلغت الجميع بألا يطلقوا الرصاص إلا بعد أن يسمعوا صوت رصاصاتنا نحن فوق القلعة، وكان لدينا بغلان لركوب الجريحين خالد ورؤوف من قرية قازانقايه إلى قوبي، وكانا مربوطين بحبال بين الأشجار على بعد حوالي 150م من الطريق الذي يسلكه المارة. اقترب الجنود وكنت اعتقد انهم ذاهبون إلى مكان آخر بهدف محاصرة فيلق بدر التابع للمجلس الإسلامي الأعلى، الذي كان باقيا في الجبل من الجهة الجنوبية، لكن الأمور لم تجر على هوانا، إنها كانت صدفة سيئة إذ عطس احد البغلين في اللحظات التي كان الجنود يمرون على الطريق اسفل البغل. فسمع بعضهم العطسة وتوقفوا بعض الوقت، ثم خرج رئيس العرفاء من الطريق متجها صوب مكان العطسة.

ترى هل أن هذا الحيوان اللعين هو الذي يفرض علينا المعركة التي لا

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

نرغب فيها الآن، بسبب وجود الجريحين؟ تأملنا أن يتراجع الجنود ويجنبونا شر قتال لم نختر مكانه ولا زمانه، لكن وصول الجنود إلى المكان الذي كانت فيه حقائب وحاجيات وبعض البنادق ومخازن وطلقات الكلاشنكوف غير تصوراتي لأنهم تيقنوا من وجود البيشمرگة هنا. وقد كان الجيش العراقي مغترا وعالي المعنوية في كردستان، بعد أن هزم فصائل البيشمرگة وطاردهم نحو الحدود الإيرانية، فتوغل الجنود منقسمين إلى جماعات في الغابة وتوجه بعضهم صعودا نحو القلعة، قلت لفرهاد حين قطع الجنود أكثر من نصف المسافة بينهم وبيننا صاعدين باتجاه القلعة:

- قررت أن أكلفك يا فرهاد بقيادة هذه المعركة عسكريا، وعليك أن تبدأ القتال قبل أن يصعدوا لدرجة تشكل الخطر علينا.
- علينا أن نتركهم دون الكشف عن وجودنا، لأنهم سيرجعون ونتجنب القتال.
- لا يا فرهاد! إذا لم نتغد بهم فهم سيتعشون بنا، حان الوقت لنصليهم.
- اصبر قليلا وسيرجعون

عرفت بأن هذا الرجل الذي عرف سابقا كمقاتل شجاع قد فقد معنويته ولم يعد يتجرأ على القتال في الظروف المستجدة، وما العمل؟ فكرت لحظات واتخذت قراري، وجهت فوهة كلاشنكوفي إلى حشد من جنود العدو وضغطت على زناد الصلية معلنا بدء القتال.

كنت قد قضيت قبل هذا اليوم سنوات بين الفدائيين الشيوعيين وثم الديمقراطيين، ولكن هذه كانت المرة الأولى التي خضت فيها القتال ضد العدو مباشرة، وضغطت على زناد البندقية كي اقتل أناسا لا أعرفهم ولا يعرفونني ولم تكن لي أبدا مشكلة شخصية مع أي منهم ولا ذنب لهم سوى انهم جنود في جيش السلطة الحاكمة، ولكنني أنا الآخر لم اكن مذنبا ولا قاتلا عن سبق إصرار، بل دافعت عن نفسي ورفاقي وعن قضية آمنت بها وتطوعت للنضال في سبيلها. ومهما يكن الأمر فإنني كرهت السلاح والعنف والتقتيل، واعتبرت ولا زلت اعتبر نظام صدام حسين مسؤولا عن الصراعات الدموية وإثارة الحروب والمغالاة في الإرهاب والبطش بمعارضيه، بل بكل إنسان مشكوك في ولائه لشخص الدكتاتور. وحلمت ولازلت احلم بذلك اليوم الذي تسكت فيه البنادق والعنف كوسيلة موروثة من

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

عهود التخلف والهمجية في حل النزاعات وتحقيق النصر فيها. نعم أنني أتباهى بذلك اليوم المأساوي، يوم التاسع عشر من نيسان 1988، حين خضت قتالا دمويا فرضه علينا نظام الأنفال والمقابر الجماعية والولع الدائم بإزهاق الأرواح، لكنني لم آمل قط، في الاقتتال وسفك الدماء، أرجوكم أيها القراء الكرام ألا تحسبوني ضمن القتلة أو الراغبين في القتل.

استعاد فرهاد رباطة جأشه بعد بدء القتال من قبلي بحوالي دقيقتين وشارك في القتال بصورة جدية وجيدة، وكان عبدالرزاق في مكانه الذي حددته له لحماية مؤخرة القلعة وشارك عمر غريب ورزگار ومحمد في القتال بشكل جيد ومؤثر، ولم أعرف شيئا عن مكان علاء ومشاركته، لكن المفرزة التي أرسلتها إلى الجبل المقابل بقيادة محمد علي قادر لتستخدم سلاحنا الأهم – بي كي سي – ولتشكل وإيانا كماشة لقوة العدو، قد تأخرت 3 – 4 دقائق قبل أن تطلق الرصاص، وقد قال محمد لاحقا لتبرير هذا التأخر انهم لم يتوثقوا أول الأمر من أننا بدأنا القتال فعلا. على أن مشاركتهم، وان تأخرت بعض الشيء، في القتال، كانت فعالة، لأنهم كانوا يرون ما لم نره من حشود العدو، ولأن رشاشتهم كانت اقوى من أسلحتنا. أما ستار جميسموري فإنه لم يكن اكثر من عنصر الإزعاج والإحباط، فقد جاءني بعد بدء القتال يسألني عن المكان المناسب الأمين لنفسه كي لا يواجه الخطر، أجبته: "ابحث لك عن مكان أمين بعيدا عن المشاركة في القتال". وهو لم يشترك في القتال ولا بطلقة واحدة، بل كان عبئا وإزعاجا لنا، إذ جاءني عدة مرات ونحن منهمكون في القتال ليكرر:

- ماذا نعمل أيها العم بهاء إذا هاجمنا هؤلاء من الخلف؟
- لا تخف يا ستار، إننا طردناهم ولاذوا بالفرار جميعا سوى أشخاص في اسفل القلعة، متحصنين في كهف ويبحثون عن فرصة للإفلات.
- أنني خائف يا عم، خائف ولا ادري ماذا افعل.
- نحن لسنا خائفين، اذهب واخف نفسك في مكان آمن.

وكنا في الحقيقة متفوقين ووجهنا لهم ضربة قاسية منذ اللحظات الأولى لأننا كنا من أهل المنطقة ولأننا توزعنا بشكل جيد قبل بدء القتال ووضعناهم في كماشة حقيقية وحطمنا روحهم المعنوية منذ البداية حيث باغتناهم بشكل لم يتوقعوه، وجعلناهم مسرعين في الهروب والعودة إلى الوراء تاركين

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

جثث القتلى والجرحى خلفهم، باستثناء ما يقارب عشرين جنديا كانوا قد وصلوا قبل بدء القتال إلى نقطة محصنة من طلقاتنا، هرب احدهم بين الأشجار فأصبح في مرمى بنادقنا ولم ينج. وهرب آخر وانتهى إلى نفس المصير. فكفوا عن الهروب وبقوا في مكانهم ويطلقون النار باتجاهنا، كان في حوزة احد فدائيينا من جماعة عمر غريب قنبلة يدوية، فاقترب من بقعة مشرفة من الأعلى على مخبأهم، والقى نحوهم القنبلة. بعد عشر دقائق سمعنا بالراديو من موجة FM – اللاسلكي – جنديا من المحاصرين قربنا وهو يتكلم مع ضابط في مقر الفوج بقرداغ:

- سيدي عندنا شهداء كثيرون، فقط من جماعتنا أربعة شهداء.
- اصمدوا ولدي قليلا وسنشن هجوما ونقضي عليهم، ونواصل القصف بالمدفعية والطائرات.

إذن لعبت القنبلة الملقاة عليهم دورها وألحقت ضررا جسيما بهم، وها قد علمنا انهم يهيئون لهجوم جديد، ولا مكان لانطلاق هجوم إلا الطريق نفسه الذي سلكوه لشن الهجوم الفاشل. وهذا الطريق تحت رحمة بنادقنا، فليهاجموا وسيرون النتيجة.

بعد بدء الهجوم بحوالي عشر دقائق بدأت مدفعية الجيش بعيدة المدى القصف الكثيف من معسكر قريب من مركز ناحية قرداغ، ولحسن الحظ كانت القذائف كلها تقع بعيدا خلفنا، وبعد ربع ساعة ظهرت في الجو طائرة عمودية وبدأت ترمينا بالصواريخ والرشاشات، ولكنها لم تحلق فوقنا ولم تدخل المجال الجوي لقوبي، ربما خوفا من وجود دفاعات جوية لنا فوق القمم في كلا الجبلين المتقابلين، بل كانت تطلق صواريخها وهي خارج أجواء قوبي، فكانت تقع بعيدا عنا، وأظن انه لم يكن لدى الطيار أي فكرة ملموسة عن مكان تواجدنا على وجه الدقة.

بدأنا القتال في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر وحسمنا المعركة بدحر القوة الرئيسية المعادية خلال الدقائق العشر الأولى إذ لاذوا بالفرار مذعورين، ورجعوا إلى حيث أتوا. لكن المفرزة التي بقيت تقاتلنا ولم تكن قادرة على الفرار ظلت تقاوم ولم نكن في وضع يسمح لنا بالتخطيط والتحرك لأسرهم أو إبادتهم، لأننا كنا عشرة فدائيين موزعين على ثلاث نقاط ومعرضين على الدوام لقصف المدافع والطائرات العمودية. كنا نقاتل

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

قوة نظامية تسندها الطائرات العمودية والمدافع بعيدة المدى، فيما كان سلاحنا بنادق كلاشنكوف مع رشاشة بي كي سي واحدة سوفيتية الصنع. لكن طوبوغرافية المنطقة الجبلية المغطاة بالغابات الكثيفة كانت في صالحنا، والأعداء الذين كانوا أمامنا لم يملكوا سوى البنادق مثلنا والطريق الذي سلكوه لم يكن صالحا للآليات التي تسند المشاة عادة في القتال. ولم أتمالك نفسي، وانا أقاتل في قلعة الملك نارامسين، الذي كان يقيم بعض الأحيان في هذه القلعة، وكان يحتفظ بها قبل حوالي 4750 سنة كخط أمين للرجعة في حالة خسران معركة ما، لم أتمالك نفسي من التفكير في شكل القتال والأسلحة التي كانوا يستعملونها في تلك الحقبة! لو انفطرت الأرض هنا وخرج منها نارامسين راكبا حصانه، الذي كان في زمانه بمثابة الدبابة الحربية، ليتفرج على هذا المشهد العجيب بالنسبة إليه، لغرق في حيرة ما بعدها من حيرة، لما صدقت عيناه بأنه يرى الأشياء وهو في حالة اليقظة وليس حالما، أين هي الرماح والسيوف والخيل التي لم يستطع ذلك الملك الجبار خوض القتال من دونها؟

كانت الشمس قد غابت منذ أمد وراء الجبل وأنذرت السماء بأن الظلام سيحل على أرضنا قريبا واختفت من الجو أصوات الطلقات، فأصدرت الأمر العسكري لمن كانوا معي بالانسحاب، وهم فرهاد وعبدالرزاق وستار المنهار انهيارا تاما. نزلنا من القلعة نحو النقطة التي رابط فيها عمر غريب ورفيقاه رزگار ومحمد والجريحان خالد ورؤوف، وتوجهنا إلى نبع الماء (عمارت) القريب منا. وكنت بين هؤلاء التسعة الشخص الوحيد من أهل المنطقة الملم بالطرق والمنافذ. جلسنا عند النبع وطلبت من عبدالرزاق أن يطلق ثلاث إطلاقات على أن يكون الفاصل بين إطلاقة وأخرى ثلاثين ثانية كإشارة إلى رفاقنا الآخرين في المفرزة ليأتوا إلينا، وجلسنا ساعة كاملة ولم يأت احد، كنت قلقا على أخي علاء، الذي بقي وحيدا اسفل القلعة ولم نعرف شيئا عنه.

كان من الطبيعي أن أقرر الخروج من قوبي فورا خشية أن تهاجم قوة حكومية كبيرة صباح الغد لغرض الثأر ولسحب القتلى والجرحى المتروكين في المنطقة، لكن المشكلة التي واجهتنا كانت مشكلة جريحينا، اللذين لا يسهل عليهما المشي على الأقدام، كيف الحل؟ كنت اعرف أن في قوبي

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

عددا كبيرا من الحمير والبغال التي تركها المنسحبون عند انسحابهم نحو الحدود في 4/15. لكن الظلام يجعل من الصعب العثور على أي حيوان بين هذه الأشجار والصخور. انطلق الشباب يبحثون تحت جنح الظلام عن أية دابة. وعثر احدهم على حمار ولكن دون جلال على ظهره، ووجدنا بطانية لنتخذ منها جلالا. وركبه خالد لأن الإصابة كانت في رأسه، فيما كانت إصابة الجريح الثاني رؤوف في عضده. انحدرنا في الظلام، وانا أسير أمام المفرزة كدليل، نحو دربند نارامسين، ومررنا أمام الهيكل الصخري المنحوت للملك نارامسين قبل ما يقارب خمسة آلاف سنة، وخرجنا من قوبي بسلام وابتعدنا حوالي كيلومتر لنجلس بين الشجيرات والأدغال. في الصباح الباكر نهضنا وصعدنا نحو الجبل قليلا، بعيدا عن الطريق الذي سلكناه في النزول ليلا، وقد وصلنا النقطة التي اقمنا فيها قبل عشرين يوما، في 30-31 آذار الفائت. ولم يلبث أن التقينا بمفرزتنا السرية الثلاثية التي كنت قد شكلتها قبيل الانسحاب نحو الحدود، وهم كل من آزاد وحمه آسو ومحمود صديق، وحل انضمامهم إلينا مشاكل جدية لأنهم كانوا من قرية تكيه، ملمين بدروب المنطقة، ولأن الأرزاق التي كنا أخفيناها كانت في أيديهم. في اليوم التالي وفي نفس المنطقة وصلتنا المفرزة الثلاثية المكونة من محمد علي قادر وعلي أمين وعلي جقلباوة، الذين قاتلوا معنا في قوبي ومعهم رشاشة بي كي سي، وهكذا أصبحت مفرزتنا خمسة عشر رجلا بضمنهم الجريحان.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

مفارز سرية بين حشود معادية
وانـهيار بعض المفارز

التأم شمل أفراد مفرزتنا السرية الصغيرة، المكونة من 13 شخصا، بعد أن غادرنا كل من فرهاد وعلي جقلباوة والمنهار ستار. هنا لم اعد الرجل الوحيد من أهل قرية تكيه، بل غدونا خمسة رجال – وكان ذلك نقطة القوة لنا. التأمنا بعد معركة القلعة في 19 نيسان وخارج قوبي، في منطقة تدخل ضمن حدود القرية قريبا من دربند نارامسين. كنا نجلس في ساعات النهار مختبئين بين الأشجار والأدغال ونبيت فيها ليلا مع فرض الحظر على إشعال النار ليلا ونهارا حفاظا على سلامتنا. وكانت المسافة بيننا وبين ربايا الجيش والجحوش حوالي كيلومترين. لهذا كان علينا الالتزام بنظام وقائي صارم. وقد نقلنا بعض المؤن والبطانيات مما كنا قد أخفيناه سابقا، وصعدنا نحو جبل نيل تدريجيا حتى استقر بنا المقام في مكان يسمى (دييخلي) يقع في منتصف الجبل صعودا. لا يوجد لدينا الماء هنا وعلينا أن ننزل قبيل الغروب إلى نبع صغير في سفح الجبل، حيث رتبنا الأمور لإشعال نار لا ترى من الأعداء ولطبخ وجبة رز وأكلها هناك، ثم الإتيان بكميات من الماء ومن الخبز لوجبتي الصبح والظهيرة في اليوم التالي.

كانت المشكلة رقم واحد عندنا هي غياب علاء، الذي لم نعرف شيئا عن أخباره بعد معركة القلعة. لم يكن بمقدورنا أن نعرف ما حدث له في ذلك اليوم، كل ما عرفته هو انه كان اسفل القلعة، بيننا وبين مفرزة الجنود الذين بقوا قربنا بقاءا اضطراريا وقاتلوا طيلة النهار. لم يكن علاء مرئيا منهم ولم تقع هناك أية قنبلة من الطائرات أو المدافع التي كانت تقصفنا. فلا استطيع التصور بأنه أصيب بإطلاقة أو شظايا قذيفة، بل انسحب قبلنا من المكان ولابد من انه موجود في مكان ما. ويجب البحث عنه، لكن هناك صعوبات جدية في طريق البحث لأنه لا يمكن البحث إلا داخل قوبي ولأن ربايا العدو منتشرة في قوبي وعلى قمم الجبال. فالتحرك في النهار خطر للغاية وفي الليل صعب للغاية في منطقة جبلية وبين الأشجار والصخور. ما العمل إذن؟

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

تحدثت إلى الشبان الأربعة من أهل تكيه، الذين يعرفون دروب وشعاب الجبل وقوبي، وطلبت منهم البحث عن رفيقنا المفقود في الأماكن المحتمل وجوده فيها، قبلوا طلبي بحماس رغم علمهم بأنهم يجازفون بحياتهم، وبدأوا التحرك والتحري داخل قوبي. كان كل يوم يخرج اثنان منهم في الصباح الباكر ليعودا في المساء. ذات يوم رأى آزاد فوق الجبل وهو في طريق عودته إلينا، شابا من أقاربنا يدعى حسين عبدول وتحدثا إلى بعضهما، وحين علم حسين بأن آزاد ينتسب إلى مفرزة سرية موجودة في المنطقة طلب منه قبوله بيننا، وأجابه آزاد:

ـ انتظرني هنا مساء الغد لآتي إليك بالجواب.

ـ حسنا سأكون هنا.

عند وصوله إلينا روى لي آزاد ما حدث وسأل عما يجيب به غدا، فكرت قليلا واستبعدت كل خوف من أن يكون هذا الشاب مندسا ومرتبطا بالنظام، وقلت لآزاد:

ـ نقبل طلبه وتستطيع الإتيان به غدا مساءا.

في مساء اليوم التالي جاءنا حسين بصحبة آزاد وهمس في أذني أن عضو لجنة إقليم كردستان سعيد البرزنجي مع هادي محمود وكاوه موجودون في مكان آخر من دربند سركو، وهم في حاجة ماسة إلى المساعدة، واقترح الشاب الموافقة على مجيئهم، فقلت له:

ـ اذهب اليهم واجلبهم معك إلى هنا.

ذهب حسبن اليهم، ووصلوا في اليوم التالي مكرمين. فوصل عدد أعضاء المفرزة إلى 17 رجلا، وكلهم شباب باستثنائي أنا وسعيد البرزنجي وعمر غريب الذي كان كهلا. كنا أنا وسعيد متعارفين منذ سنوات وفي صفوف حشع، وكان شقيق المناضل الشهيد علي البرزنجي، عضو اللجنة المركزية لحشع الذي اعتقله النظام البعثي الفاشي في 1971 وقتله تحت التعذيب، وقد سألت سعيدا:

ـ ما الذي حدث لكم وأوصلكم إلى هذا الوضع؟

ـ في 4/19، حين كنتم تقاتلون القوات الحكومية في قوبي، وجدت بالقرب منكم مفرزتان، أحداهما مفرزة أوك المكونة من أربعين مسلحا بقيادة ملا أحمد گرمياني، والأخرى مفرزة حشع المكونة من عشرين

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

مسلحا بقيادة جوهر (رؤوف الحاج محمد)، اعتقد الجميع أن القتال يدور بين الإسلاميين وبين السلطة.

ـ ألم يطلب احد من المفرزتين المشاركة في هذه المعركة ضد السلطة؟

ـ الوضع النفسي والمعنوي بين البيشمرگة متدهور لدرجة كبيرة بحيث لم يسمح بخطوة من هذا القبيل. كل ما فعله مسؤولو المفرزتين هو أن جزأوها إلى أقسام وقرروا الرحيل من قوبي إلى أماكن في گرميان وقرداغ خوفا من مداهمة قوات الجيش الكبيرة لهذه المنطقة في اليوم التالي. وقد قسم جوهر مفرزتنا إلى أربعة مفارز صغيرة لسهولة تنقلها وتخفيها، سلمت إلي قيادة احدى المفارز وحدد لنا موعدا للقاء من يوفده رؤوف هنا في قوبي، وعبثا انتظرنا هذا اللقاء، وبقينا في حيرة من أمرنا إلى أن حالفنا الحظ والتقى حسين بأحد رفاقكم وأنقذتمونا من المتاهة.

ـ على الرحب والسعة يا رفيقي.

يستمر البحث اليومي عن علاء دون أن نجد أثرا له. ويستمر آزاد في مساعيه للاتصال لاسلكيا ببعض المفارز السرية التي خلفها أوك وحشع في المنطقة. وقد عاد ذات مساء ليخبرنا بأنه توفق أخيرا في الاتصال مع مفرزة سرية تابعة لأوك ويقودها محمود مامه عزه، فرحنا جميعا بذلك، وكان فرح عمر غريب مضاعفا، لأن محمود ينتسب أيضا إلى أوك. وقد سافر كل من عمر وآزاد في زيارة إلى محمود بمقره في سفح جبل مروگه خلف قرية أوسبي ووصلا إليه. كان في مكان شبيه بمكاننا، وكانت معه زوجته وابنه البالغ من العمر ستة عشر عاما، وابن أخيه المقارب لابنه سنا وشبان آخرون.

كان موقعنا في جبل نيل ممتازا لمشاهدة ما كان يجري على بعد كيلومترات أو اكثر من الإحداث في قرداغ. وكانت في حوزتنا عدد من النواظير. كان نظام صدام حسين قد انجز المرحلة الأولى من عمليات الأنفال، مرحلة الاستيلاء على المنطقة التي كانت قبلئذ محررة وطرد مفارز البيشمرگة منها، وباشر في نشاط جنوني مكثف بتنفيذ المرحلة التالية، مرحلة هدم القرى المتبقية وحرقها وتسوية جدران البيوت القروية، المبنية عادة من الطين والحجارة، مع الأرض بعد أن يكون الجحوش الأكراد قد

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

نهبوا ما فيها من ممتلكات القرويين. بدأت عمليات النهب والحرق والهدم في وادي قرداغ أواخر آذار وبدأ من قرية جمركه قرب مدينة دربنديخان واستمرت مع تقدم الجيش والجحوش صعودا في الوادي نحو دربند بأسره. وقد أتاح لنا علو مكاننا في الجبل فرصة جيدة لنرى ما يحدث، وجود مكثف لقوات العدو من المشاة والآليات العسكرية، الطائرات العمودية تطير على ارتفاع منخفض، وهي منهمكة في نقل المؤن والتجهيزات إلى كثرة من الربايا الجديدة التي أنشئت لتوها في شتى بقاع المنطقة لأحكام سيطرة النظام. تسير عبر الطرق الترابية أرتال من السيارات والدبابات في حركة دائبة، وتتصاعد ألسنة اللهب في القرى المشتعلة المسقوفة عادة بالخشب وأغصان البلوط، كما يتصاعد الدخان ليغطي الأجواء كما تغطيها الغيوم، وتلتهم النيران بساتين ومزروعات الحنطة والشعير التي حان وقت حصادها بعد أن غادرها الفلاحون.. لكن جدران المباني القروية تبقى منتصبة في مكانها لأنها مشيدة من الطين والصخور، وقد وجد أبو عدي حلا لهذه المشكلة أيضا إذ أرسل عددا كبيرا من البلدوزرات المدنية والعسكرية لتنصرف بكامل طاقاتها إلى هدم تلك الجدران، لكي لا يستطيع احد تسقيفها بسهولة.

والجحوش! وما ادراك ما الجحوش! انهم أكراد خونة لم يكن بمقدور النظام البعثي أن يتسلل بهذه السهولة إلى القرى الجبلية والى الجبال والوديان والغابات لو لم يضع هؤلاء انفسهم في خدمته لقاء دريهمات تافهة! كلمة "الجحش" وجمعها الجحوش، اسم لفرخ الحمار، واطلقتها الجماهير الكردية في 1945 على الأكراد الذين تعاونوا مع سلطة النظام الملكي ضد الحركة الكردية المسلحة التي قادها الملا مصطفى البارزاني. وقد جاءت التسمية بسبب ملابسهم التي كانت خليطا من ملابس الشرطة ومن الملابس المدنية، وخصوصا الحزام الكردي واليشماغ أو الچرغد الكردي التقليدي على الرأس. لكن هذا المصطلح أصبح مع مرور الوقت اسما مألوفا للأكراد الخونة، الذين كانوا قلة قليلة قبل عام 1983، وكثر عددهم أضعافا منذ 1983 حيث كانت فترة هدنة ولون من التفاهم بين أوك وبين نظام البعث العفلقي. وكانت عمليات الأنفال في 1988 فرصة مؤاتية أمام الجحوش للانصراف إلى سلب ونهب ممتلكات بني قومهم القرويين، الذين تركوا بيوتهم وما ملكوا فيها هربا بجلدهم إلى مكان آمن رغم علمهم بأن الجحوش

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

لن يرحموهم. وقد تسنى لنا أن نتفرج، وفي أيدينا نواظير، من نقطة ملائمة في مخبئنا الجبلي على ما قام به الجحوش في قرية تكيه، واطلقوا أول الأمر وقبل دخول القرية كثرة من رصاصات البنادق والرشاشات على القرية وحواليها واطلقوا قذائف المدفعية على الدربند وعلى الجبل ليعرفوا ما إذا كان هناك من يرد أو يتحرك. ولما لم يلاحظوا أي رد دخلوا القرية وبدأوا سباقا جنونيا فيما بينهم للدخول إلى البيوت والتنقل بينها بهدف السرقة ونهب ما تركه القرويون من ممتلكات. وقد اكملوا عملية النهب في قسم محدد من البيوت، ورحلوا عصرا في سيارات الزيل العسكرية وعلى ظهورهم أكياس بيضاء مملوءة مما نهبوا عائدين إلى معسكرهم في سيوسينان. ورجعوا صباح اليوم التالي بنفس الطريقة إلى القرية ذاتها ليكملوا ما بقي من النهب في قسم آخر من بيوت القرية. واشعلوا في الوقت نفسه النار في الدور التي كانوا قد نهبوها في اليوم السابق. وكرروا العملية في اليوم الثالث، وأكملوا حرق آخر قسم من دور الفلاحين في اليوم الرابع. لكنهم تلكئوا في حرق جامع القرية الأثري، الذي قيل بأنه بني قبل حوالي سبعة قرون. وكان جامعا كبيرا تبلغ مساحة قاعة الصلاة فيه مئتي متر مربع، وألحقت به غرفة وطرمة كمدرسة لطلاب الدين عبر القرون. وبعد حرق الدور بيومين جيء بالبلدوزر ليقوم بدوره في هدم الجدران وتسويتها تماما، بحيث لم يبق هناك ما يشير إلى أن هذه كانت قرية سوى الأحجار الكثيرة. وقد دخلت القرية بصحبة أخي علاء بعد شهر من هدمها وسألته، وكنا واقفين في مكان المبنى الذي ولدنا فيه ذات يوم:

ـ أي منزل كان هنا؟

ـ أنا لا اعرف.. أجابني بجد

ولم ينج المبنى الذي كنت قد بنيته على مقربة بضع كيلومترات من القرية كمقر احتياطي في مأمن من القصف الجوي والمدفعي. لم ينج لا من النهب والسلب ولا من الهدم، وكان آمر سرية الجحوش المعروف باسم (حوباوكه) من قرية تكيه في طليعة الجحوش الذين أتوا إلى هذه البناية أيضا للنهب والتهديم، كما فعل مع قرية آبائه وأجداده.

استمر البلدوزر في الهدم لأكثر من يومين، وهو لم يتردد في هدم جدران الجامع رغم انه لم يحرق على أيدي الجحوش. وقد رأيت الفدائي

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

محمود صديق لأول مرة غارقا في بكاء يخرج من الأعماق عندما رأى البلدوزر يهدم الجامع. كنت اقدر مشاعره الصادقة كقروي لم يتخل عن أداء واجبه الديني في أداء فريضة الصلاة مهما قست الظروف، فواسيته ببعض الكلمات:

- لا تحزن يا محمود.. إن المجرمين سيدفعون ثمن جريمتهم عاجلا أم آجلا.
- في المنطقة كلها لم يكن جامع آخر بعظمة هذا الجامع، لا في قرداغ ولا في گرميان ولا في شارزور. وها هم المجرمون يهدمونه بهذه الطريقة دون أن نستطيع عمل شيء. فكيف لا أبكي؟

وبكى محمود للمرة الثانية عندما استمع إلى قصيدة رثيت بها القرى المحروقة المهدمة في كردستان. كانت هذه الإحداث تجري في قرداغ، بالأحرى فيما نشهده من قرداغ خلال نيسان 1988، ونحن في مخبئنا الجبلي نتفرج دون أن نستطيع عمل شيء أو إخبار احد من وكالات الأنباء الدولية حول ما يقترف صدام من جرائم. ودعاني سعيد البرزنجي إلى لعب الداما معه، وكانت لعبة شعبية بين أهالي المنطقة في المدن والقرى على حد سواء:

- وهل تعلمت الداما يا رفيق لكي تدعوني إلى اللعب؟ قلت لسعيد
- أنسيت يا أبا سلام أنني غلبتك في ذلك اليوم؟
- تقصد المرة اليتيمة التي حققت فيها النصر قبل عشر سنوات، وكانت في غفلة من الزمن ومقابل عشرات الخسائر!

كانت هذه اللعبة تسلية مناسبة لنا في بعض الأحيان، وخصوصا لسعيد الذي نادرا ما كان يحالفه الحظ في اللعب معي.

في اليوم العاشر من غيابه وصلنا أخي المتغيب علاء بفضل بحثنا المتواصل عنه وبحثه هو عنا، وقد أخبرنا بعد وصوله بأنه التقى في قوبي بالإسلاميين من فيلق بدر، وقال انهم اهتدوا بطريقة ما إلى احد المخابئ التي اخفينا فيها الأرزاق واقتاتوا عليها أثناء بقائهم هناك بعض الأيام. وعرضوا عليه الذهاب معهم إلى إيران كدليل لهم مقابل إغراءات، واعتذر عن قبول هذه المهمة وأحاطهم علما بأنه افترق عن جماعته وهو بصدد البحث عنهم. وكانت عودة علاء فرحة كبيرة لنا، وقد أنيطت به منذ عودته

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

مسؤولية إدارة المفرزة من حيث الأمور المعاشية.

بعد إحكام سيطرتها على محافظة السليمانية وتحريم دخول أي مدني إلى المناطق الريفية واستباحة قتل من يشاهد فيها، تراءى للسلطة بأنها قضت على الحركة المسلحة في هذه المحافظة وأن بإمكانها نقل القوات إلى المناطق التي بقيت فيها مفارز البيشمرگة في محافظتي أربيل (قرب الحدود الإيرانية) ودهوك. وقد شرعت بإخلاء الربايا الكثيرة ونقل قواتها من الجيش والجحوش إلى حيث توجد المفارز المسلحة. كانت إذاعة أوك تشتغل وتنشر أخبار المعارك الدائرة في منطقة خوشناوتي وكنا نتابعها بصعوبة بسبب التشويش، وقد قاتلت مفارز البيشمرگة ببسالة تحت قيادة كوسرت رسول ضد القوات الحكومية، غير أن تناسب القوى العسكرية كان في صالح السلطة وأرغمت تلك المفارز في مناطق أربيل ودهوك على الانسحاب شطر الحدود هربا من البطش البعثي.

كان علاء قد وصلنا يوم أتانا الحرس في ديبخلي ليخبرنا بأن عددا من الجحوش قادمون من الأسفل باتجاه منطقتنا. تهيأنا جميعا وحملنا بنادقنا لنجلس في موقع مناسب للقتال، نحن في مكان مرتفع وجيد وعددنا اكثر من العدو ونستطيع إبادتهم بسهولة، ولكن المشكلة تكمن في أن علينا أن نترك المنطقة فورا، وهذا محفوف بالمخاطر الجدية، إذ أن ربايا العدو منتشرة في كل الأماكن واننا اخفينا المؤن هنا ولا نملكها في أماكن أخرى قد ننتقل إليها. يضاف إلى ذلك أن معنا الجريحين اللذين يصعب عليهما التنقل. فالأفضل إذن أن نتجنب الصدام إذا لم يفرض علينا فرضا، أصدرت الأمر العسكري التالي:

- لا يسمح لأي منكم أن يكون البادئ بإطلاق الرصاص على هؤلاء، انتظروا ما سأفعله. انتظرنا وحبسنا انفاسنا نراقبهم، صاح احدهم بصوت عال:
- هو علي سوشياليست علي سوشياليست!
- ماذا تريد يا صالح؟
- اقسم بمليون نبي أنني اعرف مكانا نجد فيه الآن أشياء بقيمة مليون دينار

تبعوه ماشين على عشب اخضر مطروق من قبلنا خلال الأيام السابقة،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

متجهين إلى شبه كهف في سفح الجبل أسفلنا. وكانت لنا بطانيات وأوان وأرزاق، كان وصولهم إلى هناك نوعا من الانكشاف بالنسبة إلينا، وكان يضعنا في موقف حرج للغاية. وكان يتأتى علينا، حسب تصوري، أن نطلق الرصاص قبيل وصولهم إلى الكهف. كانوا أربعة جحوش مسلحين، ولم يبق بينهم وبين المكان اكثر من مئة متر عندما أفلتت حجارة صغيرة بكبر الجوزة من تحت رجل واحد من رفاقنا وتدحرجت إلى الأسفل، فسمعوا صوتها وجمدوا في أماكنهم بعض الوقت حائرين خائفين وسألوا بعضهم "ماذا جرى؟"، وأجاب احدهم: "أظن انه ماعز جبلي". بعث هذا الكلام شيئا من الاطمئنان في قلوبهم واستأنف آمر المفرزة السير نحو الهدف وقطع مسافة 20-30 مترا ثم توقف. انهم مترددون، يريدون السير ويخشون عواقبه. إذا ساروا إلى أمام جابهوا المجهول ووجدوا ما لا تحمد عقباه وإذا رجعوا خسروا ما يبحثون عنه من ممتلكات مخفية هناك!! فما العمل؟ تشجع آمر المفرزة من جديد ومشى عشرات الأمتار الأخرى ثم توقف دقيقة.. ثم أدار وجهه ورجع بخطى سريعة مبتعدا عنا. وتنفسنا بدورنا الصعداء فرحين من أننا نجونا من صدام لم نكن راغبين فيه، ورجعنا إلى مكاننا لنواصل أنا وسعيد البرزنجي لعب الداما الذي انتهى بخسران سعيد.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

عدنا إلى داخل قوبي

انقضى ثلاثون يوما على وجودنا في (ديبخلي) بجبل نيل، وخفت في هذه الأيام حشود الجيش والجحوش في المنطقة بسبب نقلهم إلى أماكن القتال. وبعد تبادل الرأي والنقاش بيننا نحن من المتعرفين على شعاب المنطقة اتفقنا على المكان الجديد داخل قوبي وتحركنا عصرا بين أشجار البلوط حاملين معنا بعض الأغراض وحذرين من أزلام النظام. وصلنا المكان الجديد ويا له من مكان رائع! في مرتفع شبه مسطح ملاصق للجبل، تضلله أشجار البلوط الضخمة، وعلى مقربة من عين ماء عذب مثلج وحوالينا أكداس من الحطب اليابس الضروري لنا لكي نشعل النار بلا دخان، وقد قيل لا دخان بلا نار، لكن النار يمكن أن توجد بلا دخان، والهواء فيه نقي لدرجة مثالية، انه رائع حقا، أشبه بدار استراحة. كنا نحن نرى ربايا الجحوش فوق الجبل المقابل لنا، فيما كانت الأشجار تمنعهم من أن يرونا. أصبحت الحياة هنا اسهل وافضل. ونظمنا وضعنا بشكل احسن: الحراسة الدائمة في النهار وتوزيع العمل اليومي في أمور الإدارة والطبخ وتنظيم المحاضرات اليومية، السياسية والنظرية وعن قصص الفدائيين في الحرب العالمية الثانية وغيرها.

كان آزاد مختصا بجهاز اللاسلكي الصغير هوكي توكي الوحيد عندنا، وكان عليه أن يقتصد في استخدام البطاريات المتوفرة عنده بسبب صعوبة التعويض عما يستهلك. وقد افلح في الاتصال بإحدى المفارز السرية كما أسبقت، غير أن هذا الاتصال قد انقطع ونحن في مكاننا الجديد داخل قوبي ولم نعرف سبب هذا الانقطاع، وبعد أيام من وجودنا في قوبي أتاني الحارس ذات نهار ليخبرني بأن أربعة مسلحين في الزي الكردي يصعدون بين الأشجار شطر مكاننا. ترى من يكون هؤلاء؟ أهم الجحوش أم صيادون استطاعوا البقاء بالاستعانة ببعض أقاربهم الجحوش، أم شيء آخر؟ قلت للحارس:

ـ عد إلى مكانك وراقبهم ونحن آتون إليك.

تهيأ الجميع وحملنا بنادقنا وذهبنا إلى حيث الحارس، أصدرت الأمر

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

العسكري:
- يكون الجميع مستعدين للقتال بعد التوثق من انهم جحوش، نسعى للقبض عليهم دون اطلاق الرصاص تجنبا لانكشاف مكاننا. إذا تعذر القبض عليهم أحياء يجب عدم السماح بإفلاتهم أحياءا، ونأخذ بنظر الاعتبار احتمال كونهم من البيشمرگة أو صيادين وحسب.

اقترب الرجال الأربعة وسمعنا احدهم يصيح باسم رفيقينا عمر غريب وآزاد. ولم يلبث أن صاح احد الرفاق بيننا:
- انه صوت محمود مامه عزه، انه هو بالتأكيد.
- إذن نادوه ورفاقه إلينا، انه أتى يبحث عنا بكل تأكيد.

وصلنا محمود مع رفاقه الثلاثة وهم كل من أبو بكر حمه صالح من قرية عليادا وكمال حمه نامقوهو من قرية بلخه وصديق (لأ أتذكر من أي قرية) ورافقناهم إلى مكاننا وتركناهم ليستريحوا بعض الشيء قبل أن نسألهم شيئا. كان واضحا انهم ليسوا على ما يرام، وكان محمود – وقد رأيته هناك لأول مرة – يدخن دون أن يطفئ السيجارة في يده. أخيرا، بعد شرب الشاي، سألته عما إذا حدث لهم بعض المشاكل، فأجاب، وهو يسحب من سيجارته النفس تلو النفس، وهو شاب اسمر هادئ الصوت وقصير القامة:
- شكلت مفرزة من ستة عشر شخصا لنبقى مفرزة سرية في المنطقة بعد انسحاب البيشمرگة منها. أنا بقيت بنفسي اختياريا ومتطوعا وتركت للآخرين أن يختاروا ما يروق لهم بين البقاء والرحيل، وقلت لهم إننا قد نتعرض في حالة البقاء لمخاطر جسيمة. ورجائي لكم أن تفكروا في الأمر مليا وألا يبقى هنا من لا يرى نفسه قادرا على تحمل هذا العبء. وهم جميعا أجابوني بأنهم باقون وعلى استعداد كامل لتحمل كل النتائج مهما كانت قاسية. وجدنا مكانا جيدا لنقيم فيه بجبل مروگه، وبعد أسابيع، وفيما قد ذهبت مع هؤلاء الثلاثة المرافقين لي حاليا إلى مكان بالقرب من دربنديخان للاتصال مع بعض الأقارب وعدت إلى القاعدة بعد غياب ليلتين، استقبلتني زوجتي – وكانت معي وابنتي الصغيرة – بالصراخ والبكاء لتقول لي: أن عوكة (عبدالكريم) عمل ليلة امس عملته القذرة إذ اطلق الرصاص في الساعة العاشرة ليلا على شبابنا الأربعة وقتلهم فيما كانوا يغطون في نومهم وخاطبني حين تركنا قائلا: "أنني احضر معي الجنود والجحوش وانصب كمينا لمحمود وجماعته

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

واصفيهم جميعا"، وبعد ذهابه ذهبت إلى القتلى فوجدت ابني (وكان عمره 16 عاما) والشابين الآخرين قتلى لا حياة فيهم، لكن ابن أخيك كان لايزال حيا، ضمدت جراحه قدر استطاعتي، وهو باق حيا هنا.

ـ ألم يعد عوكه إلى هنا بعد ذلك؟ سأل محمود زوجته.

ـ كلا. كنت اخشى أن ينفذ تهديده بنصب الكمين لكم وقتلكم أيضا.

تابع محمود حديثه معنا وهو يشعل سيجارة جديدة ويجر منها نفسا عميقا:

ـ كان أول ما ينبغي عمله هو تدبير امر الجنائز الثلاثة بشكل فوري ثم تدبير امر ابن أخي الجريح، كان لدينا حبل طويل لعشرات الأمتار استفدنا منه لكي ينزلني رفاقي إلى ثقب جبلي مستعص لا يمكن الوصول إليه إلا بهذه الطريقة نفسها، وبعد ذلك انزلوا جثث الشهداء الواحدة تلو الأخرى، وقمت بترتيبها مؤقتا ريثما يتسنى لنا دفنها بشكل أصولي. وبالتعاون مع هؤلاء الشبان الثلاثة حملنا الجريح مع زوجتي وابنتي الصغيرة إلى دربنديخان بأمل أن نتركهم لدى بعض أقاربنا لعلهم يتمكنون من معالجة الجريح وإعالة الزوجة والطفلة.

ـ نقلتموهم بصورة سرية ومخاطرة؟

ـ لو قبضت علينا السلطة البعثية لكان مصيرنا القتل المؤكد.

ـ وماذا فعلتم بعد إيصال هؤلاء إلى بيوت بعض أقاربكم؟

ـ خرجنا تلك الليلة من مدينة دربنديخان لنعبر النهر إلى ضفته الشرقية ونبتعد عن المدينة ونختبئ بين الأدغال. وقد انكشف وجودنا للأعداء وفرضت علينا معركة لم نكن مهيئين لها. وانسحبنا خلال قتال استمر لساعات واختبأنا في أماكن آمنة لعشرة أيام أو اكثر، حتى تمكنا من عبور النهر في الليل مرة أخرى إلى ضفته الغربية، وها قد وصلنا إلى هنا.

ـ أهلا بكم وعلى الرحب والسعة. نحن في خدمتكم.

ـ طلبنا العاجل الآن هو أن ترسلوا معنا اثنين لنذهب ونخرج جنائز شهدائنا الثلاثة من ذلك الثقب الجبلي وندفنهم بصورة أصولية ونعود بعد ذلك إلى هنا إذا قبلتمونا ضيوفا عندكم ولو لفترة.

ـ خذوا معكم أكثر من رفيقين لدفن الجنائز

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وقد أرسلنا ثلاثة رفاق مسلحين معهم لمساعدتهم في دفن الشهداء، وعندما عادوا إلينا روى لي رفيقنا آزاد، الذي كان احد المرسلين معهم، قائلا:

- انزلنا احدهم بالحبل ليقوم في الثقب الجبلي بشد الجثث الواحدة تلو الأخرى ونقوم برفعهم، إلا أن هذا الشاب لم يستطع القيام بذلك لأن الجثث كانت متفسخة تماما وجائفة لدرجة لم يستطع تحملها، فصعد ذلك الشاب ونزل محمود نفسه مع أكياس النوم ووضع هناك الجثث في ثلاثة أكياس مشدودة بإتقان وسحبنا الجثث الواحدة تلو الأخرى، ثم أصعدنا محمود نفسه وأخذنا الجنائز إلى أسفل الجبل وحفرنا لهم القبور ودفناهم هناك في سفح جبل مروگه ورجعنا إلى هنا.

قدمت التعازي إلى محمود وسألته عما إذا بقيت الجثث سليمة عن الحيوانات والطيور، فأجاب، وهو يكاد ينفجر باكيا:

- الحيوان الوحيد الذي يستطيع الوصول إلى هناك هو الماعز الجبلي، وهذا الماعز ليس من أكلة اللحوم. لكن الجثث كانت متفسخة لدرجة فظيعة بعد أن بقيت هناك لمدة 12 يوما في هذا الصيف الحار، وأود أن أشكركم على مساعدتنا في دفن الجثث وان أسألكم عما إذا كنتم تقبلون بقاءنا هنا للفترة القادمة.
- نقبلكم بكل تأكيد ونقاسمكم لقمة الخبز حتى النهاية.

لم يمر أكثر من بضعة أيام على التحاق محمود ورفاقه الثلاثة بنا عندما جاءنا الحارس ليخبرنا بأن مسلحين اثنين يصعدان نحونا داخل قوبي، اتخذنا الإجراءات الاحتياطية حتى وصلا واستقبلناهما وإذا بهما شابان من جماعة آلاي شورش (راية الثورة) المنشقة على أوك.

وقد استقبلناهما واجتمعت شخصيا معهما لبحث وضعهم وطلباتهم واستجبت لهما بتزويدهما بقاذفة آر بى جى شريطة ألا يستخدموها في اقتتال الأخوة. وطلبا الاجتماع مع محمود مامه عزة. وأظن أن الأخير كان راغبا في تلبية طلبهما ولكنه رفض خوفا من محاسبة حزبه له.

* * *

هبط عامل اللاسلكي آزاد من أعالي الجبل ليتوجه إلي ويخبرني بما يلي:

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

- اتصل معي آمر المفرزة السرية لأوك ملا احمد، وهو في گرميان، وشكا بمرارة من حاله. ورجا قبولهم عندنا، ولو لبعض الأيام، لانهم أصبحوا في وضع بالغ الصعوبة في سهل گرميان. وقلت له أنني سأعرض طلبه وسأجيبه غدا بما يتقرر.
- كم عددهم؟
- لم أسأله ولا أعرف ذلك.
- اسأله أولا، وإذا كان العدد كبيرا فأرجئ الأجابة إلى اليوم التالي وإذا كانوا ستة رجال أو أقل من ذلك فليأتوا.

في اليوم التالي رجع إلي آزاد، بعد الاتصال مع ملا احمد، وقال أن عددهم أربعة فقط وأبلغتهم بأن يأتوا وحددت لهم المكان الذي يقفون فيه داخل قوبى في انتظارنا. وقد وصلوا، وكانوا أربعة أشخاص – وهم كل ما تبقى من المفرزة السرية التي شكلها ملا أحمد عند رحيل البيشمرگه شطر إيران، وكانوا أربعين شخصا. وقد حدثني ملا أحمد بعد وصوله وبصحبته ثلاثة شبان إلى مقرنا قائلا:

- اختارني أوك لأقود خلف خطوط العدو مفرزة سرية مؤلفة من أربعين رجلا بقوا هنا بمحض إرادتهم لغرض مواصلة الكفاح المسلح ضد نظام صدام. وقد كنا نحن، إلى جانب مفرزة مكونة من عشرين شخصا تابعة لحشع، مرابطين جنب قلعة نارمسين في قوبى يوم 19 نيسان الماضي حين فوجئنا بنشوء معركة وتصورنا آنئذ بأنها جارية بين الجيش وبين فيلق بدر التابع للمجلس الأعلى، وعلمنا في وقت لاحق بأنكم انتم الذين اشتبكتم مع الجيش، وليس فيلق بدر. كنت أنا آمر مفرزة أوك وكان حمه قاشتي معاوني. وقررنا يومه الانشطار إلى فريقين يخرج فريق بقيادتي إلى جهة گرميان تاركين قوبى خوفا من هجوم الجيش الكاسح في اليوم التالي، بينما يخرج الفريق الثاني نحو مناطق قرداغ وشهرزور بقيادة حمه قاشتي. وقد تفككت المفرزة التي كانت معي وتركني الشباب واحدا بعد الآخر، منهم من ذهب إلى بيت ذويه ومنهم من التحق بالأفواج الخفيفة أو حصل على هوية جحش على أن يكون الراتب لأمر فوجه، ولم يبق معي في النهاية سوى هذين الشخصين (وأشار بأصبعه إليهما) وهما حسن وكريم، وعلمت في وقت لاحق أن معاوني حمه قاشتي قاد المفرزة المؤلفة من 15 شخصا

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

لا إلى القتال ضد النظام بل إلى الاستسلام للنظام، إلى رئيس الجحوش حمه خان في بلدة (زرايين). أما هذا الشاب المدعو حسام فان له قصة مغايرة: انه كان برفقة شابين آخرين، وهم من قرية (داربرو) في سنگاو، إذ قرروا تسليم انفسهم إلى النظام. فذهبوا إلى چمچمال وسلموا أنفسهم إلى رئيس فوج من الجحوش. لكن الضابط رفض قبولهم إلا بعد الإتيان برأس واحد من البيشمرگه. فعادوا إلى منطقة سنگاو، وقرروا الذهاب إلى دربند (دروار) لعلهم يجدون واحدا من الإسلاميين حيا أو ميتا ليقطعوا رأسه ويأخذوه إلى چمچمال لكي يقبل استسلامهم. فلم يجدوا هناك أحدا. إذن ما العمل؟ الحل هو العودة إلى رفاقهم البيشمرگه في المفرزة السرية بأمل أن تسنح لهم الفرصة لقطع رأس أحدهم وأخذ الغنيمة إلى ضابط الفوج في چمچمال، لكي يحصلوا على الثقة وقبول استسلامهم. ترى إلى أي درك ينحط الإنسان بسبب الجبن والانهيار المعنوي؟ وهل هناك انحطاط خلقي أشد من هذا الانحطاط؟

على أن الشاب الأصغر بين المتآمرين الثلاثة المدعو حسام ندم على ما اتفق عليه مع زميليه، عند وصولهم إلى ملا احمد، فهمس في إذن الأخير كاشفا له كل الحقائق. فقرر ملا أحمد – حسب قوله هو- العفو عن حسام وإبقاءه ضمن المفرزة السرية مكافأة له على كشفه المؤامرة، والعفو عن الثاني لا لكونه جديرا بالعفو، إنما لأن أخا له كان أمر كرت – (سرية) واستشهد في معركة ضد النظام، وإعدام الرجل الثالث لأنه وضع نفسه ضمن الخونة – وقد نفذ فيه حكم الإعدام، فيما اطلق سراح المعفى عنه وبقي حسام مع ملا احمد.

تلكم هي قصة المفرزة السرية التي شكلت من أربعين شخصا لكي تقاتل العدو خلف خطوطه بعد أنفال 1988. وقد طلب ملا احمد، بعد النكسة الكبيرة التي أصيبت بها مفرزته، البقاء عندنا ولو لفترة. فرحبت به. وصادف وصوله يوم وليمة لرفاق مفرزتنا جميعا على لحم البقر الطازج حيث نجحت مفرزة سداسية كنت قد أرسلتها عصر اليوم السابق إلى ما وراء قريتي بلخه وآوسبى لاصطياد بقرة بقيت هناك بعد انسحاب الفلاحين. أوصيت آمر مفرزة الصيد بأن يقتلوا البقرة بإطلاقة واحدة لكي لا يثيروا انتباه الجنود والجحوش حواليهم. لكن القتل تطلب أربع إطلاقات. ورجعت

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

المفرزة قبل الفجر، وأفرادها الستة محملون باللحوم، وأخبرونا أن كمية كبيرة من اللحم قد بقيت هناك معلقة على شجرة بلوط لكي لا تأكلها الضباع والثعالب. فأرسلنا فورا مفرزة ثانية لجلب ذلك اللحم. وهكذا توفرت بين أيدينا اكثر من مئة وعشرين كغم من لحم فاخر. أبحنا للكل شواء اللحم قدر ما يشاءون طيلة ذلك النهار، لأننا لم نذق اللحم طوال أربعين يوما. وكان الكثيرون من الرفاق يشكون من آلام والتهابات في اللثة بسبب نقص الكالسيوم. وكان الأستاذ علاء المسؤول الإداري للمفرزة البالغ عددها 24 شخصا، منصرفا بدوره إلى طبخ اللحوم وقليها في الدهن وتعبأتها في علب الدهن التي تتسع كل علبة لخمس كغم. وقد كفى اللحم – القاورمه – لأيام ثمانية للمفرزة.

* * *

أما المفرزة السرية التي شكلت تحت اسم (حمرين) وتحت قيادة هيمنه رش، فإن نكستها كانت من لون آخر إذ لم يحدث فيها انشقاق ولا تفكك، بل قررت بإجماع الآراء – كما سمعنا وقتئذ – أن تسلم نفسها ومع أسلحتها إلى النظام. ولكي تثبت لمسؤولي السلطة بأنها تعود إلى أحضانها طوعا وبإخلاص، فإنها قامت بعملية إجرامية ضد بعض الشيوعيين الموجودين في مفرزة سرية مجاورة لهؤلاء في گرميان، وكان ضمن عملها خطف الضابط الشيوعي الملقب بـ (ملازم سعد) وأخذه أسيرا لتسليمه هدية إلى السلطة البعثية.

وهكذا لوحظت ظاهرة الانهيار في صفوف المفارز السرية التي شكلها أوك خلف خطوط العدو. وكان بين المنهارين عدد من الكوادر ومسؤولي هذه المفارز، الذين لم يتحملوا صعوبات الظرف المستجد الناجم بالدرجة الأولى عن خلو القرى من الفلاحين، الذين كانوا منذ نشوء الحركة المسلحة في كردستان عام 1961 وحتى وقت الأنفال في 1988، مصدر الدعم والتموين والإسناد المعنوي لقوات البيشمرگة. على أن من الإنصاف أن نعترف بأن بعض الكوادر والمسؤولين عن تلك المفارز كانوا مناضلين صادقين مع شعبهم. من بين هؤلاء ملا احمد، الذي صمد ببطولة واستشهد في وقت لاحق جراء انهيار كهف كان في داخله، ومحمود مامه عزه الذي

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

اجتاز تلك الأيام الصعبة والمحن المريرة ليقتل في احدى جولات اقتتال الأخوة على أيدي البيشمركه التابعين للبارزاني في التسعينات.

ولحسن الحظ بقيت المفرزة السرية، التي أسستها وأخفيت لها مسبقا الأرزاق ووسائل الإدامة، في أمان رغم أننا كنا المفرزة الوحيدة في المنطقة التي خاضت معركة كبرى وحققت فيها الانتصار دون أن نقدم تضحية، بعد رحيل قوات البيشمركه. وقد غدونا نحن المختفين في قرداغ ملجأ وعامل صيانة لزملاء منكوبين من بيشمركه حشع وأوك، وحافظنا على الروح المعنوية للمناضلين. وقد ساعدني البقاء لتلك الفترة وراء خطوط العدو على التعرف عن كثب على تفاصيل بعض الجوانب، التي كان يتعذر التعرف عليها بالنسبة إلى أناس بعيدين عنها، ومكنني ذلك من كتابة (ويرانه) في عام 1990 التي غطت إحداث ستة اشهر من الأنفال في المنطقة خلال 1988.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

من هدوء قوبى إلى صخب المدينة

كان مكاننا في قوبى بديعا وشبيها بدار استراحة، خصوصا بعد إخلاء الربايا العسكرية من الجنود والجحوش، الذين كنا نراهم على الدوام فوق الجبل المقابل، قبل أن ينقلوا إلى مناطق أخرى ساخنة في محافظة أربيل أو دهوك. كنا فوق مرتفع جميل أشبه بدار استراحة جبلية طبيعية، مشرفين على ما حوالينا من معظم الجهات، وكانت أشجار البلوط الضخمة الكثيفة تغطينا. وكان حوالينا الكثير من الحطب اليابس الذي حل لنا مشكلة إشعال النار دون الخوف من تصاعد الدخان الذي يشكل الخطر علينا. وعندما يحل العصر ينتظر بعض الرفاق بلهفة المحاضرة التي كنت القيها – والاستماع إليها طوعي – تارة حول قصص الأنصار والنضالات الثورية وأخرى حول الوضع السياسي وثالثة حول أمور نظرية. نعم إن وضع المفرزة تحسن كثيرا وبات من الأفضل أن نقسمها لنقيم في مكانين متقاربين بهدف تجنب الكشف إذ أن تخفي جماعة صغيرة أفضل من تخفي جماعة كبيرة. وقد أرسلنا عددا من الأخوة إلى مكان قريب منا ومشابه لمكاننا.

ورغم كل ذلك فان الوقت قد حان لكي أغادر هذا (المصيف) ذا الهواء النقي البارد. وكما مرت مئات وألوف الإحداث في الماضي، فان حادث إقامتنا في هذا المكان سيمر ولن يخلف وراءه سوى شريط صغير من الذكريات الحلوة المرة.

أواخر صيف 1988 غادرنا قوبي عبر ممر أمن بصحبة شقيقي علاء وثلاثة فدائيين مسلحين هم آزاد نجم الدين ومحمد علي قادر وحمه بجكول، متسللين بين الربايا العسكرية ليلا حتى وصلنا قرية (دلوجه) وهي قرية في سفح جبل يحمل عدة ربايا عسكرية فوق قممه. القرية كلها محروقة ومهدمة عدا غرفة واحدة كانت مضاءة وأمامها كلب حراسة. واضح أن فيها إنسانا. ليس في القرية أي مقر عسكري للجنود أو الجحوش. من يكون هذا المغامر إذن؟ أغلب الظن أنه رجل من الجحوش الذين كان لهم مقر على مسافة كيلومترين، وهو من هواة الصيد وغامر من اجل هذه الهواية. وقد احس بنا الكلب وهاجمنا بالنباح وابتعدنا عن البيت لأنه لم يكن وقتا مناسبا لنا لخوض

منشورات «ألف ياء» AlfYaa

أي معركة هنا. فاختبأنا في مكان بين الأشجار دون أن يرحمنا البعوض حتى الصبح. تحت ضياء الشمس صباحا رأينا مقر الجيش والجحوش على الجانب الأخر من نهر ديوانه ورصدنا حركة السيارات العسكرية. وأسوأ ما رأينا كان صيادا، وهو يحمل بندقية وقبجا للصيد يضعه في مكمن هنا وينقله - وهو في القفص - إلى مكان آخر هناك لعله يجلب بتغريده القبج البري فيقتله. وقد اقترب الصياد منا حوالي ثلاثين مترا، وكنا نراه دون أن يرانا وأصبحنا في موقف حرج- ماذا نعمل إذا اكتشفنا؟ علينا أن (نتغدى به قبل أن يتعشى بنا). فرحنا بابتعاده دون أن يكشفنا ومكثنا مختفين بين الأشجار طول النهار. وقد اتضح في مجرى الحديث مع الدليل أنه قليل المعلومات عن الطريق، فعدنا مساءاً شطر قوبى لنعيد الكرة بعد أسبوع ولنحط الرحال ليلا في نهر (تانجرو) قرب مجمع النصر وباريكه. وقبل شروق الشمس ذهب أخي علاء إلى بيت احد أقاربنا في النصر يدعى حسين بجكول، فيما ذهبت أنا وحيدا إلى مجمع باريكه، ورجع المرافقون إلى قوبى. قمت بجولة مشيا في المجمع ورأيت كثرة من العوائل تسكن (الكبرات) الصيفية أو الخيام المرقعة ويشتغل رجل وزوجته وابنه وبنته لبناء جدار أو تسقيفه لتصبح العائلة المنكوبة صاحب غرفة. كان هؤلاء من فلاحي القرى المهجّرة قسرا في قره داغ وشهرزور، وقد تركوا في قراهم ما كانوا يملكون لينجوا بأنفسهم!

استأجرت في الشارع سيارة تكسي إلى مدينة السليمانية التي تبعد حوالي 25كم وصلت إلى بيت أختي الكبيرة فاطمة، كانت الإقامة في المدينة مقرونة بالمخاطر، كما كانت الإقامة في قوبى أشبه بالسجن في قفص حديدي يحيط به الأعداء من كل حدب وصوب. وما كان يهمني هو أن أتفهم ميدانيا الوضع المستجد في المدينة في أعقاب الانتصار العسكري الذي احرزه النظام ضد الحركة الكردية المسلحة. وقررت توسيع دائرة الاستطلاع لتشمل العاصمة بغداد أيضا، لكي أعرف ما إذا كان بالإمكان أن أبقى لمواصلة نشاطي الحزبي- السياسي هناك. كنت أتنقل بهوية مزورة وغير متقنة الصنع. وكان المسافر بين المدن، بل داخل المدينة، يمر بنقاط سيطرة كثيرة، واقتنعت بعد لقاءات مع بعض الرفاق والأصدقاء القدامى بأن البقاء في بغداد ذلك اليوم ولشخص مثلي يكون بالغ الصعوبة، وسأكون عرضة للاعتقال في أية لحظة، خاصة في ظروف تعرف الأجهزة القمعية

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

على الكثير من أسرار الحركة الشيوعية خلال سنى التحالف الذيلي مع الشيوعيين. كانت بغداد أواخر 1988 تختلف كثيرا عن بغداد الأربعينات والخمسينات، يوم كنت أتجول على دراجتي الهوائية في طول العاصمة وعرضها.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

عبر جبل قنديل
إلى الجهة الثانية منه

بعد التدقيقات والتمحيصات الميدانية في مدينة السليمانية أولا وفي العاصمة ثانيا اقتنعت أن علي أن انسحب أنا الآخر، شأن سائر الفصائل السياسية، وأرحل إلى الخارج. قفلت راجعا إلى السليمانية ومكثت فيها أياما أخرى دون أن افلح في تأسيس أي تنظيم حزبي. إلى أين أتوجه؟ أنا لم اعد بذلك الدرويش القديم للقيادة السوفيتية، ولا النظام السوفيتي هو ذلك النظام القديم لكي أحاول الوصول إليه. وحتى إذا لم ارد البقاء في إيران، في ظل النظام الإسلامي، فان الطريق الوحيد إلى الخارج- بالنسبة إلي في تلك الظروف - إنما يمر عبر السفر إلى إيران أولا. ركبنا سيارة أجرة، أنا وشقيقي العالم الديني كمال، ووصلنا مدينة رانية وسافرت من هناك بسيارة أجرة عبر بلدة سنكسر إلى قرية بولي في سفح جبل قنديل. كان في القرية مقر للحزب الديمقراطي الكردي في إيران، كما كان فيها عدد من الجحوش ومرتزقة السلطة من الأكراد المحليين. وقد حللت ضيفا على زعيم الحزب صادق شرفكندي، الذي كنت قد تعارفت معه لأول مرة عام 1982، يوم زارنا قرب قرية بيتوش بصحبة الدكتور عبدالرحمن قاسملو وكان يعرف باسم الدكتور سعيد. استقبلني بحفاوة وجلسنا ساعات من الليل لتبادل الآراء حول مختلف الأمور. واستأجروا لي دابة في صبيحة اليوم التالي لأسافر عبر قرية بشتاشان التي كان لنا مقر فيها قبل سنوات والتي هاجمها مسلحو أوك في أول أيار 1983، يوم عيد العمال العالمي. في 1983 كنت أصعد هذا الجبل وفي هذا الطريق نفسه ومشيا على القدمين لغرض الصيد أو ما شابه. وها أنا راكب بغلا لأصعد لا لكي أعود بعد يوم أو يومين، بل لأترك وطني وأذهب إلى المجهول. كان ذلك شأن عشرات ومئات الألوف ممن اضطروا إلى مغادرة بلدهم بحثا عن مكان أمن يحميهم من بطش النظام الفاشي. وصلت فوق الجبل إلى أول مقر من مقرات الاتحاد الوطني الكردستاني. ومعنى ذلك أنني خرجت من منطقة الخطر. ويمكن هنا أن ارجع البغل وصاحبه إلى قرية بولىَ. كان في المقر عدد من مسؤولي

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وكوادر أوك، بينهم قادر الحاج علي الذي كان المسؤول الأول عن قاطع أوك في قرية بلكجار، ومحمد توفيق رحيم وآخرين.

بقيت في ضيافة الإخوان بعض الوقت ورحبوا بي. وما لفت انتباهي هناك كان حادث اعتقال عدد من أعضاء وكوادر أوك، وكان ابرزهم جوامير، بتهمة أنهم أرادوا اغتيال نوشيروان مصطفى ثم الهروب إلى جانب السلطة في بغداد. ولا أدري ما إذا كان هذا الاتهام صحيحا أم لا. لكن ما جرى، كما سمعت هناك، هو انهم لم يعترفوا بشيء خلال أيام من التحقيق معهم. فطلب كردو قاسم، وكان من الكوادر الوسطية لأوك آنئذ، تسليمهم إليه لكي يحقق معهم بالأسلوب المجدي وليس بالأسلوب السويدي الذي يتبعونه (ويبدو أن الأسلوب السويدي هو التهاون في تعذيبهم). وقد استجيب لطلبه فتولى التحقيق وبشر المسؤولين في صبيحة اليوم التالي بأنه حصل منهم على الاعتراف بجرمهم!! والله وحده العليم كيف جرى هذا التحقيق بالأسلوب اللاسويدي أي أسلوب التعذيب الجسدي الذي لا يطاق ويحمل المتهم على الاعترافات الكاذبة أحيانا لكي يتخلص من ذلك التعذيب. وكان من الواضح أن العقاب هو الإعدام. ولكني لا اعرف هل أعدموا أم لا.

عرجت على مقر نوشيروان، وكان في خيمة على مسافة قريبة من هناك فوق الجبل. ثم تابعت السير حتى نقطة سيطرة الحرس الثوري الإيراني وسلمت نفسي باسم مستعار. وكان شقيقي علاء قد وصل مع عائلته إلى مدينة سقز وغدا في مستطاعي أن أتنقل بينهم وبين طهران حيث يمكن السعي للحصول على وثيقة سفر (ليسباس) إلى سوريا. كنت اعرف اللغة الفارسية قراءة في الصحف افضل مما أتكلم بها.

وصلت طهران وأنا املك بضعة ألوف من الدنانير العراقية الموزعة على ثلاثة جيوب في سترتي وبنطالي خوفا من النشالين. كان علي أن أعيش بهذا المبلغ في إيران ثم في سوريا إلى وقت مجهول. ولهذا كان على أن اقتصد في الإنفاق.

وبمساعدة أحد الأصدقاء حصلت في طهران على غرفة صغيرة في فندق (مرمره) بشارع الفردوسي وسط العاصمة. وكانت المسألة الأولى في برنامج عملي هو الوصول إلى سوريا. ولم املك جواز سفر قانوني، ولم أرد السفر عبر جواز مزور. فما العمل؟ الطريق العملي الوحيد هو الوصول

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

عن طريق وثيقة ليسباس، وكانت السلطات الإيرانية قد منحت هذه الوثيقة إلى البعض قبلي. باشرت بالمعاملة وقدمت الطلب بنفس الاسم المزور الذي دخلت به إلى إيران، لكنني قررت ألا اخفي في الوقت نفسه اسمي الحقيقي الصريح لاعن السلطات الإيرانية ولا عن السلطات السورية. وقد استغرقت المعاملة اكثر من شهرين وغدوت على اثرها صاحب وثيقة سفر رسمية قد استطيع السفر بها إلى سوريا. وكنت منصرفا إلى المساعي لاستحصال موافقة السوريين على سفري إلى دمشق حين التقيت بالقرب من الفندق المقيم فيه مع المغني المعروف حمه جزا وكان يظهر عليه التعب. وحين دخلنا في الحديث قال:

- أنني مرهق جدا.
- لماذا أُرهقت؟
- أجول من الصباح الباكر على فنادق طهران ولم أحصل على غرفة.
- تعال معي لعلني استطيع مساعدتك.

تبعني إلى فندق (مرمره) ورجوت الإداري الموجود، مع تقديم بعض المال إليه، فأعطاه غرفة صغيرة. كان ذلك مبعث سروره وسروري أيضا.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

ماذا رأيت في سوريا؟

بعد أن استحصلت وثيقة (ليساباس) لدى السلطات الإيرانية ذهبت إلى القنصلية السورية في طهران وطلبت لقاء مع القنصل فاستجاب وأخذوني إلى غرفته. وقدمت نفسي إليه باسمي الصريح كأحد رجال المعارضة العراقية المعروفين وأبلغته برغبتي في السفر إلى سوريا وذكرت أنني بقيت في العراق مختفيا حتى أواخر صيف 988 وتحركت هناك بهوية مزورة ودخلت إيران بتلك الهوية وحصلت على وثيقة السفر هذه بنفس الاسم المدرج في الهوية المزورة دون أن اخفي اسمي الحقيقي عن السلطات في طهران. وانا مضطر على السفر بهذه الوثيقة دون أن اخفي اسمي الحقيقي عن السلطات السورية. رحب القنصل بي وسألني بعض الأسئلة عن وضع العراق وحركة المعارضة العراقية. لم استطع تصوره إلا كضابط في المخابرات السورية مرسل لأداء المهمات القنصلية والمخابراتية معا. وقد وعدني بالسعي لتلبية طلبي وقال انه يريد إمهاله أسبوعا ثم العودة إليه. وعندما عدت إليه في الموعد المحدد اخبرني:

- وافقت الحكومة السورية على طلبك، واليك رقم برقية السماح لك بدخول دمشق، عليك إبراز هذا الرقم في المطار هناك، وأتمنى لك سفرة سعيدة.

سافرت من مطار طهران إلى دمشق دون أن أجد أية عقبة بالنسبة للسلطات الإسلامية الإيرانية. وبدا لي في مطار دمشق أن كل شيء يسير بشكل اعتيادي، أجريت المعاملات الأصولية وخرجت من مكتب تدقيق الجوازات كما اجتزت نقطة تفتيش الحقائب. معنى ذلك أنني ذاهب لركوب سيارة أجرة تنقلني من المطار إلى أحد الفنادق. ولكن مهلا يا بهاء! فإنك الآن في ارض يحكمها البعثيون تماما كما كان في العراق! هناك يدعى الدكتاتور "صدام حسين" وهنا "حافظ الأسد". ورغم الصراع والتطاحن بينهما فإنهما يتعاملان مع الناس بنفس العقلية!

قبل مغادرة مبنى المطار ببضعة امتار اعترضني شاب متوسط القامة،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وهو في زي مدني، وطلب مني مرافقته لدقيقة، سألته:
- من أنت وماذا تريد مني؟
- أنا من الدائرة، يعني مخابرات، يريد الآمر توجيه سؤال إليك ثم تعود إلى هنا.

كنت احس بالخطر من هذا الرجل ولكنني لا أستطيع العصيان. قادني عبر درج إلى قاعة كبيرة تحت الأرض لا يوجد فيها بشر. ويبدو أنه كان من سجون المخابرات السورية، طلبت من الشاب السماح لي بالخروج فرفض وقال:
- اجلس بانتظار التحقيق معك، أنت الآن موقوف.
- أنا عراقي جئت إلى سوريا بصورة قانونية وأجريت المعاملات الأصولية في المطار، فما هو سبب توقيفي وعلى أي جريمة يجري التحقيق معي؟
- ستعرف عندما يأتي المحقق.

إذن فأنني في سجن من سجون المخابرات البعثية! فكرت فيما إذا كان هناك سبب لتوقيفي ولم أتوصل إلى أي شيء. وعبثا حاولت إقناع هذا الرجل المستهتر بإطلاق سبيلي. وقلت له بعد فشل كل محاولاتي في التخلص:
- أنا من رجال المعارضة العراقية، ويعرفني جميع رجال المعارضة العراقية الموجودين هنا في دمشق، كما يعرفني المسؤولون البعثيون العراقيون من أعضاء القيادة القومية والقطرية هنا، وكما يعرفني مسؤولو الحزب الشيوعي السوري. اطلب السماح لي بالاتصال تلفونيا مع أي من هؤلاء والاستفسار عني.
- لا يمكن ذلك.
- أعطني المجال لأتصل أنا تلفونيا مع البعض من هؤلاء، كعضو القيادة القومية البعثي فاضل الأنصاري.
- لا تلفون ولا اتصال. ممنوع، ممنوع.

كان التحدث إلى هذا الفاشستي الصغير عديم الجدوى. أبقاني رهن التوقيف في سجن المطار حتى العاشرة مساءا ثم نقلوني في سيارة مخابرات، معصوب العينين، إلى سجن المخابرات المركزي. وعلمت أنني

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

سلمت هناك باسم مخابرات القوة الجوية! وأي سجن هذا الذي نقلت إليه؟ وجدت في الزنزانة التي أدخلوني إليها، ثلاثة موقوفين من الأكراد العراقيين المنتسبين إلى أوك، وقالوا إنهم اعتقلوا بنفس الطريقة التي اعتقلت بها، وهم في هذه الزنزانة منذ أيام. والزنزانة صممت من قبل الفاشست لغرض التعذيب. فهي مظلمة حتى في النهار المشمس، إذ فيها شباك صغير على ارتفاع مترين أو أعلى تتسلل منه حزمة ضعيفة من الضوء لتضيء سقف الزنزانة وأعالي الجدران. ويبلغ عرضها قرابة 120 سم فيما يبلغ الطول 180 سم. ولها باب حديدي سميك على الممر الطويل الضيق الواقع بين صفين متقابلين من الزنزانات المتشابهة. وافترشت داخل الزنزانة قطعة من الكمبار عتيقة ذات لون رصاصي غامق. وقد كنت أنا الشخص الرابع من قاطني الزنزانة، علما إننا لم نتهم بالقيام بأي نشاط ضد نظام البعث. وتساءلت مع نفسي، وانا في هذه الزنزانة: "كم من الموقوفين يحشرون في زنزانة واحدة في حالة تصاعد الحركات السياسية المعارضة للنظام في سوريا؟". الباب مقفل ليل نهار سوى الدقائق المعدودة التي يفتح فيها الباب مرة في الصبح وأخرى في المساء كي يذهب الموقوفون بصحبة الحارس ووسط إهانات وشتائم بعض الحراس المتواجدين في الممر. وفي القسم العلوي من الباب بويبة أو ثقب يفتح لمناولة الأكل للموقوفين أو لمراقبة وإزعاج الموقوفين من قبل بعض الحراس. وأي أكل تقدمه السلطات!! وزينت الجدران داخل الممر بصفين متقابلين من الصور الكبيرة لرئيس الدولة حافظ الأسد، صورة فوق كل باب لا يقل حجمها عن 50×50 سم، وكأن السلطة تؤكد للموقوفين في الزنزانات بأن الرجل صاحب الصورة هو السجان الأكبر والجلاد الأشرس، ونحن نسجن كل شخص يشك في ولائه لهذا "الرئيس"! ومن المفارقات أن جل الحراس من الأكراد السوريين، الذين سخروا لخدمة جهاز المخابرات في دولة بوليسية عنصرية أبت أن تمنح هؤلاء مجرد حق المواطنة وحيازة الجنسية السورية، وعدم قبول كثرة من أطفالهم في المدارس بسبب عدم حيازتهم الجنسية. لكنهم يستخدمون كحراس في المخابرات إذ يستغل النظام فقرهم كما يستغل ضعفهم وعدم وجود علاقات لهم مع أهالي الموقوفين الذين غالبا ما يكونون من العرب السوريين. وتجدر الإشارة إلى أن الكثيرين من هؤلاء الحراس الأكراد كانوا من سكان القرى الحدودية في كردستان سوريا هجرهم النظام البعثي

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

العنصري عنوة واحل محلهم العرب في عملية تعريب مبرمجة تماما على طريقة الدكتاتور العوجوي في كردستان العراق. وقد سمى البعث السوري ذلك بـ"الحزام الأمني لسوريا"! وقد بقي الكردي هناك مواطنا من الدرجة الثانية أو الثالثة حتى ولو حاز على الجنسية السورية.

وإذ مارس النظام سياسة التمييز القومي ضد الأكراد، فإنه مارس أيضا سياسة التمييز الطائفي ضد العرب غير العلويين. فقد كانت الغالبية الساحقة من ضباط المخابرات، وهي الجهاز القمعي الذي ظل يحكم سوريا عبر عشرات السنين، من منتسبي الطائفة العلوية التي ينتمى إليها الأسد، والتي قاربت 10% أو أقل من سكان سوريا.

أعود إلى المخابرات، رغم أننا لم نلق التعذيب الجسدي في زنزانتنا، لا أنا ولا الثلاثة الآخرون، إلا أن التعذيب كان للآخرين في بعض الزنزانات مستمرا بلا رحمة. وكان الوقت المفضل لممارسته ساعات الليل. لم يكن بالإمكان أن أرى بعيني تعذيب احد، ولكنني كنت اسمع وأراقب. تراءى لي أن اغلب الموقوفين، الذين كانوا عرضة للتعذيب، من حركة الإخوان المسلمين. عندما كان الضرب يسلط بالسوط على احد المعتقلين في زنزانته فإن سائر الزنزانات كانت تسمع أصوات السياط واستغاثة المعتقل المغلوب على أمره. كنت اعد أحيانا الضربات المنهالة بالسوط على احدهم وكنت اسمع استغاثاته اليائسة. وقد حسبت ذات مرة ليلا (135) ضربة، كان الرجل يستغيث بصوت عال واثر كل ضربة: (خاطر الله، خاطر الرسول! ارحموني، ألستم مسلمين..؟). انقطع صوته بعد ذلك رغم استمرار الضربات اربع مرات. أظن انه فقد وعيه ولم يعد يحس بالألم. ومن المؤكد أن الضرب بالسوط كان شكلا من أشكال التعذيب الكثيرة، كما أن الزنزانة كانت مكانا واحدا من أماكن التعذيب. وكان التعذيب الأشد همجية يمارس في غرف خاصة.

خلال الأيام الثلاثة التي بقيت فيها مسجونا لم أتحسس وجود أية مواجهة أو زيارة للمسجونين هناك. ولم اكن معصب العينين داخل الزنزانة، لكنهم عصبوا عيني بقماش اسود مرتب لهذا الغرض عندما أخذوني من الزنزانة إلى غرفة لغرض التحقيق. كانت الأسئلة روتينية بسيطة من قبيل: ما اسمك؟ ما اسم أبيك؟ كم عمرك؟ لماذا جئت إلى سوريا؟ وكان يكرر عمدا

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أسئلته مرارا مع التقديم والتأخير. واضح أن المحقق كان يحاول إرباك المعتقل ومعرفة ما إذا كان يناقض نفسه بنفسه أو يغير رأيه.

لم يكن لدي ما يستحق الإخفاء في الإجابة على أسئلته، ولهذا كان من المستبعد أن ارتبك وأناقض نفسي في إجاباتي المتكررة.

اخبرني زملائي في الزنزانة، عند وصولي اليهم، بأنهم سيخرجون بعد يوم أو يومين، وكانت تلك فرصة جيدة لأطلب منهم إيصال خبر اعتقالي في سجن المخابرات إلى الطالباني لعله يستطيع مساعدتي في الخروج من هذا السجن. وقد أوصلوا الخبر يوم خروجهم دون تأخير وتدخل مشكورا بصورة فورية وطلب اطلاق سراحي بوصفي واحدا من رجال المعارضة العراقية. وقد جاءني شاب وقدم نفسه باسم (عبدالرزاق) كممثل لأوك في سوريا واخبرني أن الطالباني اهتم بأمري واجرى اللازم فورا وأرسلني إليك أيضا. وعلى اثر تدخل الطالباني وزيارة عبدالرزاق إلي جاءني ضابط علوي من المخابرات برتبة مقدم ودُعي أبو الطيب واعتذر لي عما حدث ونقلني من الزنزانة إلى غرفة فيها سرير واحد للنوم، وقال:

- اعذرنا عما حدث وننظر إليك كضيف عندنا وستخرج من هنا بمجرد أن يوقع اللواء أمر الإفراج عنك.
- اقدم لك الشكر، ولكنني لا أعذركم على ما فعلتم معي دون وجه حق.

وقد كذب أبو الطيب فيما قال، إذ ظللت في تلك الليلة أيضا في سجن المخابرات، رغم خروجي من الزنزانة إلى احدى الغرف، وأخذوني في صبيحة اليوم التالي معصوب العينين لجولة جديدة من التحقيق وكرر المحقق ذات الأسئلة السابقة وأضاف إليها بعض الأسئلة الجديدة. وحضر عبدالرزاق بعيد الظهر بصحبة أبو الطيب وأُطلق سراحي. وكرر الضابط الاعتذار ورجا قبول العذر، فرفضت للمرة الثانية قبول العذر لأنني – قلت له – لم ارتكب جرما ولم أخالف قانونا حتى يبرر هذه المعاملة. وهنا علي أن اعترف بأنني كنت معرضا للبقاء في سجن المخابرات لأسابيع أو أشهر لولا مساعدة الطالباني لإنقاذي من براثن نظام بوليسي استبدادي حلت فيه إرادة الدكتاتور محل القوانين والقيم الإنسانية.

رحب الطالباني بي حين زرته في شقته، التي كان قد اشتراها في دمشق قبل سنوات. وقد أيدني في رفضي لقبول الاعتذار الذي قدمه لي ضابط

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

المخابرات أبو الطيب، وتطرقنا إلى بعض الأمور في كردستان والعراق.

كان علي أن أعيش في سوريا لأجل غير محدود لأنني لم أكن قادرا على العودة إلى العراق، كما كنت أفعل في الماضي، ولم أكن راغبا في اللجوء إلى بلد أوروبي، على الأقل في تلك الأيام، وكانت مشكلتي هي المال الضروري للمعيشة، إذ لم يكن هناك من أستطيع الاعتماد عليه في معيشتي. غير أن جيبي حوى على ما كان يكفي لحوالي السنة شريطة الاقتصاد في الصرف. ذهبت برفقة عبدالرزاق إلى مكتب عقاري في حي ركن الدين واستأجرت شقة بمئتين وخمسين دولارا شهريا.

بدأت أتحرك في دمشق بعد أن دبرت أمر سكني. ولم ألبث أن وجدت رفيقي أمجد (يوسف هادي متروك) الذي كنت قد أرسلته قبل الأنفال من كردستان إلى سوريا بمهمة حزبية، فوصل وأقام في دمشق ووجد لنفسه عملا يعتاش عليه. وأقمت الصلات تدريجيا مع العديد من العراقيين المقيمين في الشام، وخصوصا مع اليساريين والشيوعيين السابقين. ولم أحاول إقامة أي صلة مع فخري كريم، الذي كان من أبرز الشيوعيين العراقيين هناك وكان متنفذا وعلى علاقات جيدة مع نظام البعث ومع جهاز المخابرات بوجه خاص. وقد توثقت علاقاتي بالأخص مع الشيوعيين السابقين طالب الداوود من الفلوجة وجمعة الحلفي من العمارة، ومع الديمقراطي اليساري أبو أيوب (جبار جعفر ناصر) الذي كان سكرتيرا لاتحاد الديمقراطيين العراقيين وكان يصدر جريدة (الديمقراطي).. ولم أقم أية علاقة مع الشيوعيين السوريين بجناحيهم المتحالفين مع البعث الحاكم، لكنني كنت على صلة مع الشيوعي الشركسي مراد يوسف الذي كان يقود كتلة شيوعية صغيرة منشقة على الحزب الشيوعي. وأقمت لونا من العلاقات مع بعض البعثيين العراقيين المنشقين على صدام حسين والهاربين إلى سوريا، وبالأخص مع الدكتور أحمد الموسوي، الذي كان يختلف عن البعثيين من حيث سلوكه الشخصي، ومع فاضل الأنصاري عضو القيادة القومية للبعث هناك.

إن نظام البعث الأسدي في سوريا لم يختلف من حيث الجوهر عن نظام البعث العفلقي – التكريتي في العراق. فالنظامان جاءا لإشاعة الإرهاب والاستبداد والفساد الإداري والانحطاط الخلقي وسفك الدماء ...الخ. وهما

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

عرقلا كل تطور تقدمي وأرجعا البلدين خطوات كبيرة إلى الوراء. فالبعث العراقي قام في شباط 1963 بانقلاب عسكري دموي للانتقام من ثورة 14 تموز 1958 وقتل زعيم تلك الثورة عبدالكريم قاسم. وما لم يكمل تحقيقه من جرائم في ذلك الانقلاب – بسبب قصر عمر نظامه – أكمله في الانقلاب الثاني عام 1968، أي طوال 35 سنة من حكمه الدموي الأسود. والبعث السوري هو الآخر قام بانقلاب مشابه في آذار عام 1963، فاسقط النظام الديمقراطي الليبرالي الذي جاء كنتيجة لنضالات وتضحيات الشعب السوري عبر عشرات السنين ضد الاستعمار الفرنسي ومن ثم ضد دكتاتورية أديب الشيشكلي الذي أسقطته الانتفاضة الشعبية في 1954.

إن تأميم قناة السويس من قبل عبدالناصر عام 1956 والتصدي للعدوان الثلاثي البريطاني – الفرنسي – الإسرائيلي عام 1956، خلق نهوضا ثوريا عارما شاملا كان من شأنه أن يدفع البلدان العربية إلى التطور العلمي – التكنيكي، في طريق التقدم والديمقراطية، بوتائر متسارعة، لولا لجوء البعث الفاشي إلى الانقلابات العسكرية الرجعية الدموية في اثنين من اهم البلدان العربية في تلك الحقبة – العراق وسوريا. فالبعث العفلقي – الأسدي كان نكبة كبرى حلت بالوطن العربي، خصوصا في المشرق العربي.

من سخرية القدر أن الحزبين الشيوعيين السوري والعراقي، اللذين كانا ذات يوم في طليعة المنظمات السياسية التقدمية في الشرق الأوسط، قد قبلا منذ أوائل السبعينيات بزعامة خالد بكداش في سوريا وعزيز محمد في العراق التبعية المذلة وراء النظام البعثي الفاشي ففقدا استقلاليتهما السياسية ووقعا من الناحية العملية على عقد باسم الجبهة الوطنية أباح لحزب البعث أن يحتكر السلطة والساحة السياسية لنفسه وحده وجعلا من الأحزاب الأخرى غير البعثية مجرد أحزاب كارتونية يزين البعث بها مجالسه. وإذا كان صدام قد حطم بنفسه التحالف المنعقد مع الشيوعيين قبل أن يكمل عقدا من السنين، فإن الشيوعيين السوريين قد اتخذوا من تحالفهم الذيلي المشين مع البعث زواجا كاثوليكيا طوال عشرات السنين المنصرمة، وهم لايزالون متشبثين به تشبث بخلاء جاحظ بما ملكوا من ذهب.

ذكرت ما ورد هنا وانا بصدد تسجيل انطباعاتي حول الحزب الشيوعي السوري بجناحيه المنقسمين على بعضهما لأسباب شخصية بعيدة عن

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

المبادئ ومصالح الشعب والوطن. ورغم الانقسام الحاد في حزبين أو شركتين صغيرتين لا هدف لهما سوى الارتزاق، فإن القاسم المشترك بينهما ظل الرضوخ المذل لنظام البعث.

في حقبة من تاريخه كان الحزب الشيوعي السوري، بزعامة خالد بكداش نفسه، فصيلة سياسية ثورية مناضلة مشاركة بقسط جيد في النضال الوطني التحرري ضد الاستعمار الفرنسي وأعوانه السوريين. غير أن كل شيء قد تغير تدريجيا في العقدين السابع والثامن من القرن العشرين.. فلا الحزب الشيوعي السوري ظل ذلك الحزب المناضل الذي كانه في ماضيه ولا بقي بكداش ذلك المناضل الثوري الشجاع السابق – تماما كما جرى في العراق. إن ما عقده بكداش ونائبه يوسف فيصل من اتفاق مع سلطة البعث في سوريا لم يكن تحالفا جبهويا أبدا، بل كان استسلاما مشينا لإرادة الدكتاتور حافظ الأسد. إن مكسب هؤلاء الشيوعيين من "جبهتهم" مع البعث لم يكن سياسيا متعلقا بالمصالح الطبقية والوطنية ولا لونا من الشراكة الحقيقية في السلطة وفي صنع القرار، بل كان مجرد الحصول على مبالغ تافهة من المال لتأمين معيشة "الزعماء" وعدد من الكوادر المزنجرة (الصدئة) الفاقدة للروح الثورية، ولمنصب وزاري شكلي قبض السيد الوزير راتبه الشهري كاملا غير منقوص ولكنه لم يملك شيئا من صلاحيات الوزير ولم يسمع رأيه يوما بصدد الأمور السياسية العامة. وقد ضمن القادة الشيوعيون عن طريق هذا التحالف الذيلي الصيانة والسلامة لأنفسهم وليس لشيوعيين مخالفين في الرأي. فالجميع يعرفون ما حدث لعضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوري رياض الترك، الذي كان له رأي مغاير في الأوضاع.

ولم يفكر بكداش بمصالح الحزب، شأنه شأن مساعده في القيادة يوسف فيصل، بل لم يختلفا أصلا على القضايا السياسية الحيوية، فالتنافس على المناصب والامتيازات التافهة هو العامل الأول الذي حملهما على الانشقاق. والدليل على ذلك هو انهما، بعد انشقاقهما، تمسكا بنفس النهج الذيلي إزاء النظام البعثي الدكتاتوري دونما اكتراث للعزلة الخانقة التي أوقعا فيها الحركة الشيوعية. وبديهي أن ذلك راق لنظام البعث الذي تعامل مع الطرفين على قدر المساواة ما داما لم يختلفا على النهج الذيلي الاستسلامي.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

فالذين كان للنظام البعثي موقف مغاير منهم هم أولئك الشيوعيون الذين رفضوا هذه الذيلية من أمثال رياض الترك الذي دفع غاليا ثمن الحفاظ على كرامته السياسية إذ قضى ربع قرن في سجن الأسد، وهو لم يرفع السلاح ضد النظام، بل كان مجرد معارض سياسي أراد منه الحكام أن يكف عن المعارضة ويقتدي ببكداش وفيصل!

يتراءى لي أن الخلفية الفكرية لهذا النهج الذيلي البائس لدى قيادة الحزب الشيوعي السوري إنما كان في النزعة القومية العربية التي تنامت في العالم العربي وحتى في صفوف الأحزاب الشيوعية على اثر بروز الحركة القومية الناصرية بعد تأميم قناة السويس والتصدي للعدوان الثلاثي في 1956. ورغم أن بكداش كان كرديا سوريا، فإنه لم يتحصن إزاء الفكر القومي العربي السائد في بلده، فوضع عروبة سوريا فوق الحقوق والحريات الديمقراطية للشعب السوري وفوق مطالب العمال والفلاحين السوريين. فالنزعة القومية العربية كانت تخلق الأرضية السياسية للون من تقارب الشيوعيين مع الأنظمة القومية العربية الدكتاتورية المعادية للديمقراطية والمتاجرة بقضية فلسطين دون أي مناصرة حقيقية وجدية للشعب الفلسطيني. وكما راهن عزيز محمد ومؤيدوه في قيادة الحزب الشيوعي العراقي على أن يصبح صدام حسين كاسترو العراق وينقل العراق إلى الاشتراكية، فإن بكداش وفيصل ومن كان معهما راهنوا أيضا على أن يحقق حافظ الأسد أهداف المجتمع السوري السياسية والاجتماعية، فيما تنكر بكداش، تحت تأثير النزعة القومية العربية وخلافا لكل القيم الأممية والديمقراطية، لأبسط الحقوق القومية الإدارية والثقافية لبني قومه في سوريا – الشعب الكردي السوري – كما تنكر لحقوق جميع الأقليات في سوريا.

أرجو المعذرة عن هذا الإسهاب في الحديث. فقد كنت شيوعيا مهتما بتطورات الحركة الشيوعية في سوريا شأن اهتمامي بأوضاع البعث هناك، حين قدر لي أن أعيش فيها لأكثر من سنة. ولا املك في ذاكرتي، وانا أدون مذكراتي، أهم من هذه المآسي الجديرة بالتسجيل. ولا انظر إلى هذه المآسي بمعزل عن السياسة السوفيتية التي لم يبق فيها شيء من الأممية إلا القشور.. كما لا أنظر إليها بمعزل عن تخلف المجتمع السوري، هذا التخلف

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الذي وفر الأرضية لتمليك زعامة الدولة في نظام جمهوري بسند الطابو وتوريثها كما حدث في سوريا الأسد!! إثر موت الأسد الأب اجتمع البرلمان المزيف خلال ساعات ليغير الدستور السوري وينصب الأسد الابن رئيسا للجمهورية السورية دون أي اعتبار لافتقاره إلى المؤهلات! ولم يختلف زعيم الحزب الشيوعي السوري خالد بكداش عن حافظ الأسد، إذ تشبث بمنصب السكرتير العام رغم فقدانه لقواه الجسدية وعدم قدرته على الوقوف دون الإمساك به من قبل شخصين! وعملا بطريقة التوريث نصبت زوجته وصال سكرتيرا بعد وفاته! وكانت هذه المرة الأولى في حياتي أرى فيها انتقال زعامة حزب شيوعي بالوراثة!

وكان الحزب الشيوعي اللبناني مقادا من بكداش لسنوات طويلة، رغم أن لبنان كان دولة أخرى مستقلة ولها خصائصها السياسية والاجتماعية والتاريخية. وفي عهد الوحدة السورية – المصرية اعتقل الزعيم الشيوعي اللبناني فرج الله الحلو في دمشق وقتل تحت التعذيب وأذيبت جثته في التيزاب. وبعد ذلك بفترة قرر الشيوعيون اللبنانيون الانفصال عن الحزب الشيوعي السوري وتنظيم أنفسهم في حزب مستقل. فتصدى لهم بكداش بكل ما أوتي من قوة وظل يكن لهم الحقد ويحاربهم بأشكال شتى طوال الأعوام.

إن الحزب السياسي يتشكل ليكون لنفسه برنامجا وليسعى للوصول إلى السلطة، سواء عن طريق العنف والعمل المسلح كما حدث مرارا في الماضي أو عن طريق صناديق الانتخاب كما حدث ويحدث في بعض البلدان. لكن الحزب الشيوعي السوري بكلا جناحيه، البكداشي والفيصلي، شطب من برنامجه قضية السلطة شطبا كليا منذ عشرات السنين. فالبعث الأسدي ذو العقلية الفاشية يمارس الحكم ويحقق ما يريدونه! فلا داعي إذن لأن يتعبوا انفسهم لغرض الوصول إلى السلطة! ولا يمكن – حسب زعمهم – إيجاد وضع افضل مما هو الآن في سوريا، ولا الإتيان بحاكم احسن من بشار الأسد!

وحتى التطورات الصاخبة المتسارعة في عالم القرن الواحد والعشرين لم تثر انتباه الشيوعيين السوريين في كلا الجناحين البكداشي والفيصلي، فالأوضاع في سوريا الأسد هادئة، والحمد لله، وليس هناك أي داع لإعادة النظر في السياسة التي رسموها! وهم في غنى عن المشاكل التي قد تنجم

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

عن أي تغيير في سياستهم!

ذلكم كان حال الشيوعيين السوريين حين كنت مقيما في سوريا، ورغم أن عالمنا هذا مليء بالمفاجآت، فأنني لا أتوقع حدوث أي مفاجأة لوضع هؤلاء لأنهم راضون بوضعهم ولا يطمحون إلى اكثر من ذلك! أما أن تحدث مفاجآت غير متوقعة من قبيل انقلاب عسكري يطيح بسلطان آل الأسد أو انتفاضة شعبية تغير الوضع، فإن ذلك ما لا يمكن توقعه من لدن الشيوعيين في ظروف سوريا الهادئة.

أنني لم أكرهكم ولا اضمر لكم السوء أيها الرفاق الشيوعيون، ولكن اشفق عليكم وأرثى لحالكم المأساوي، إنكم ارتكبتم خطأ تاريخيا جسيما عندما ربطتم مصيركم بمصير حزب قومي فاشي كرهكم وكره كل ما هو خير في سوريا. وتقول تجارب التاريخ أنكم ستدفعون غاليا، فوق ما دفعتم حتى الآن، ثمن أخطائكم الجسيمة ولن تستطيعوا العودة أقوياء إلى الميدان السياسي في بلدكم، بل تظلون في الهوامش السفلية لسبب واضح – لأنكم سرتم في ذيل نظام دكتاتوري إرهابي طوال عشرات السنين.

واذا رغبتم في العودة مكرمين إلى ساحة النضال السياسي فإن عليكم أن تبعدوا عن صفوفكم جميع الكوادر المتربين بالعقلية البكداشية – الفيصلية وان تستوعبوا روح العصر الجديد، عصر العولمة ومستجداته، وأن تبدأوا بداية جديدة فكريا وتنظيميا وسياسيا.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

لاجئا سياسيا في السويد

نفذت نقودي في دمشق ولم يكن هناك مصدر للتمويل، رغم أن مصروفاتي كانت قليلة، وقد طلبت من جلال الطالباني فقدم لي – عن طريق د. كمال خوشناو – مبلغ ألف دولار. وجدت ألا مناص من السفر إلى السويد لطلب اللجوء، اتصلت بالقنصل السوفيتي في الشام وطلبت منه الفيزا، لفت انتباهه أنني كنت أتكلم معه باللغة الروسية، فسألني من أين تعلمت الروسية، أجبته أنني درست في المدرسة الحزبية العليا بموسكو وأوضحت له أنني كنت من قادة الحزب الشيوعي العراقي وتركت صفوفه بسبب الخلافات الفكرية – السياسية. فتعاطف معي وزودني فورا بالفيزا على جوازي المزور ودخلنا في أحاديث مختلفة ودعاني إلى بيته في إحدى الأمسيات لتناول الطعام والفودكا، وقد منح الفيزا لأخت زوجتي الشهيدة هناء ياسين ولآخرين من العراقيين الشيوعيين دون أن يكترث للخلافات الحزبية، وفي الوداع قال لي:

- انك تذهب ولن تعود على ما أظن.
- سأعود إلى العراق بالتأكيد، قد اخرج من الباب لأعود من الشباك.

وصلت إلى موسكو وأقمت في ضيافة عدنان، ابن رفيقي عامل النسيج البغدادي القديم هادي متروك، الذي كان من المنتظر أن يدبر لي السفر إلى السويد، بقيت أياما في موسكو ووجدت الجو مغايرا تماما عما كان في سني إقامتي هناك (61- 1963)، كان غورباتشوف يحاول الإصلاح ولكن بوسائل غير قادرة على تحقيق الإصلاح، لأن الجو الحزبي – السياسي العام كان يسير في منحى العقلية الستالينية المسؤولة عن إفساد كل شيء، وكانت المافيات سائدة وتمارس الكثير من نشاطاتها علنا، فيما كانت الرأسمالية قد تنامت وكبرت لدرجة خيالية في ظل الاشتراكية التي نخرها الفساد. بكلمة: كان النظام الاشتراكي يعيش فترة الاحتضار والتفسخ، بعكس ما كان في عشرينيات القرن العشرين، وقد حذرني الرفاق العراقيون من الخروج ليلا والمشي على الأقدام في الشوارع خوفا من المافيات التي كانت تتداخل بخيوط متشابكة مع جهاز الدولة والحزب الشيوعي. وكنت أتنقل

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

بالتكسيات وكنت أتحدث إلى سواقها عن الوضع. إجابة على سؤال عما إذا كان بمستطاع غورباتشوف أن يصلح الوضع ويحل المشاكل العويصة قال سائق تكسي وهو من الأرمن قوميا:

- يرغب غورباتشوف مخلصا في أن يصلح الوضع ويُنجح البيروسترويكا، ولكنه لن يستطيع ذلك.
- ولماذا لا يستطيع إذا كان يريد حقا الإصلاح؟
- لأنه احد المسؤولين الأساسيين عن تدهور الوضع إلى هذا المستوى من الفساد، وهو يخشى من اتخاذ الإجراءات ضد الذين كان معهم في دهورة الوضع، لأنهم يقولون له: "ألم تكن معنا في كل الأعمال السيئة؟ ألم تكن شريكا لنا؟ وكيف تبيح لنفسك أن تحاسب وتعاقب الآخرين على جرم كنت شريكا لهم في ارتكابه؟".

أحسست أن في كلام هذا الإنسان البسيط الكثير من الحقائق، لكن عواطفي كانت مع الاشتراكية ومع مساعي غورباتشوف للإصلاح. وقد خسر غورباتشوف الرهان بعد أن تظافرت جهود كلا الجناحين للقوى الستالينية المتضررة من البيروسترويكا، الجناح الذي كان باقيا في السلطة وحالما باستعادة النظام الستاليني، الذي زاده بريجنيف سوءا وتعقيدا، والجناح اليلسني الذي هجر الحزب الشيوعي أو نحي منه وانتقل إلى العمل العدائي المكشوف ضد النظام الاشتراكي، وقد نفذ الجناح الأول محاولة الانقلاب العسكري لإزاحة غورباتشوف بهدف استعادة الوضع الستاليني، وتلقف الجناح الثاني الكرة ليسجل النصر باسمه، وبزعم الدفاع عن الديمقراطية، وكان أول إجراء ديمقراطي لبوريس يلسن هو تحريم الحزب الشيوعي.

* * *

حسب الاتفاق بين رفيق لنا وبين ضابط مسؤول في مطار موسكو الدولي، ركبنا الطائرة السوفيتية – طبعا لقاء رشوة دفعت مقدما – لنهبط في مطار ستوكهولم الدولي، وقد تبين لي أن مستوى الفساد والرشاوى والسرقات في الدولة الاشتراكية يضاهي ما هو موجود في دمشق وطهران وأنقرة، وان الفساد في موسكو بلغ حدا قياسيا. وقد سلمت نفسي في المطار إلى السلطات السويدية ونقلت إلى احد معسكرات اللاجئين، ولم يلبث أن بدأ

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

التحقيق الأولي، فأتت عجوز حاملة جواز سفري المزور الذي كانت المخابرات السورية تطبعه وتبيعه كمتاجرة للعراقيين هناك، وقالت:

- هذا جوازك وهو نظامي وصادر في بغداد
- وماذا تقصدين من ذلك؟
- اقصد انك لست محظورا في العراق بدليل انك حصلت منذ وقت قريب على هذا الجواز من السلطات، ومعنى ذلك أن في إمكانك أن ترجع إلى بغداد وتعيش في العراق.
- انك مخطئة يا سيدتي، أنا هارب من النظام العراقي منذ اكثر من عشرة أعوام، وتأكدي بأن هذا الجواز مطبوع في سوريا واشتريته هناك.

تركتني العجوز بين الشك واليقين، وبت في المعسكر ليلتين، وقد خابرت من هناك كلا من ابني سلام وابن أخي المقيم في مدينة أوبسالا أنور نجم الدين، زارني الاثنان والح أنور على مرافقته لأقيم في بيته، ويجدر بالذكر أن أنورا قد ساعدني قبلئذ بمبلغ مناسب لكي أسافر من سوريا إلى السويد، ونقلني من المعسكر إلى بيته لأبقى هناك فترة غير قصيرة، وبعده أخذني عمر عبدالرحمن إلى بيته في ستوكهولم لأعيش فترة، قبل أن أحصل على حق اللجوء. كانت فترة انتظاري للحصول على جواب من دائرة الهجرة السويدية فترة مزعجة بالنسبة لي، رغم أنها لم تصل إلى أربعة اشهر. وقد قضيت أياما في بيت كوران (عبدالرحمن) قرداغي وزوجته شكرية، وكان له فيلا في ضواحي ستوكهولم حيث كنت اذهب إلى الغابة المجاورة لقطف الفطر. وفي المرة الأولى جلبت الفطر وأكلته وحدي إذ لم يتجرأ الزوجان على مشاركتي خشية التسمم. وفي المرات التالية أصبحا مشاركين فعالين في أكله، واستمتعت في هذا البيت، ولأول مرة في حياتي، بالتفرج على حيوانات الأيل الضخمة ذات القرون المتفرعة، التي كانت تأتي إلى جوار البيوت لأكل بعض ما كانوا يلقونه هناك. وقد سألت كوران عما إذا كانت هذه الحيوانات تعيش في أمان، فأجاب أن هناك قلة من الناس الذين يحاولون التربص بها وصيدها، وهم في أغلب الأحيان من الشرقيين الذين حصلوا على اللجوء هناك، سألته عن العقوبة القانونية لمن يقتل واحدا منها فأجاب: السجن لمدة سنتين! وتذكرت هناك وضع الحيوانات البرية المسكينة في بلدنا، وبالأخص النعاج التي انقرضت في معظم أنحاء كردستان والماعز

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

التي بقي القليل منها محتمية بالجبال المستعصية والأرانب البرية وطيور القبج وغيرها، وكذلك الأسماك النهرية التي لم يكن الأكراد من أكلتها حتى نهاية العقد السادس من القرن العشرين. ثم اتسع صيدها عن طريق تفجير مادة الـ «تي ان تي» في الأحواض والأنهر، الأمر الذي كان يبيد الأسماك صغيرها وكبيرها في مكان الانفجار. ومما زاد الطين بلة كان الجفاف العنيف، الذي نجم عن تغير المناخ عالميا وجفف الكثير من الأنهار الصغيرة والوسطية.

ضابطة التحقيق معي كانت فتاة سويدية جميلة، والمترجم كان كرديا يمت إلي بصلة القرابة ويدعى عمر باجي رابعة، وقد تكلمت الحقائق وبصراحة عن تاريخي ونضالي وهروبي من العراق إلى إيران ثم إلى سوريا وإقامتي سنة كاملة في دمشق، سألتني الضابطة:

- انك تقول أن السلطات السورية لم تضايقك، ومعنى ذلك انك قادر على البقاء في دمشق، فلماذا قدمت إلى السويد، ولماذا لا تعود إلى سوريا؟
- أنني اضطررت على مغادرة سوريا وطلب اللجوء هنا لسببين: أولهما أنني لا املك من المال ما أعتاش عليه ولم يكن هناك مجال للحصول على المال بصورة مشروعة، وثانيهما أنني كنت عرضة للاغتيال من لدن المخابرات العراقية ولم يكن بمقدوري توفير الحماية لنفسي.

كنت صادقا فيما ذكرت، وبعد أقل من أربعة اشهر جاءني الجواب بقبولي لاجئا سياسيا، وبعد ذلك بأسابيع قليلة منحت جواز سفر سويدي خاص باللاجئين السياسيين، وكان هذا الجواز يوفر لي حق السفر إلى 18 دولة أوروبية دون طلب الفيزا. وتجب الإشارة إلى أن صديقي الكردي السوري الدكتور عمر شيخ موس، الأستاذ في جامعة ستوكهولم، قد ساعدني عن طريق صلاته الطيبة مع بعض مسؤولي الحزب الاشتراكي الديمقراطي الحاكم في السويد آنئذ، لتسريع الحصول على الجواز، كما ساعدني في استحصال مبلغ 15 الف كرون لطبع كتاب (ويرانه – الخرابة) الذي كنت قد كتبته هناك وطبعته.

أقمت في السويد أكثر بقليل من سنة، لم يكن لي خلالها السكن الخاص بي إلا في الشهرين أو الثلاثة الأخيرة منها، حيث استأجرت بلدية بلدة انشوبنك شقة لي، وفضلت هذه البلدة لقربها من مسكن كوران القرداغي،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وبنفس الوقت من ستوكهولم العاصمة ولكونها مدينة ريفية بعيدة عن ضوضاء المدن الكبرى.

أول عمل قمت به خلال إقامتي في السويد كان – كما أسبقت – كتابة ذكرياتي كشاهد عيان عن إحداث الأنفال في كردستان العراق، وقد أنجزت الكتابة خلال ثلاثة أسابيع ودون أن يتوفر لي مكان مناسب للجلوس والكتابة. وتناولت في هذا الكتيب الوضع النفسي لفلاحي المنطقة الكردية التي كنت أعيش فيها وقلقهم ومنحى احاديثهم وبعض ما كان يجري في حياتهم اليومية من قصف وانتهاك. وتطرقت إلى جانب من العمليات العسكرية التي كان يقوم بها النظام البعثي والتي نشرت الخراب الشامل في كردستان العراق. وقد نفذت عمليات الإبادة وفق التخطيط والتصميم من قبل زمرة صدام التكريتي، وتزامنت فيها أعمال هدم القرى والقصبات وبعض المدن باستخدام المواد المتفجرة والبلدوزرات وأعمال القصف الكيمياوي الواسعة للمدنيين المسالمين في شتى أنحاء كردستان العراق، إلى أعمال التهجير وإرسال عشرات الألوف من الناس الأبرياء شبابا وشيوخا وأطفالا ونساءا إلى المعسكرات البعثية وقتل معظمهم ودفنهم في المقابر الجماعية. ورغم أن الحركة التحررية الكردية كانت مصابة بنكسة جديدة عميقة، أعمق من أي نكسة سابقة، فأنني أكدت في هذا الكتيب بأن ما جرى لم يكن أكثر من فصل جديد وستعقبها فصول جديدة وسوف تستعيد الحركة التحررية الكردية عافيتها وتحقق النصر المبين على أعدائها وسوف تنال الجماهير في كردستان ما تصبو إليه من طموحات وأهداف مشروعة. وفي معرض الحديث عن كتابة وطبع (ويرانه) أرى لزاما علي أن اعترف بخطأي تجاه الأخوة الذين طبعوه لي، إذ لم اقدم لهم سوى جزء من ثمن الطبع. وذريعتي كانت انهم طبعوه بجهاز الاستنساخ وليس بمطبعة اعتيادية، أكرر اعتذاري لهم ويسرني أن أسدد ما علي من ديون اليهم.

لقد كانت السويد بالنسبة إلي أشبه بمعتقل، ولم استطع التكيف مع أجواء ذلك البلد الأوروبي المتطور، كما لم استطع تعلم شيء من اللغة السويدية. كنت أعيش كرجل نفي إلى بلد لا يعرف لغة أهلها ولا يجد فيها ما يبعث على السرور والانشراح. وقد حملني وضعي النفسي السيء على أن أنظم قصيدة لأعبر بها عن مشاعري الحقيقية – كما كانت عادتي في الأوقات المشابهة.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

كنت في السويد عندما نقلت وكالات الأنباء نبأ احتلال الكويت من قبل صدام التكريتي، بعد أن وقعت الدولتان، العراقية والإيرانية، الهدنة وأمكن للنظام العراقي أن يراجع الوضع الذي وصل إليه وأن يشخص – حسب تصور صدام – ما هو ضروري لمعالجة المشاكل ولتوطيد أركان النظام. من المؤكد أن تحريضات الدول الغربية، وبالأخص دولة الولايات المتحدة الأميركية، قد لعبت دورها في حمل دكتاتور العراق على الحروب والصراعات الدموية بوجه عام. غير أنني لا استطيع الجزم بأن تلك الدول قد كانت بشكل ملموس وراء غزو الكويت، بعكس ما كان حين غزو إيران في 1980. وقد تنبأت فور غزو الكويت بأن هذه الحماقة هي بداية النهاية بالنسبة إلى نظام صدام، وانشر هنا نص الرسالة المفتوحة التي نشرتها بُعيد احتلال الكويت وأرسلت نسخة منها إلى سفارة العراق هناك.

رسالة من سياسي عراقي معارض إلى صدام حسين

كنت أود أن تطّلع، يا سيادة الرئيس، على رسالتي هذه وهي تنشر في احدى جرائد بغداد، لكن ذلك من المستحيلات في هذه الظروف التي أوصلت إليها العراق، ولا اكتم عليك اني لست حريصا على مصيرك شخصيا، إنما يدفعني للكتابة الخوف من المخاطر الجسيمة التي تواجه شعبنا اليوم، عقب غزوك للكويت، حيث أصبح اسمك واسم العراق يرد على أفواه الناس وفي مختلف أجهزة الإعلام في كل مكان، وحيث تحشدت القوات البحرية والبرية والجوية الإمبريالية في منطقة الخليج وبات الصدام قاب قوسين. فيما فرض حصار اقتصادي دولي خانق على بلادنا وازدادت صعوبات العيش أضعافا لمواطنينا، ويعيش الجميع، بدءا منك شخصيا، في قلق عميق ...الخ.

يبدو انك تعلمت الكثير من فنون الاغتيالات، وحبك الدسائس، ولكن الوقائع أكدت، أيها الرئيس، بأنك لم تتقن قط فن العمل السياسي، ولم تبن حساباتك السياسية على أسس سليمة ولا من منطلق الحرص على مصلحة الشعب، لقد أخطأت في حساباتك عندما حاربت بكل السبل جميع فصائل المعارضة العراقية، بما فيها

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

المتحالفة معك، بل حتى زملائك البعثيين المشكوك في ولائهم لك شخصيا، بهدف تركيز السلطة كلها في يديك، وأخطأت حين صادقت الحكام الرجعيين العرب وغيرهم، وأخطأت حين أثرت الحرب على الجارة إيران، وأخطأت حين انتهجت سياسة الإبادة الجماعية وإشاعة الموت والدمار في كردستان العراق وحين برز اسمك في العالم كله كأول حاكم يستخدم الأسلحة الكيمياوية ضد مواطنيه.. وأنت تعلم جيدا بأن نظامك لم يكن قادرا على الصمود بعد كل هذه الأخطاء، خصوصا بعد قادسيتك، لولا الدعم السخي بالمال والسلاح من لدن الغرب والشرق معا، ومن السعودية والكويت وسائر دول الخليج، بل تعلم بأنك لم تكن لتجد حزب البعث العفلقي وهو يعود إلى الحكم عام 1968 لولا نشاط المخابرات الإنكليزية – الأميركية وعملائها أمثال عبدالرزاق النايف، ولم تكن لتصل إلى كرسي الرئاسة في العراق عام 1979 لولا خوف بعض الأوساط الغربية من عواقب سقوط الشاه ولولا رغبتها في ملء الفراغ الناشئ بحاكم مثلك.

انك لم تتعظ، أيها الرئيس، بأخطاء الماضي ولم تكترث لما سببته من ويلات ومآس لشعبنا، فبدلا من إعادة النظر في أخطائك ومن التوجه إلى إعادة بناء ما خربته بقادسيتك أقدمت على مغامرة جديدة غير مبررة أبدا، مغترا ببقائك في الحكم بعد سنوات القادسية وبحيازتك لقوة عسكرية كبيرة، مستهترا بكل الأعراف والقوانين الدولية.

لماذا غزو الكويت؟ لماذا توريط العراق في هذه المشكلة الجديدة؟

بالأمس كنت تبرر حربك العدوانية ضد إيران بأنها دفاع عن البوابة الشرقية للوطن العربي ضد الأطماع التوسعية للفرس المجوس ورفض معاهدة جائرة فرضت عليك من قبل الشاه عام 1975. واليوم اعترفت بكامل بنود تلك المعاهدة وتنازلت مرة أخرى عن كل ما تنازلت عنه للشاه سابقا ونفذت قادسيتك الجديدة بحق بلد عربي مجاور ومستقل وغير قادر على أن يشكل أي تهديد لنظامك.. أهذا هو الدفاع عن البوابة الشرقية أم هو قانون الغاب،

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

الذي يبيح للقوي ابتلاع الضعيف؟ هل يمكن إيجاد أي مبرر منطقي لغزو بلد عربي مستقل عضو في الجامعة العربية وفي الأمم المتحدة؟ هل كان الغزو مكافأة لحكام الكويت الذين قدموا لك المليارات في الحرب وتعرضوا بسبب ذلك لصواريخ إيرانية عديدة؟

يقينا انك لا تجرؤ على الاعتراف بأنك غزوت الكويت بدافع من أطماعك التوسعية ورغبتك في إقامة إمبراطورية عربية على طريقة بسمارك، ولا تدرك بأن العالم اليوم هو غيره في زمن بسمارك وان الشعوب العربية اليوم ليست في حاجة إلى بسمارك تكريتي ولا إلى هتلر عربي يوغل في الدكتاتورية والفاشية والعدوان، إنما هي في حاجة إلى الديمقراطية والاستقرار والإعمار.

لو جرى ضم الكويت إلى العراق في ظل نظامين ديمقراطيين في كلا القطرين ونتيجة استفتاء شعبي حر معبر عن الإرادة الحقيقية للشعب، لكنت أول من يبارك ويصفق، وأما الغزو على هذه الطريقة التي لجأت إليها فإنه مرفوض ومستنكر، وأظنك مخطئا إذا زعمت بأن هذا الغزو سينقذك من مشاكلك الاقتصادية والسياسية، بل أظنك غير قادر على الخروج من المأزق الجديد الذي أوقعت نفسك فيه، لا بالضجيج الإعلامي ولا بأخذ الرهائن من الأجانب ...الخ، وستطرد من الكويت كما طردت من إيران، ولكن بعد أن يدفع الشعب العراقي من جديد ضريبة حماقتك هذه كما دفع ضريبة حماقاتك السابقة.

بغزوك للكويت، يا صدام، قدمت خدمة كبرى لأعداء الأمة العربية عامة، وأعداء العراق خاصة، إذ أعطيت الغرب الإمبريالي ذريعة لتعيد أساطيلها وجيوشها ونفوذها السياسي إلى المنطقة بشكل واسع وعزلت العراق عن العالم ووضعت شعبه إزاء أخطار جسيمة وزدت الشقاق في الصف العربي وأثرت العداء بين العرب انفسهم من مؤيدين لك – بسبب عدم إدراكهم لحقيقة الأمور – ومعارضين للغزو، وبالتالي عززت مكانة الملوك والأمراء الرجعيين العرب في الكويت وفي كل الخليج، حيث لم ولن ترضى بك جماهيرها كبديل لهؤلاء الحكام، والأخطر من كل ذلك هو أن شعبنا قد يتعرض، جراء مغامرتك هذه، لأكبر المخاطر.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

لو حكم العراق رجل عاقل ومسالم ولو انفق تلك المليارات من عوائد النفط، في السنين الماضية، على الإعمار والتصنيع، وليس على الحرب والتدمير ضد إيران وضد كردستان العراق، لجعله بلدا متطورا يسوده الرفاه والاستقرار، لكن هذه المليارات لم تكن، خلال سني حكمك، إلا سببا لجلب الويلات والمآسي، ففي السنوات الإحدى عشر من تسلمك منصب الرئاسة (1979-1990) قضى العراقيون ثماني سنوات في الحرب مع إيران وفي حرب الإبادة العنصرية ضد الشعب الكردي في العراق، فضلا عن استمرار القمع البوليسي ضد المعارضين بشكل وضع نظامك في مقدمة جميع دول العالم من حيث الإرهاب والدوس على مبادئ العدل والقانون وحقوق الإنسان. وقبل أن تنقضي سنتان على إيقاف الحرب مع إيران، وقبل أن يعود أسراها إلى بيوتهم، وضعت العراق من جديد أمام خطر حرب جديدة.

انك لعبت بالنار يا صدام، وسوف لن تنعم ببترول الكويت ولن تصبح حاكم الخليج كله، وليس هناك أي مستقبل للنظام الذي فرضته بقوة النار والحديد، لا في البلاد العربية ولا في العراق نفسه، إن مغامرتك في الكويت ستنتهي إلى نفس المصير الذي انتهت إليه مغامرتك ضد إيران، وقد تفقد منصبك ورأسك أيضا جراء هذه المغامرة. ولا يغرنك ما تسمعه اليوم من التصفيق لك لدى البعض، فهؤلاء صفقوا أيضا لعبد الكريم قاسم ولعبد السلام عارف، وسيصفقون غدا لمن يطيح بك ويلعنك. فالشيء الذي يتوق له الشعب العراقي، بجميع قومياته وأديانه وطوائفه، هو عراق بلا دكتاتورية وفاشية وعنصرية، عراق ينعم بالديمقراطية والاستقرار والرفاه. ومثل هذا العراق لن يوجد ما دمت حاكما عليه يا أبا عدي، ورغم أننا نرفض أي غزو أو احتلال اجنبي للعراق واي عدوان مسلح على شعبنا، فإننا نرفضك أيضا ونرى في وجود حاكم مستبد أرعن مثلك المشكلة رقم واحد والمصيبة الأكبر لبلادنا.

حبذا لو اقتنعت بهذه الحقيقة وغادرت العراق من تلقاء نفسك، قبل أن يكون الثمن انهارا من الدموع والدماء الجديدة، ولا أظنك، مع الأسف، فاعلا ذلك. فقد كان مجيئك وبالا على العراق وسيكون

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

سقوطك أيضا وبالا عليه.

بهاءالدين نوري
آب 1990

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

انتصار النزعة القومية العربية في حشع

في تقرير صادر عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي قرأت فقرة تؤكد وجوب مراعاة التركيب القومي للمجتمع العراقي في تركيبة الهيئة القيادية للحزب الشيوعي. وقد نشرت هذه الفكرة ضمن التقرير بعد نقاش طويل استمر سنوات وأثارها بعض العناصر القيادية من ذوي الميول القومية العربية، الذين كانوا يطالبون بأن يكون سكرتير الحزب من العرب بذريعة أن العرب هم الغالبية في سكان العراق. وقد أثار وجود عزيز محمد على رأس الحزب طيلة 29 عاما تخللتها الإخفاقات والنكسات المتعاقبة، وهو كردي، هذا النقاش وسط انتعاش الميول القومية العربية لدى فريق من القادة والكادر. وأخيرا رضخ عزيز نفسه لضغط هؤلاء وقبل تسجيل ما أرادوه ضمن تقرير اللجنة المركزية، بدلا من أن يرفض ويستقيل من القيادة احتجاجا. وقد انصرف نفسه مدة عامين أو ثلاثة لتهيأة العنصر العربي الذي تتوفر فيه المواصفات المطلوبة فكريا وسياسيا – وهي التمسك بنفس النهج الذي سار عليه عزيز في السنين السابقة. وقد نشرت تعليقا على ذلك ذكرت فيه أن البرجوازية الحاكمة في الولايات المتحدة الأميركية لم تصدر تشريعا ليمنع بموجبه الزنجي الأميركي من أمثال جاكسن من ترشيح نفسه لرئاسة الدولة أو لزعامة حزب سياسي، لكن الشيوعيين العراقيين، وهم يدعون الأممية والمساواة بين بني البشر، سمحوا لأنفسهم بإصدار تشريع باسم لجنتهم المركزية ينتزع من أعضائه غير العرب حق الترشيح في الحزب إلى مركز الزعامة!! ألم يكن ذلك منتهى التخلف ومنتهى الابتعاد عن الديمقراطية والحضارة المعاصرة؟

* * *

تفرجت في ستوكهولم على مسيرة الأول من أيار 1990 التي نظمتها الأحزاب والنقابات العمالية، وكان الحكم آنئذ في قبضة الحزب الاشتراكي الديمقراطي بزعامة انكفار كارلستون، كانت الكتلة الرئيسية في المسيرة تحمل لافتات وهتافات الحزب الاشتراكي الديمقراطي، وكان الحزب

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الشيوعي يأتي في المرتبة الثانية وبفارق عددي كبير بينه وبين مؤيدي الحزب الاشتراكي، وكان اليساريون المتطرفون كالتروتسكيين والفوضويين في المراتب التالية.

خلال إقامتي في السويد تجولت، إضافة إلى العاصمة ستوكهولم، في المدن الأخرى الكبيرة نسبيا كأوبسالا ويوتوبوري ومالمو وروسته فيس ...الخ. وقد وجدت تناسقا مناسبا في التطور العمراني وتقدما متشابها على الأقل من الناحية الظاهرية. ووجدت التقدم المتوازي من حيث العادات والتقاليد السائدة بين الناس ومن حيث روح التسامح الديمقراطي في العلاقات بينهم وبين اللاجئين. ولاحظت أن نسبة الزيادة في السكان بين السويديين تكاد تنعدم أو هي في تناقص مستمر لولا اللاجئين، الذين اتبعت الدولة سياسة التشدد في قبولهم خلال السنين الأخيرة لكي لا يفيض العدد عن المعقول. وبالمناسبة، فإن السلطات السويدية، شأن معظم الأنظمة الأوروبية إن لم نقل كلها، تتعامل مع طلبات اللجوء بمقاييس غير مدروسة وغير منطقية، فهي منحت اللجوء السياسي لألوف أو اكثر ممن لم تكن لهم في يوم من الأيام أي علاقة بالسياسة وبالأحزاب السياسية في البلدان التي خرجوا منها، بل حملهم مجرد الرغبة في معيشة افضل اقتصاديا واجتماعيا، ولم يندر من ذهبوا بسبب الحرمان الجنسي للشباب في بلادهم وبحثا عن الجنس مع الشقراوات، وقد اتعبوا انفسهم في ابتكار (تصفيت) أكاذيب يخدعون بها السلطات السويدية أثناء التحقيق معهم، ومن الأمور المعتادة أن يستفيد طالبو اللجوء الجدد ممن منحوا اللجوء قبلهم لمعرفة الإفادة الأفضل أمام المحققين.

فور استحصالي على جواز السفر بدأت ادخر النقود من المبالغ القليلة التي كانت تأتيني لكي أتمكن من السفر إلى خارج السويد، وجاءتني دعوة من المهندس إبراهيم علاوي سكرتير البقايا القليلة من تنظيمات القيادة المركزية التي كانت قد انشقت عن الحزب الشيوعي بزعامة عزيز الحاج عام 1967، وقد أصبح علاوي سكرتيرا لها بعد سلسلة من التغيرات أعقبت اعتقال وانهيار عزيز الحاج في شباط 1969. كانت المحطة الأولى في سفرتي كوبنهاغن لليلة واحدة، سافرت من الدانمارك إلى برلين وأقمت في ضيافة بعض الشيوعيين السابقين أياما حتى رحلت إلى لندن حيث حللت

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

ضيفا على إبراهيم علاوي لمدة عشرة أيام. كان يجمع بيني وبين علاوي واقع أننا تركنا، ولو في أوقات مختلفة، صفوف الحزب الشيوعي، وكنا نوجه إليه النقد حول أمور مختلفة. وقد عقدنا لقاءات مع علاوي تطرقنا فيها إلى قضايا الماضي وغيرها. وسجلوا من حديثي ما نشروه لاحقا في احدى نشراتهم. وكان جو اللقاءات وديا بوجه عام وسدد لسفرتي نفقات الطائرة والفندق وما إلى ذلك. أظن انه انفق من جيبه الشخصي لأن تنظيماته لم تكن في الوضع الذي يمكنها من تسديد مثل هذه النفقات.

كانت محطتي التالية في السفر هي دمشق، وقد حصلت على الفيزا السورية من داخل المطار، ومن أوائل من زرتهم هناك كانوا أصدقائي طالب الداوود وجمعة الحلفي وأبو أيوب الذين توثقت علاقاتي معهم عام 1989، ورأيت لزاما علي أن أساعد قدر المستطاع هناء ياسين وزوجها أبا سيف، الذين بقوا في احد معسكرات اللاجئين في إيران منذ أن وصلوا إليها على اثر عمليات الأنفال ولم يحصلوا على فيزا السفر إلى سوريا إلا بعد محاولاتي مع البعثي العراقي فاضل الأنصاري الذي قدم رسالة باسم القيادة القومية لحزب البعث إلى السفير السوري في طهران ليزودهما بالفيزا، وفي الشام قدمت إلى هناء ما امكنني من المال مع تدبير الفيزا السوفيتية، فتمكن الزوجان من السفر إلى موسكو ثم إلى السويد.

وسافرت من دمشق إلى طهران فإلى مدينة سقز لزيارة عائلة أخي علاء الدين، التي كانت باقية هناك وبدا أن مصائب الأنفال والتشرد لم تمنع الشباب من التفكير في الزواج، فقد صادف وجودي في سقز مجيء الدكتور ناصح فاتح ليطلب بنفسه الزواج من ابنة علاء الدين الوحيدة، وعندما استشارني علاء حول الموضوع أجبته: عرفت ناصحا كطبيب للبيشمرگة وكشاب خلوق ومؤدب، ولن تجدوا لابنتكم كزال قرينا افضل. وكان ناصح قد حصل على وظيفة طبيب في احد مستشفيات منطقة مازندران، بعد أن غادر كردستان صوب إيران اثر الأنفال في 1988.

حصلت في السفارة السوفيتية بطهران على فيزا للسفر إلى موسكو، في الماضي كنت أصل إلى مطار موسكو لأجد احدهم مرسلا من اللجنة المركزية لاستقبالي ومرافقتي إلى صالة الشرف وإكمال المعاملات اللازمة في مكتب الجوازات، ثم أخذي في سيارة خاصة إلى فندق اللجنة المركزية،

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

والآن علي أن أنزل من الطائرة وأتصرف كأي مسافر اعتيادي واخرج من المطار لأجد الفندق أو المكان الذي أعيش فيه مدة أسبوع. وقد فضلت شقة صديق روسي قديم على الفندق. وتسنى لي التأكد مرة أخرى مما كنت قد شاهدته في موسكو قبل ذلك بعدة اشهر، كان النظام السوفيتي في مفترق الطرق وكان نشاط خصوم غورباتشوف في تزايد مطرد. وغادرت موسكو لأبقى أياما في العاصمة البولندية وارشو، التي كان وصلها بصورة من الصور رفيقي يوسف هادي متروك متأملا الوصول من هناك إلى بلد أوروبي آخر يمنحه حق اللجوء (وقد وصل أخيرا إلى الدانمارك)، وسافرت من بولونيا بحرا إلى السويد، وفي نقطة الحدود اكتفت موظفة مكتب الجوازات السويدية بالنظر إلى جوازي والى نقطة على شاشة الكمبيوتر أمامها لتؤشر علي بالدخول إلى البلاد التي كنت احمل جوازها كلاجئ سياسي، عندها عدت إلى السويد وكنت أعاني من آلام في الفقرات.

* * *

النظام الاجتماعي – الاقتصادي – السياسي السائد في السويد هو نظام رأسمالي قائم على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج واستغلال العمال والكادحين طبقيا، بيد أن حكومة بالما الاشتراكية الديمقراطية قد أجرت، في اطار النظام البرجوازي ودون المساس بجوهره، إصلاحات اجتماعية تدخل ضمن التدابير الاشتراكية وليست البرجوازية، وهي تأمين الضمان الاجتماعي لكل مواطن سويدي يعجز عن العمل بسبب المرض أو الشيخوخة أو عاهة أو البطالة، ذلكم فضلا عن تقديم العون إلى الأطفال جميعا بسبل مختلفة. والمسألة الثانية التي أمنها نظام بالما للسويديين كان التأمين الصحي للجميع وعلى مستوى عال من الخدمات. وتحت تأثير النظام السوفيتي الاشتراكي، من جهة، وضغط نضالات العمال الطبقية في أوروبا الرأسمالية من جهة أخرى، عممت إجراءات بالما على جميع البلدان الأوروبية ولم تتجرأ حتى الحكومات البرجوازية اليمينية على رفضها أو إلغائها، بل ثبتت كمكاسب اجتماعية. وأثبت ذلك خطأ الفكرة التي كانت شائعة بين الشيوعيين والتي تقول أن الاشتراكية لا يمكن أن تنشأ وتنمو في رحم النظام الاجتماعي الرأسمالي ولا يمكن أن تبدأ إلا بعد وصول الشيوعيين إلى السلطة. فالتطور الاجتماعي في المجتمعات الرأسمالية

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

المكتملة من حيث البناء الاقتصادي – التكنيكي يمكن أن يقود إلى بعض الأوليات أو المعالم الاشتراكية في رحم ذلك المجتمع. ويأتي ذلك تلبية لبعض الحاجات الاجتماعية الملحة التي تفرضها الحياة وتمر عبر السلطة التشريعية. فالاشتراكية آتية حتما، ولكنها تأتي على أغلب الاحتمال بخطوات تدريجية حيث تنضج مقوماتها، وهي تأتي في بعض البلدان بخطوات إلى الأمام تتخللها خطوات إلى الوراء. والبلدان الأوروبية هي البيئة الأمثل لمثل هذا التطور أول الأمر، ومن المؤكد أن الخصائص التاريخية والثقافية والاقتصادية تدخل كعوامل هامة في التأثير على عملية الانتقال إلى الاشتراكية بسبل مختلفة. وإن كان هناك شيء مستحيل فإنه ليس الانتقال إلى الاشتراكية، بل هو بقاء النظام الرأسمالي الاستغلالي في نهاية المطاف. والذي حدث للنظام الاشتراكي السوفيتي من انهيار شامل، عقب سبعين عاما من الانتصار، كان بمثابة خسران جولة واحدة من اللعبة، وقد يكون في ميدان الصراع الطويل اللاحق كر وفر، تقدم وتراجع، بين الرأسمالية وبين خصمها الاشتراكية، وقد تحدث تغييرات متنوعة في مسار الاشتراكية، لكن الرأسمالية التي تبدو اليوم قوية وطيدة البنية، لا تملك مقومات الصمود حتى النهاية.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

حرب تحرير الكويت
والعودة إلى كردستان

لم يمر اكثر من أسابيع على استلامي لشقتي من بلدية انشوبينك بالقرب من عاصمة السويد ستوكهولم، حين نقلت وكالات الأخبار نبأ انتفاضة ربيع 1991 في العراق ضد نظام صدام، كانت الانتفاضة متوقعة بعد هزيمة قوات صدام في حرب الخليج لتحرير الكويت. وقد بدأت أولا من المناطق العربية التي تقطنها غالبية شيعية، أي من الجنوب والفرات الأوسط، قبل أن تنتشر في كردستان. وعجز المارشال صدام، الذي كان قد منح نفسه بنفسه هذا اللقب العسكري الذي لم يستحقه أبدا، عن مواجهة الجماهير المنتفضة وكان على وشك أن يلقي بنظامه في مزبلة التاريخ منذ تلك الأيام لولا مناورة سياسية ذكية قام بها (ولا ادري ما إذا كان من إبداعه أو من إيحاء بعض الخبراء والمستشارين)، فانقذ نظامه من السقوط وأطال عمره اثنتي عشر سنة أخرى. والمناورة كانت على الوجه التالي وفي وقت كان صدام قد يئس:

اتصل صدام حسين بالسفير السوفيتي – والمعلومات قد نشرت من بريماكوف – في بغداد وطلب منه إبلاغ الحكومة السوفيتية في موسكو بأن القيادة العراقية (أي صدام) قررت تسليم السلطة إلى القوى الإسلامية ومغادرة العراق إلى المنفى، فأوصل السفير الخبر فورا إلى وزير خارجية دولته بريماكوف، فيما طلب من صدام أن يتريث في تنفيذ قراره بانتظار الجواب، وعرض بريماكوف الخبر على الرئيس السوفيتي غورباتشوف، واتصل الأخير فورا بالرئيس الأميركي جورج بوش وأحاطه علما بقرار الرئيس العراقي، في هذا الوقت كانت القوات الأميركية تواصل زحفها صوب بغداد، ولم تحتج لأكثر من اربع ساعات – على حد تعبير قائد القوات الأميركية الجنرال شوارسكوف – لكي تحتل العاصمة العراقية. لكن الرئيس بوش امر بإيقاف الزحف، وحاول شوارسكوف الحصول على موافقة بوش بتمديد القتال لأربع ساعات أخرى، غير أن بوش رفض طلب

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

القائد العسكري وقال إن المسألة سياسية ولا شأن للعسكريين فيها. ومع إيقاف القتال أعطيت الإشارة إلى صدام بأن يلملم ما تبقى من قواته ودباباته وطائراته لكي يتصدى للانتفاضة الجماهيرية ويقمعها. والسبب واضح بالطبع: خوف أميركا من أن تتسلم القوى الإسلامية في العراق زمام السلطة وان يتحول العراق إلى حليف فعال لجمهورية إيران الإسلامية، فتتسع رقعة التسلط السياسي الإسلامي جغرافيا وسكانيا واقتصاديا وفكريا وتتعقد الأوضاع العامة في الشرق الأوسط وتتهدد مصالح أميركا ومجمل الدول الغربية. إذن فإن بقاء صدام وحكمه في ظرف كهذا أهون الشرين وأقل خطرا بالمقارنة مع قيام عراق إسلامي جنبا لجنب مع إيران الإسلامية.
أكرر أنني لا أعرف ما إذا كان هدف صدام من هذه المناورة خداع الأميركيين وتهديدهم بشبح جمهورية إسلامية جديدة في بغداد متحالفة مع طهران، أم أن اليأس والانهيار كانا السبب الحقيقي، خصوصا بعد الهزيمة الكاسحة للقوات العراقية المحتلة في الكويت، بيد أن النتيجة كانت إنقاذ الطاغية التكريتي من السقوط وتمكينه من تجميع بقايا قواته وتحريكها لقمع الجماهير المنتفضة بمنتهى الوحشية. وقد تم للدكتاتور التكريتي ما أراد من قمع الانتفاضة هناك. وساعده على ذلك ضعف التنظيمين السياسي والعسكري وقلة التجربة لدى الحركة الجماهيرية التي خاضت الانتفاضة، بعكس ما كان الوضع في إقليم كردستان الذي انتفض هو الآخر بادئا من مدينة رانية في 5 مارس 1991، وشاملا كل المدن في غضون أسبوعين.
ورغم أن جماهير المدن هي التي بدأت الانتفاضة، إلا أن قدوم فصائل البيشمرگة المسلحة من الجبال ومن الخط الحدودي أعطى زخما كبيرا إلى الحركة الجماهيرية وعزز فيها عنصر التنظيم والروح المعنوية ومكنها من اتباع تكتيك الكر والفر والمناورات، فالخسارة هنا في جولة قتالية لم تعن خسارة المعركة كلها. فيما كان الوضع في المناطق العربية المنتفضة على منوال مغاير. ومن المؤكد أن واشنطن، التي أتاحت لصدام قمع انتفاضة الشيعة خوفا من قيام دولة إسلامية في العراق، لم تكن لتخاف قيام سلطة إسلامية في كردستان العراق، لأن المبادرة السياسية هنا، في الإقليم، كانت في أيدي قوى سياسية علمانية – قومية معروفة لدى الأوساط الغربية ومحسوبة ضمن القوى الحليفة لها. وهي قوى الحزبين الرئيسيين في الساحة آنئذ – أوك وحدك. وكان الموقف الأوروبي – الأميركي من الوضع في

منشورات «ألف ياء» AlfYaa

كردستان مختلفا عنه في المناطق العربية الشيعية التي كان لطهران نفوذ اقوى فيها. ولم يرحم الدكتاتور التكريتي الأكراد حين تمكن من الهجوم عليهم لقمع انتفاضتهم. غير أن الهجرة الجماعية التي شملت مليوني إنسان من المدن والقصبات وحتى بقايا القرى، وما اقترن بها من المآسي التي نقلتها الكامرات إلى شاشات التلفاز في شتى بلدان العالم، جلبت عطفا على القضية الكردية وهيأت الأجواء لكي تعلن لاحقا مناطق من السليمانية وأربيل ودهوك مناطق آمنة تحميها طائرات الحلفاء من أي هجوم جوي عراقي. ولم يكن من الصدف أن لم تدخل كركوك ضمن المنطقة الآمنة هذه، وأُبقي على تسلط النظام الدكتاتوري فيها.. وقد سيطرت القوى الكردية على مدينة كركوك في 1991/3/20، ولكنها لم تستطع الصمود أمام هجوم النظام البعثي ولم تستطع العودة مرة أخرى إلى هناك كما استطاعت العودة إلى مدن السليمانية وأربيل وغيرهما والاستقرار فيها بعد سلسلة من معارك الكر والفر.

لقد قامت الانتفاضة الشعبية، سواء في المناطق العربية أو الكردية، كنتيجة طبيعية لفشل صدام وهزيمته الشنيعة في الحرب وكانفجار للحقد الشعبي المتراكم ضد النظام البعثي الدموي، ولولا مساعدة أميركا – على الوجه المذكور في أوراق بريماكوف – لسقط الطاغية التكريتي في ربيع 1991.

هنا أرى لزاما علي أن أتطرق إلى أخطاء وتخبطات السياسة الأميركية تجاه صدام وحكمه وتجاه حزب البعث العربي الاشتراكي الذي أسسه ميشيل عفلق. لقد قام البعثيون، بالتعاون مع عبدالسلام عارف وعدد من كبار ضباط الجيش بانقلاب 8 شباط 1963، ونفذوا ذلك بدعم من واشنطن ولندن وعبدالناصر. كان هدف عبدالناصر (الذي تعاون من أجله مع الأميركيين والإنكليز) من ذلك توفير المقومات لضم العراق إلى الوحدة المصرية – السورية. أما هدف الإدارة الأميركية والأوساط الغربية عامة فقد كان تشجيع وتقوية حزب البعث لكي يقوم بإبادة الشيوعيين العراقيين والثأر من عبدالكريم قاسم لقيادته ثورة 14 تموز 1958 وإضعاف الحركة التحررية – الديمقراطية في العراق. وبعد إيغالهم في أعمال الإرهاب والإجرام، وجراء اشتداد الصراعات داخلهم ونضال القوى التقدمية على الصعيدين المحلي

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

والعالمي، أسقطوا على أيدي حلفائهم من كبار الضباط، دون أن يحققوا ما كانت الأوساط الغربية ترنو إليه، ولم يقر لتلك الأوساط قرار إلا بعد أن ساعدوا البعث متمثلا بصدام حسين واحمد حسن البكر لكي يعود من جديد إلى الحكم في 17-30 تموز 1968. وقد اشتغل البعث الحاكم هذه المرة بأسلوب مغاير لما فعلوا في 1963 مستفيدين من تجربتهم السابقة إلى أن وطدوا أقدامهم فبدأوا بحملات القتل والإرهاب، بعد أن اقصى صدام رئيسه أحمد حسن البكر. وركز كل السلطات في يديه. ربما حقق خلال السنوات الأولى من حكم البعث ما أراده الأميركيون منه، وهنا يجدر بالذكر أن صدام حسين قد عقد صفقة العمالة مع المخابرات الأميركية كما قالوا في بيروت أثناء ما كان يعيش هناك بعد هروبه من العراق بسبب مشاركته في محاولة اغتيال عبدالكريم قاسم عام 1960، وكان يقبض هناك راتبا شهريا من السفارة الأميركية. ولم يكف عن استلام هذا الراتب إلا بعد انقلاب تموز 1968. وخلال سني حكمه، وخصوصا بعد إقصاء البكر في 1979، أصبح يتصرف على هواه بميزانية الدولة وبمبيعات النفط وكل شيء في العراق. فاغتر لدرجة خيالية، وان الإنسان ليطغى بعد أن رآه استغنى. الغرور والثراء وحيازة قوة عسكرية كبيرة نسبيا حملته على التفكير في أنه الزعيم العربي الأكبر وانه الأجدر بأن يرأس إمبراطورية عربية – شرقا أوسطية. وكانت هذه الفكرة تنسجم مع طلب الدول الغربية الكبرى بالهجوم على إيران وتمزيقها وضم بعض الأجزاء الغنية منها إلى العراق. فكان له أن هاجم إيران في 22 أيلول 1980. وخلال الحرب التي استمرت ثماني سنوات، الحق الخراب والدمار الواسع بالبلد الجار واحتل أجزاء منه، لكنه لم يملك القوة الكافية لتحقيق هدفه في الاحتلال والتقطيع، بل غير الإيرانيون تناسب القوى لصالح جيشهم. وكادوا يحتلون العراق لولا الدعم المتواصل بالمال والسلاح، بضمنها السلاح الكيمياوي المحرم دوليا، الذي استخدمه ضد القوات الإيرانية في قاطع البصرة، ولولا حماقات الخميني التي عزلت النظام الإسلامي في إيران عن المجتمع الدولي.

معذرة منك أيها القارئ عن إسهابي في بعض قضايا الماضي، فأنا استهدف الربط بين ماضي صدام وحاضره، مع التأكيد مجددا على انه تمرد آخر الأمر، وخاصة بعد أن خرج من الحرب مع إيران سالما شبه منتصر، على واشنطن، التي خدمها وخضع لها عدة سنوات سابقة. فاقدم في سنة

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

1990 على غزو البلد العربي الجار الكويت ورفض جميع الطلبات والمناشدات الدولية بالانسحاب، وهدد مصالح الدول الكبرى ومعظم الدول الصناعية ودول الخليج العربي، زاعما أن جيشه قوي وانه سيكسب النصر نهاية المطاف وسيحتل بلدانا خليجية أخرى وسيصبح زعيم دولة عربية نفطية كبرى. فكان أن تعرض جيشه المحتل لهجوم حوالي 30 دولة، بضمنها دول عربية، وان أصيب بشر الهزائم وبات سقوطه قاب قوسين أو ادنى، حتى كف الرئيس الأميركي جورج بوش في آخر لحظة عن إسقاطه. غير أن واشنطن لم تتخل عن فكرة إزاحته من الحكم ولو بسبل أخرى. وكان الأسلوب المفضل لديها هو السعي لتدبير انقلاب عسكري يأتي بشبه صدام إلى الحكم دون المساس بهيكل النظام ودون تمكين القوى الشيعية من تحقيق أي تغيير في المعادلة القائمة في العراق منذ قرون بتولي السنة العرب، وهم أقلية من السكان العرب العراقيين، حكموا البلد. ويبدو أن الأميركيين استنجدوا بحكام المملكة السعودية في التسعينيات لأن واشنطن كانت عاجزة عن تدبير مثل هذا الانقلاب في العراق. ورشح السعوديون وزير دفاع صدام عدنان خيرالله طلفاح، وسمع صدام بصورة من الصور أمر الانقلاب والدور الذي يراد لعدنان فتغدى به قبل أن يتعشى الأخير برئيسه التكريتي. وكان أن قتل عدنان بتدبير فني وسري لإسقاط طائرته.

منشورات «ألف ياء «AlfYaa»

إصدار مجلة ديموكراسي

عندما عدت إلى كردستان في أعقاب انتفاضة 1991 كانت فكرة تأسيس تنظيم سياسي ديمقراطي متبلورة في ذهني. لكن كيفية البدء بالعمل في تحقيق هذه الفكرة كانت تتطلب المناقشة والتمحيص وقد ارتأيت أن يكون البدء بإنشاء مجلة مكرسة لخدمة هذه المسألة. وكنت ادرك أن أمامي صعوبات غير قليلة في سبيل الوصول إلى ما أريد. ذلك لأنني غادرت هذه المدينة، التي يتأتى على إصدار المجلة فيها، منذ 1949 والظروف مغايرة الآن لما كان قبل 42 سنة، ولأنني ابدأ العمل من الصفر، فلا تنظيم ولا مال لدي، فيما يملك الآخرون الأموال الوفيرة والإمكانات الكبيرة والميلشيات الكثيرة. ومهما يكن الأمر فأنني ارتبطت بالنضال السياسي كارتباط السمكة بالماء. ولا استطيع الابتعاد عن العمل السياسي في هذه المرحلة. يجب علي أولا البحث عن شركاء في العمل ويجب علي أن ادرك أن من ينتسب إلى أي حزب أو يحسب ضمن اليمين السياسي لا يصلح لشراكتي. فانا الآن رجل مستقل ذو اتجاه ديمقراطي يساري، ولا أريد إخفاء هذه الحقيقة عن احد.

بدأت الاتصالات في الوسط الثقافي اليساري وتسنى لي أن اكسب إلى جانبي فريقا من اليساريين المستقلين، منهم محمد فريق حسن ود. شيركو عبدالله وبكر حسن وخالد دلير وآخرين. وأصدرنا العدد الأول من المجلة، التي سميناها (ديموكراسي) في ايلول 1991، في طباعة بسيطة متواضعة- بالضرب على الآلة الكاتبة والطبع بجهاز للاستنساخ. وقد طبعنا الفي نسخة وبيعت كلها. وقبل أن نوزع العدد الأول أعلن خالد دلير، لسبب لم اعرفه، الانسحاب من هيأة التحرير. وبعد حوالي الشهرين انسحب محمد فريق حسن ود. شيركو أيضا، بعد أن اتضح لهما أن ليس من المؤمل تقاضي رواتب شهرية في هذه المجلة إذ لا تملك المال، بل تنتظر من يتطوع للعمل مجانا. وبقينا أنا وبكر حسن وبعض الشباب الذين التفوا حولها متطوعين.

على أن المجلة لعبت دورها الفكري- السياسي نحو الهدف الذي وضعته نصب العين إذ التفت حولنا نخبة سياسية، ولو صغيرة، من الديمقراطيين

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

اليساريين والشيوعيين السابقين، وأصبح مقرها (شقة في بناية توفيق قزار وسط شارع مولوي) مقرا في الوقت نفسه للقاءات واجتماعات سياسية، وبدأنا بتوجيه مذكرات وإصدار بيانات سياسية كفريق ديموقراطي يساري محايد.

لقد ظلت مشكلة المال هي المشكلة الرئيسية في المجلة وحالت دون تطورها، إضافة إلى قلة الخبرة لدي في العمل الصحفي من هذا النمط وشحة الكفاءة الصحفية أيضا. لم يسمح انعدام المال بتوظيف شبكة من المحررين والمراسلين ولا بطبع المجلة في أحدى المطابع التجارية وفي حلة معاصرة. ظللنا حتى النهاية نطبعها بالآلة الكاتبة في مكتبنا لنسحبها على جهاز رونيو وطرقنا بعض الأبواب، أهمها باب (الجبهة الكردستانية) – وهي ائتلاف الأحزاب الحاكمة- طلبا للعون المالي. وكان د. محمود عثمان في قيادة الجبهة الكردستانية أول من رفض ـ حسب ما وصلنا آنئذ ـ أي دعم مالي لنا بحجة أننا معارضون للسلطة الجبهوية التي كانت تستحوذ على موارد الإقليم من الضرائب الكمركية وغيرها. وكنا معارضين بالفعل، ولكن بشكل سلمي ديمقراطي حضاري، وتساءلنا لماذا نحرم من الدعم؟ هل من الديمقراطية في شيء أن يحرم أمثالنا من حقهم في الحصول على دعم السلطة؟

وقد اتفقت مع بكر حسن على طلب المساعدة المالية للمجلة من أناس كانوا سابقا شيوعيين ولايزالون يتظاهرون بالتعاطف مع ماضيهم. وكان الأبرز بين هؤلاء علي بوسكاني وفاروق ملا مصطفى. عانى علي من الفقر الشديد حين كان عضوا في حشع. ثم أثرى ثراءا سريعا وكبيرا. وأشيع أن سبب ثرائه كان بسبب علاقاته السرية مع مخابرات النظام البعثي، الأمر الذي أتاح له الحصول على تسهيلات تجارية. وعندما طلب منه بكر حسن المساعدة قدم إليه مبلغا ضئيلا- فقط 500 دينار. فرفضنا ذلك كلون من الاحتجاج حتى زاده لدرجة مرضية.

وجوابا على طلبنا المساعدة للمجلة قدم فاروق مصطفى نفسه إلى مكتب المجلة وفاتحني مباشرة بالموضوع مبديا استعداده لتقديم العون لنا شريطة أن نبعد عنا عديله وخصمه المهندس دلشاد رشيد. وكان دلشاد هذا رجلا طيبا هادئا جيد المستوى سياسيا وجاءنا من تلقاء نفسه لينضم إلى نخبتنا السياسية. وكنت أتمنى لو اقبل على صفوفنا الكثيرون من هذا الطراز. فلم

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

أتردد في الرد على الطلب الاستفزازي الموجه من مثقف كان ذات يوم في عداد الكوادر الشيوعية:

- نحن لم نعتد يا سيد فاروق على قبول المساعدة المشروطة من أحد.

قطعت بهذا الجواب المقتضب الحديث بصدد مساعدة المجلة وغادر بعد فترة وجيزة مكتبنا دون أن يقدم لنا أي مساعدة.

وتوجهنا إلى رئاسة الحكومة الإقليمية مباشرة بالعريضة التالية، ولم نحصل على فلس واحد ولا على جواب:

السيد رئيس وزراء الإقليم

بعد السلام والاحترام

تعرفون أن الدولة، في البلدان الديمقراطية المتقدمة، تقدم العون إلى المنظمات السياسية والنقابية والصحف والمجلات ...الخ الموجودة.

ونحن فريقا من ديمقراطيي كردستان، نصدر مجلة باسم (ديموكراسي) في مدينة السليمانية، ونطلب منكم كرئيس وزراء الإقليم أن تحددوا مبلغا كعون سنوي يقدم إلينا لتغطية نفقات نشاطنا ولإصدار مجلتنا ولإيجار مقر وشراء سيارة ومصاريفنا المختلفة.

لعلمكم أننا لم نملك أي مصدر للدعم المالي.

بأمل أن تساعدونا، نتمنى لكم التوفيق.

الموقعون:

دلشاد رشيد   قادر ميرزا كريم   بهاءالدين نوري

1993/1/28

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

قيام سلطة الجبهة الكردستانية
أول برلمان منتخب في الإقليم

الجبهة الكردستانية، التي تشكلت على اثر المصالحة بين الأحزاب الكردستانية قبل نشوب حرب الخليج الأولى، أخفقت في العمل كسلطة ائتلافية بعد انتفاضة 1991، لكنها حققت نجاحا جيدا، بل تاريخيا، في نقطة واحدة هي إجراء انتخابات برلمانية في الإقليم. إن قرار حكومة الجبهة بإجراء أول انتخاب برلماني في هذا البلد، الذي لم يشهده في تاريخه حتى ذلك الحين، كان قرارا سياسيا صائبا وخطوة عظيمة في طريق إشاعة الديمقراطية. التي كانت البلاد محرومة منها وفي اشد الحاجة إليها. وقد صيغ قانون الانتخابات على أساس التمثيل النسبي وباعتبار الإقليم كله دائرة انتخابية واحدة. لكن بندا واحدا من القانون افرغ المشروع من محتواه الديمقراطي- وهو أن أي حزب لا يدخل البرلمان ما لم يحصل على نسبة سبعة في المئة فأكثر من أصوات الناخبين. ويتراءى لي أن إدخال هذا البند كان من صنع الحزبين الرئيسين. ولا اعتقد أن أيا منهما كان معارضا له. وكان الهدف منه واضحا: أن يغلق الباب أمام الأحزاب الصغيرة لدخول البرلمان - وأغلقوه فعلا إذ حصل الحزبان الرئيسيان على 88% من أصوات الناخبين ولم يحصل أي حزب آخر (في أيار 1992) على نسبة 7% وبالتالي لم يدخل البرلمان سوى أوك والپارتي، اللذين استوليا على حصة الأحزاب الصغيرة أيضا وقسما المقاعد مناصفة، تعرف ببرلمان فيفتي- فيفتي (50 - 50).

كنا في 1992 نخبة صغيرة في بدء تكوينها ولم نسم انفسنا حزبا. وقد رحبنا بحرارة بمشروع الانتخابات النيابية ولكننا وجهنا النقد اللاذع لما ورد في القانون من اشتراط الحصول على 7% من مجموع الأصوات، وكان هذا الشرط موجودا في قانون الانتخابات التركي حيث كان الحكم في أيدي الكماليين. وتداولنا فيما بيننا حول ما نفعله نحن كنخبة ديمقراطية مستقلة. كان البعض يحبذ عدم المشاركة لأننا لا نملك شروى نقير ولا نستطيع

«AlfYaa منشورات «ألف ياء

خوض الانتخابات من دون المال. وكنت أنا مع المشاركة ولو لم نأمل النجاح. وأقر أخيرا هذا الموقف وبدأنا المشاورات مع البعض لتكوين قائمتنا. ولم يلبث أن شكلناها من تسعة أشخاص، وهم كل من المحامي طه بابان والشاعر حسيب قرداغي والمهندس دلشاد رشيد والمناضل خالد دلير والكاتب بكر حسن وصاحب شركة نقليات الشرق نوري جلال والوجه الاجتماعي المعروف في رانية توفيق ملا صديق والدكتور معروف خزندار - الشخص الوحيد بيننا من مدينة أربيل - ومني شخصيا رئيسا للقائمة. ومنذ أوائل الحملة الإعلامية لقائمتنا انسحب منها الدكتور خزندار- ربما بتأثير من الپارتي وبقينا ثمانية فقط، أحدهم من رانية والسبعة الآخرون كلهم من السليمانية. وكانت هذه إحدى نقاط ضعفنا إذ بدت القائمة وكأنها خاصة بمدينة السليمانية، دون أن تضم أحدا من أربيل ومن دهوك وحتى من كلار وچمچمال.

ها قد بدأت حملة الدعاية الانتخابية، وخصص كل من أوك والپارتي ملايين الدولارات للإنفاق على الدعاية- تلفزيون وراديو وصحف ومجلات وخيام في المدن والساحات وأجهزة دعاية متحركة ...الخ. وحتى الأحزاب الصغيرة، التي كانت لها حصص في الموارد الكمركيه للإقليم وفي تهريب المكائن والآلات إلى إيران وتركيا لبيعها هناك، منصرفة إلى الدعاية وتستغل كل إمكاناتها وميليشياتها للدعاية الانتخابية. أما نحن، أصحاب القائمة الصغيرة المسماة (الديمقراطيون المحايدون)، فإننا في وضع مغاير لا يقارن بوضع الآخرين. كان بكر حسن مسؤولا عن الدعاية وكانت أداتنا الرئيسية عبارة عن جهاز تسجيل ومكبرة صوت منصوبة على سيارة دلشاد رشيد التي كان صاحبها قد وضعها في خدمة حملتنا الانتخابية، يسوقها بنفسه ويشترى لها البنزين من جيبه، يجلس بجانبه بكر يتحدث إلى الجمهور في الشوارع التي نمر فيها وليدعو الناس إلى التصويت لقائمتنا. وفي بعض الأحيان كان نوري جلال يستخدم سيارته العتيقة في السفر وزيارة المدن إلى أن احترقت ماكنتها في أربيل، كما كان طه بابان يستخدم كذلك سيارته القديمة. ولم يكن لي ولا لأي شخص آخر سيارة شخصية، عدا الثلاثة المشار اليهم. وقمنا بجوله غطت الأغلبية الساحقة من مدن وبلدات السليمانية وگرميان وأربيل، ولكننا لم نكرر الجولة. كنت أحس أن البعض يتعاطفون معنا ويستقبلوننا بكلمات طيبة، لكن هذا التعاطف لم يصل لديهم

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

إلى حد القناعة بأن يعطونا أصواتهم، بل أن المتعاطفين معنا ممن تلاقينا قد نسونا خلال الأيام التي فصلت بين زيارتنا وبين التصويت. وأثناء وجودنا في أربيل أصبت بحالة مرضية شديدة في الفندق، فأخذوني إلى عيادة الدكتور محمد جاف وبعد الفحص اسعفني بأدوية وسألته عن نوع مرضي فقال (إنها ذات الرئة).

في مسعانا للحصول على بعض المال كي ننفقه على الدعاية الانتخابية اتفقنا على طلب العون من جلال الطالباني ومسعود البارزاني، وكان مفتاح القاصة في مالية الإقليم بأيديهما. فاستجاب الطالباني لطلبنا وأعطانا أربعة آلاف دولار. كان مبلغا ضئيلا بالطبع ولكنه أفادنا وملأ لنا بعض الفراغ. أما مسعود البارزاني فانه امتنع- كعادته - عن دفع أي عون لنا، علما أن البقرة الحلوب (كمرك إبراهيم الخليل) كانت تحت تصرفه هو. وطلبنا المساعدة من مسؤول إدارة الجبهة الكردستانية رسول مامند فقدم إلينا عشرة آلاف دينار. ذلكم كل ما حصلنا عليه من العون المالي لحملتنا الانتخابية.

جرت الانتخابات بحضور عدد غفير من المراقبين الدوليين. وذهب المواطنون بحماس إلى صناديق الاقتراع للإدلاء بأصواتهم في هدوء لم يعكر صفوه شيء. كان الناس يحسون بالفرح والسعادة لأن كابوس البعث الصدامي قد اختفى والناخب حر فيما يريد. وكان للحزبين الرئيسيين نفوذ كبير في المجتمع. كان يتحتم حصولهما على أغلبية أصوات الناخبين، حتى بدون اللجوء إلى أي تزوير للانتخابات. ومع ذلك فانهما أوجدا وسيلة للتزوير باشتراط حصول القائمة المشاركة على 7% من إجمالي أصوات الناخبين لدخول البرلمان. بهذا الأسلوب حرموا 12% من الناخبين من حقهم في التمثيل النيابي واغتصبوا حق هؤلاء لأنفسهم، لكي يحتكروا الساحة السياسية فقط لأنفسهم. وبذلك أفسدوا الحياة البرلمانية وحولوا البرلمان الجديد إلى ما يشبه برلمان البعث الصدامي حيث كان يتأتى على النواب أن ينتظروا ما يأمر به الزعيم لكي يصوتوا بـ(نعم) أو (لا)، ولو سمح بوجود 12 نائبا من الأحزاب الأخرى لوجدت الفرصة لتواجد المعارضة البرلمانية وسماع أراء وأصوات المعارضين في البرلمان. ورغم كثرة الادعاءات بأن الإقليم نموذج حي للديمقراطية وللحريات السياسية فان انتخابات 1992 لم تسفر عن تكوين برلمان حقيقي كما هو الحال في البلدان

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الديمقراطية، بل أوجدت برلمانا حزبيا أو أقل حتى من ذلك. واتضح ذلك فيما بعد، عندما تجدد اقتتال الأخوة بين الحزبين الحاكمين وانقسم البرلمان وعجز عن القيام باي شيء لإصلاح الوضع.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

عشرة أعوام مع حركة الديمقراطيين
صعوبات العمل الحزبي في الظروف المستجدة

عندما قررت العمل على تأسيس تنظيم سياسي جديد بعد انتفاضة 1991 لم أحسب الحساب للصعوبات الجدية، التي تعترض سبيل ما أقدم عليه. فقد بدأنا، أنا وأمثالي من الشباب، ممارسة العمل الحزبي في أواسط الأربعينات من القرن الماضي، حين وضعت الحرب الكونية الثانية أوزارها، وكان مالم نفكر به أبدا هو أن نحصل على رواتب مقابل الانتماء إلى حزب ما. كنا نرى بأعيننا أن الكثير ممن يطاردون ويسجنون ليس إلا بسبب انتمائهم إلى الحزب الشيوعي أو لمجرد اتهامهم بالانتماء أو بمشاركتهم في إحدى المظاهرات. مع ذلك كنا ننتمي مدركين كل المخاطر، مستعدين للنضال طوعا، مشاركين - شأن سائر الأعضاء - في دفع بدل الاشتراك الشهري وجمع التبرعات بين الأصدقاء والمتعاطفين للحزب الذي كان تجمعا طوعيا يدبر أموره بما يدفع أعضاؤه وأصدقاؤه من الدريهمات. وقد تعرضت أنا شخصيا للسجن المؤبد قضيت منه قرابة ست سنوات ولملاحقات طالت عشرات السنين من عمري وتعرض عدد غفير للإعدام أو القتل تحت التعذيب.

أما الآن، بعد انتفاضة 1991، فان كل شيء قد تغير إذ يقبض المنتسبون إلى الأحزاب رواتب شهرية ولهم امتيازات بسبب انتمائهم إلى أوك أو البارتي أو أي حزب آخر، بضمن ذلك الحزب الشيوعي الذي كان في الماضي على منوال مغاير. ويتجول الشخص على مقرات الأحزاب ويتعامل على ما يدفع إليه شهريا لقاء الانتساب باحثا عمن يدفع مبلغا أكبر، تماما كما يتنقل الإنسان بين الدكاكين بحثا عن الأرخص من بضاعة يريدها!

كان ذلك من (خيرات) حكم البعث العفلقي لربع قرن، حيث استفاد الدكتاتور العوجوي من عائدات النفط الضخمة ليجمع فئة كبيرة من العراقيين الذين سخرهم لخدمة نظامه باسم (حزب البعث العربي الاشتراكي)، مغريا منتسبيه بالفلوس والامتيازات، وجاعلا منهم مواطنين

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

متميزين ومن غيرهم مواطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة.

ورغم أن قادة حركة التحرر الكردية قد أتوا إلى الحكم عبر نضال طويل مرير ضد النظام الدكتاتوري العوجوي، إلا انهم اقتبسوا منه الكثير من أساليب العمل الحزبي والسلطوي. وسادت هذه الأساليب في إقليم كردستان أيضا بعد إزاحة صدام على اثر حرب الخليج. ورغم سقوط الطاغية في 2003 فان هذا الوباء بقي حيا ساريا في العراق وفي كردستان ليومنا هذا، رغم بعض التخفيف.

* * *

ماذا عساي افعل لتأسيس تنظيم سياسي منافس لمنظمات أخرى مسيطرة على الساحة بما تملك من المال والميليشيات وقابضي الرواتب الشهرية فضلا عن مناضلين قدامى يملكون سمعة وتجربة، كما تملك ما حصلت عليه من المقرات والممتلكات أيام الانتفاضة، وأنا خاوي الجيوب وعلي البدء من الصفر؟ إن الفوز بما أنشده صعب جدا إن لم يكن مستحيلا. ومع ذلك قررت خوض المعمعة وحاولت استثمار مجلة (ديموكراسى) منذ خريف 1991 لتهيأة الأرضية وأسست نواة صغيرة من المناضلين المتطوعين. وبدأنا نوجه رسائل ومذكرات ونصدر بيانات ضد اقتتال الأخوة، قبل أن نصبح حزبا قانونيا. فعلى سبيل المثال أتذكر بيانا أصدرناه في الثاني من آب عام 1992 أعرض فيما يلي نصه:

لنقطع الطريق على مثيري اقتتال الأخوة

أيها المواطنون الكرام!

في هذا الظرف الدقيق المعقد الذي تمر به كردستان، وحيث يعاني الناس من مصاعب الغلاء والجوع والبطالة في بلاد تفتقد الاستقرار، وفي وقت يتربص العدو الفاشي العنصري بمختلف الأساليب بمكاسب النضال التحرري لشعبنا... في هذا الوقت تصلنا أخبار الصدام الدموي بين ميليشيات أوك والحركة الإسلامية الكردية في كلار، تسفك من جديد دماء البيشمرگة بأيدي أخوتهم البيشمرگه

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

ويذهب عدد كبير من الأبرياء المدنيين والعسكريين ضحايا الاقتتال قتلى أو جرحى.

إن خطر هذا الاشتباك المسلح لا يأتي فقط من أنه حدث قرب خط المواجهة مع العدو، ولا من أنه وقع كامتداد لاشتباكات دموية سابقة وقعت في مناطق چمچمال وشوان وبادينان ونقطة كمرك بشدر، بل لأنها وقعت عقب الانتخابات النيابية وعقب تشكيل حكومة كردستان، في وقت كانت الجماهير في انتظار تحقيق الاستقرار وقيام سلطة القانون وحقوق الإنسان ومعالجة المشاكل المستفحلة في هذا البلد المخرب.

أيها الأخوات والأخوة

أيا كانت اتجاهاتكم الفكرية والسياسية والأحزاب التي تنتسبون إليها!

إن الاقتتال الذي حدث صفحة جديدة من اقتتال الأخوة، الذي انزل أضرارا بالغة بقضية شعبنا عبر السنين المنصرمة وأوجد أمام العدو فرصة جديدة لضرب وإضعاف حركة شعبنا التحررية. أن اقتتالا كهذا لن يكون أبدا في خدمة شعبنا ولن يستفيد منه سوى العدو العنصري.

فلنعلن جميعا احتجاجنا ضد هذا الاشتباك الدموي.

لنصرخ بصوت واحد: كفى أن تسفك دماء البيشمرگه بأيدي إخوتهم البيشمرگه ولتكرس الجهود كلها للذود عن حقوق ومصالح الشعب والوطن!

اخلوا المدن من الميليشيات ومن جميع المسلحين اللارسميين وليكن حكم البلاد في أيدي مجلس الوزراء والبرلمان والقانون... شكلوا لجنة تحقيق محايدة ونزيهة للتحقيق فيما جرى وتعاقب المسؤولين عن سفك الدماء.

عصبة الدفاع عن الديمقراطية وحقوق الشعب

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

سليمانية – 2 آب 1992

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

اللجنة التحضيرية الموقتة

وعندما شرع البرلمان الجديد قانون الأحزاب كنا بين الذين قدموا طلبات إلى حكومة الإقليم للحصول على الرخصة القانونية. وسُجل طلبنا، المرفق بوثيقة البرنامج والنظام الداخلي، باسم (حركة الديمقراطيين) في وزارة الداخلية بالعاصمة الإقليمية أربيل يوم الثامن والعشرين من آذار 1994. وبعيد تقديم طلبنا نشب القتال، في نيسان 1994، بين مسلحي الپارتي ومسلحي حسك داخل مدينة السليمانية. واستولى مسلحو الپارتي على مقرات لحسك. ولم يرق ذلك لأوك، الذي كان يدعم حسك، ولم يلبث أن أصبح الاقتتال بين الحزبين الحاكمين. وبسبب من ذلك تأجل أمر الترخيص بإجازة الأحزاب كلها. وبدأت الوساطات والمساعي لإصلاح ذات البين. وتحقق، خلال أشهر عديدة من الجهد المكثف، نوع من المصالحة الأقرب إلى المهادنة بين الحزبين. وفي تشرين الثاني من نفس السنة، إبّان فترة المصالحة، استلمنا الإجازة الرسمية القانونية. ولم يكن من الصعب أن نعقد المؤتمر الأول لأن التنظيم كان صغيرا ولأنني لم أكن راغبا في إثارة الضجة الإعلامية الفارغة، إضافة إلى أننا كنا من المفلسين ماليا. فالأفضل هو الحصول على قاعة مجانية (قاعة المتحف بالسليمانية) نعقد فيها المؤتمر بأقل كلفة. وقد تعهد المهندس دلشاد رشيد بإحضار اللفات وقناني المرطبات للمندوبين وقت الغداء. وهكذا عقدنا المؤتمر التأسيسي وأقررنا فيه البرنامج والنظام الداخلي وانتخبت اللجنة العليا بين الموجودين- وهم خليط من شيوعيين سابقين ومن شباب لم ينتموا سابقا إلى أي حزب.

كان الجديد في وثيقة نظامنا الداخلي- بالنسبة للتقاليد السائدة في هذه البلاد حتى ذلك اليوم- هو أن لا يحق للسكرتير أن يبقى لأكثر من عشرة أعوام، بل يجب أن يترك المنصب لشخص جديد بعد ذلك. وكان ذلك أمرا مهما لأن المألوف في هذه البلاد هو أن يبقى الرجل المؤسس للحزب سكرتيرا وزعيما مدى العمر ولا يزيحه إلا الموت أو لون من الانقلاب. فالمنصب مملوك بسند الطابو ولا علاقة له بقضايا النجاحات أو الإخفاقات في العمل.

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

أما بالنسبة إلى وثيقة البرنامج فأنني حاولت أن اتخذ من قضية الديمقراطية السمة المميزة لحركتنا. ولأوضح اكثر: في أواسط القرن الماضي وعلى أثر انتصار الاتحاد السوفيتي على الفاشية القائمة فلسفيا على فكرة التعصب القومي لحد العنصرية، غدت قضية الاشتراكية والمساواة بين بني البشر فوق كوكبنا القضية العظمى، أو الأساس الفكري الفلسفي، لجذب الشباب وراء الأحزاب الشيوعية والتيارات السياسية اليسارية. وفي بعض البلدان أصبحت قضية التحرر القومي والاستقلال الوطني هي العظمي أو الفكرة الفلسفية لجذب الشباب إلى الحركة السياسية كرد فعل طبيعي ضد التسلط الأجنبي والاضطهاد القومي. وفي حالات أخرى، خاصة في العالم الإسلامي خلال الحقبة التأريخية الأخيرة، أصبحت قضية العدالة في الآخرة – بعد أن انعدمت في هذه الدنيا - والخلود في الجنة هي قضية القضايا والفكر الفلسفي الأساسي لجذب الشباب خاصة بين الفئات المتخلفة، وراء التيارات السياسية الدينية. أما بالنسبة لحركة الديمقراطيين التي أسستها في 1994 فإنني أردت أن تكون قضية القضايا والخلفية الفكرية الفلسفية هي الديمقراطية. وبذلت الجهد قدر استطاعتي لإيضاح ذلك. وفي مجرى هذا المسعى نشرت في حلقات بجريدة الاتحاد التابعة لأوك بحثا عن الديمقراطية - وجمعت هذه الحلقات لاحقا في كتاب (قضايا العصر) الذي طبعته في 1998- إلا أنني لم أحقق نجاحا كبيرا فيما أردته. والسبب في ذلك هو أن الناس في هذه البلاد لم يذوقوا نعم الديمقراطية الحقيقية، التي جاءت كمكسب للتطور الحضاري العلمي – التكنيكي في عالمنا المعاصر والتي لايزال العديد من الشعوب محرومة منها ليومنا هذا، يضاف إلى ذلك أن جميع الأحزاب سجلت في برامجها قضية الديمقراطية، وان لم يكن ذلك للتطبيق. فلم يعد من السهل على الناس أن يميزوا بين حزب وآخر وبين برنامج وآخر وبين جماعة تريد الجمع بين الأقوال والأفعال وأخرى تريد التضليل وحسب ...الخ.

واليوم، بعد سنوات عديدة من انتفاضة 1991 ومن سقوط الدكتاتور العوجوي، لاتزال قضية الديمقراطية في امس الحاجة إلى المساعي المكثفة لكي تصبح قضية القضايا في كردستان وكل العراق والبلدان المجاورة، لكي يعتبرها الناس قضيتهم الرئيسية في المرحلة الراهنة كمدخل يؤدي إلى استبعاد العنف وسفك الدماء والحروب بين الناس والدول ويجعل من طريق

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

التطور السلمي سبيلا لحل المشاكل ولتحقيق الرفاه والتقدم والعدالة. إن النضال من اجل الديمقراطية قطعت شوطا إلى أمام ولكن لا يزال في منتصف الطريق ولا تزال الأحزاب والقوى الإسلامية والقومية التقليدية تملك إمكانات كبيرة لإعاقة التطور الديمقراطي. والاهم من كل ذلك أن الحكم في هذه البلدان لايزال في أيدي الذين لا يريدون الديمقراطية ولا يجهلون حقيقة أن إشاعة الديمقراطية تكون نهاية لسلطانهم.

* * *

من المألوف أن يكون مقر القيادة لأي حزب سياسي في عاصمة البلاد، أي في مدينة بغداد إن كان حزبا عراقيا وفي أربيل إن كان حزبا إقليميا كردستانيا. لكنني أردت أن اشذ عن هذه القاعدة لأنني، أنا المؤسس، كنت مقيما في السليمانية ولم يكن من السهل علي أن انقل مقر إقامتي الدائمة إلى أربيل، ولأن ليس هناك قانون يلزم بأن يكون المقر المركزي لأي حزب في أربيل حصرا، وهي العاصمة الإدارية للإقليم، والسليمانية هي الأولى بأن تعتبر عاصمة ثقافية وسياسية. ولهذا سجلت في النظام الداخلي للحركة بأن مقر القيادة يكون في السليمانية حاليا. ولم أرد إعطاء طابع قومي مغلق للحركة، فسميتها في النظام (حركة الديمقراطيين) دون إلصاق الصفة الكردستانية أو العراقية. أردت الإبقاء على مرونة معينة في التسمية لأن كردستان إقليم في دولة العراق ولأن قضية الديمقراطية في هذه الدولة وحدة لا تتجزأ وليس من الصحيح أن نرفض إقامة التنظيمات وكسب الأعضاء والمؤيدين لنا في شتى أنحاء العراق إذا استطعنا إلى ذلك سبيلا. لكن موظفي وزارة الداخلية الإقليمية، المسؤولين عن تمحيص طلبات ترخيص الأحزاب، والجهلة بشؤون الأحزاب السياسية، أضافوا من عندهم كلمة (كردستان) إلى اسم الحركة لكي تسمى (حركة ديمقراطيي كردستان)، وذريعتهم في ذلك هي أن الإجازة تمنح للأحزاب في اطار كردستان وليس العراق!

العضوية وكوادر الحركة

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

كان قانون الأحزاب يلزم بتقديم عدد لا يقل عن خمسين شخصا مؤيدين لطلب الترخيص. هؤلاء كانوا يعتبرون مؤسسين مع الشخص الأول الذي يمركز الطلب بتوقيعه على العريضة. ومن المؤكد أن عددا من الموقعين على طلبنا لم يكونوا جديين في التعامل مع العمل الحزبي، بل وقعوا فقط بتأثير الصداقة الشخصية أو القرابة مع البعض الأخر. غير أن الأغلبية الساحقة قد وقعت عن وعي وقناعة بالقضية، وبينهم عدد من الشيوعيين السابقين الذين سبق أن مارسوا النشاط الحزبي السياسي وكسبوا خبرة سياسية وتنظيمية جيدة أو مناسبة، إضافة إلى شبان عملوا معنا لأكثر من سنتين قبل أن نقدم طلب الإجازة. وكان بين الشيوعيين السابقين كل من قادر ميرزا كريم والمهندس دلشاد رشيد والمغني إبراهيم الخياط والكاتب بكر حسن وإسماعيل عارف والفنان التشكيلي خالد رسول وقرينته شعلة حبيب ونورى جلال - وكلهم من السليمانية - وكل من حاجى ملا سعيد وملا شيخة وسيد أنور- من أربيل- وناصح ملا كريم من دربنديخان وأنا من السليمانية، إضافة إلى الشباب الجدد أمثال سوران بكرو ...الخ من السليمانية. وكان هؤلاء يعرفون ألا رواتب شهرية لمن ينتسبون إلى حركتنا بل يتأتى عليهم العمل طوعا لأن هذه الحركة لا تملك المال ولا تقبل العون المشروط من أي جهة، في حين أن منتسبي سائر الأحزاب، الكبيرة منها والصغيرة، العلمانية منها والدينية، كانوا يحصلون على رواتب ومكافآت مالية لقاء عملهم الحزبي. ولم نكن يوما من رافضي العون، سواء من أفراد أو مؤسسات ودول، شريطة ألا يكون مشروطا. ولم يكن هناك من يدفع العون المالي إلى تنظيم ديمقراطي يساري دون شروط.

وقد نجحنا، ولو بصورة محدودة، في بناء التنظيمات الحزبية في معظم أنحاء كردستان المحررة. فكان لنا منظمات لابأس بها نوعا وعددا في مدن السليمانية وأربيل وفي رانية وقلعة دزه وحواليها وفي كلار وكفرى وحواليها، وكذلك في كركوك بعد سقوط صدام. وتكونت في مجرى العمل الحزبي شبكة صغيرة من الكوادر الشابة أمثال محمد حسين وسامان مجيد في كلار وبهاء الدين أحمد في كفري والأخوين عمر ومحمد شاوري ورسول في رانية وسامان علاء في السليمانية، وانضم إلى هذه الشبكة في سني وجودي على رأس الحركة كادر قدم من بعض المنظمات اليسارية أو الوطنية أمثال شكر الله حمه أمين ورقية صالح وقرينها مجيد وعبدالله شريف في أربيل

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

وبختيار مصطفى من السليمانية، ولكننا لم نفلح في بناء أي تنظيم حقيقي للحركة في دهوك وفي منطقة بهدينان بشكل عام.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

تجدد اقتتال الأخوة في 1994
كارثة كبرى حلت بالإقليم

في ربيع 1994، بعد تشكيل الحكومة الإقليمية الائتلافية بحوالي السنتين، تنامى التوتر بين الحزبين الحاكمين المتحالفين- المتخاصمين أبدا. وكانت الأحزاب الصغيرة، أو البعض منها، منجرفة وراء هذا التوتر، منحازة إلى هذا الطرف أو ذلك. من المؤكد أن كلا من الزعيمين الطالباني والبارزاني كان راغبا اشد الرغبة في أن ينفرد بالحكم في هذا الإقليم. وكان الطالباني بوجه خاص طامعا في واردات بوابة إبراهيم الخليل، التي كانت اكثر بكثير من واردات منطقة تسلط أوك يضاف إلى ذلك أن الطالباني واغلب كوادره، سيما من العسكريين، كانوا مغترين بقوتهم، معتقدين أن من السهل اكتساح مناطق تسلط البارزاني. ولا يمكن العثور على سبب آخر للخلافات والصراعات الدموية بين الزعيمين والحزبين سوى السعي لإزاحة الطرف الآخر من الساحة والانفراد بالسلطة في الإقليم.

مظاهرة بدأناها بثلاثة أشخاص

في ضحى اليوم الثاني من نيسان 1994 كنا، أنا وإسماعيل عارف وجبار البرزنجي جالسين في مقر مجلة ديموكراسي نسمع لعلعة الرصاص وانفجارات قذائف آر بى جي في اكثر من مكان بمدينة السليمانية. وكان الشاب الهادئ المؤدب عطا علي، الشغيل الوحيد بأجور شهرية في المجلة، جالسا في غرفة أخرى. بدأ القتال بين حسك والپارتي، ولم يلبث أن اشترك فيه أوك أيضا. سألت رفيقي الجالسين بجاني، إسماعيل وجبار:

- ما الذي نستطيع عمله ضد ما يجري الآن من الاقتتال؟
- لا نستطيع عمل شيء ولا نملك مسلحين لنتدخل لإيقاف القتال- أجاب إسماعيل.
- ما الذي نستطيع عمله؟ - سأل جبار.
- انه الوقت المناسب لإقامة مظاهرة ضد اقتتال الأخوة - قلت أنا.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

- حبذا لو امكن الآن إخراج مظاهرة شعبية.. ولكن أين الذين تطلب منهم التظاهر؟ - قال إسماعيل عارف.
- لنبدأ نحن الثلاثة وسينضم إلينا الآخرون ما دمنا نتظاهر ضد اقتتال الأخوة – قلت أنا.
- نحن لا نملك تنظيما ولا جماهير ندعوها للتظاهر – قال إسماعيل.
- الظرف مؤات الآن، وقد لا تكون مؤاتية بعد ساعتين – قلت أنا
- أنا مستعد - قال جبار
- وأنا كذلك. فلنجرب – قال إسماعيل

إذن اتفقنا نحن الثلاثة على الخروج في مظاهرة بدءا من أمام مقر المجلة في شارع مولوي. فطلبت من عطا شراء مترين من الخام الأبيض فورا مع إيجاد خشبتين لربط القماش وكتابة شعار (به لّي بۆ ئاشتى ئارامى، نه خيَر بۆ شه رِى براكوزى – نعم للسلم والتأخي، لا لاقتتال الأخوة). وخلال ربع ساعة كانت اللافتة مهيأة وحملناها نازلين إلى الشارع، متجهين صوب ساحة السراي التي تشكل مركز هذه المدينة منذ تأسيسها على أيدي البابانيين في سنة 1786، ورجعنا من الساحة وعبر الشارع نفسه صوب المحافظة لكي نتوقف أمامها ونقدم مذكرة مختصرة إلى محافظ السليمانية آنئذ جمال عبدول - الرجل الطيب الذي كان على الدوام مع السلم والتآخي وليس مع الاقتتال. مع كل خطوة يخطوها موكب المتظاهرين يلتحق عدد غفير من الناس، سيما الشباب، حتى جاوزوا الألوف. وكان من المتوقع أن يتسع العدد أكثر فأكثر فيما لو جرت الأمور وفق ما خططنا له. لكن المتطرفين اليساريين المنضمين إلى صفوف المظاهرة، والذين غالبا ما يتقنون، ولو دونما تعمد، تخريب النضال الجماهيري، تقدموا المظاهرة وجروها عبر شارع سالم بدلا من الاستدارة يمينا نحو مبنى المحافظة – كما كنا نريد - فأفلتت من أيدينا السيطرة. وأظن أن البعض منهم أراد نقل الحشد إلى أمام مقر البارتي القريب من هناك لإطلاق الهتافات ضده. ومع الوصول إلى نقطة أمام الفرع الرابع انطلقت الرصاصات بكثافة من حراس المقر في الهواء. وتفرق الجمهور عشوائيا ووجدت نفسي المتبقي الوحيد وسط الشارع، وفي يدي اللافتة. فاستدرت بهدوء راجعا إلى الوراء، قاصدا الوصول إلى المحافظة وتجمع المتظاهرون مرة أخرى حول اللافتة.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وطغت الهتافات ضد الپارتي بعد إطلاق الرصاص المشار إليه، كما لو نظمت المظاهرة أساسا ضد هذا الحزب. وعند توقفنا أمام مبنى المحافظة لعلعت الرصاصات من جديد فوق الرؤوس. وقيل إن عددا من مسلحي الپارتي وقفوا في ركن من الحديقة واطلقوا الرصاص لتخويف المتظاهرين. ولم يلبث أن وصل قادر قادر – وهو مسؤول عسكري في الپارتي - بصحبة مفرزة مسلحة، وسمع الهتافات المدوية ضد حزبه وربما أصيب بالذعر وأمر رجاله بإطلاق الرصاص في الهواء، مما زاد الطين بلة وأثار موجة غضب أشد بين المتظاهرين، وطالب المتطرفون بتسليم مطلقي الرصاص إلى الجماهير لتحاكمهم على جرائمهم. وقد دخلنا إلى مبنى المحافظة كوفد يحمل مطالب المتظاهرين ووجدت المحافظ جمال عبدول منهمكا في مسعى للاتفاق بين ممثلي أوك والپارتي، الذين كان قد بادر إلى دعوتهم بأمل المصالحة. وكان القلق باديا على وجوه ممثلي الپارتي الموجودين هناك. ورجاني عضو المكتب السياسي لأوك الملازم عمر عبدالله تدبير خروج آمن لممثلي الپارتي وتجنب الاعتداء عليهم. فقلت له إن للمبنى بابا خلفيا يمكن الخروج منه بسلام. وفرحت حين رأيت ممثل الپارتي والباسوكي السابق الملازم كريم، الذي كان بيننا في السابق علاقات طيبة. فطلبت منه التعاون لحل المشكلة. وفاجأني بجواب غير متوقع إذ قال عابس الوجه:

- نحن نعرف إنك أنت الذي نظمت هذه المظاهرة ضدنا.

وتسالمت مع الشيخ كامل الكويسه، وهو يدخل قاعة الاجتماع مدعوا من المحافظ. وزعمت أنني سأدعى مكرما إلى اجتماع المصالحة، ولكنني فوجئت بكمال كركوكي- أحد ممثلي الپارتي - يقترب مني ليقول لي:

- كاك بهاء الدين! اطلب منك الخروج من هنا، ولا نريد مشاركتك لأننا نعرف موقفك.
- أنا خارج بالتأكيد.

وقد أشفقت على الپارتي، الذي يعتمد على رجال أميين في السياسة أمثال هذين الرجلين.

* * *

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

استمر النزاع وانتصرت قوات أوك في المدينة وطرد الپارتيون، فيما بقي الوضع في أربيل اعتياديا إلى حد، وكأن شيئا لم يحدث. فبادرنا نحن الهيأة المؤسسة لحركة الديمقراطيين إلى دعوة ممثلي الأحزاب الأخرى في مقر المجلة. وجرى اللقاء في الموعد المحدد واتفقنا على تكوين وفد موسع بهدف الوساطة واللقاء مع قيادة الطرفين. واقترح البعض دعوة عناصر أخرى للانضمام إلى الوفد وألح رفاق حشع على دعوة أناس بالاسم. ودعم آخرون هذا الطلب رغم تحفظنا. وسافرنا إلى أربيل والتقينا بمسؤولي الطرفين، دون فسح المجال لنا للقاء مسعود البارزاني، بعكس الطالباني، الذي كان أشد إصرارا على الاقتتال بهدف إزاحة خصمه ولكنه اكثر مرونة ودبلوماسية ولو شكليا.

بعد هذه الجولة من اللقاءات ومحاولات الوساطة عدنا إلى بيوتنا، ونحن نفكر في البحث عن سبل ووسائل أجدى في الوساطة. وقد أخبرني بعضهم أن أحد المشاركين في الوفد قد عاد وقدم تقريرا ذا طابع مخابراتي إلى قيادة أوك. ورغم أنني لم أتوثق من صحة الخبر، ورغم أنه لم يكن في وساطتنا ما يعتبر سرا، فان هذا الخبر قد أزعجني وقررت أن أنسحب من هذا الوفد وما يقوم به من وساطات. وقد توقف الاقتتال لفترة أشهر ولكنه تجدد في وقت لاحق واستولى مسلحو أوك على مدينة أربيل أيضا فيما كانوا مسيطرين على جبل سفين وبلدة شقلاوه. وبقيت قيادة الپارتي في بيرمام محاصرة، إلى أن قامت ذات يوم بهجوم مباغت على سفين وشقلاوة وتمكنت من الاستيلاء عليها.

الاقتتال الذي بدا بين الحزبين في نيسان 1994 استمر حتى نهاية 1997، تخللتها فصول من الهدنة والتوقف وأحيانا المصالحة تحت ضغوطات داخلية ودولية، بما في ذلك الدول المجاورة للإقليم - وهي إيران وتركيا وسوريا، فضلا عن الدول التي منعت حكومة صدام من الطيران والتدخل في المنطقة الكردية الآمنة، وعلى رأس تلك الدول وقفت أمريكا. ولاشك في أن كل طرف من الطرفين المتقاتلين كان راغبا أشد الرغبة في الاستيلاء على الإقليم والانفراد بحكمه. لكن الطالباني، الذي كان قد سيطر على محافظتي السليمانية وأربيل- وهما حوالي 75% من المنطقة المحررة - لم يرض ببقاء الطرف الآخر في محافظة دهوك وسيطرته على بوابة

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

إبراهيم الخليل، فكان المبادر في إثارة الاقتتال، غير مبال بمواقف تلك الدول، التي كان لها مصلحة في بقاء كل من القوتين في الإقليم. وأثناء جولة الاقتتال التي بدأها الطالباني في آب 1996 وإحراز نجاحات جزئية على أرض المعركة ضد الپارتي شدد مسعود الضغط على حلفائه الأتراك في حكومة تشيلر طالبا – كما قيل - الدعم، وضغط الأتراك بدورهم على الإدارة الأميركية لكي تسمح لهم بالتدخل أو توقف الطالباني وتعيده إلى حدود ما قبل إحداث تلك الجولة. فتدخلت الإدارة الأميركية صراحة وأرسل وزير خارجيتها رسالة واضحة إلى الطالباني طلبت منه بوضوح تام إيقاف القتال وسحب مسلحيه إلى حدود ما قبل الجولة الجديدة. ورفض الطالباني الطلب الأمريكي متذرعا بأن ما جرى كان إرادة الجماهير ولا يستطيع تحدي راي الجماهير. وأثار ذلك غضب الإدارة الأميركية. فقررت تأديب (الرجل المتمرد) بشكل آخر وأعطت، عن طريق حكومة تشيلر، الضوء الأخضر إلى صدام والى زعامة الپارتي لكي يتعاونا في عملية عسكرية خاطفة لانتزاع أربيل من أيدي الطالباني وتسليمها إلى البارزاني. وكان ما كان حيث جلس مسلحو الپارتي فوق دبابات صدام ليهاجموا مدينة أربيل، ولينسحب بعد ذلك بأيام الجيش العراقي إلى مواقعه مُخليا المدينة بعد أن توزعت هدايا الپارتي عليهم. كان ذلك ضربة صاعقة على أوك خسر بسببها الكثير سياسيا وماديا وعسكريا ومعنويا، وغيرت توازن القوى في الإقليم تغييرا جذريا لصالح البارزاني. ومن الواضح أن الطالباني مسؤول عن خطا جسيم ارتكبه حيث تجاهل دور العامل الخارجي في تقرير نتائج صراعه مع الپارتي إذ تحدى إرادة الإدارة الأميركية، التي كانت القوة الأساسية في حماية الإقليم من صدام، وتحدى إدارة انقره التي كانت على علاقات ودية مع البارزاني ولها قوات في محافظة دهوك، فعاقبوه بتلك الطريقة الكاريكاتيرية.

وبديهي أن ما اقدم عليه البارزاني من تعاون وصل حد ركوب مسلحيه سيارات مسلحة ودبابات لصدام لغرض اقتحام أربيل موقف مخز دل على أن المصالح الشخصية وضعت فوق كل شيء.. إلا أن هذه لم تكن المرة الأولى التي ترتكب فيها القوى القومية الكردية هذه المخازي. فقد سبق أن ارتكبها جناح المكتب السياسي بقيادة إبراهيم أحمد في 1966 - 1970، أي

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

لمدة اربع سنوات، بهدف إزاحة الملا مصطفى من الساحة. وقد باءت تلك المحاولات بالفشل وتسنى للملا مصطفى أن يزيحهم بسهولة ودون اللجوء إلى استخدام السلاح، حين اضطر نظام صدام على توقيع اتفاقية 11 آذار1970.

رسالة إلى مسعود البارزاني

كان هناك من يتحدثون بلون من الفرح قائلين "أن مسعود كشف عن جوهره وهجر إلى الأبد جبهة النضال الوطني الكردستاني وأصبح في جبهة الجحوش المفضوحين مرة والى الأبد".. ولم أتمن من جانبي أن تمر الإحداث على هذا المنوال، بل أردت أن يضغط عليه الساسة والناس من ذوي الرأي السليم ساعين إلى حمله على التراجع عن الخطأ الذي تورط فيه، وقد تصرف البعض بهذه الصورة، ومن وحي هذه الفكرة كتبت إليه، بعد ستة أيام من 31 آب، الرسالة التالية:

أخانا المحترم السيد مسعود

بعد السلام والاحترام الأخوي

نظرنا بأسف عميق إلى إحداث 1996/8/31 وأيام ما بعدها. إننا الديمقراطيين الذين حرصنا دوما على موقفنا الحيادي وطالبنا بالحلول السلمية للمشاكل، لم يكن بودنا أن يحل وضع نضطر فيه على إدانة الپارتي. نحن كنا من الأساس ضد اقتتال الأخوة. ومع ذلك فإننا كنا ننظر إلى الأمر بشكل مغاير فيما لو رأينا الپارتي وهو ينتزع أربيل من أوك اعتمادا على قواه العسكرية. إن أخذ أربيل بشكل انقلاب عسكري وبالدرجة الأولى بالاعتماد على دبابات ومدافع النظام الفاشي العنصري هو أمر آخر له مدلول مغاير.

أنا لا أجد أي تبرير لهذا التعاون مع صدام. صحيح أن الدول المجاورة - لسوء الحظ - تقف في عداد أعداء شعبنا ولا يصح فسح المجال أمامهم للتدخل في شؤون بلدنا. إلا أن صدام هو الأكثر عداءا والأسوأ، أيا كان الأمر، والارتباط مع صدام أمر بالغ الخطورة،

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

سواء بالنسبة لمصير شعبنا أو لمصير أي حزب.

ولوكان الپارتي مضطرا على تقديم بعض التنازلات، فيا ليته يتنازل لجلال الطالباني وليس لصدام السفاح، بطل الأنفال والقصف الكيمياوي وهدم القرى. ليت المحادثات التي بدأت مساء 1996/8/30 في لندن بين ممثليكم وممثلي أوك كانت تتواصل ولم تقبر بهذا الهجوم على أربيل.

ومهما كان الأمر فان من الحكم القديمة (خسارة النصف أهون من الكل). وقيل أيضا (التراجع عن الخطأ فضيلة). إنني أطلب من منطلق الإخلاص لهذا الشعب المنكوب أن تعيدوا، أنت وقيادة الپارتي، النظر في إحداث الأيام الأخيرة وأن تصححوا بجرأة أخطاءكم. ويكون ذلك من مصلحة حزبكم أيضا.

ايها الأخ المحترم!

إنني أقدم إليكم المقترحات التالية وآمل أن تدرسوها بروح موضوعية:

- القطع الفوري لكل علاقة مع نظام صدام.
- الاعتراف بخطأ الپارتي وتقديم الاعتذار إلى جماهير الشعب.
- العودة إلى التفاوض وسبل الحل السلمي.

و أفضل أن تجعل أربيل مدينة محايدة بإشراف قوة من UN وان تؤلف حكومة ائتلافية تشرف على انتخابات برلمانية جديدة مع تعديل قانون الانتخابات بإلغاء نسبة 7%، ويحترم الجميع نتائجها.

في انتظار الجواب نامل لكم الحظ السعيد، مع استعدادنا لأي خدمة من اجل تحقيق هذه المقترحات.

أخوكم بهاء الدين نوري

1996/9/6

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

اندماج هش مع جماعة منشقة على حشع
تحول بعد 31 آب إلى وبال علينا

في نيسان 1994، بعد تقديمنا الطلب إلى الحكومة الإقليمية لإجازة حركة الديمقراطيين التقينا ذات يوم مع شبان في أربيل لم اعرف شخصيا أيا منهم لكنني فهمت أنهم من الشيوعيين المعروفين في المدينة. وهم أنفسهم لم يأتوا كممثلين للحزب الشيوعي، بل اتضح بعد الحديث والمداولة انهم منسحبون من صفوف حشع ليشكلوا تنظيما خاصا بهم باسم (حركة التحرر الوطني). لم أعرف لماذا اختاروا مثل هذا الاسم لمنظمتهم ولكنني عرفت في مجرى الحديث أنهم راغبون في الاتفاق معنا على التنسيق والتوحيد. وبديهي أننا كنا أشد رغبة على ذلك لأننا كنا تشكيلة سياسية صغيرة في دور التكوين، وكانت غالبيتنا من الشيوعيين السابقين وكان من السهل على الطرفين أن نجد لغة التقارب والتفاهم مع الآخرين من الشيوعيين الذين تركوا صفوف حشع بسبب خلافات فكرية. وكانت تلك الأيام فترة انسحابات بالجملة من صفوف حشع، وبالأخص في أربيل حيث انضم عدد من الكوادر الشيوعية إلى الپارتي أو أوك، وانسحب العديد منهم ليؤسسوا حزبا خاصا بهم باسم حزب العمل على استقلال كردستان وطالب آخرون بتحويل منظمة الحزب الشيوعي في إقليم كردستان إلى الحزب الشيوعي الكردستاني مستقلا عن حشع. وقد تكررت اللقاءات وبحثت قضايا الاندماج، وكان من بينها اختيار الاسم للمنظمة وأسس برنامجها. واقتنع رفاق (حركة التحرر الوطني) بأننا قدمنا باسم (حركة الديمقراطيين) طلب الإجازة ولا مجال لأي تغيير حاليا، لكن الفرصة لإعادة صياغة البرنامج وإعادة النظر في الاسم - إن اقتضى الأمر- ستسنح في المؤتمر الأول بعد أخذ الإجازة. وفي 31 تشرين الثاني، قبيل مؤتمرنا الأول، صدر بلاغ التوحيد بتوقيع كل من بهاء الدين نوري وحاجي ملا وعبدالله شريف وعلي عمر.

وقد دخلنا سوية قاعة المؤتمر في 1994/11/25 موحدين ومنسجمين ظاهرا لكي نخرج منها مختلفين غير منسجمين، على الأقل مع البعض

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

منهم. ويعود سبب ذلك إلى عدم فوز البعض من هؤلاء في الوصول عبر الانتخابات إلى اللجنة العليا للحركة. وكان المحتجان الرئيسيان على نتائج الانتخابات كلا من الرفيقين علي عمر وعلي مولود، إضافة إلى آخرين. وعبثا حاولنا إقناعهما وأصيبت عملية التوحيد بهذه النكسة منذ بدايتها، دون أن يكون لنا ذنب في الأمر لأننا لم نكن منحازين قيد شعرة إلى أي رفيق ضد آخر، ولم يكن لدي شخصيا أي سبب للانحياز ولفضل هذا على ذاك، بل كنت على نفس المسافة من الرفاق جميعا.

لم يمر وقت طويل على انتخاب لجنتنا القيادية عندما نقل إلى حاجى ملا خبرا بالغا الخطورة، نقله عن أحد الرفاق الشيوعيين، ومفاده أن الدكتور أحمد عبدالعزيز السورچى، الذي كان احد قادة الجماعة الذين اندمجوا معنا وحضروا مؤتمرنا الأول بعد استحصال الرخصة القانونية، والذي جرى انتخابه عضوا في اللجنة العليا لحركة الديمقراطيين، عميل لنظام البعث. يا له من أمر خطير! ولكن مهلا يا هذا! هل أن أستاذا جامعيا يحمل شهادة الدكتوراه في التأريخ ينحط إلى هذه الدرجة العميقة ويقبل بالعمالة لنظام دكتاتوري فاشي ليتجسس على رفاقه وبني وطنه ممن لم يسيئوا إليه يوما من الأيام؟ وبعد بعض المداولات قررنا عرض المسألة على اللجنة العليا ليتحمل الجميع سوية المسؤولية. وقررت اللجنة العليا التحقيق والتوثيق قبل اتخاذ أي إجراء ضد المتهم. وكان هناك من يشك بمصداقية ادعاء الشيوعيين في تسريب أخبار من هذا القبيل إلينا، نحن الذين لم نعد جديرين بالثقة طالما تركنا صفوف حشع واختلفنا مع قيادته. فاضطررنا إلى تعليق القضية موقتا لحين الحصول على أية معلومة جديدة، مع أخذ الحذر في التعامل مع المتهم. وقد كشف المستقبل عن أننا كنا مخطئين واننا دفعنا غاليا جدا ثمن هذا الخطأ. فالمتهم بريء مالم تثبت إدانته - هذه قاعدة فقهية صحيحة دوما - غير أنه يكون من الضروري والواجب التصرف تجاه المسألة بشكل مغاير حين يتعلق الأمر بقضية الاندساس والتجسس في مؤسسة سياسية أو ما شابه ذلك. فالخلل في الإجراء الذي اتخذناه قد سبب ضربة كبرى لمنظمتنا في وقت لاحق، كما سيرى القارئ.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

بعد انتخابات 1992
تغيرت خارطة الأحزاب السياسية

تلكم هي التغيرات التي طرأت على خارطة الأحزاب السياسية في الإقليم بعد الانتخابات البرلمانية في 1992 والفترة اللاحقة لها. وهنا تجب الإشارة إلى انه طوال 18 سنة أعقبت تأسيسه كان الپارتي الحزب القومي الوحيد تقريبا في كردستان العراق. وفي 1964 انقسم إلى شقين - رئيس الحزب ومؤيدوه من جهة وجناح المكتب السياسي وسكرتيره إبراهيم أحمد من جهة أخرى. وإثر بيان 11 آذار 1970 صفي الجناح المنشق وأنفرد البارزاني بزعامة الحركة القومية. وفي أعقاب نكسة 1975 تعرض الحزب القومي الأم لانشقاقات غير مسبوقة، فتزعم جلال الطالباني تأسيس تنظيم سمي (الاتحاد الوطني الكردستاني – أوك) وظهر تنظيم آخر باسم (الحركة الاشتراكية الكردية) وفريق ثالث باسم (اللجنة التحضيرية) ...الخ، فيما ظهر الحزب الأم نفسه باسم (القيادة الموقتة لحدك). وتواصلت لاحقا الانقسامات وظهرت كتل ومنظمات جديدة في ظروف فقدان السيطرة السياسية للپارتي على الساحة السياسية. وعند تزايد الصعوبات الأكثر لدى هذه الأحزاب، مقرونة بتطور الوضع في الساحة الإقليمية لصالح صدام عسكريا وسياسيا، اضطرت هذه الأحزاب، بما في ذلك أوك والپارتي، إلى الكف عن الصراعات الدموية فيما بينها والاستعاضة عنها بعقد التحالف المعروف باسم الجبهة الكردستانية، التي قدر لها بعد حرب الخليج الأولى وانتفاضة ربيع 1991، أن تستلم السلطة وتجري أول انتخابات برلمانية في هذا الإقليم عام 1992.

على أن نتائج الانتخابات قد فاجأت الأحزاب الصغيرة وأثرت على مزاج قياداتها تأثيرا كبيرا، وبالأخص بعد أن فرض الحزبان الكبيران شرط حصول كل حزب على 7% من إجمالي أصوات الناخبين لكي يحق له دخول البرلمان، الأمر الذي حرم كافة الأحزاب الصغيرة، العلمانية والإسلامية، من حيازة المقاعد القليلة المعادلة لنسبة الأصوات المستحصلة.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وبدأت الأحزاب القومية الصغيرة، المنشقة أصلا من الحزب القومي الأم، تتسابق في الانضمام إلى الحزبين الرئيسيين على الوجه التالي:

- **الحزب الاشتراكي الكردستاني**، بزعامة رسول مامند، الذي كان قد حصل في الانتخابات على 26 ألف صوت، أي ما يزيد عن مقعدين في البرلمان، انضم مع سكرتيره واغلب كوادره إلى أوك، فيما انضم عدد من كوادره، بضمنهم محمد الحاج محمود، إلى الپارتي. ولم يلبث أن انسحب محمد الحاج محمود من الپارتي وانصرف إلى إعادة بناء تنظيم من أيده باسم (الحزب الاشتراكي الديمقراطي الكردستاني).
- حل **حزب الشعب الكردستاني** بزعامة سامي عبدالرحمن نفسه وعاد كادره، سامي وجوهر نامق وغيرهما، إلى الپارتي.
- حل **باسوك** نفسه وتوزع كادره القليل بين الحزبين وبين البيوت ابتعادا عن العمل الحزبي.
- و**الحزب الشيوعي العراقي** الذي كان ينتظر الحصول على 12% من أصوات الناخبين، ولكنه لم يحصل إلا على 22 الف صوت أي حوالي 2% من الأصوات، تعرض للانشقاق إذ هجره فريق كبير من الشيوعيين لينضم بعضهم إلى صفوف أوك أو الپارتي وليتبنى فريق آخر نهجا قوميا ماركسيا قريبا من نهج PKK ويشكلوا حزبا باسم (حزب العمل على استقلال كردستان)، الذي تعرض هو الآخر لانشقاقات وتصدعات. وانفصل الباقون من شيوعيي الإقليم ليشكلوا حزبا خاصا بهم باسم (الحزب الشيوعي الكردستاني).
- و**الحركة الإسلامية الكردية**، التي تزعمها الملا علي عبدالعزيز، تعرض هو الآخر للانشقاق وانفصل عنه التيار السلفي بزعامة علي باثير الذي يقود السلفيين الآن كما انفصل عنه التيار الإسلامي المتطرف الذي استولى لفترة على المنطقة الجبلية في هورامان متهمين بالانتساب إلى تنظيم القاعدة. فيما دخل الأستاذ في إحدى الجامعات الخليجية د. علي القرداغي - وكان من منتسبي حركة الإخوان المسلمين- على خط الحركة الإسلامية فأسس أول الأمر الرابطة الإسلامية الكردية كمنظمة غير سياسية، خيرية إغاثية. ولكنه لم يلبث أن أسس حزبا باسم (الاتحاد الإسلامي الكردستاني)، دون إن يدخل نفسه بشكل مباشر، بل اكتفى بأن يظل أبا روحيا ومصدرا لتدبير

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

أموره المالية.

- وبقي **حزب كادحي كردستان** بزعامة قادر عزيز بعيدا عن الحل، بل انضم إليه تنظيم (راية الثورة) الذي سبق أن انشق على أوك، بزعامة ملا بختيار وسالار عزيز وعماد أحمد وفاضل كريم وغيرهم. لكن هذه الوحدة لم تعمر كثيرا إذ عادت جماعة (راية الثورة) إلى صفوف حزبهم السابق أوك. وفي وقت لاحق انشق عبدالخالق زنكنه أيضا على حزب كادحي كردستان ليؤسس منظمة خاصة به ثم لينضم إلى الپارتي.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

إضراب مفتعل وقف وراءه أوك

في 5 كانون أول 1996 نقلت الصحف والراديو والتلفزيون نبأ الإضراب عن الطعام مقرونا بالاعتصام أمام مقر UN في السليمانية لعدد من المواطنين. قدم المضربون عددا من المطالب، بينها بعض المطالب التي تخص صدام ولا شأن لها بالمنظمة الدولية. وقد نشطت وسائل الإعلام التابعة لأوك في الدعاية للإضراب هذا وكيل المديح له باعتباره أرقى واعظم أساليب النضال.. (الأسلوب الرائع الذي لا يضاهيه أسلوب آخر) - هكذا كان إعلاميو أوك يصرخون مثيرين ضجة كبرى انطلت على الجماهير الساذجة وحملت الكثيرين على كيل المديح والإشادة بالمضربين والرغبة في الاقتداء بهم إما بإعلان إضراب مشابه في مدن أخرى أو التوجه من مختلف المدن إلى مدينة السليمانية بغية زيارة المضربين والتعبير أمامهم عن الإعجاب بهم والتقدير لهم في هذا النضال الذي لم يسبق له مثيل!!

لا أدري ما إذا انطلت هذه الخدعة على سائر الأحزاب والجماعات، على الأقل في مناطق إدارة أوك. ولكنها لم تنطل علينا نحن في حركة الديمقراطيين. فالوضع في الإقليم كان بالغ التعقيد بسبب شيوع الفقر والبطالة، بل والمجاعة، وارتفاع الأسعار وانتشار الفساد والسرقة والنهب ...الخ، في ظروف استفحال اقتتال الأخوة وانتزاع مدينة أربيل في 31 أب 1996 من أوك ووقوعها في أيدي البارتي وتكريس الواردات المالية الضئيلة لتغطية نفقات الاقتتال بين الحزبين الحاكمين، بعد أن كان الإقليم قد انقسم إلى سلطتين وجيشين وميزانيتين ...الخ. ورغم أن المضربين كانوا يتظاهرون بالحياد وعدم الانتساب إلى أي حزب فان كل القرائن كانت تدل على أن قيادة أوك كانت وراء الإضراب. وهي استهدفت من ذلك صرف أنظار الشباب والناس عامة عن المشاكل المعيشية وغير المعيشية المتفاقمة.

وقد أصدرنا عددا صغيرا من مجلة ديموكراسي مكرسا لتناول هذا الإضراب والكشف عن بعض جوانبه الخفية بأسلوب هادئ. وقد أوردنا في افتتاحية العدد ما مضمونه أن الإضراب عن الطعام عرف كأسلوب للنضال

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

في السجون السياسية، ونجح أحيانا بفضل دعم ذوى المسجونين والجماهير عامة له. أما ما يجرى عندنا اليوم فان من الواضح أن المضربين لا يملكون خبرة بشأنه إذ كيف يمتنع المضربون حتى عن تناول الماء والشاي والسجاير ولماذا يجلسون عراة تحت المطر والبرد؟ ولماذا تشيد وسائل الإعلام بمواقف خاطئة من هذا القبيل؟ أنتم، يا أبناء كردستان، مشكورون على دعمكم للأخوة المضربين ولكن من الخطأ أن يصب البعض جام غضبهم ضد جرائم صدام على ممثلي UN ومن الخطأ أن يكون دعمكم لهذا الإضراب على حساب دراستكم في المعاهد والكليات.

وانتم، أيها الإعلاميون! مشكورون على دعمكم للمضربين، ولكن عليكم أن تقدموا تقييما موضوعيا للحدث دون المبالغة في التقدير.

وقد انتهى الإضراب دون أن يخلف وراءه أثرا يذكر، كما يحدث عادة للإحداث المفتعلة.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

اقتتال الحزبين كلفنا ثمنا غاليا

حرب اقتتال الأخوة بين الحزبين القوميين الرئيسيين في الإقليم قد بدأت منذ عشرات السنين وتوقفت لبضع سنوات لكي تتجدد في ظروف بالغة الدقة والتعقيد بعد انتفاضة ربيع 1991. بدأت منذ نيسان 1994 ومرت بمراحل وجولات متعاقبة، وكانت إحداها في آب 1996- كما أسبقت. وتعقدت هذه الجولة اكثر من غيرها بسبب ملابسات إحداث 31 آب. وقد أدانت حركة ديمقراطيي كردستان تعاون الپارتي مع صدام لاقتحام أربيل. ولم تكن هذه الإدانة انحيازا إلى أوك، بل كانت نابعة عن قناعتنا بمسؤولية البارزاني ووجوب شجب ما اقدم عليه. ولكن إصدار بيان الإدانة لم يقترن بالمناقشة والموافقة المسبقة مع رفاقنا الموجودين في أربيل من أعضاء قيادة الحركة بضمنهم المشاركين في التأسيس حاجى ملا وملا شيخة وسيد أنور وعبدالله شريف والآخرين. فرفض هؤلاء بياننا واتخذوا موقفا مغايرا، لونا من الانحياز إلى الپارتي، أو رفض الاتفاق معنا على موقفنا. أنا لست مقتنعا إلى الآن بصواب موقف أولئك الرفاق، ولكنني اقتنعت بأنه كان يجب التريث من قبلنا وإجراء مداولات مع ذلك القسم الهام من حركتنا قبل أن نصدر البيان. معنى ذلك أننا تسرعنا وأخطانا، كما أخطا رفاق أربيل. وقد طالب البعض في السليمانية بإصدار بيان لشجب موقفهم ولكنني عارضت ذلك وقررت تجاهل ما قاموا به واتخاذ موقف مرن وصبور بهدف تهدئة الوضع وبمعالجة الموقف. ونجحت في ذلك وتصالحنا مع الرفاق القدامى وكأن شيئاً لم يكن، لكن هذه المصالحة لم تشمل المنضمين الجدد من جماعة حركة التحرر الوطني. والسبب الرئيسي في ذلك كان الشكوك القوية التي نشأت لدينا حول الدكتور أحمد عبدالعزيز السورچى، بعد أن وصلنا بعض الملاحظات حوله. ولم نشك في أي شخص آخر من هؤلاء. وبعد ذلك بسنوات نطقت الوقائع - بعد سقوط صدام - إذ كشف عن ملف هذا الرجل وتبين انه كان عميلا لجهاز الأمن البعثي، بل كان قد جعل من زوجته أيضا عميلة للجهاز مقابل منحها فرصة الدراسة العليا في بغداد. ولا أدري ما إذا كان الدكتور أحمد نفسه قد حصل على شهادة الدكتوراه بنفس الطريقة أم لا.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

لم يطل عمر وحدتنا مع جماعة (حركة التحرر الوطني) الذين تركوا صفوف حشع لينضموا إلينا في 1994، بل تلقينا ضربة كبيرة سحقت منظمتنا الحزبية كلها في أربيل، مع الحاق بعض الأذى بنا في السليمانية. ولم تأت الضربة من هؤلاء الرفاق، بل نجمت عن احتدام مشكلة اقتتال الأخوة بين الحزبين الحاكمين، وما ترتب عليها من مضاعفات. غير أن الدكتور المندس استغل ما حدث ليقوم بما يقوم به الجاسوس في مثل هذه الحالات من شق وإرباك وتخريب. وكان من المفارقات العجيبة أننا، نحن الذين وقفنا على الدوام ضد اقتتال الأخوة ولم نشترك فيه بأي حال من الأحوال، دفعنا أكثر من غيرنا ثمن ما حدث من الاقتتال، بالأحرى ثمن استنكارنا لما حدث من تعاون بين الپارتي ونظام صدام بهدف انتزاع مدينة أربيل من أيدي أوك. لقد نشأت جراء هذا الحادث معادلة سياسية بالغة التعقيد، خصوصا خلال الأيام الأولى وقبل أن تنكشف الخيوط السرية وملابسات الحادث. فالاقتتال بين أوك والپارتي لم يكن بالشيء الجديد. بيد أن جر قوات صدام، وهو العدو الرئيسي للشعب الكردي، لإقحامها في الصراع بين الحزبين، لصالح احدهما ضد الأخر، كان جديدا كل الجدة. فماذا كانت مواقف المنظمات والجماعات السياسية العلمانية إزاء هذا الحدث غير المسبوق في تأريخ كردستان؟

الشيوعيون الذين كانوا متواجدين في كلتا المنطقتين وكانوا يقبضون المال من كلا الحزبين التزموا الصمت أو اكتفوا ببعض الهمسات الأخوية في أذن هذا وذاك لأنهم لم يريدوا إزعاج أي منهما. والأحزاب الموجودة في منطقة إدارة أوك سارعوا إلى إصدار بيانات الإدانة الشديدة ضد الپارتي. في حين أن الأحزاب الموجودة في منطقة إدارة الپارتي التزموا الصمت أيضا، لأنهم لم يريدوا إدانة الپارتي ولم يكن هناك ما يقولونه إذ لم يكن بمستطاعهم أن يشيدوا بما رأوه. ونحن في حركة الديمقراطيين، هل يجب أن نبدي موقفا أم نلتزم الصمت؟ أنني شخصيا، كسكرتير لحركة الديمقراطيين لم اكن متربيا بثقافة الصمت في مثل هذه الحالة، ولم اكن راضيا عن صمت رفاقي في حشع خلال سبعينات القرن الماضي، حين كان حليفنا البعثي يسحق كوادرنا والحزب ساكت أو يكتفي بهمسات! كنت أعتقد أن الصمت إزاء لون صارخ من تعاون الپارتي مع نظام صدام إنما هو أشبه بالتأييد. وأن الموقف الصحيح الوحيد هو الإدانة، ففعلت ذلك كسكرتير

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

لحركة الديمقراطيين. وهذا ما وضعني في خندق واحد مع أوك، رغم أنني كنت معارضا ثابتا لاقتتال الأخوة، وكان واضحا أن مسلحي الپارتي لن يقفوا عند السيطرة على أربيل، بل يهاجمون السليمانية أيضا بهدف انتزاعها من أوك الذي انهارت معنوياته وهيأ نفسه للانسحاب شطر الحدود الإيرانية. ولم أرتأ أنا وعدد من كوادرنا الشابة وحراس مقرنا أن نبقى في المدينة، فانسحبنا مع المنسحبين خوفا على سلامتنا، في حين بقي البعض من كوادرنا وما كان لنا من تنظيمات في السليمانية. وقد وجدت نفسي أنصب الخيام من جديد في منطقة نيوزنك- نوكان، التي كنت فيها سابقا، في 979-1981، بين رفاقي الشيوعيين كقاعدة عسكرية.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

سكرتير حزب العمل على استقلال كردستان ذهب إلى بغداد ليطلب ألفي دولار من مخابرات صدام!

كنا جالسين في مقر حركة الديمقراطيين بمدينة السليمانية في تشرين الثاني 1995 عندما دخل الغرفة أحد الرفاق ليخبرنا بأن أبو حكمت (يوسف حنا القس) قد انتخب سكرتيرا لحزب العمل على استقلال كردستان. فلم أتمالك نفسي من أن أعلق على الخبر بشكل فوري:

- إذن أقرأوا الفاتحة على روح هذا الحزب!

قلت ذلك لأنني كنت اعرف الرجل معرفة جيدة إذ عشنا في السجن سوية لفترة وعملنا في مكتب الإقليم لحشع سوية لسنوات وشاركنا سوية في اجتماعات اللجنة المركزية ومؤتمرات الحزب وغير ذلك. ولا أقول انه كان إنسانا سيئا، على العكس من ذلك فقد كان رجلا هادئا ومتزنا ومعقولا.. إلا أنه كان يفتقر إلى المؤهلات القيادية. كان يصلح لأن يكون تشريفاتيا في المقر وليس سكرتيرا للحزب. فهو اعتاد طوال حياته الحزبية على أن يكون إمعيا ومستعدا لاستلام وتنفيذ أوامر القيادة. ونموذج ذلك هو موقفه في اجتماع لجنة إقليم كردستان عام 1975، يوم انهيار الحركة الكردية المسلحة، حيث وقف، هو وفاتح رسول، ضد رأى 18 عضوا مسايرة لرأي المكتب السياسي (راجع الجزء الأول من مذكراتي) وتنفيذه السريع لأوامر القيادة بالهجوم على مقر أوك في باليسان في 28 نيسان 983، قبل يومين من اقتتال بشتاشان المأساوي.

على أن أسوا موقف له في حياته، بقدر ما أعرفه، هو تنازله لمخابرات نظام صدام في 1997/8/7 بطلب الفي دولار حين كان مع تحسين محمد خليل في بغداد باسم التفاوض مع النظام (طيا نص كتاب المخابرات كما نشرته جريدة هاولاتي).

الحديث عن الراحل أبو حكمت يجر إلى الحديث عن الحزب الذي كان آنئذ سكرتيرا له، واقصد حزب العمل على استقلال كردستان، الحزب الذي

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

كال لأعضائه وللناس وعودا كبيرة جدا ولكنه لم يحقق حتى أهدافا صغيرة. وقد ظهر هذا الحزب كنتيجة لظهور نزعة قومية بين فريق من الشيوعيين العراقيين الأكراد كرد فعل للنزعة القومية العربية بين فريق من الشيوعيين العراقيين العرب. ولئن كانت رؤية ذوي النزعة القومية العربية قد تجلت في المطالبة بأن يكون سكرتير حشع وأغلبية أعضاء هيأته القيادية من العرب وجوبا فان الرؤية القومية الكردية قد تجلت في انفصال الشيوعيين الأكراد عن حشع وإعادة بناء التنظيم كحزب شيوعي كردستاني. وفي نهاية المطاف وبعد بلبلة فكرية واسعة دبت في صفوف الشيوعيين الأكراد قبل انتفاضة 1991 وبعدها انتهى بهم الأمر إلى أن تهجر جمهرة واسعة منهم صفوف حشع. ومن الذين هجروا حشع فريق آثروا الانضمام إلى أحد الحزبين القوميين الحاكمين، وفريق ثاني - وهم الأغلبية- ارتأوا أن يؤسسوا لأنفسهم حزبا جديدا ماركسيا - قوميا سموه (حزب العمل على استقلال كردستان). ووجد أيضا فريق ثالث، وهم الذين لم يكن لهم أي خلاف جوهري مع حشع ولكنهم ارتأوا ضرورة تغيير شكل التنظيم، واختاروا اسم الحزب الشيوعي الكردستاني. وهذا الفريق بقوا على علاقات راسخة مع حشع وتمسكوا بالنظرية الماركسية - اللينينية، على حد تعبير سكرتيرهم السابق كريم احمد - كما كرر مرارا في مذكراته.

أما الفريق الثاني، الماركسي- القومي، فانهم عقدوا مؤتمرهم في شباط 1993 ليعلنوا عن تأسيس الحزب الخاص بهم باسم (حزب العمل على استقلال كردستان). وقد أخفق المؤتمر في تأسيس حزب سياسي متجانس ومؤثر في الساحة. وكان واضحا أن سبب الإخفاق هو احتدام الصراع بين فريقين مشاركين في المؤتمر، فريق من المثقفين الذين رجع أغلبهم من الخارج، وكانوا ينظرون إلى الأمور بمنظارهم الخاص المغاير ويتصورون أنهم الأجدر بأن يقودوا الحزب، والفريق الثاني كانوا من العسكريين الذين تحملوا عبء النضال الأصعب داخل البلاد ورأوا انفسهم الأجدر بأن يقودوا. وبسبب الخلافات المقرونة بهذا الصراع تلقى الحزب، قبل أن ترى عيناه النور، ضربة مؤثرة إذ جرى انتخاب السكرتير من منطلق توفيقي وليس من منطلق اختيار الرجل الأكفأ والأنضج كرأس للحزب. وقد دخل المندوبون بأمل وتفاؤل كبيرين وخرجوا أو خرج الكثيرون. بمعنويات أضعف بكثير. وفي 1995 أشيع في البلد بأن السكرتير المنتخب في

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

المؤتمر قد هرب من الحزب كما يهرب الجندي الفار من الجيش، وسرق من حزبه - كما اخبرني أبو حكمت نفسه أثناء زيارتنا له في خريف تلك السنة - مبلغ عشرين الف دولار، وكان ذلك كل ثروة الحزب النقدية. واختير أبو حكمت، الذي لم يكن بأفضل من السكرتير الهارب، قائما بأعمال السكرتير لحين عقد مؤتمرهم الثاني المرتقب. وكان الاحتمال الأقوى أن ينتخب في المؤتمر محمد الحلاق سكرتيرا جديدا للحزب، غير أن قيادة أوك قبرت هذا الاحتمال قبيل المؤتمر بقتلها هذا الشاب مع 11 من رفاقه بالقرب من مدينة كويسنجق، وهم في طريقهم إليها قادمين من أربيل. ودفعتني المذبحة التي جرت بحق محمد الحلاق ورفاقه إلى كتابة الرسالة التالية إلى جلال الطالباني:

رسالة استنكار إلى الطالباني

العم المحترم

بعد السلام والاحترام

على الرحب بعودتكم إلى كردستان، آمل أن تكونوا قد عدتم من سفرتكم موفقين، رغم أن التوفيق في الظروف الحالية البالغة التعقيد ليست سهلة المنال.

كان بودي أن أزوركم في مقركم للترحيب بعودتكم، لكنني لم أتجرأ على طلب الموعد لأنني عبثا حاولت الحصول على موعد لقاء معكم رغم محاولاتي طيلة 2-3 أسابيع.

كصديق لكم أود التطرق إلى سياسة أوك وبعض الإحداث الأخيرة، وبالأخص المذبحة التي أقيمت في 1995/11/2 لعضو المكتب السياسي لحزب العمل على استقلال كردستان محمد الحلاق ورفاقه الأحد عشر. من الواضح أن ذلك قد نُفذ وفق مخطط مدروس مهيأ بمشاركة مفارز خاصة من مسلحي أوك في سيطرة توبزاوا - كويه، حيث جرى التصدي لهؤلاء وأخذوا أسرى إلى معسكر السلام ليقتلوا هناك بأسلوب بعثي متوحش ويدفنوا في قبر جماعي وبُذلت المساعي للتستر على جميع معالم الجريمة. بعد أسبوع، وتحت ضغط الناس وبعض الأطراف السياسية أخرجت الجثث من القبر لتسلم إلى ذويهم، وكان 7 من كويه و4 من أربيل وواحد من

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

السليمانية. ويقال أن الجثث كلها قد شوهت تحت التعذيب، وقد صودرت أربع سيارات مع أسلحة المفرزة، واحتل مقر حزبهم في كويه ونهب كل ما فيه. وجرى تمزيق أي لافتة علقت في أربيل أو السليمانية لاستنكار هذه الجريمة النكراء.

في الوقت نفسه لم يلق القبض على أحد ولم تشكل أية لجنة للتحقيق في هذه المذبحة الجماعية، بل لم يلفظ ولا بحرف إزاء القتلة المجرمين.

والأسوأ من كل شيء هو أن هذه الجريمة كانت حلقة من سلسلة جرائم غير مبررة، كان منها قتل مسؤول الفلاحين في رانيه ماموستا أمين، إضافة إلى آخرين هنا وهناك، وهدم العديد من المباني الجيدة في أربيل وفي زراين وغيرهما، دون أي مبرر منطقي. ويجدر بالذكر أن ناطقا رسميا باسم أوك سمى حزب العمل على استقلال كردستان حزبا صديقا، في نفس الوقت الذي قتل فيه محمد الحلاق.

إن مذبحة توبزاوا تدخل في قمة الأعمال الإرهابية في الإقليم، وهي تثير تساؤلات جدية:

أية مصداقية تبقى في إعلام وادعاءات أوك حول الديمقراطية والتعددية الحزبية وحقوق الإنسان في كردستان؟ وهل يستطيع احد من الأحزاب الصغيرة والجهات السياسية في منطقة إدارة أوك أن يؤمن على حياته وأمواله؟ ألا تدل هذه الإحداث على أن تجربة الديمقراطية هنا أصبحت أمام خطر الدفن وهي في المهد؟

وقد احتكرت الساحة السياسية من قبل حدك في بهدينان أيضا، والإرهاب ظل متواصلا. فخلال فترة قصيرة اغتيل عدد من اليساريين الأبرياء (أمثال رؤوف كامل وريناس ولازار وفرنسيس ونذير عمر ...الخ) دون أن يمس المجرمون بشيء. ومع ذلك فإن فترة ما بعد انتفاضة 1991 وحتى اليوم لم تشهد جريمة صارخة وموغلة في الوحشية في هذا الإقليم بمستوى جريمة توبزاوا.

وكان بمستطاع أوك أن يخفف بعض الشيء من مسؤوليته فيما لو بادر فورا إلى القبض على المجرمين وبدء التحقيق معهم وتقديمهم إلى المحكمة. لكن شيئا من هذا القبيل لم يحدث، وكأن ما يشار إليه هو أن هذا النهج سيظل متواصلا! وإذا مشت الأمور على

«AlfYaa منشورات «ألف ياء

هذا المنوال فإن الخطر لن يهدد فقط تجربة التطور الديمقراطي والتعددية الحزبية وحقوق الإنسان وحسب، بل سيهدد جميع مكتسبات نضال شعبنا وتضحياته.. بل إن نهجا من هذا القبيل سيضع أوك نفسه إزاء خطر مصير صعب بالغ الخطورة.

أود أن أكرر أن مجزرة 1995/11/2 هزت من الأعماق كل الناس الطيبين ووضعت أمامهم السؤال: إلى أين تتجه هذه البلاد المنكوبة؟ وليس خافيا على أحد بأن مسؤولية تاريخية تقع على عاتقك باعتبارك الزعيم السياسي والروحي لأوك.

ينتظر أصدقاؤكم ليروا أي موقف ستتخذون وما ستفعلون إزاء ما حدث؟

مع الاحترام

أخوكم بهاء الدين نوري

* * *

وبذلك خلا الجو لأبو حكمت، دون منافس، كي يصبح السكرتير المنتخب للحزب في مؤتمره المنعقد في تشرين الثاني 1995، علما أن بين كوادره كان من هو أجدر بما لا يقاس. وفي مؤتمرهم اللاحق (كانون الثاني 1999) جددوا انتخابه سكرتيرا لدورة جديدة، فيما كان الحزب طوال السنوات التي أعقبت مؤتمره الأول، وخصوصا خلال السنين التي كان على رأسه أبو حكمت، يتآكل ويضعف بوتائر متسارعة وتتشتت كوادره. ولم يكن مفاجأة أن ترك أبو حكمت نفسه صفوف حزبه وانضم في 2007 إلى صفوف البارتي. فقد بدأ حياته السياسية شابا شيوعيا وتوفى في شيخوخته پارتيا.

والسؤال الهام المطروح هنا الآن لا يتعلق بشخص أبو حكمت وإخفاقاته في القيادة، بل يتعلق بالدرجة الأساسية بمسار حزب العمل على استقلال كردستان، الذي انطلق أول الأمر قويا مالكا شبكة من الكوادر الشابة الفعالة المتحمسة.. فلماذا وقع في كل هذه المطبات وانتهى بعد بضعة عشر عاما إلى مصير لا يحسد عليه؟

هذا السؤال يحتمل إجابات متباينة. وأنا لم اسمع ولم أقرأ شيئاً ممن كانوا في هذا الحزب وفي قيادته بصدد السؤال المطروح هنا. ولا أفسر ما حدث له وما انتهى إليه من إخفاق وتفكك فقط بوجود سكرتير غير كفوء من قبيل

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وريا سعيد أو أبو حكمت، رغم ان للسكرتير دورا متميزا في الحزب السياسي. إنني أرى السبب الأهم وراء ما حدث لحزب العمل على استقلال كردستان في الناحية الفكرية، في الأسس الفكرية الخاطئة التي بني عليها الحزب وسياسته ونشاطاته. فهم انفسهم كانوا شيوعيين وتركوا صفوف حشع ولكنهم لم يريدوا التخلي عن الفكر الماركسي، وفي الوقت نفسه أرادوا أن يكون حزبهم قوميا شبيها بـ(بكك). وجدوا في بكك ما يجب تقليده. وهم لم يدركوا بأن بكك وليد ظروف اجتماعية مغايرة لظروف كردستان العراق، والزمن الذي أنشأوا فيه حزبهم هو غير الزمن الذي تأسس فيه بكك. وقد أسس تنظيم مشابه لبكك في كردستان العراق أيضا خلال سبعينات القرن العشرين وبالارتباط مع وجود الكفاح المسلح، وسمي (كومه لَه ى ره نجده رانى كوردستان – عصبة كادحي كردستان) وكان ماركسيا بالاسم وقوميا بالعمل، وشكل الجناح الرئيسي لأوك، ونما بسرعة قياسية. لكن الطالباني عرف كيفية التعامل مع المتغيرات فلم يتشبث بالاسم بعد أن فات أوانه. في حين أن مسؤولي حزب العمل على استقلال كردستان لم يدركوا أسباب الأزمة الخانقة في حزبهم إلى أن تآكل تدريجيا ولم يبق له من أثر سوى رجل واحد صمد في وجه كل الأعاصير، وهو شوان شيخاني مسنودا من بضعة زملاء له، ولكن دون أن ينتظر أي انتعاش في حزبه.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

مؤتمر كردي نظمه بكك في أوروبا

أتاني في مكتبي اثنان من ممثلي PKK ليدعواني إلى المشاركة في مؤتمر قومي كردي عام سيعقد في أوروبا، بعد بعض الاستفسارات عن طبيعة هذا المؤتمر ومهامه ومكان انعقاده وافقت مبدئيا على المشاركة على أن يوجهوا الدعوة إلى شخصين من حركة الديمقراطيين وليس إلي وحدي. وبعد يومين أبلغونا بأنهم قرروا توجيه الدعوة إلى شخصين منا، وشخصنا نحن اثنين للمشاركة – نشارك أنا وحاجي ملا، وهو عضو في مكتبنا السياسي وشيوعي سابق من أهالي رواندوز بمحافظة أربيل.

سافرنا مع بقية المدعوين إلى طهران لندبر من هناك السفر إلى أوروبا، وقد ألغت السلطات الإيرانية، كما كانت عادتها في مثل هذه المناسبات، سفر البعض وأجلت سفر آخرين بعدم منحهم فيزا الخروج من إيران، لكي لا يشاركوا في الاجتماع الكردي، وكان صاحبي حاجي ملا بين الذين لم يمنحوا الفيزا، فلم يستطع السفر معي وبقيت وحدي حتى التحق بي بكر حسن الذي كان مقيما مع عائلته في ألمانيا، وكان من المدعوين إلى الاجتماع. بدءا من الانطلاق في السليمانية وعلى طول الطريق غدونا، أنا ومحمد الحاج محمود سكرتير الحزب الاشتراكي الديمقراطي وقادر عزيز سكرتير حزب كادحي كردستان وآخرون رفاق سفر كفريق متجانس، كنا نتبادل الآراء ونعلق على الأمور ونتكت مع بعضنا ونضحك ...الخ. وكانت حقيبة كاكه حمه (محمد الحاج محمود) كبيرة للغاية وموضع التنكيت والضحك الدائم. فالحقيبة كانت كبيرة وتعادل حقائب الأربعة الآخرين، وقال أحدهم أن كاكه حمه جلب معه هذه الحقيبة لينقل بها عند العودة هدايا تكفي لجميع أبناء عشيرته من الهارونيين! وعند وصولنا إلى مطار مدينة نابولي في إيطاليا استقبلنا شباب من PKK وأخذونا إلى أحد بيوتهم وليس إلى أي فندق.

لم يكن من الممكن أن نستحصل بتلك العجالة على فيزا السفر من إيطاليا إلى هولندا لكي نركب من المطار وننزل في مطار آخر، فتأتى علينا أن نغامر ونوافق على ما يدبره رفاق PKK بالنسبة إلى سفرنا. ركبنا في

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

سيارتي تورن، والسائقان فيهما من جماعة مضيفينا، وانطلقنا في الطريق العام، يساورنا بعض القلق خوفا من وقوعنا في كمين البوليس وانكشاف أمرنا من جهة، وبسبب السرعة التي تصل مرارا إلى 180 كم/ساعة من جهة أخرى. وفرحنا حين اخبرنا السائق أننا اجتزنا الحدود ودخلنا الأراضي البلجيكية. ولم يلبث أن دخلنا الأراضي الهولندية أيضا. وقد أحسست بأننا استفدنا، ونحن غير أوروبيين، من إحدى نتائج الاتحاد بين الدول الأوروبية. ذلك لأن مخافر السيطرة الحدودية بين دول الاتحاد الأوروبي قد أزيلت واجتازت سياراتنا حدود دولتين – بلجيكا وهولندا – دون أن يعترضنا البوليس ويطلبوا منا الهوية أو الفيزا. وذكرني ذلك بالوضع في بلادنا حيث يتأتى على المسافرين أن يقفوا كل بضع كيلومترات عند نقطة السيطرة – في ظل نظام الدكتاتور التكريتي – لإبراز الهوية وتفتيش السيارات، بل حتى في ظل سيطرة حدك وأوك حيث كان المسافر في السيارة يتعرض لحوالي عشر مرات من التفتيش أثناء السفر بين مدينتي السليمانية وأربيل.

وصلنا إلى مكان الاجتماع، وهو في منطقة ريفية ومعقولة، ووجدنا حشدا من الناس وتراءى لي أن غالبيتهم من كردستان تركيا المغتربين. ولم يكن المغتربون من كردستان العراق وإيران قليلين، وأظن أن الأكراد المشاركين من كردستان العراق كانوا أكثر من غيرهم الذاهبين من داخل البلد. والسبب أن كردستان العراق كان محررا من سيطرة صدام. ولم تكن الأحزاب الرئيسية الكردية مشاركة في الاجتماع بصورة رسمية. وقد اعتقدت – وكنت مصيبا – بأن هذا المؤتمر لم يكن سوى اجتماع خاص بـ PKK ولم يكن أصحاب القرار فيه سوى المسؤولين في PKK. إذ لم ألاحظ لجنة تحضيرية للمؤتمر مؤلفة من مندوبي الأحزاب الكردية الرئيسية في أقاليم كردستان الأربعة، ولم يأت المشاركون على أسس ديمقراطية مألوفة، بل جرى الاختيار وفق رغبات وتقديرات PKK. لم ألاحظ وجود جدول عمل خاص بالقضية الكردية المليئة بالتعقيدات بسبب تعقيدات الوضع الناجمة عن تمزيق كردستان وتقسيمها إلى أربعة أجزاء بين أربع دول في المنطقة. ولم يحسب حساب الأوضاع الجيوبوليتيكية وتباين الخصائص التاريخية لكل جزء. ولم يكن بالإمكان تمشية أي قرار لا يوافق عليه PKK، ولكن كان من السهل تمشية القرار الذي يرفضه المشاركون من أكراد العراق وإيران. وقد صوت الحضور بأغلبية ساحقة لقرار، عارضناه نحن، يقضي بانتخاب

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

عبدالله اوجلان رئيسا – طبعا في غيابه – للمؤتمر. وكان ذلك يعني، حسب تصور PKK، أن اوجلان قد انتخب في هذا المؤتمر القومي رئيسا للأمة الكردية. وانتخب الشخصية القومية الكردية المعروفة عصمت شريف، وهو من كردستان تركيا، مسؤولا تنفيذيا للمؤتمر. لكن ذلك لم يكن أكثر من منصب فخري لأن الأمور بقيت بعد المؤتمر أيضا في أيدي PKK، ولم يكن عصمت شريف من منتسبي PKK.

بعد المؤتمر نظمت لنا سفرة لزيارة (برلمان كردستان) في العاصمة البلجيكية، وكان في استقبالنا زبير، الذي كان سابقا عضوا في برلمان تركيا المنتخب. وبديهي أن برلمان كردستان في بلجيكا لم يكن برلمانا حقيقيا ولا منتخبا من احد، بل كان أيضا برلمانا صوريا شكله PKK كإحدى الهيئات التابعة له.

وقد قمت بجولة في هولندا التقيت خلالها برفاق وأصدقاء من العرب والأكراد. وحدثني نوري الأنصاري أن قسما من سكان هولندا طلبوا من حكومتهم السماح بالانفصال عن النظام الهولندي وتشكيل دولة خاصة بهم مستقلة عن هولندا، وأجابت حكومة لاهاي بالموافقة دون الدخول في صراعات، فوافقت الحكومة المركزية على الطلب ومارس هؤلاء الحكم لثلاث سنوات ثم توصلوا إلى قناعة بأن من مصلحتهم أن يتراجعوا عن قرار الانفصال ويطلبوا من الحكومة المركزية قبول عودتهم، وكان لهم ما أرادوا. وذكرني ذلك بالوضع في العراق وإيران وتركيا حيث يعتبر الحكام مجرد الحديث عن انفصال قومية ما جريمة تستحق اشد العقوبات وتبرر إثارة الحروب وسفك الدماء ونشر الخراب ...الخ.

وقد كنا، أنا وقادر عزيز ومحمد الحاج محمود، راغبين في زيارة برلين، فاتفقنا على سفرة سوية دون أن تكون في حوزتنا وثائق السفر رسميا، وانطلقنا مرة أخرى مع سائقين من PKK نحو برلين، وافترقنا هناك على أن نتلاقى سوية عند العودة بعد أيام إلى هولندا. وقد حللت ضيفا على بكر حسن وعائلته في برلين، ودبر بكر ندوة لي تحدثت فيها عن الوضع في كردستان والعراق، والتقيت في تلك الندوة لأول مرة مع مسؤول تنظيمات أوك في ألمانيا صلاح رشيد ومع الشخصية القومية الكردية جمال نبز، والتقينا اكثر من مرة مع الكردي العراقي محمد أمين بينجويني، الذي كان قد

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

انضم قبلئذ إلى PKK وعمل فترة بحماس كبير ثم برد حماسه وأصبح يوجه الانتقاد في جلساتنا الخاصة إلى بعض تصرفات القيادة. وزرت في برلين أكثر من مرة نادي 14 تموز، الذي كان فريق من الشيوعيين السابقين، وابرزهم رفيقان من البصرة ومن الناصرية (أبو عمار) ولا أتذكر اسميهما، قد أسسوه.

اجتمع فريقنا لنعود سوية إلى هولندا، ولم يكن السفر بالطائرة مقلقا لي، غير أن السفر بالسيارات في تلك الأيام، ورغم سعة وجودة الشوارع بين المدن في تلك البلدان الأوروبية، كان مبعث قلقي، إذ كان سواقنا من PKK يسوقون بسرعة جنونية غالبا ما كانت تتجاوز الـ 180 كم. ومع ذلك فإننا وصلنا بسلام إلى هولندا وتوزعنا كل إلى حيث أراد. ونزلت ضيفا على رفيقي الفدائي السابق معي الشاب الخانقيني خليل، الذي كان قد تزوج من فتاة هولندية وأقام في إحدى المدن الهولندية شبه الريفية.

وعندما ذهبت إلى مدينة أمستردام وقمت مع بعض الأصدقاء العراقيين بجولة مشيا على الأقدام لفت انتباهي أننا مررنا أمام كنيسة يصلي ويعبد فيها النصارى، وعلى مسافة قريبة منها مررنا أمام قاعة ذات واجهة زجاجية وعلى ضوء اللمبات الكهربائية القوية نرى أجساما عارية ونصف عارية لبنات الهوى اللواتي عرضن أنفسهن لمن يرغب في الشراء لبعض الوقت. وسألت صاحبي عن موقف الكنيسة والقس من هذا المبغى فأجاب ألا شأن لأي طرف بالطرف الآخر من الناحية العملية.

اتفقنا نحن الذين قدمنا من ميلانو على العودة عبر فرنسا، فانطلقنا بسياراتنا من هولندا إلى بلجيكا ومن هناك صوب باريس، التي دخلناها لأول مرة في حياتنا. وكان أول مكان زرناه في العاصمة الفرنسية برج إيفل الذي ولد كإحدى عجائب الدنيا في زمانه، وهو برج مشيد من الحديد، وقد صعدناه في مصعد كهربائي وليس عبر الدرج، وزرنا شبه مقر لـPKK في باريس والتقينا بشاب كان مسؤول تنظيمات الحزب في فرنسا وكان هذا الرجل أول شخص تضمن حديثه انتقادات لسياسة ونهج PKK. ومشينا في الشانزيليزيه اشهر شوارع باريس ومررنا أمام قصر الإليزيه الذي يجلس فيه الرئيس الفرنسي. ولم أتمالك نفسي من أن أقارن بين ذلك وبين القصر الجمهوري الذي يجلس فيه صدام ويمنع كل العراقيين، عدا الحاشية

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

الخاصة، حتى من الاقتراب منه! غادرنا باريس ونحن نسير عبر الأراضي الفرنسية جنوبا نحو إيطاليا، لاحظت على جانب الطريق كثرة من بساتين الكروم، كما لاحظت كثرة من الأنفاق في الجبال والهضاب لكي يحتفظ طريق السيارات ذو الاتجاهين باستقامته. وكان أطول نفق – على ما أتذكر – بطول 13 كم. وكلما اقتربنا من حدود إيطاليا كلما قل القلق الذي كان يساورنا بسبب انعدام وثائق السفر القانونية في حوزتنا. وتنفسنا الصعداء عندما اخبرنا السواق بأننا دخلنا الأراضي الإيطالية. وعدنا إلى ميلانو لنسكن في أحد الفنادق ضيوفا على PKK. ولاحظت خلال تجوالي داخل المدينة عددا غير قليل من اللافتات والكتابات معلقة على واجهات الشقق وهي تتضمن عبارات التحبيذ والولاء للشيوعية وتعكس أحيانا لونا من التطرف، واحيانا مناوئة للشيوعية.

بعد بعض الأيام في ميلانو أتت الموافقة إلى القنصلية الإيرانية لإعطاء الفيزا إلى زملائي ولم اكن من بينهم. واعتقدت أن استثنائي كان متعمدا من لدن الإيرانيين، وقد سافرت إلى العاصمة الإيطالية روما بهدف السعي لدى السفارة الإيرانية لاستحصال الفيزا، وكثفت محاولاتي وتلفوناتي إلى طهران لغرض الحصول على الجواب – الفيزا. وتسنى لي في روما مشاهدة القصور والمباني الأثرية التي تعود إلى عهد الإمبراطورية الرومانية. وزرت ممثل أوك في إيطاليا بكر فتاح واستقبلني مشكورا بحفاوة أخوية وبقيت ليلا في مقره – منزله – وتبادلنا الحديث حول العديد من الأمور، وكان على دراية يومية عن طريق الإنترنت على ما يجري في الوطن. كما زرت الفنان العراقي العربي (نسيت اسمه)، وقضينا بعض الوقت سوية وأهداني بعض لوحاته الفنية. ومررت على حشد من اللاجئين العراقيين وهم ينتظرون الطعام المجاني الذي كانت تقدمه اليهم إحدى الكنائس. وقد تحدثت إلى بعضهم وقدم لي احدهم رسالة لأوصلها إلى عائلته (شيخ رؤوف هنجيره) في مدينة السليمانية. وكان ذلك ثاني زيارة لي إلى روما، إذ دخلتها للمرة الأولى في سنة 1964 بصحبة مهدي الحافظ حيث عدنا سوية وبجوازات سفر مزورة إلى بغداد لمتابعة النشاط الحزبي السري في عهد الدكتاتور عبدالسلام عارف.

كان الحصول على الفيزا مبعث سروري ولو بعد تأخير، وانتظارها

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

عشرة أيام. وسافرت رأسا إلى طهران فإلى السليمانية. وقد استعرضت مع نفسي من جديد، وانا في طريق العودة إلى الوطن، إحداث المؤتمر القومي الكردي وتوصلت إلى نفس الاستنتاج السابق وهو أن المؤتمر الذي دعينا للمشاركة فيه كان اجتماعا خاصا بـPKK وهادفا إلى تحقيق غرض حزبي ضيق. ولو عقد على أسس ديمقراطية وبمشاركة حقيقية من كافة أو غالبية الأحزاب والتكتلات الوطنية الكردية في شتى أقسام كردستان، لعاد بفوائد حقيقية على حركة التحرر القومي الكردية، بما في ذلك حركة التحرر الكردية في تركيا وتنظيم PKK نفسه.

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

لماذا المبالغة
في تعظيم الراحل إبراهيم احمد؟

في 1999 توفي السكرتير الأسبق للپارتي إبراهيم أحمد بمدينة لندن حيث كان يعيش لاجئا منذ حوالي عشرين عاما. على أثر ذلك قرر جلال الطالباني وعقيلته هيرو جلب جنازة الراحل، طبعا عبر إيران، لدفنه في مسقط رأسه - مدينة السليمانية. وكان من الواضح إن الهدف وراء ذلك لم يكن مجرد جلب جنازة لدفنها في بلدها بصورة اعتيادية هادئة - كما يجري لبعض الشخصيات من هذا القبيل أحيانا، بل إقامة تظاهرة سياسية كبيرة منحازة إلى أوك في تعظيم إبراهيم أحمد. والسؤال المطروح هنا: لماذا هذه المبالغة في تعظيم رجل مقيم في مدينة لندن، بعيدا عن وطنه، منذ حوالي عشرين عاما، منقطعا عن الحياة الحزبية - السياسية ومقتصرا على بعض النشاطات الثقافية في منفاه وحسب؟ لماذا أخذ مئات السيارات لكي تتحرك في رحلة تقطع فيها قرابة 400 كم ذهابا وإيابا بين السليمانية ومخفر ثرويزخان الحدودي قرب قصر شيرين، وهي تنقل قادة وكوادر أوك والأحزاب الأخرى ورجال الثقافة والعلم وغيرهم، لكي يستقبلوا جنازة الراحل إبراهيم أحمد ويرافقوها إلى حيث تدفن في مقبرة جديدة استحدثت باسمه ومن أجله؟

لا نقاش في أن الراحل إبراهيم أحمد كان قوميا مثقفا ومناضلا سياسيا شارك في كفاح شعبه الكردي في سبيل نيل حقوقه العادلة. وكان من الأمور المألوفة أن تنقل جنازته من لندن إلى مسقط رأسه ليدفن بين قبور أجداده وبني قومه. لكن ما لم يكن من المألوف أن ينشغل أوك ودوائر حكومية وغيرها أياما بتنظيم حفل استقبال الجنازة وتشييعها، وكأنه حفل استقبال لملك الملوك اثر عودته من معركة كبرى انتصر فيها على الأعداء إبّان سني القرون الغابرة! إن الراحل إبراهيم أحمد لم يتوف في خضم النضال كما حدث لبعض قادة حشع والحركة القومية الكردية ولم يكن مؤسسا للپارتي أو لأوك ولا منظرا ولم يخلف وراءه تراثا نظريا أو ثقافيا يذكر.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وأكثر من ذلك، فإن مواقفه السياسية لم تخل من الثغرات الجدية الكبيرة. فهو مسؤول لدرجة غير قليلة عن المشاركة الفعالة في إثارة اقتتال الأخوة في فصولها الأولى عام 1964، وهو خسر تلك الجولة فذهب ليعيش في همدان لسنة، وعاد من همدان ليلجأ إلى نظام آل عارف في 1966 ويعتمد عليه ثم، منذ 968، على صدام حسين ضد البارزاني. ولم ينزع تلك البندقية من كتفه إلا بعد صدور بيان الحادي عشر من أذار 1970. إذن ما الذي يبرر هذه المبالغة في تعظيمه كما كان عند نقل جنازته وتشييعه في كردستان؟ مؤلفه الأبرز والأساسي هو كتاب أدبي صغير بعنوان (مخاض الشعب - زاني كل)، وهو كتاب جيد بكل تأكيد ولكنه لا يصل إلى مستوى المؤلفات الأدبية لكتاب آخرين من أمثال محمد موكري.

السبب الحقيقي لما حدث من المبالغة في تعظيم هذا الرجل يعود إلى الصراعات الحزبية الضيقة غير المشروعة، الصراع بين الحزبين الرئيسيين في الإقليم. يتذكر الجميع أن قيادة الپارتي كانت قد نقلت رفاة الراحل مصطفى البارزاني من إيران، حيث كان مدفونا في 1979، إلى مقبرة خاصة في بارزان. وجرى ذلك وسط الترحيب الشعبي والحفاوة البالغة. وتصورت قيادة أوك بأن من الضروري أن تقابل ما فعله الپارتي بتكرار لوحة مشابهة يكون الشخص المعظم فيها السكرتير الأسبق للپارتي الراحل إبراهيم أحمد. ومما زاد من فرص الإقدام على هذه العملية هو أن ابنة للراحل إبراهيم أحمد - هيرو- كانت قرينة لجلال الطالباني ومتنفذة في الوضع.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

التوحد مع فريق تركوا صفوف حعاك

في مجرى تعرض حعاك (حزب العمل على استقلال كردستان) للنكسات المتلاحقة والتفتت التنظيمي، وعلى أثر توجه فريق من كوادره نحو الانضمام إلى الپارتي، حاولت قيادة أوك، بالأحرى السكرتير العام لأوك، أن يكون ذا حصة في تقسيم الغنيمة بجر فريق من كوادر ذلك الحزب إلى صفوفه. وكان مشروع الطالباني بهذا الصدد عبارة عن محاولة إعادة الاعتبار إلى سكرتير الحزب السابق وريا سعيد. فوجهت إليه الدعوة، وهو مقيم في السويد، ليأتي إلى كردستان ضيفا على الطالباني، بأمل أن ينشط هنا ويجمع فريقا من هؤلاء، الذين لا يريدون الانضمام إلى الپارتي، لعله يعينهم بالانضمام إلى أوك. وقد فشل وريا في إقناع الآخرين بتبني هذا المشروع، فغير الخطة لكي يجمع لملوما من حعاك ومن غيرهم باسم (مؤتمر الحرية) وجرهم إلى أوك. ولكنه أخفق في هذه المحاولة أيضا ولم يحصل الطالباني على شيء يذكر.

وإبان هذه الصراعات، التي شملت الپارتي وأوك وكوادر حعاك، اتفق فريق من كوادر حعاك على الاتصال مع ح د (حركة الديمقراطيين) والتباحث بشأن إمكانية التوحيد. وقدم ممثلون عنهم بصحبة عضو المكتب السياسي لحركتنا ملا شيخة من أربيل إلى السليمانية وخضنا المباحثات التي لم تعترضها صعوبات جدية. لقد أوضحنا لهم وضعنا الحقيقي وخاصة مسألة شحة المال لدينا بسبب تمسكنا باستقلاليتنا السياسية. وإذا أرادوا الاتفاق معنا فان عليهم أن يأخذوا ذلك بنظر الاعتبار. وكانت طلباتهم من جانبهم هي الحصول على مراكز قيادية في حركتنا. فقبلنا ما طلبوا وأدخل رابر إلى قوام مكتبنا السياسي وآخرون إلى قوام اللجنة العليا وهو كل من شكر الله حمد مين ومحمد طه وزياد بكر وشيلان وقد عرف رابر (صلاح) بالملازم رابر وهو من قرية في اطراف كوي، وكان كادرا حزبيا وخريج الإعدادية وأدخل إلى الكلية العسكرية في دولة جنوب اليمن وتخرج منها برتبة ملازم ليعود من هناك إلى كردستان وينضم إلى صفوف الفدائيين الشيوعيين. وكان شابا هادئا مؤدبا.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

في 2002/6/26 أصدرنا بلاغ التوحيد. وشاركنا رابر في إحدى زياراتنا إلى مقر جلال الطالباني في قلاجولان. بيد أن الاندماج لم يترسخ ولم تتعزز روح الوحدة الكفاحية بين الفريقين إذ كان لهؤلاء أسلوبهم الخاص الذي تطبعوا عليه. فقبل انقضاء سنة على انضمامه، في نيسان 2003، استلمت رسالة من رابر وهو يعلن فيها استقالته من ح د. حقا انه لم يحاول إثارة متاعب لنا. ولكن مجرد الاستقالة، وهو الشخص الأبرز بين المنضمين إلينا، كان بحد ذاته لونا من المشاكل. ولم يلبث بعده أن استقال كذلك محمد طه وزياد بكر، وهم لم يحذوا حذو رابر في الجلوس في بيتهما ثم العودة إلى صفوف حشع، بل انضما إلى الپارتي. وانسحبت الفتاة شيلان من النشاط الحزبي وانصرفت إلى بناء عش زوجي لها لم تنعم به طويلا مع الأسف. والشخص الذي انسجم معنا وترسخ في صفوفنا هو شكر الله حمد أمين، الذي كان احد الفدائيين الشيوعيين قبل انتفاضة 1991 وهجر حشع مع الذين هجروه لتشكيل حعاك في 1993.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

رفضت المشاركة في
وزارة كوسرت رسول عام 1997

استولى الپارتي على السليمانية وعلى مناطق إدارة أوك بعد 31 آب 1996، ولكن بقاءه لم يطل لأكثر من شهر إذ شن أوك عملية عسكرية ناجحة مكللة بالنصر. وبعد العودة إلى مدينة السليمانية بأيام انصرف أوك إلى العمل على تشكيل وزارة جديدة برئاسة كوسرت رسول. وكان من الطبيعي أن تشارك أحزاب ت د ك (التحالف الديمقراطي الكردستاني) في هذه الوزارة. وقد ضم إليها فعلا ممثلون من حزب كادحي كردستان والحزب الاشتراكي الديمقراطي الكردستاني وحزب المحافظين دون أن يطلب الانضمام شخصيا من سكرتير أي من هذه الأحزاب إلى الوزارة. أما بالنسبة إلينا في حركة الديمقراطيين فان قيادة أوك عاملتنا على منوال مغاير إذ طلبوا مني شخصيا الدخول في الوزارة. ولم تجد معهم محاولاتي لإدخال شخص آخر ممثلا لنا في الوزارة. ومارسوا الضغط عليّ كي أرضح لرغبتهم، فارسلوا ممثلي، بل سكرتيري أحزاب ت د ك وزارني د. كمال فؤاد في مقرنا سعيا لإقناعي بدخول الوزارة. ولكنني لم اقتنع بأن أنضم شخصيا إلى الوزارة لأنني كنت أعلم بأنني أكون وزيرا بالاسم ودون أن أملك صلاحيات الوزير وانا لا اقبل لنفسي مثل هذا المنصب، ولن يطول بقائي في وزارة كهذه بل سأصطدم واستقيل من الوزارة. يضاف إلى ذلك أنني سأكون وزيرا في شطر من شطري الإقليم اللذين أريد لهما التوحيد في حكومة إقليمية موحدة، ولا أجد من اللائق بي أن أنضم إلى حكومة شطر من الإقليم لاساهم في تكريس انقسام الإقليم. وقد فكرت مسبقا فيمن يصلح حقا للوزارة ممثلا لنا وتوصلت إلى تشخيص ثلاثة أسماء ليكونوا ممثلين لنا وزراء جيدين فعلا. وهؤلاء الثلاثة هم:

1- المهندس دلشاد رشيد، وهو من مؤسسي حركتنا ومن كوادرنا السياسية، ويصلح ممثلا لنا إذا منحونا منصب وزارة الإعمار أو وزارة الصناعة.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

2- المحامي طه بابان، رغم أنه ليس عضوا في حركة الديمقراطيين ولكنه صديق لنا وعلى صلة شخصية وثيقة معي، وهو جيد ليكون وزيرا للعدل.
3- الخريج الجامعي ناصح كريم كويركي، وهو أيضا من مؤسسي حركتنا ومن كوادره الأساسية، ويصلح وزيرا للتربية أو للثقافة.

قدمت الأسماء الثلاثة إلى قيادة أوك وتركت لهم اختيار من يريدون ليخبروني ولأسعى بدوري لإقناع الرجل بقبول المنصب. غير أن أوك أصر على استيزاري شخصيا وحسب. وأصررت بدوري على الرفض. وكانت النتيجة استبعاد مشاركتنا في الوزارة. وقد ذكرتني هذه القصة بشيء مشابه في 1974، حين عقد حشع التحالف الذيلي مع نظام صدام وكان عليه اختيار أثنين للمشاركة في المجلس التنفيذي (الصوري) الإقليمي. وقد شخص المكتب السياسي لحشع كلا من عمر الشيخ وبهاء الدين نوري لهذه المشاركة. ورفضنا كلانا منذ اللحظة الأولى وبصورة قطعية، ولم يصر المكتب السياسي على رأيه بل اختاروا شيروان علي أمين وأحمد حامد وعينهما البعث.

وأقنعني موقف أوك من مشاركتنا في وزارة كوسرت بأن قيادة أوك لا تريد التحالف مع الآخرين إلا بالصورة والصياغة اللتين تريدهما هي، كما ثبت ذلك أيضا في 1980 حين جمدت عضوية حشع في جوقد، بمبادرة من أوك ولمجرد أن الشيوعيين عقدوا تحالفا مع الپارتي في كردستان كان مكملا لجوقد وحسب.

وقد ظل ت د ك تحالفا صوريا لاحول له ولا قوة، بل كانت السلطة كلها في يد قيادة أوك، إلى أن (وافاه الأجل) دون اتخاذ أي قرار بحله. وكنا نحن قد أعلنا الانسحاب من صفوفه قبلئذ، في 2000/9/5 على اثر قطع المعونة المالية الشهرية الحزبية عنا، وهي كل ما كنا نكسبه من وجودنا في التحالف، أثر استنكارنا للمذبحة التي أقيمت ضد الشيوعيين العماليين يوم كان نوشيروان مصطفى مسؤولا أول بالوكالة حزبيا وسلطويا أثناء غياب الطالباني.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

عاقبنا نوشيروان لاستنكارنا مذبحة فانسحبنا من التحالف مع أوك

خابروني ليلة 14- 15 تموز 2000 عن حادث مأساوي وقع في تلة علي ناجي بمدينة السليمانية، حيث قتل جهاز الأمن التابع لسلطة الاتحاد الوطني الكردستاني خمسة من جماعة الحزب الشيوعي العمالي وجرح آخرين منهم. وقد حدث ذلك أثناء غياب جلال الطالباني عن الإقليم وتسلم نوشيروان مصطفى زمام القيادة وكالة. وكان هناك توتر شديد في العلاقة بين الطرفين – أوك والحزب الشيوعي العمالي – في الأيام السابقة للحادث. وكان هذا الحزب تنظيما صغيرا سائرا على هدى أفكار الشيوعي العمالي الإيراني الفارسي منصور حكمت، المقيم آنئذ في أوروبا والمنظر لأفكار التطرف اليساري. واغلب الظن أن هذا الرجل لم يجد بين بني قومه في إيران قدر ما وجد في كردستان إيران والعراق من انصار واتباع. وقد انشق عليه مؤيدو نهجه في كردستان إيران ونظموا انفسهم باسم (الحزب الشيوعي الإيراني).

كان للشيوعيين العماليين مقر في تلة علي ناجي بمدينة السليمانية، وكانوا يرفضون الامتثال لأوامر وطلبات أوك، فاطلق عليهم الرصاص ووقعت المذبحة، في اليوم التالي (15/تموز/2000) نشر ناطق رسمي باسم منظمتنا (حركة الديمقراطيين) تصريحا أدان بصراحة تامة جريمة الاعتداء بإطلاق النار وقتل وجرح هؤلاء وطالب بالتحقيق ومعاقبة المجرمين. وقد كنا الجهة الوحيدة بين الأحزاب والجماعات السياسية في البلد، التي أدانت هذه الجريمة. والتزم الآخرون، بما في ذلك الحزب الشيوعي الكردستاني والعراقي، الصمت، الأمر الذي أثار غضب قيادة أوك، فعاقبتنا بإبلاغنا أن المكتب السياسي لأوك قرر قطع المعونة الشهرية عنا. كانت هذه المعونة عبارة عن مئة الف دينار، أي ما يقارب سبعة آلاف دولار، وهي على ضآلتها كانت ذات أهمية لنا لدفع إيجارات المقرات وتمشية بعض الأمور. كان من الطبيعي أن ندافع عن حقنا في استلام هذه المعونة، معتبرين إياها

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

حقا طبيعيا وقانونيا لنا كفصيل من فصائل الحركة الوطنية التي شاركت في الكفاح والتضحيات في سبيل الشعب والوطن. فطالبنا قيادة أوك بلقاء مع مكتبهم السياسي، واستجابوا لهذا الطلب، وكنت على رأس وفدنا فيما كان عضو المكتب السياسي ملازم عمر عبدالله على رأس الوفد المقابل. ولخص عمر رأي قيادة أوك على الوجه التالي: "نحن لا نتوقع من حلفائنا أن يعارضونا.. لكنكم عارضتمونا، ونحن لا نقدم العون لمن يعارضنا". واردف قائلا: "اسحبوا البيان الذي أصدرتموه لكي نعيد لكم المعونة المالية". واجبته من جانبي: "أنني لن اسحب البيان حتى إذا سجنت بسببه خمسة عشر عاما"، وهكذا انتهى الاجتماع دون نتيجة، وأكدت قيادة أوك – وكان على راسها ساعتئذ نوشيروان – أنها لم تفهم من التحالفات والعلاقات الحزبية في منطقة إدارتها سوى الخضوع والتبعية من لدن الآخرين. وفي اليوم التالي اجتمعت اللجنة العليا لحركة الديمقراطيين لدراسة الوضع، وقررنا بالأغلبية الساحقة من الأصوات، رغم معارضة البعض ممن وضعوا المال فوق الاعتبارات السياسية والمبدئية، الانسحاب من التحالف الديمقراطي وأصدرنا البيان التالي نصا:

بيان حركة ديمقراطيي كردستان

إلى جميع الأحزاب السياسية والى جماهير شعب كردستان

أيها المواطنون الكرام

كانت ح د (حركة ديمقراطيي كردستان) احد مؤسسي ت د ك (التحالف الديمقراطي الكردستاني) الذي ضم في صفوفه إلى جانب أوك (الاتحاد الوطني الكردستاني) أربعة أحزاب أخرى. وقد أقيم هذا التحالف وسط صعوبات جمة، يوم جمع بين أطرافه خندق النضال المشترك. وقد أدينا واجبنا بما ينسجم مع برنامج التحالف قرابة أربعة أعوام رغم شعورنا الدائم بالغبن وبالتعامل غير المتساوي معنا. وتنص المادة 6 من أسس العلاقات والشؤون الداخلية على وجوب تأمين دخل شهري مناسب من الميزانية العامة لأحزاب التحالف. وعلى هذا الأساس كانت ح د تستلم شهريا مئة الف دينار للإنفاق على شؤونها الحزبية، فضلا عن مساعدة 140 فدائيا.

«AlfYaa منشورات «ألف ياء

ودون إنذار مسبق فوجئنا بقطع النثرية والأرزاق عن فدائيينا، بضمنهم من كانوا في الربايا الأمامية فوق الجبل، بدءا من 2000/8/10، وفي اجتماع ثنائي عقد حسب طلبنا ابلغنا ممثلو المكتب السياسي لأوك بأن قطع جميع أنواع العون الحزبي والعسكري هو قرار المكتب السياسي والسبب هو:

1 - إن ح د استنكرت في بيانها الصادر 7/16 مقتل 5 – 6 من أعضاء ح ش ع ع (الحزب الشيوعي العمالي العراقي)، فوضعت بذلك نفسها موضع معارضي أوك، وبديهي أن هذا الأخير لا يقدم الدعم المالي لمن يكون ضمن معارضيه.

2 - تتعامل ح د مع أوك وحدك (الحزب الديمقراطي الكردستاني) على مستوى واحد وتستلم العون المالي من كليهما.

وهنا ارتأينا من الضروري تقديم بعض الإيضاحات حول هاتين النقطتين:

فيما يخص مقتل الأخوة في ح ش ع ع وبيان ح د في 7/16 توجب تقديم الإيضاحات التالية:

لم يربط في السنين الماضية أي علاقة بين ح د وبين ح ش ع ع، يضاف إلى ذلك أن سكرتير ح د هو الوحيد الذي اصدر منذ 1993 كراسا رد فيه على أفكار منصور حكمت، ونشرت جريدة (كوردستاني نوي) مؤخرا مقالا للأستاذ بهاءالدين نوري ناقش ورد فيه على مطالبة ح ش ع ع بإجراء استفتاء فوري في كردستان بغية الإعلان عن انفصاله عن العراق.

ذلكم في وقت كان أوك نفسه قد قدم جهازا للبث الإذاعي إلى ح ش ع ع مع معونة مالية شهرية استمرت حتى وقت قريب دون اكتراث لحقيقة أن تلك الإذاعة كانت تكيل الشتائم طيلة النهار لأوك ولأحزاب أخرى. ونحن لسنا بصدد توجيه اللوم إلى أوك على ما فعل، ولكننا نتساءل: لماذا التعامل بمعيارين متناقضين – على هذا المنوال مع هؤلاء وعلى منوال مغاير مع حليف مثلنا؟

فرض أوك (أو السلطات) الحصار على مقر ح ش ع ع وقطع عنهم الماء والكهرباء وطالبهم بمغادرة المدينة، ونحن لم نتفوه بكلمة، أما عندما وصل الأمر إلى مقتل جمع من السياسيين فإن ذلك

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أوجب علينا أن ننبري ونقول: "لا لهذه الكارثة"!، كنا نعلم بأننا قد ندفع ضريبة موقفنا هذا. لكننا الديمقراطيين، ونحن رجال مبادئ للدفاع عن الديمقراطية وسلطة القانون وحقوق الإنسان، وجدنا من واجبنا المقدس أن نعلن استنكارنا الشديد لما حدث ونطالب بالتحقيق القانوني.

علما إننا اتصلنا تلفونيا، قبل إصدار البيان بيومين، مع البعض من مسؤولي أوك والأطراف الأخرى في التحالف وطلبنا عقد اجتماع لمناقشة الحدث، ووافق الأخوة في حزب كادحي كردستان وحزب المحافظين على طلبنا، لكن الرفاق في أوك لم يجيبوا ولم يتيحوا الفرصة لاجتماع التحالف، هذا مع التذكير بأن المادة 3 من أسس العلاقات والشؤون الداخلية يعطي كل طرف من اطراف التحالف حق الإعلان عن موقفه الخاص فيما إذا لم يكن متفقا مع رأي التحالف أو احد أطرافه.

وبقدر ما يتعلق بموقف ح د من ح د ك واخذ المساعدة منه نعرض الحقائق التالية:

ترغب ح د في إقامة علاقات طبيعية مع ح د ك، ولتحقيق ذاك سافر سكرتير ح د مرتين إلى أربيل، في شباط 1999 وفي أيار 2000 والتقى هناك مع أعضاء م س – ح د ك، وتجب الإشارة إلى أن ذلك حدث حين عقدت عشرات الاجتماعات للجنة العليا للسلام، أي لممثلي أوك وح د ك، سعيا لتحقيق المصالحة.

كان جميلا أن يتوفر الجو الذي يسمح لنا بالتعامل على قدم المساواة مع الحزبين الرئيسين في الإقليم. لكن من المؤسف أن هذا الجو لم ينشأ، فارتباطا مع الإحداث التي شهدتها بلادنا، وجدت ح د نفسها دوما اقرب إلى أوك، وفي السنوات العشر المنصرمة التقى سكرتير ح د عشرات المرات مع السكرتير العام لأوك، مقابل لقاء واحد أو لقاءين فقط مع رئيس ح د ك.

لا إجرام في أن نأخذ العون المالي من ح د ك، فالمبالغ التي تدخل في خزينة ح د ك هي ملك لهذا الشعب، ونحن فصيل من أبناء هذا الشعب، ويرى الجميع أن بين الأحزاب من هو مشارك في وزارة أربيل ويستلم المال بأكثر من شكل لدى ح د ك. وهذا لم يمنع

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أوك من تقديم المال إياه في السليمانية أيضا. ولنأخذ أوك نفسه كمثل، فهو نفسه يطلب حصة (وطلبه عادل) من دخل إبراهيم الخليل لدى ح د ك.

ورغم كل ذلك فإننا نتحدى الجميع، بضمنهم الأخوة في ح د ك، ونقول إننا لم نستلم قط أي عون نقدي أو عيني من ح د ك، وليكذبنا من يملك دليلا للتكذيب.

نعلن على الملأ بأن ح د لم تنشأ كدكان للارتزاق السياسي، بل هي منظمة سياسية مستقلة، على صغرها، وأنشأت لخدمة الشعب والوطن. ومن اجل هذه الخدمة تمد يد الصداقة والتعاون إلى جميع الأحزاب والشخصيات الوطنية والديمقراطية، وهذا ينسجم مع المادة 2 من أسس العلاقات والشؤون الداخلية للتحالف حيث ورد: "أن الاستقلال الفكري والسياسي مصان لكل حزب، ولا يتدخل أي حزب في شؤون حزب آخر". لقد قطعنا على انفسنا العهد، ونكرره هنا، بأن لا نقيم أي علاقة ولا نبرم أي اتفاق ضد أوك أو أي حزب وطني آخر. غير إننا نظل مصرين على تقييم مجمل الأوضاع في كردستان وفي كل العراق انطلاقا من وجهات نظرنا وحسب، ولا نستطيع التغاضي عن حقيقة أن هذا الإقليم مقسم اليوم إلى قسمين: حكومتين وجيشين وميزانيتين، وان شعبنا دفع غاليا ضريبة الاقتتال الداخلي، والطريق للخروج من هذا المأزق وللذود عن مكاسب الشعب إنما يمر، قبل كل شيء، عبر تحقيق المصالحة والاتفاق بين أوك وح د ك على أسس ديمقراطية حضارية سليمة. إن ح د ستبذل اليوم وفي المستقبل أيضا، كما بذلت في الماضي، قصارى جهدها في سبيل هذه المصالحة، في سبيل كردستان ديمقراطي حضاري.

أيها المواطنون الكرام!

في لقائنا مع ممثلي م س – أوك مساء 2000/8/26 ابلغنا بأن قرار م س هو قطع جميع أشكال المساعدة الحزبية والعسكرية عن ح د. ونظرا إلى أن هذا القرار، المتخذ دون تداول مسبق معنا أو مع أي طرف من اطراف التحالف الأخرى، يخالف المادة 6 من النظام المنوه عنه، حيث وضعونا بذلك خارج صفوف ت د ك، ونظرا إلى التمايز الدائم في التعامل معنا (حيث كانت حصتنا 6% من إجمالي

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

المعونة الشهرية المخصصة لأربعة أحزاب، وحيث أننا تحالفنا مع حزب حاكم ولم يكن لنا حتى مدير ناحية في هذا الإقليم، بل لم يعين لنا فراش دون موافقة أوك) – نظرا إلى كل ذلك قررت اللجنة العليا لـ ح د في اجتماعها الطارئ انسحاب ح د من ت د ك، وقد أصبحت ح د منذ الآن في حل من كل التزام إزاء ت د ك. غير أن ذلك لا يعني بأن ح د قد انتقلت إلى صف المعارضين لـ أوك ولتلك الأحزاب. على العكس من ذلك، فإننا حريصون على علاقات الصداقة النضالية معها وعلى دعم الحكومة ضد دسائس أعداء الشعب. وليس من المستبعد انتقال ح د لاحقا إلى صف المعارضة، إلا إننا سنكون معارضة سلمية ديمقراطية شبه أوروبية، وسنرفض اللجوء إلى سبل التطرف الصبياني.

تدرك ح د ما للمال من أهمية في تطوير العمل الحزبي، خصوصا في هذه الظروف حيث شوه النظام البعثي الحياة الحزبية الأصيلة، وقد اعتبرت ح د – بوصفها فصيلا من مناضلي هذا البلد – أن من حقها أن تحظى بالدعم المالي من حكومة الإقليم، وأشار السيد سكرتير عام أوك أكثر من مرة إلى هذه الحقيقة، التي تنسجم مع قانون الأحزاب، الذي أقره برلمان كردستان في 1993.

كان أوك حتى الآن المصدر الوحيد لدعم ح د ماليا، ونحن نشكره ونشكر بالأخص شخص سكرتيره العام على كل ما قدموه إلينا في السنين الماضية، ونؤكد لجميع الأعضاء والأصدقاء بأن ح د ستتابع نضالها، بلا كلل ودون انتظار الدعم المالي من احد، بوصفها منظمة سياسية ديدنها التجديد، وأملنا ألا يبخل علينا الأعضاء والأصدقاء بالمساعدة والا يسمحوا بتوقف نشاطها جراء شحة المال.

أيها الكوادر والأعضاء المناضلون

أيها الأصدقاء المؤازرون المحترمون

تواصل ح د عملها السياسي والتنظيمي بمعنوية عالية، مستمدة العزم من دعمكم ومن دعم الجماهير الشعبية، فلنثبت للجميع بأننا أبناء أوفياء لـ ح د ولنحمل ببسالة راية نضال ح د عاليا سائرين إلى الأمام. لنقتدي بتلك الأحزاب والمنظمات التي تعتمد على جماهير شعوبها، لنكن من أولئك المناضلين ذوي الإرادة الفولاذية والروح

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الجهادية العالية، القادرين على تذليل الصعاب وعلى الإتيان بالمعجزات.

أيها الشباب والطلاب والمثقفون
أيها المواطنون الشرفاء

إن ح د اليوم بحاجة ماسة إلى مساندتكم، وكل دعم لها هو دعم لمكاسب هذا الشعب، دعم للديمقراطية ولسلطة القانون وحقوق الإنسان، كونوا على ثقة بأن مؤازرتكم لها لن تذهب سدى.

يا أعداء النظام الفاشي العنصري أينما كنتم

تذكروا دوما بأن ح د شريكة لكم في الكفاح من اجل عراق ديمقراطي فيدرالي حضاري، وهبوا لدعم نضالنا ونضال الشعب الكردي في سبيل كردستان ديمقراطي فيدرالي حضاري ضمن عراق ديمقراطي فيدرالي، في سبيل المصالحة وإقامة حكومة موحدة وإنجاح التجربة الديمقراطية.

اللجنة العليا لحركة ديمقراطيي كردستان
2000/9/5

* * *

سمعت من عضو قيادة أوك جتو حويزي بأن جلال الطالباني لم يكن راضيا، اثر عودته إلى العراق، عن قطع المعونة الشهرية التي كانت تقدم لحركتنا، لكنه لم يلغ قرار القطع إلا بعد حوالي السنة، وكان قد مضت ثلاثة اشهر على قطع المعونة عندما استلمت ذات يوم بطاقة دعوة من رئيس وزراء الإقليم – إدارة السليمانية – الدكتور برهم صالح لحضور وليمة عشاء يقيمه على شرفنا في حديقة فندق سرجنار السياحي، وعندما حضرت هناك وجدت بين الحاضرين كلا من سكرتير حزب كادحي كردستان قادر عزيز وسكرتير الحزب الاشتراكي الديمقراطي الكردستاني محمد الحاج محمود وسكرتير حزب المحافظين في كردستان عمر سورچي، فضلا عن الدكتور برهم وعني. ونشأ لدي الشك في أن الدعوة بهذه الطريقة إنما تهدف إلى إعادة حركتنا إلى صفوف التحالف الديمقراطي، بعد أن كنا قد انسحبنا منه على اثر قطع المعونة. وصارحت د. برهم صالح بما جال في خاطري

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وقلت: إذا أقمتم الوليمة لقادة الأحزاب المتحالفة فإننا لم نعد ضمن التحالف. وأعطى جوابا روتينيا غير واضح. لكن جريدة أوك (كوردستانى نوى) قد صدرت في صبيحة اليوم التالي لتنشر خبر إقامة الوليمة لقادة التحالف الديمقراطي – وبضمنهم بهاءالدين نوري. فما كان مني إلا أن كتبت إيضاحا مؤكدا أننا انسحبنا من هذا التحالف منذ تموز 2000، ولم نعد من أعضائه، ونشر محمود ملا عزت مشكورا الإيضاح في جريدة أوك (كوردستانى نوى) وكان آنذاك رئيسا لتحريرها.

بعد حوالي السنة أو اكثر أعاد جلال الطالباني المعونة إلينا ولكننا لم نعد إلى جبهة التحالف الديمقراطي الكردستاني لأنني لم اقتنع بجدية وجدوى أي تحالف للأحزاب الصغيرة مع أوك، ولم يكن لهذه التحالفات مع أوك أو حدك أي معنى سوى نوع من التبعية لهما.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

تجربة التحالف مع أوك

كان حريا بقيادة حشع ان تدرس تفصيلات تجربة التحالف الجبهوي. بينها وبين حزب البعث العفلقي الحاكم في سبعينات القرن الماضي، ذلك التحالف الذي انتهى بنتائج كارثية على الشيوعيين وعلى الجماهير الشعبية. وكان الطرف الوحيد المستفيد منه هو الحزب القومي الفاشي وحده – البعث.. كان عليها أن تشخص الأخطاء الفادحة وتستخلص التجربة المريرة المقرونة بتلك الجبهة التي لم تجلب للشيوعين سوى الأضرار الجسيمة والضربات المتلاحقة الموجهة اليهم على أيدي حليفهم البعثي. غير أن تلك القيادة رفضت بإصرار القيام بذلك لأنها لم ترد الكشف عن أخطاء كانت هي المسؤولة عنها وكان من المنطقي أن تتحمل مسؤولية ارتكابها وتتنحى عن مركزها فور الكشف عما تورطت فيه.

وقد شاركت أنا بصفتي سكرتير الحركة الديمقراطية في تجربة التحالف مع أوك في التسعينات من القرن الماضي، وأحاول تلخيص تجربته ودروسه. وعلي أن أقول مسبقا أنني لم اكن يوما من المنحازين إلى أوك أو إلى الپارتي ضد الأخر. لكن إقدام قيادة الپارتي على التحالف مع الحكم البعثي في 31 آب 1996 حملني على التحالف مع أوك وضمن خمسة اطراف هي أوك كطرف رئيسي ونحن مع حزب كادحي كردستان والحزب الاشتراكي الديمقراطي الكردستاني وحزب المحافظين الكردستاني. وقد بدأت المداولات بين ممثلي هذه الأطراف منذ أيلول 1996 حين وجودنا في قاسمه رش على خط الحدود العراقية - الإيرانية، أيام سيطرة الپارتي على أربيل وعلى السليمانية. وكنت شخصيا من مؤيدي التحالف ولكن مع الحذر آخذا بنظر الاعتبار تجربة التحالف مع حزب البعث سابقا. ومن هذا المنطلق حاولت تقديم برنامج متوازن للتحالف قائم على أسس صحيحة. وكان د. كمال فؤاد ممثلا لأوك في المداولات، وهو رجل مرن يمكن التفاهم معه. وقد اقر بالأجماع ودون أي تغيير مشروع برنامج ت د ك (التحالف الديمقراطي الكردستاني)، كما أقرت نصا قواعد العلاقات الداخلية ببنودها

«AlfYaa» منشورات «ألف ياء»

التسعة التي كنت قد كتبتها. لكن البند العاشر الموجود فيها قد اقترح من قبل د. كمال وأقر، وهو البند الوحيد الذي يقبل التأويلات وقد لا ينسجم مع البند الثاني. وأدناه نص الوثيقتين:

ميثاق التحالف مع أوك

1- الدفاع عن مكاسب الانتفاضة، في سبيل الفيدرالية والحقوق القومية لشعب كردستان في اطار عراق ديمقراطي فيدرالي.

2- تثبيت الديمقراطية وسلطة القانون وصون حقوق الإنسان في كردستان بترسيخ الحياة البرلمانية والتعددية الحزبية وحرية النشر والإضراب والاجتماع والتظاهر ...الخ.

3- وضع نهاية لاقتتال الأخوة ولسلطة الميلشيات وتحقيق المصالحة والاتفاق على حل المشاكل سلميا، عن طريق التفاوض.

4- إقامة حكومة وطنية ائتلافية تهيئ الأرضية لانتخابات برلمانية جديدة في الإقليم.

5- التصدي لأي تجاوز على القانون والدفاع عن حقوق الناس وعن أرواحهم وأموالهم ضد الملاحقات والنهب والاغتصاب في كافة أنحاء الإقليم.

6- إعمار كردستان بتنمية الزراعة والصناعة والتجارة، لرفع المستوى المعيشي للناس بإزالة الحصار الاقتصادي وبتوزيع عادل لواردات الإقليم.

7- المشاركة في نضال الجماهير العراقية والمعارضة العراقية، في سبيل جمهورية برلمانية فيدرالية تضمن فيها التعددية الحزبية والديمقراطية وحقوق الإنسان.

8- إقامة علاقات الصداقة المتوازنة مع دول الجوار على أساس المصالح المشتركة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لبعضها البعض.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

* * *

قواعد العلاقات الداخلية بين أحزاب ت د ك

اتفقت أحزاب ت د ك على النقاط التالية كقواعد لتنظيم العلاقات فيما بينها:

1- اتفقت هذه الأحزاب على الاتحاد بمحض إرادتها في جبهة نضالية باسم ت د ك.

2- تصان الاستقلالية الفكرية - السياسية لكل حزب ولا يتدخل أي حزب في الشؤون الداخلية لحزب آخر.

3- يتخذ ت د ك القرارات بأغلبية الأصوات، ويحق للحزب غير الموافق على القرار أن يبين اختلاف موقفه، دون أن يؤثر ذلك على صلاته النضالية مع الأحزاب الحليفة.

4- يشكل ممثلو الأحزاب المتحالفة هيأة تنفيذية (سكرتارية) لتمشية الأعمال اليومية، وتوكل القرارات الهامة إلى اجتماع ت د ك على مستوى القيادة السياسية.

5- تجتمع القيادة السياسية مرة في الشهر على الأقل.

6- تؤمن لأحزاب ت د ك ميزانية شهرية مناسبة من الموارد العامة.

7- لاتحل ت د ك محل السلطة.

8- إذا رغب حزب في الانضمام إلى ت د ك عليه تقديم طلب تحريري، وعلى القيادة السياسية أن تجيب خلال مدة محددة.

9- لا يحق لأي من أحزاب ت د ك أن ينضم إلى تحالف مضاد لهذا التحالف أو لأحد أحزابه.

10- تتخذ أحزاب ت د ك سوية القرارات في حالتي السلم والحرب.

* * *

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

هكذا عقد التحالف على أسس صحيحة وسليمة من الناحية التشريعية. أما على أرض الواقع فان الأمور سارت على منوال آخر، سارت وفق آراء ورغبات قيادة أوك لأن توازن القوى كان في صالحها والديمقراطية كانت غائبة عن الساحة ولأن المال والقوة المسلحة كانت في حوزتها وحدها وكان على الأطراف الأخرى أن تنتظر ما تجود به من مساعدات. فالتكافؤ في التحالفات الجبهوية لا يقوم، وخاصة في ظروف غياب الديمقراطية، إلا على حسابات المقاعد البرلمانية للأحزاب المتحالفة أو على توازن معقول في حيازة التشكيلات المسلحة والنفوذ الجماهيري. والحزب الأكبر يمكن، أو يتحتم أن يقدم العون المادي - في ظروف كظروف بلادنا - إلى الأحزاب الصغيرة لإرضائها ولكن يحتفظ بجوهر هدفه في الانفراد بالسلطة أو السيطرة الفعلية ويعتبر أولئك الحلفاء مجرد أعضاء صوريين أو أزهار يجمل بها باقة زهوره على المنضدة. وحالما تنتفي الحاجة إلى تشكيلة الأزهار هذه يبادر الحزب الكبير إلى تصفية التحالف – كما فعل حزب البعث مع الشيوعيين في السبعينات وكما فعل أوك مع ت د ك.

ورغم أن حركة الديمقراطيين كانت تنظيما سياسيا صغيرا فان قيادة أوك تعاملت معنا بشكل مغاير لتعاملها مع الأطراف الثلاثة الأخرى. ففي الدعم المالي كنا نستلم حوالي عشر ما كان يعطى لحزب كادحي كردستان أو الحزب الاشتراكي الديمقراطي الكردستاني وحوالي ربع ما كان يعطى لحزب المحافظين، والسبب الوحيد لهذا التمييز هو أننا كنا محتفظين باستقلاليتنا السياسية وكنا نرفض المشاركة في اقتتال الأخوة.

كانت قيادة أوك، شأن أي حزب قومي في مثل هذه الحالة، على استعداد تام لتلبية المطالب الشخصية الخاصة لحلفائها (الصغار) بعكس موقفها من مطالب الحزب السياسية التي قد تجعل من ذلك منافسا حقيقيا للحزب الحاكم. وكان من جملة الإغراءات الشخصية الإشراك الصوري في السلطة باستيزار أناس تكون لهم الامتيازات الشخصية ويقبضون رواتبهم ومخصصاتهم الشخصية كاملة غير منقوصة ولكن دون صلاحية التصرف كوزير. هكذا كان وزيرا حشع عامر عبدالله ومكرم الطالباني في حكومة صدام بين 72-1979، حين اتخذ منها النظام البعثي غطاءا لعملياته البوليسية في تحطيم تنظيمات حشع، وهكذا كان جوهر نهج الأحزاب

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الحاكمة في جبهاتها مع الآخرين- طبعا مع الفارق في التفاصيل- في كردستان.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa

بين العرب الهاربين من نظام صدام
وجدنا الصالحين والطالحين

بعد انتفاضة 1991 وانهيار سلطة صدام في كردستان توجه الكثيرون من المطاردين ومن الجنود الفارين من نظام صدام إلى الإقليم بحثاً عن أمان. وكان البعض منهم على استعداد لعرض خدماتهم لقاء الطعام والمنام فقط، وأمكن لي إقناع الطالباني بدعمنا مالياً لتأسيس مفرزة من العرب مسلحة قوامها ستون مقاتلاً. وقد أسسناها وبينهم عدد من الضباط، إضافة إلى ضباط الصف والجنود، واتخذنا من مدرسة مهجورة في بازيان معسكراً لهم، وعهد إليهم بحماية ربية فوق الجبل ورتبنا لهم التدريب العسكري ومحاضرات سياسية تثقيفية، وقد حاولنا تهيأتهم فكرياً ونفسياً للمشاركة في القتال المنتظر ضد نظام صدام، جنباً لجنب مع مقاتلينا الأكراد.

في مجرى التعامل مع هؤلاء الهاربين من صدام تعرفنا عليهم عن كثب واتضح لدينا إن بينهم إلى جانب الغالبية الساحقة من بسطاء الناس الطيبين، هناك عناصر سيئة وجبانة ومحتالة.

وكان شيخ المحتالين نائب الضابط الكربلائي محمود الصافي (أبو زيد) الذي كان يدّعي بأنه من خريجي الكلية العسكرية وبرتبة مقدم، وكان قد خدع الراحل جبار فرمان (من قيادة أوك) وأوهمه بأنه ضابط خبير بالأسلحة الكيماوية، ويبدو أن أمره قد انكشف فانسحب أو طُرد، وأتى ليخدعنا.

عرف الجميع في الوسط السياسي بأني أناشد منذ 1993، المجتمع الدولي لإنقاذ الشعب العراقي من الحكم البعثي الفاشي. وعندما اقترب موعد الهجوم العسكري الأمريكي - الدولي على نظام صدام سنحت الفرصة لإرسال بعض الشباب إلى الخارج كي يتدربوا ويشاركوا في إسقاط صدام. وتحول مقر حركتنا الديمقراطية في 2002 إلى مكتب مزدحم لتسفير المتطوعين من العرب والأكراد. ولسوء الحظ أصبح المقدم المزعوم أبو زيد مسؤول الفريق المسافر. ومنذ أن غادر مقرنا في السليمانية وانتقل إلى

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

فندق في أربيل ثم في شقلاوة استعداداً للسفر مع الفريق تناسى كل ما مضى وقطع كل صلة معنا منذ ذلك الوقت وحتى هذا اليوم - شباط - 2014، ولم يتصل معي حتى بالتلفون، كان همه الوحيد هو أن يحصل على المال والمال وحده.

وكان أمثال الصافي موجودين بين منتسبينا الأكراد أيضاً، وإليكم نماذج كردية:

كامران (.........) الذي أبدى استعداده لتصليح سيارة مقرنا العتيقة لدى صديق له حداد (تنكجي) بسعر مخفض وبعد أسبوع أتى بالسيارة وأخذ سعراً عاليا على التصليح مستغلاً سذاجتنا. وأتضح لاحقاً أنه لم يجر أي تصليح بل لطش بطانية مزفتة على البليت المتآكل تحت السيارة دون أن ينفق عليها فلساً واحداً. ونشاطه الآخر كان فتح مكتب لمساعدة معلمي الثورة (وهم الذين كانوا في السبعينات والثمانينات متطوعين لتعليم الأطفال في القرى الكردية المحررة). وزعمت أول الأمر إنه يقوم بعمل إنساني، لكنه لم يلبث أن اتضح أنه فتح دكانا للنهب والارتشاء إذ كان يقبض من كل مراجع مئتي دينار سويسري (300 ألف بالعملة المحلية) كما أتضح إن هذا الرجل لم يكن يوماً من معلمي الثورة.

والملازم هيمن، الذي أحسنا إليه كثيراً وكافأنا بأقذر المواقف.

والشابان النشيطان الذكيان شازاد أنور وشيركو مير ويس، اللذان كانا ميكافيليين «للگشر» ولم تتسع حركة الديمقراطيين لهما وهجرانا لينضما إلى حزب كادحي كردستان أولاً وإلى صفوف البارتي وأوك لاحقاً.

لو بقيت لدينا المفرزة العربية لاستفدنا منها كثيراً في 2003 لكن قرار نوشيروان مصطفى في عام 2000 بقطع كل شكل من أشكال العون عن منظمتنا أرغمنا على تسريح مسلحينا عرباً وكرداً لأننا لم نملك ما ننفقه عليهم.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

مشروع مقترح لتأسيس قوة نظامية بدل الميليشيات في الإقليم

كان من الطبيعي أن تكون الحركة الكردية المسلحة، في سني حكم صدام، شكلا من حرب العصابات وتشكيلات الميليشيا، ولكن انتصارها وتحول الثورة إلى فئة حاكمة بعد انتفاضة 1991 أو خلال السنوات الاثني عشر التي سبقت سقوط نظام صدام، هيأت الأجواء لتحويل تلك الميليشيا إلى قوة نظامية مسلحة خاضعة للقانون ومالكة لصنوف الأسلحة. غير أن مصلحة الحكام في الإقليم كان في الإبقاء على الميليشيا وليس الجيش النظامي، لأن الميليشيا ترفض بطبيعتها الخضوع لأي قانون، وهذا ما أرادته القيادة الكردية. ولهذا السبب رفض الطالباني الطلب الذي قدمته إليه. اقرأ الرسالة المدونة أدناه نصا والمؤرخة في سنة الألفين، أي بعد الانتفاضة بتسع سنوات:

> قاربت فترة التحرر من ربقة النظام الفاشي عشر سنوات. وهي أطول فترة تمتع فيها الشعب الكردي بحريته عبر تأريخه كله. لكن هذا الانتصار لم يترسخ للآن، ولايزال النظام يشكل تهديدا جديا مستمرا. وقد تسنح للحكام فرصة الهجوم عاجلا أو آجلا. وحتى إذا سقط صدام وجاء غيره فان الخطر على كردستان يظل محدقا في ظل الشوفينية وانعدام الديمقراطية. يمكن توقع التغير فقط ارتباطا مع التغير الديمقراطي في العراق. لكن مكاسب الشعب معرضة للضياع في الظروف الراهنة، حيث تسود لغة العنف، مالم يملك الإقليم قواته القادرة على حماية مكاسبه. ويتراءى لي أن هذه القوات لن تكون إلا جيشا نظاميا قويا قادرا على التصدي للجيش النظامي المهاجم من بغداد.
>
> ومن هنا اقتراحي بتشكيل هذا الجيش، الذي لا مناص من حيازته إذا أريد صون مكاسبنا. فالحرب - إن هي فرضت - ستشن من قبل جيش نظامي قوي بالنسبة إلينا إذ يملك صنوف الأسلحة وهو

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

مدرب. وأكدت تجربة أربيل في آب 1996 على أن مفارز البيشمرگة والحشود المسلحة شبه العشائرية، التي دأبت القيادة الكردية على اعتمادها في التصدي لهجوم الجيش العراقي ليست كفأ ولا تفي بالغرض ولا تملك القدر الضروري المناسب من السلاح والعتاد ولا من التدريب والقدرات القتالية.

لقد أضاع الشعب الكردي فرصة زمنية ثمينة امتدت لسنوات منصرمة وكانت كافية لتأسيس الجيش المعني. ولا يجوز إنكار الخطوات التي حققت بهذا الصدد بعض النجاح. لكن ما تحقق للآن هو أقل بكثير مما يتطلبه الوضع لإقامة سد منيع أمام الأخطار المحتملة. وإذا تفاعلت القناعات الفكرية مع الجهود المكثفة أمكن لنا التعويض عما فاتنا. ولايزال الظرف مؤاتيا بعض الشيء بسبب الضعف السياسي- العسكري للنظام.

مقترحي الملموس الموجز هو مايلي:

- تأسيس جيش نظامي باسم (قوات الأمن والسلام - سوباى آسايش وآشتى) أو أي اسم مشابه، يكون قوامه عشرين ألفا.

- يكون التأسيس وفق القواعد المتعارف عليها دوليا وبموجب القوانين المعمول بها في الجيوش النظامية.

- يستقدم الخبراء العسكريون وفق عقود تبرم مع دول أو مع مؤسسات أو مع أفراد لغرض الإشراف، جنبا لجنب مع ضباطنا، على عملية التأسيس والتدريب. وتعطى الأولوية للخبراء الأمريكيين والإنكليز.

- يشرع مرسوم للتجنيد الإجباري، أو يطبق قانون التجنيد العراقي مع بعض التعديل، بهدف إشاعة الحد الأدنى من التدريب على السلاح. وتختصر مدة الخدمة العسكرية حاليا إلى شهرين أو ثلاثة. ويكون أداء الخدمة بوجبات يمكن استيعابها ماليا وإداريا. وتنظم دوائر التجنيد دفاتر الخدمة وبطاقات التسريح.

- تشخص قوات الاحتياط، التي تدعى إلى الخدمة في الحالات الطارئة، من بين الذين يكملون الخدمة العسكرية.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

- ضمن تقسيم الجيش إلى وحداته وأصنافه الاعتيادية تخصص وحدات من الكوماندو لقتال المدن، ويجري إعدادها وتدريبها جيدا. ويفضل اختيار أهالي المدينة نفسها لهذا الغرض. وتدرس بهذا الصدد أحداث الحرب داخل مدن سيواستبول ولينينغراد وبيروت الغربية عام 1982 وغروزنى ...الخ.

- تشكل لجنة عليا، تضم ساسة وعسكريين أكفاء، للإشراف على عملية التأسيس. ويكون القائد العام نفسه رئيس هذه اللجنة. ويستغرق عملها مدة لا تقل عن سنتين.

- يدرس بجد إمكان إقامة صناعات عسكرية في البلاد. ويطلب العون من دول أو مؤسسات تملك القدرات وتتعاطف مع قضية شعبنا أو تقبل إبرام عقود تجارية.

- دراسة متقنة لإنشاء عدد من مخازن السلاح والعتاد في أماكن ملائمة من الخطوط الخلفية.

وإضافة إلى ما سبق تجب مراعاة أمور أخرى سياسية وبالغة الخطورة، إذ عليها يتوقف نجاح مشروعنا في تأسيس الجيش. وابرز هذه الأمور هي:

1- الاستبعاد الكلي والنهائي لفكرة الاقتتال مع الپارتي كسبيل إلى توحيد شطري الإقليم والاعتراف بواقع الانقسام كشر لابد منه والسعي الجدي لإيجاد الحد الأدنى من مستلزمات الثقة المتبادلة وتبخير المخاوف من محاولات الإزاحة عنوة والدخول في منافسة سلمية ديمقراطية حضارية تتيح للجماهير فرصة المقارنة والمفاضلة بين الطرفين. ومن المؤكد أن الوحدة ستعود يوما، والمهم أن تعود سلميا.

2- البحث عن أي وسيلة معقولة تساعد على إقناع الأمريكيين (وحدهم أو مع الانكليز) بإقامة قاعدة عسكرية جوية في هذا الإقليم، أو نقل تجهيزاتهم من قاعدة انجرلك إلى هنا لمدة لا تقل عن خمس سنوات، مع القبول بشروطهم في توقيع تعهد – بروتوكول - يؤكد تمسكنا بالوجود الفيدرالي ضمن العراق. فالبقاء ضمن العراق الفيدرالي اليوم ليس خداعا للآخرين، بل هو الطريق الأكيد نحو

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

الحصول على الحقوق القومية وسط هذه الدول القوية المعادية.

3- إعادة النظر في جميع أوجه الصرف والاقتصاد في النفقات، فضلا عن البحث عن أي وسيلة مشروعة أخرى، بهدف توفير المال الضروري لتغطية نفقات المشروع المقترح هنا.

ملحوظة - المشروع المقترح هنا مترابط الحلقات ومكثف، إذ تجنبت الدخول في التفاصيل. ويمكن أن نناقش، إذا أقرت الفكرة مبدئيا، في الأمور التفصيلية، وأضع كامل طاقاتي في خدمة المشروع.

أبو سلام

2000/9/30

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

مؤتمرات المعارضة العراقية
في صلاح الدين ونيويورك ولندن

تخلت الإدارة الأميركية في حرب تحرير الكويت عن فكرة إسقاط صدام ولو بصورة مؤقتة خوفا من أن تسيطر القوى الإسلامية الشيعية المدعومة من حكام طهران على الوضع في العراق. غير أن فكرة التغيير في العراق ظلت ضمن البرنامج الأميركي وبحثوا خلال السنوات اللاحقة عن سبل التغيير عبر انقلاب عسكري ابيض ولم يفلحوا. وبدا لهم أن التغيير يتطلب اللجوء إلى القوة لإزاحة صدام، وهم كانوا في حاجة إلى تهيئة غطاء سياسي عراقي لعملهم العسكري. ولم يكن بالإمكان أن يوفروا هذا الغطاء إلا بالتعامل مع المعارضة العراقية، رغم ضعفها وتشتتها، ومن هنا جاء الدعم الأميركي لفكرة مؤتمرات المعارضة العراقية مع بذل الجهد لتهيئة العناصر العراقية المحظية بثقة الإدارة الأميركية من بين المعارضين المقيمين في بريطانيا وأميركا وغيرهما من البلدان.

في الوقت نفسه كان من الطبيعي أن تدرك الأحزاب والجماعات العراقية المعارضة لصدام أن هناك ظروفا مستجدة ولابد لها من التلاقي وتداول الوضع وتبادل الآراء فيما يجب عمله لتغيير الوضع. وهكذا وجد ما يجمع بين المعارضة العراقية وبين حكام واشنطن، إذ كان الطرفان في حاجة إلى بعضهما البعض، وكان مؤتمر المعارضة الأول في بيروت، الذي لم يقدر لي أن أكون من المشاركين فيه.

مؤتمر صلاح الدين

لم اكن من المدعوين إلى مؤتمر المعارضة في صلاح الدين بالقرب من مدينة أربيل في أيلول 1992 ولم يرشحني أي حزب أو شخص للمشاركة في المؤتمر، بل سافرت بنفسي من السليمانية إلى هناك وقدمت طلبا تحريريا بضمي إلى المؤتمر. وكان جلال الطالباني (وهو من الأساسيين في المؤتمر) أول من أيد طلبي، ودعمه أحمد الجلبي، فأصبحت عضوا في

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

التشكيلة ورتبت لي هوية المشاركة ودخلت مع الآخرين قاعة المؤتمر. وباستثناء ممثلي المعارضة في كردستان فأنني لم اعرف إلا القليل من الحاضرين في القاعة. وكان البعض يتخوف من أن يهاجم طيران صدام ويقصف المؤتمرين، فيما كان الآخرون يجيبون بأن الطائرات الأميركية – الدولية ضمنت سلامة المؤتمر. وقد لفت انتباهي أن فريقا من المشاركين في المؤتمر كانوا من المثقفين ذوي المستويات السياسية الرفيعة، كما اتضح في مجرى النقاشات، في وقت كانت اغلبيه الحضور من أشباه الأميين والأمعية الذين جلبهم هذا الحزب أو ذاك الشخص المتنفذ ليظهر نفسه قويا في نظر الآخرين أو ليحسب له الحساب عند عد الأصوات. ولم تكن المتناقضات بين الحاضرين، أو بين مندوبي الحزب الواحد، قليلة. وكان حزب الدعوة الإسلامية الشيعي مشاركا في المؤتمر بأكثر من جناح. وكان دور د. أحمد الجلبي بارزا ومتميزا في المؤتمر، فهو كان – على حد تعبير د. عبد الحسين شعبان – عراب المؤتمر.

وقد انتهى المؤتمر بالموافقة على اعتبار المجتمعين في القاعة "جمعية عمومية" أو شبه برلمان عراقي، وبتشكيل هيئة تنفيذية شبيهة بوزارة الظل برئاسة د. أحمد الجلبي ومساعده اليساري والشيوعي السابق من النجف المقيم في لندن د. عبد الحسين شعبان. وقد استغربت من أن ينال عبدالحسين مثل هذا المركز! أهو قد تغير وهجر معسكر اليسار السياسي فاختير لمثل هذا المنصب أم أن الجلبي جنح نحو اليسار أم هناك شيء آخر؟ أنا اعرف عبدالحسين جيدا، وهو إنسان متزن وبقي بين مسؤولي جماعة المنبر، الذين انشقوا على الحزب الشيوعي العراقي، أكثرهم اتزانا وعقلانية. ولم يلبث بعدئذ أن حُل اللغز إذ أبعد عبدالحسين عن مركزه بعيد انتهاء المؤتمر ولم يعد إليه بعدئذ.

استأجر الجلبي فندق السدير في مصيف صلاح الدين ليتخذ منه مقرا للمعارضة ولحكومة الظل. وكان قد بقي في هذا المقر شهرا، مواظبا على الدوام أكثر من أي رجل آخر بين المعارضين الذين قدموا من الخارج. وكان بالطبع رجلا علمانيا وذا طموح في أن يصبح مستقبلا مسؤولا أول في سلطة ما بعد صدام. وقد تغيب لاحقا عن الفندق وجاء مساعده الجديد هاني الفكيكي، الكادر البعثي السابق والمقيم في لندن. وقد أهداني نسخة من

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

كتابه أوكار الهزيمة الذي لخص فيه تجربته مع حزب البعث. واقتنعت بعد قراءة هذا الكتاب بأن مؤلفه ترك صفوف البعث وتحول إلى معارض حقيقي لنظام صدام.

مؤتمر في نيويورك

بعد سنوات سبع من مؤتمر صلاح الدين ابلغني جلال الطالباني بأن أتهيأ للسفر إلى نيويورك لغرض المشاركة في مؤتمر المعارضة، وسافرنا عن طريق برويزخان – كرماشان إلى طهران لكي نتوجه من هناك إلى نيويورك. وكان الخروج من طهران إلى سوريا يتطلب فيزا خروج إيرانية وامتنع المسؤولون في طهران عمدا عن منح هذه الفيزا للبعض منا، بينهم جلال الطالباني وقادر عزيز (سكرتير حزب كادحي كردستان). وقد منحوا فيزا الخروج في اللحظات الأخيرة قبيل السفر. وركبنا الطائرات من دمشق إلى براغ فإلى نيويورك حيث ذهبنا من المطار إلى فندق شيراتون. وقد هيأت قاعة الفندق مكانا لانعقاد المؤتمر. ولوحظ أن عدد الحاضرين للمشاركة في المؤتمر أكثر مما كان في مؤتمر صلاح الدين. وكانت تركيبة العضوية في المؤتمر شبيهة بمؤتمر صلاح الدين – نخبة سياسية وحشد كبير من الأمعية وأشباه الأميين سياسيا. فالتناقضات والصراعات التي ظهرت في العراق في سني ما بعد سقوط صدام كانت تلاحظ بصورة جنينية بين المشاركين من الأحزاب والجماعات، وبرز الصراع الصارخ بين د. أحمد الجلبي ود. أياد علاوي. وقد حضر موفد من السلطات الأميركية – لا اذكر اسمه – ليلقي كلمة وليدعم معنوية المؤتمرين.

* * *

جولة في بعض الولايات الأمريكية

بعد انتهاء المؤتمر تفرق الحضور كل إلى حيث شاء، وسافرت أنا وحيدا إلى ولاية فرجينيا، حيث كان يقيم ابن أخي هردي (نجاة) قادر مع عائلته. وكانت زوجته هي الأخرى ابنة أختي، وقد بقيت عنده بعض الأيام ووضع نفسه وسيارته في خدمتي. وذهبنا ذات يوم إلى مدينة واشنطن العاصمة، التي تشكل وحدة إدارية مستقلة عن الولايات الملاصقة لها، وأخذنا صورا أمام البيت الأبيض ومبنى وزارة الدفاع والكونغرس الأميركي. ومما لفت

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

انتباهي أن المباني والعمارات في واشنطن كانت ذات أربعة طوابق، وهي ظاهرة خاصة بواشنطن، حيث قررت السلطات المعنية عدم السماح بإقامة مبان اعلى، وقد استحسنت هذه الظاهرة.

وعندما اتصلت تلفونيا بالبعض من أصدقائي المتواجدين في مدن أميركية دعاني المهندس كمال مصطفى المقيم في ولاية بنسلفانيا إلى زيارته ولو ليوم واحد وابدى استعداده لتحمل نفقات سفري كاملة، بما فيه بطاقة الطائرة ذهابا وإيابا. والشيء نفسه بالنسبة إلى رفيقي الشيوعي الألقوشي أبو نغم وصديقي البيشمرگة سابقا، سليم (............). وقد أخذني هردي بسيارته من فرجينيا إلى مطار ولاية ميريلاند لأركب هناك الطائرة التي نقلتني إلى بنسلفانيا حيث كان صديقي بانتظاري ليأخذني إلى بيته في عاصمة الولاية. وكان كمال مصطفى يشتغل في منظمة أهلية بالسليمانية متعاملة مع منظمة اوفدا الأميركية، وجراء بعض التطورات السياسية، بالأحرى جراء اشتداد اقتتال الأخوة بين أوك وحدك، رحلت اوفدا إلى بلدها أميركا ومنح الأميركيون حق الإقامة هناك إلى الأكراد العاملين مع اوفدا والمنظمات المرتبطة بها، وكان كمال ضمن الراحلين. وجلسنا نبادل الحديث:

- هل انتم مرتاحون هنا؟ سألته.
- كلا والف كلا. أنا وزوجتي نحلم دوما بالعودة إلى منزلنا في السليمانية.
- وما العائق أمام عودتكم؟
- الأطفال، انهم تعودوا على الحياة هنا، على العكس من أبويهم، وتعلموا الإنكليزية وهم في المدارس وفي حاجة إلى رعايتنا.
- وماذا تشتغل هنا حاليا يا صديقي المهندس؟
- أنني عامل تنظيف وامسح زجاج الشبابيك في أحد الفنادق، ولي الأمل في الحصول على عقد للعمل بعد فترة.

قد يكون ذلك طبيعيا في أميركا، ولكنه يثير التساؤل والاستغراب في السليمانية، حيث كان هذا الرجل مهندسا مدنيا معروفا وذا خبرة جيدة في العمل. ولكنه الآن لم يحصل على العمل ضمن اختصاصه، بل اضطر على العمل كعامل تنظيف في احد الفنادق. ولا يستطيع رفض هذا العمل إن لم يحصل على عمل آخر افضل، لأنه لا يستطيع تدبير الحد الأدنى من ضرورات المعيشة إذا لم يشتغل في مجال ما. الولايات المتحدة الأميركية بلاد رأسمالية والنظام القائم فيها من احد الخصوم للاشتراكية واليسار

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

السياسي هناك بالغ الضعف الآن.. إلا أن المقولة التي صاغها كارل ماركس كسمة من سمات الاشتراكية، وهي مقولة "من لا يعمل لا يأكل" تكاد تكون مطبقة بحذافيرها هناك في أميركا. فلكي يعيش الإنسان ينبغي عليه أن يشتغل هو أو هي، إن لم يملك رساميل موظفة، ويبدو أن كثافة العمل أثناء أدائه اشد هناك مما في أي بلد آخر من العالم.

المرحلة التالية من جولتي كانت زيارة صديقي سليم الذي أخذني من المطار إلى منزله لألقى الترحيب الحار منه ومن زوجته التي كانت تربطني بها صلة قرابة. لقد تعرفت على سليم في الجبال حين كان هو من كوادر أوك وكنت أنا من الشيوعيين العراقيين. وهنا نلتقي مرة أخرى لا في مقرات البيشمرگة ، بل في إحدى المدن الأميركية. وقد أوجد لنفسه هناك عملا يعتاش منه، وهو تأسيس محل لغسل الأفرشة. وقد كنت مدينا لهذا الصديق بمبلغ خمسمائة دولار ولم استطع تسديد الدين سابقا، اعتذرت له عند اللقاء وطلبت إمهالي إلى وقت آخر، فأجاب انه لا يريده ولا ينتظره.

والمحطة الأخيرة كانت مدينة ديترويت في ولاية ميشيغان حيث أخذني رفيقي الشيوعي الكلداني أبو نغم إلى بيته. وفي مجرى الحديث عدنا بالذاكرة إلى سني 72 – 1973حيث كنا نعمل سوية في لجنة بغداد للحزب الشيوعي السري لإعادة بناء التنظيم الحزبي، بعد أن حطمته الحملة البوليسية العنيفة التي خطط لها صدام واشرف على تنفيذها في 1971، حيث استشهد تحت التعذيب عدد كبير من خيرة كوادر الحزب، واسقط البعض سياسيا عن طريق التعذيب والتهديد. وقد أخذني أبو نغم في جولة إلى أحد أحياء المدينة ليريني محلة "بتاوين" الجديدة، وكان صادقا. فالأغلبية من قاطني الحي كانوا من الكلدان العراقيين الناطقين بالعربية والكتابة في واجهات الدكاكين والمطاعم والمقاهي كانت باللغة العربية كما هي في محلة (بتاوين) البغدادية، والناس جالسون في بعض المقاهي ويلعبون الطاولة والدومنة حال الجالسين في بتاوين بغداد! وقد أهديت نسخة من مذكراتي – الجزء الأول – إلى أبي نغم، واخبرني أن الطلب عليها سيكون كثيرا واتفقنا على أن يستنسخ عليها ويبيعها إلى من يريد، وقدم لي ثمن عدد من النسخ مقدما. وكان أبو نغم لايزال مرتبطا مع حشع ومسؤولا عن الشيوعيين العراقيين في أميركا، فيما كانت مذكراتي موضع السخط والتذمر لدى قيادة حشع والبعض من كوادره. لكن ذلك لم يمنعنا من أن نبقى صديقين ورفيقين

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

لبعضنا البعض بعد أن تركت أنا صفوف حشع منذ 1984.

عدت إلى نيويورك ارتباطا مع موعد السفر للعودة إلى الوطن. وفيما كنا ننتظر في إحدى قاعات المطار لنغادر نيويورك سرقت الحقيبة الدبلوماسية – بكل ما حوته – للرفيق قادر عزيز سكرتير حزب كادحي كردستان. وعندما نزلنا من الطائرة في دمشق انتظرت دون جدوى حقيبتي التي كنت قد شحنتها في مطار نيويورك. راجعت سلطات المطار وأخبرتهم عن فقدان الحقيبة، وتأتى علي أن انتظرها أسبوعا لكي تصلني الحقيبة، وكتبت عليها كلمة (سكيورتي) – الأمن العام، وسافر زملائي عبر طهران إلى الوطن، ولكنني فضلت العودة عن طريق القامشلي – دهوك. نزلت من الطائرة في مدينة القامشلي وراجعت مكتب حدك هناك ليدبروا لي ما هو بمثابة فيزا الدخول عبر نهر دجلة الذي يشكل نقطة الحدود بين سوريا والعراق. ومررت لأول مرة من القامشلي إلى دجلة، وهي من مناطق كردستان سوريا، ورأيت المضخات تشتغل منصوبة على آبار النفط الذي يستخرج هناك. وأخيرا وصلت النهر وعبرته لأستأجر سيارة تكسي إلى مدينة دهوك ثم إلى مدينة أربيل حيث قضيت ليلتي في منزل رفيقي عضو المكتب السياسي لحركة الديمقراطيين ملا شيخة ويس. وفي صبيحة اليوم التالي وصلت بيتي في السليمانية واستقبلتني زوجتي بأهم خبرين – حسب تصورها – وهما أن ابننا البالغ من العمر بضعة أشهر في صحة جيدة وان جده، أي والدها هي، قد رحل أثناء غيابي إلى الآخرة! وقد فكرت في نفسي بمجريات السفرة والمشاركة في مؤتمر المعارضة وفي بعض ما شاهدت من جوانب الحياة في أميركا، فخرجت ببعض الاستنتاجات، منها:

- استنتجت من بعض مواقف الأميركيين إزاء مؤتمر المعارضة، وبالدرجة الأولى من استضافتهم للمؤتمر ومن احاديث ممثليهم أثناء الجلسات، أن الإدارة الأميركية تشجع المشاركين في المؤتمر وتقدم لهم الدعم المعنوي، مما يدل على أن تلك الإدارة لاتزال مصرة على الإطاحة بنظام صدام.
- واستنتجت من تجوالي ومشاهداتي وتدقيقاتي أن النظام الرأسمالي في أميركا لايزال يعيش، في نهاية القرن العشرين، عهد شبابها مدعوما بالثورة العلمية – التكنيكية التي وظفها في صالحه، ومستفيدا من انهيار النظام السوفيتي الغارق في الفساد الإداري واللاديمقراطية،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الأمر الذي فتح الأبواب أمام الإدارة الأميركية لتتصرف بكامل حريتها كأقوى دولة في العالم اقتصاديا وعسكريا.

- كما استنتجت من مشاهداتي لبعض السلع الصينية المعروضة للبيع في بعض المخازن والأسواق الأميركية بأن الصين قد غدت عمليا منافسة، وان لم تكن منافسة قوية حاليا، لأميركا. لايزال البون شاسعا بين الدولتين في مستوى التكنيك والتصنيع، لكن الصين مستفيدة من نقطتين: الفرق الكبير في حجم السكان + رخص الأيدي العاملة، مما يساعد على سعة الإنتاج وسعة التصدير إلى مختلف البلدان، بما في ذلك البلدان الصناعية المتطورة.

مؤتمر لندن قبيل سقوط صدام

في هذه المرة أيضا أبلغني الطالباني بالتهيؤ للسفر إلى مؤتمر المعارضة في لندن وساعدني أوك لاستبدل جواز سفري، الذي كان عمره القانوني منتهيا، بجواز جديد مزور أيضا، شأن زملائي الحاملين لجوازات مزورة. وقد طلبت تلفونيا من عضو قيادة أوك (ماموستا محسن) الخانقيني ليأخذني بسيارته حتى زاخو، فاستجاب مشكورا. غادرنا السليمانية في الصباح الباكر واستأجرنا غرفا في أحد فنادق مدينة زاخو مساء، وذهبنا صباحا إلى مكتب علاقات حدك – مخفر الحدود من جهة الشرق على نهر خابور – وتجولت قليلا في الحديقة فوجدت النرجس اخضر موردا في الشهر الثاني عشر من سنة 2002. بعد تدبير معاملة الفيزا عبرنا الجسر لنغادر كردستان العراق وندخل كردستان تركيا متوجهين في سيارات الأجرة إلى مدينة ديار بكر. في اليوم التالي نزلنا في مطار العاصمة التركية، أنقرة، والأرض مغطاة بالثلوج، بقينا بعض الأيام بانتظار إكمال معاملة الفيزا البريطانية. في أنقرة جاءني عبد العالي الموجود ضمن وفد القادمين من السليمانية إلى مؤتمر المعارضة وقال لي انه لا يستطيع متابعة السفر بسبب شحة نقوده، وطلب مني مبلغ أربعمائة دولار لاستكمال الرحلة على أن يسدد لي هذا الدين فور وصولنا إلى لندن حيث يقيم خاله غسان العطية. سألته لماذا لم يطلب من ملا بختيار رئيس وفد أوك هنا، فأجاب انه طلب ولم ينجده، فاستثار عواطفي وأقرضته المبلغ الذي طلب مع التأكيد على أنني في حاجة إلى هذا المبلغ وأريده في لندن. أكد من جديد بأنه سيسدده فور وصولنا، ولم

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

افطن آنئذ إلى انه لم يكن أكثر من محتال كان يستدرّ عطف البعض كي يخدعهم، وان ملا بختيار كان اشطر مني عندما رفض مساعدته أو إقراضه. أقول ذلك لأنني لم اره بعد ذلك إلا مرة في بغداد بعد سقوط صدام فطلبت منه الدين وكنت في حاجة إلى الفلس الواحد، فأجاب انه اودع المبلغ لدى عادل مراد – وكان عادل مراد عضو قيادة أوك وصديقا لي -. صدقته بادئ ذي بدء، ولكنه اتضح انه ليس اكثر من محتال، وانه لم يسلم شيئا لعادل مراد رغم انه استلم شأن غيره مصاريف السفر من إدارة المؤتمر. وقد أرسلت رسالة شكوى إلى غسان العطية ولم يكلف نفسه بكلمة جواب إلي.

وعند وصولنا إلى لندن أخذنا من المطار إلى فندق (شيراتون) حيث عقد اجتماع المعارضة في إحدى قاعات الفندق.

كان تركيب عضوية المؤتمر أشبه بما كان في مؤتمر نيويورك – قلة من الساسة المثقفين ذوي المستويات الرفيعة وكثرة من أشباه الأميين سياسيا ومن الأمعية. وكانت الصراعات هي هي، وبالأخص بين د. أحمد الجلبي ود. أياد علاوي. غير أن المؤتمر خرج في هذه المرة بوثيقة جيدة تناولت وضع العراق وما يجب أن يكون عليه من الحرية والديمقراطية والتقدم العمراني بعد سقوط صدام. وبعد انتهاء المؤتمر أتاني الشاب كامل حمه رشيد، وهو من السليمانية ومن العاملين معنا في مجلة ديموكراسي بداية إصدارها في السليمانية، ليأخذني ضيفا على بيته في لندن. وكان قد أسس لنفسه ورشة يشتغل فيها لتصليح أجهزة الكمبيوتر وبعض ما يخصها. وقد كنت ذات يوم جالسا عنده في الورشة عندما أتته امرأة إنكليزية متوترة الأعصاب ومتهورة، كانت تصرخ بصوت عال في وجه كامل لأن تصليح جهازها لم يكن موفقا! لكن الشاب الكردي واجه بهدوء ودم إنكليزي بارد المرأة العصبية ذات الدم العراقي الحار.

مما لفت انتباهي في لندن أن سحابة من الدخان تكاد تكون دائمية وتخيم على المدينة، ولاحظت قلة العمارات السكنية الشاهقة وكثرة المباني السكنية العائلية، كما لاحظت كثرة المتسولين من الإنكليز والأوروبيين في الشوارع والأماكن العامة. وقد أعجبت بنظام السير الهادئ المنظم للسيارات، لكنني لاحظت فارقا كبيرا بين انفاق المترو في لندن وبينها في موسكو أيام كنت

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أعيش للدراسة في الاتحاد السوفيتي، إذ كانت محطات موسكو أرقى كثيرا.

كنت من الأوائل الذين غادروا لندن عائدين إلى العراق، وفيما هبطت الطائرة في اسطنبول، وانا بانتظار الطائرة إلى أنقرة، شربت في قاعة المطار قدحا من الشاي ودفعت مليونا ونصف مليون ليرة تركية. بقيت في أنقرة يومين ثم عدت إلى بيتي في السليمانية. وبعد أيام رجع مندوبو أوك فمنعتهم السلطات التركية من دخول تركيا وأرجعتهم من مطار إسطنبول إلى أوروبا، علما أن بطاقات الطائرة للجميع كانت مشتراة في أنقرة، وهي مرجعة وان العودة لم تكن اكثر من مرور عبر تركيا إلى العراق! لكن ذلك لم يكن بالشيء الغريب بالنسبة إلى حكام تركيا الكماليين إزاء البشر الأكراد.

وعندما أتاني بعض الرفاق والأصدقاء وسألوني عن اجتماع لندن ونتائجه، أجبت:

- خرج الاجتماع بوثيقة ديمقراطية جيدة تصلح برنامجا لعمل السلطة التي قد تحل محل نظام صدام. وإذا ربطنا بين هذه الوثيقة وبين الاستعدادات والتحشيدات العسكرية الأميركية المكثفة في الخليج، فإني أظن أن أيام صدام باتت محدودة.
- ومن يسقط صداما، المعارضة التي اجتمعت في لندن أم الأميركيون؟
- المعارضة العراقية غير قادرة على إسقاط النظام.
- ما رأيك في أن تسقطه أوساط غربية؟ ألا يكون ذلك استبدال ذئب بذئب اقوى؟

- أنا أعلنت رأيي منذ عام 1993 حيث دعوت UN والمجتمع الدولي إلى تخليص العراق من هذا الكابوس المرعب.

«AlfYaa منشورات «ألف ياء

رسالة عتاب ونقد إلى الطالباني
بصدد تعامله غير العادل معنا

عاملنا الزعيمان الحاكمان في الإقليم في سني ما بعد انتفاضة 1991 بتمايز غير منصف وغير مبرر. فالبارزاني اتبع سياسة لون من المقاطعة من كل النواحي، إذ لم يستجب لطلباتنا المشروعة بتقديم أي عون مالي لنا باعتبارنا فصيلا من فصائل الحركة الوطنية المناضلة، ولم يقدم لنا ابسط أشكال المساعدة ماليا أو إعلاميا حتى أثناء الحملات الانتخابية البرلمانية، خلافا لما نصت عليه القوانين المشرعة بتوقيعه، بل كان يرفض مجرد اللقاءات معنا، بعكس ما كان يفعل مع غيرنا من الأحزاب المشابهة. ويكفي أن أقول أنني لن أتوفق في اللقاء معه اكثر من مرتين طيلة العشرين عاما، بعكس الطالباني الذي كان بابه مفتوحا أمامي في بعض الأوقات، ومغلقا في أوقات حتى سقوط صدام. ثم اغلق منذ 2003 شأنه شأن باب مسعود.

والسبب وراء موقفهما كان واضحا لي، كان عدم الرضا عن تمسكنا باستقلالية النهج السياسي وبرفضنا لمسايرة رغباتهم في اتباع السياسة المنسجمة مع رغبة هذا الطرف أو ذاك.

وتعتبر الرسالة المنشورة هنا التي قدمتها إلى الطالباني في شباط 2003 عن إحساسي بالمرارة والغضب وعن الاحتجاج على ذلك التعامل معنا:

السيد مام جلال المحترم

الموضوع/ عتاب وشكوى

بعد التحيات النضالية

اسمحوا لي كي اقدم لكم بعض العتاب والشكاوى. ليس لي أي عتاب على المستوى الشخصي، بل من الناحية السياسية والحزبية. انتميت إلى حشع قبل 57 عاما، أي أنني واحد من المناضلين

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

القدامى في هذه البلاد، كنت على الدوام في صفوف النضال الأمامية كجندي مجهول.. في السنوات 10- 12 الأخيرة، بعد الانتفاضة، كنت هنا في الإقليم وأقدم عتابي على هذه السنوات. لا أملك حقوقا قانونية عليكم، لكنني اجد نفسي من أصحاب الحقوق من الناحية الأخلاقية والوطنية إزاء شخص مثلك وحزب مثل أوك.

حصلنا على الرخصة القانونية ل ح د (حركة الديمقراطيين) منذ 1994. وبديهي أن العمل الحزبي اليوم يختلف عما كان في الماضي، ولا يدبر دون حيازة المال. إن أوك نفسه، وهو حزب كبير قدم الكثير من التضحيات، لم يكن قادرا على الاضطلاع بمهامه لو لم ينفق شهريا ملايين الدولارات من الميزانية العامة على تدبير شؤونه الحزبية. أنا لم اطلب التعامل معنا بمستوى التعامل مع أوك. لكنني أريد أن أقارن بين تعاملكم معنا وبين تعاملكم مع بعض الأحزاب المشابهة لنا، وأتساءل: لماذا هذا التمييز الصارخ؟ ما هو المبرر عندكم لتفضيل شخص علينا، وهو كان حتى آخر يوم من انتفاضة 1991 في جبهة الدفاع عن نظام بغداد في حين أنني ظللت في جبهة الكفاح دون انقطاع منذ 57 عاما؟ بأي مقياس تقدمون العون المالي الحزبي إلى ذلك الرجل ضعفي أو ثلاثة أضعاف ما تقدمون إلينا شهريا في وقت كنا أكبر منه بكثير بمعنى الكلمة الحقيقي للنشاط الحزبي؟ بأي مبرر تقدم مئة ألف دينار إلينا شهريا، في حين تقدم 7 - 8 أضعاف هذا المبلغ إلى جهة أخرى ليست بأكبر منا إن لم تكن اصغر، لا من حيث التأريخ النضالي ولا التجربة السياسية ولا المستوى الثقافي ولا حجم التنظيم الحزبي الحقيقي؟ واكثر من كل هذا، لماذا كل هذا التمييز بيننا وبين بعض الجهات التي تعرفون جيدا بمن يرتبطون ومن أي جهة أخرى يستلمون المال؟ لماذا تقطع عنا المعونة القليلة طيلة 8 اشهر بسبب إصدارنا بيانا احتجاجيا حول مقتل الشيوعيين العماليين بصورة تعسفية، في حين يقدم مليونا دينار (أي عشرين ضعف لما يقدم إلينا) إلى جهة إسلامية تعرفون حقيقتها جيدا؟ وأكثر من ذلك، فان المال يقدم إلى أناس قتلوا بشكل مباشر أو غير مباشر عددا كبيرا من بيشمرگه أوك.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

نوع من التمييز: كنا متحالفين مع الحزب الحاكم لأربع سنوات، بين 1997- 2000 وكنا عضوا في ت د ك، وأعطيت مناصب وزارية للأطراف الثلاثة الأخرى في حين لم يعط إلينا حتى منصب مدير ناحية في كردستان!

بسبب انعدام المال بقينا الحزب الوحيد، بين الأحزاب المشابهة، الذي لم يصبح قط صاحب محطة تلفزيون أو راديو مركزي أو صحيفة أسبوعية منتظمة، ولم نستطع حيازة عدد من السيارات لاستخدامها في تمشية أمورنا الحزبية. في مقراتنا الأن بأربيل ورانية وكلار وكفري وتكية كاكه مند وقرداغ. ...الخ لا نملك أي سيارة. وفي السليمانية املك أنا سيارة عتيقة من طراز 1983، ولا املك سيارة لرجال الحماية لأننا بعناها مضطرين حين قطعتم العون منا في سنة 2000، ولم استلم منكم السيارة التي وعدتموني بها قبل ثمانية اشهر. ولدينا سيارة بيك أب عتيقة للمكتب السياسي وللجنة العليا ومقر السليمانية وشتى أعمالنا. هذا في الوقت الذي نرى عددا من السيارات لدى هذا الحزب أو ذاك، وكلها مشتراة بنقود ممنوحة من أوك... بل لدى تلك الأحزاب محطات إذاعة وتلفاز وأعداد كبيرة من البيشمرگه امكن تأسيسها وإدامتها بالمال الممنوح منكم. نحن لا نعاتبكم على مساعدة الآخرين، ولكن لماذا هذا التمييز بيننا وبين هؤلاء؟

تحت ضغط الحاجات المالية أكثرنا من مطالبتكم بزيادة مساعدتنا الشهرية - 100ألف دينار - لدرجة إزعاجكم وانحراجنا نحن. فكان أن زدتموها مشكورين في أيار 2002 قليلا إلى 150 ألف، ضمن زيادة عامة لسائر الأحزاب. كان ذلك أفضل قليلا لنا، رغم أنه لم يقلل من الفرق الكبير بيننا وبين الآخرين. ولم تفدنا هذه الزيادة عمليا للأسباب التالية:

- قطعت عنا المساعدة لشهرين بعد الزيادة.

- في الشهر العاشر أعطيتمونا المساعدة بالدولار، وفي تصريف الدولارات خسرنا 25 ألف دينار (بسبب اختلاف سعر التصريف في السوق).

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

- في شهر 11 حسبتم لنا كل مئة دولار بـ 1200دينار، وحين اخذ المبلغ في 2003/1/8 كان سعر التصريف في السوق 715 دينار لمئة دولار.

- وإضافة إلى ما أسبقت فان دفع المساعدة الشهرية لنا (فقط لنا) قد تأخر، وتأتى علينا أن نقوم بمساع كبيرة للحصول عليها. وتتذكر أنني طلبت وأخذت منكم رسالة إلى د. برهم لكي يدفعوا لنا المساعدة. على الرغم من كل ذلك فإننا استلمنا فقط معونة تشرين الثاني ولم يدفع لنا حتى هذه اللحظة معونة كانون الأول 2002.

أشير إلى لقطة أخرى من هذه اللوحة: شكرا لسيادتكم على إدخال اسمي ضمن المدعوين إلى مؤتمر المعارضة الأخير. لكن علي أن أقول أن شخصا مثلي لم يجد مكانا له في عضوية اللجنة التنسيقية ضمن 65 عضوا، وبينهم أناس امتنع هنا عن التحدث بشأنهم. ولئن كنت أعاتب هنا أحدا فأنني أعاتبكم انتم.

العم المحترم!

هذه هي اللوحة الحقيقية لوضعنا اليوم. فهل من الغرابة أن يخلق ذلك لدينا مشاعر مليئة بالمرارة والانزعاج؟ أنا أوجه العتاب والشكوى إلى سيادتك شخصيا ليس فقط لأنك الشخص الأول في الحزب وفي السلطة، بل بالدرجة الرئيسية لأنك رجل مثقف وسياسي مخضرم والعقل الموجه لأوك. ذلك ما يسمح لي بان أقول كل شيء صراحة. ولا أريد أن اكتم عنكم بان الشيخوخة تحفزني على الرغبة في أن أتقاعد وأكف عن ممارسة العمل اليومي-الحزبي. لكنني لا أريد هجر رفاقي في مثل هذا الوضع الصعب.

آمل أن تقرأ رسالتي هذه بأعصاب باردة ووجدان حار. وأريد التأكيد على أنني كنت ولا أزال صديقا، لأنني أعرف الدور الذي اضطلعتم به في تحقيق هذه المكاسب الكبيرة لشعبنا، وأنا احسب نفسي واحدا من المسؤولين عن صون هذه المكاسب. واختم رسالتي ببيت الشعر هذا لسعدي، الذي أوردتموه في رسالة سابقة منكم إلي:

مشكل نيست كاسان نشود مرد أنست هراسان نشود

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

في انتظار الجواب، أتمنى لكم العمر الطويل والتوفيق في خدمة الشعب والوطن

أخوكم المخلص
بهاء الدين نوري
شباط 2003

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

سقوط الطاغية التكريتي

كان من الطبيعي أن تتمتع السلطة الإقليمية، المؤلفة أساسا من أوك وحدك، بشعبية كبيرة في كردستان بعد انتفاضة ربيع 1991، ويعود ذلك إلى أن جماهير الإقليم عانت الأمرين من النظام البعثي الدكتاتوري العنصري، من جهة، وانها – الجماهير – لم تجرب قبلئذ هذين الحزبين على كرسي الحكم، من جهة أخرى. وعندما سقط نظام صدام كان كثرة من الأمور قد توضحت للجميع خلال اثنتي عشر سنة من حكمهما: احتكارهما للسلطة وإعطاء هامش صغير أو صوري للديمقراطية والاحتفاظ بجوهر "النظام الحزبي الواحد"، والانغماس في الفساد الإداري والإثراء السريع غير المشروع لكوادرهم في الحزب والدولة والتشبث بدمج الحزب بالحكومة ...الخ. والأمَر من كل ذلك كان الإصرار على اقتتال الأخوة بهدف الانفراد بالسلطة. كنا نعرف هذه الحقائق وكتبنا عنها الكثير في مطبوعاتنا ومقالاتنا. غير أننا كنا نراعي مسألة بقاء صدام في الحكم والنظر إليه كمصدر جدي للخطر على هذا الإقليم. كنا نرى الخطر الرئيسي في نظام صدام، وكان الشعب الكردي يدرك بسليقته الثورية هذا الخطر ويعمل على درئه بالالتفاف حول الحزبين الحاكمين، دون أن يخفى عتابه وانتقاداته المريرة إزاءهما. وقد تبخر هذا الخوف بعد أن اسقط نظام صدام وغدا بالإمكان اتخاذ موقف جديد مغاير تجاه الحكم الإقليمي.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

رسالة مفتوحة إلى الرئيس الأمريكي

بعد انقضاء شهرين على إسقاط الطاغية، وقبل أن تتضح معالم التطور واتجاهاته لما بعد سقوط صدام حسين وجهت هذه الرسالة المفتوحة إلى الرئيس الأمريكي جورج بوش.

ويلاحظ القارئ من رسالتي هذه أنني كنت متخوفا من عواقب الخط السياسي الذي كانت الإدارة الأمريكية تتبعه في العراق. ومن المؤسف أن الوقائع أكدت لاحقا أن ما كنت قد تخوفت منه قد حصل مع شديد الأسف. وأدناه نص رسالتي المفتوحة إلى بوش:

لقد أيدتكم، أيها الرئيس بوش، غالبية العراقيين حين أقدمتم على إسقاط الطاغية وزمرته، آملين أن يقترن الإسقاط بخطوات جدية وسريعة تضمن تحقيق ما افتقدوه في ظل النظام المنهار من شيوع الأمن والاستقرار والرفاه المعاشي، فضلا عن الحريات العامة. لكن إلقاء نظرة على حصيلة العمل الأمريكي في غضون الشهرين عقب سقوط صدام يثير التساؤل عما إذا وفت الإدارة الأمريكية بالتزاماتها، وعما إذا أخطأت التصرف عمدا ولغرض ما أم أخطأت بسبب قلة التجربة وانعدام التخطيط المدروس وتحت تأثير الغرور والرضى عن النفس، ورغم أن جنرالاتكم ارتكبوا أخطاء في التخطيط العسكري لإسقاط صدام فإنكم كسبتم الحرب بقدر من السهولة كنتيجة لتفوقكم العسكري الكاسح ولحماقة دكتاتور العراق وانعزاله حتى عن أفراد جيشه الذين آثروا الهروب عن سوح القتال. إلا أنكم لم تكسبوا، أيها الرئيس بوش، المعركة السياسية بعد إسقاط صدام ولم تفلحوا في توسيع دائرة التعاطف والتأييد لكم بين العراقيين، بل أثرتم التذمر حتى بين أصدقائكم من أعداء النظام المنهار. واخشى ألا تتداركوا الأمر في الوقت المناسب فينقلب الكثيرون من حلفاء الأمس العراقيين إلى أعداء الغد.

نحن ندرك حرصكم على المصالح الأمريكية الخاصة فيما فعلتم وتفعلون. وندرك بأن من عارضوكم في بون وباريس وموسكو

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وبكين وعواصم عربية لم يفعلوا ذلك إلا من منطلق مصالحهم الخاصة. غير أن من الخطأ أن تنتهجوا سياسة غير متوازنة تكون على حساب مصالح العراقيين. فالعراقي، حتى ولو كان من حلفاءكم، لن يرضى بذلك.

نحن نعرف أن التربية البعثية المنحطة، التي أفسدت المجتمع العراقي طوال 35 سنة كانت دوما وراء ظاهرة السلب والنهب والحرق والتدمير في العراق الحديث. غير أن ذلك لا يعفي الأمريكيين من المسؤولية عن اقتران عملية إسقاط صدام بتلك الموجة الواسعة من أعمال السلب والنهب والحرق والتخريب لمختلف الوزارات والمؤسسات العامة، بما في ذلك المتاحف التاريخية – الأثرية والمؤسسات الخدمية وغيرها في بغداد والمدن الأخرى، إذ كان بمستطاع القوات المتحالفة أن توفر الحماية لتلك المؤسسات كما وفرتها لوزارة النفط. ومن العدل أن تطالب الإدارة الأمريكية بالتعويض عن تلك الخسائر. يضاف إلى ذلك ما شكا منه بعض المواطنين من تصرفات الجنود الأمريكيين أثناء المداهمات وحملات التفتيش حيث استولوا على سيارات البعض دون مسوغ قانوني وصادروا قطع البنادق والمسدسات من حلفاء وأصدقاء لكم مطاردين في عهد صدام ومحتاجين اليوم إلى ما يدافعون به عن انفسهم ضد هجمات محتملة لفلول البعث، وعلى مجوهرات وممتلكات للنساء، وغير ذلك. وليس هناك من يستمع إلى شكاوى الناس المتجاوز عليهم إذ وضع المتجاوزون فوق القانون.

وبسبب الفراغ الذي نجم عن انهيار النظام، دون أن تستطيع قوات التحالف ملء هذا الفراغ، شاعت فوضى رهيبة في شتى نواحي الحياة.

وكان بالإمكان تدارك هذه المشكلة أو - على الأقل - التخفيف من وطئها على وجه السرعة، عن طريق الإسراع في إعادة الخدمات وملء الفراغ الإداري واستعادة الأمن المفقود... لكن الإجراءات جرت وتجري ببطء شديد بسبب تخبط المسؤولين الأمريكيين في العراق وعدم تفهمهم لواقع هذه البلاد وعدم سماعهم لمقترحات ونصائح العراقيين من ذوي الخبرة الملمين بظروف بلدهم اكثر مما يلم به أي اجنبي.

منشورات «ألف ياء «AlfYaa

ورغم أنكم دعمتم في الماضي ومن منطلقات خاطئة دكتاتورية صدام، فان موقفكم الأخير في إزاحته قد غير المعادلة سياسيا وسيكولوجيا.

وأنا على يقين من أنكم ترغبون اليوم في إقامة عراق ديمقراطي ليبرالي يغدو نموذجا في الشرق الأوسط. لكنني لست على يقين من أنكم تتقنون العمل لتحقيق هذا الهدف. والسبب ـ وهنا الطامة الكبرى - هو أنكم في الإدارة الأمريكية لم تستوعبوا ظروف وخصائص العراق ذي الـ 25 مليونا ولم تسهلوا على أنفسكم تفهم هذه الظروف. فبدلا من الاستعانة بذوي الخبرة العراقيين، تمهيدا لتسليم السلطة اليهم، سلمتم الأمور إلى جهات أمريكية متعددة وغير منسقة مع بعضها تخطئ في تصرفاتها، الأمر الذي يزيد الطين بلة. يضاف إلى ذلك أنكم، وفي مجرى عملكم لإقامة الديمقراطية، لم تدركوا بأن هذه البلاد، التي ابتليت بالحكم الفردي الدكتاتوري الفاشي طوال عشرات السنين، غير مؤهلة بعد لممارسة الديمقراطية بشكلها الصحيح وانها لا تصبح مؤهلة إلا بعد مرحلة انتقالية ببرامج يجري فيها العمل لتغيير الوضع. ولا يمكن اعتبار ما قمتم به من جمع نفر لانتخاب المحافظ هنا وهناك عملية ناجحة لإشاعة الديموقراطية لأن ظروفها لم تنضج بعد.

لقد كنتم محقين، أيها الرئيس بوش، في اعتباركم لنظام صدام مالكا لأسلحة الإبادة الجماعية. والدليل على ذلك هو أن هذا النظام قد استخدم فعلا السلاح الكيمياوي ضد الإيرانيين أثناء الحرب وضد المواطنين العراقيين، كما تشهد مأساة حلبچه، ومن المؤكد أن صدام امتلك الأسلحة البيولوجية أيضا. واغلب الظن انه كان المجهز لجماعة بن لادن بجرثومة انثراكس التي استخدمت ضد الأمريكيين وغيرهم. كما أنه قطع شوطا بعيدا نحو صنع السلاح الذري. كان النظام بطبيعته نظاما للتقتيل والتدمير والإبادة الجماعية – كما أكدت سلسلة القبور الجماعية، التي اكتشف منها البعض ولاتزال عملية كشف المزيد منها جارية. ذلكم ما برر تدخل المجتمع الدولي لتحرير العراق وكل البشرية من آثام ذلك النظام. بيد أن جميع ما حدث لا يبرر تقاعس الإدارة الأمريكية عن أداء واجباتها الإنسانية والتزاماتها وفق المواثيق والأنظمة الدولية، لكي يظل ما فعلتموه

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

عملية تحرير للعراق وليست عملية احتلال وتسلط استعماري.

أخيرا أتمنى أن تقرأوا رسالتي هذه، يا سيادة الرئيس بوش، وان تعيدوا النظر في خططكم وتوجهاتكم بروح موضوعية وان تحصروا مهمات جنودكم فيما لا مناص من القيام به لمحافظة الأمن والاستقرار وان تسلموا الشؤون الإدارية إلى ديمقراطيين عراقيين أكفاء ونزيهين لكي يمكن قطع الطريق أمام تحركات فلول البعث ومخلفات الأجهزة القمعية لصدام وحلفائها الجدد ولكي تصبح المرحلة الانتقالية مرحلة تحضير حقيقي للبناء الديمقراطي الحضاري. بذلك فقط يمكن لكم كسب العطف والتأييد بين العراقيين. وحري بكم أن تتعلموا درسا من حلفاءكم البريطانيين، الذين حققوا في إدارتهم لمدينة البصرة نجاحات افضل مما حققتم في بغداد. أملي أن تتجنبوا النقل الحرفي لبعض التجارب الأمريكية إلى العراق، آخذين بنظر الاعتبار تباين الظروف وخصائص المجتمع العراقي، لكي لا ينطبق على أمريكا القرن الواحد والعشرين ما قاله وينستون تشرتشل قبل اكثر من 60 عاما في معرض حديثه عن الموقف الذي تتخذه الإدارة الأمريكية إزاء الحرب الكونية الثانية، يوم ذكر أن أمريكا ستجرب كل السبل الخاطئة قبل أن تستقر على موقف صحيح.

راجين لكم التوفيق في خدمة الشعب الأمريكي وفي مساعدة العراقيين على تحقيق ما يتطلعون إليه من الأمن والاستقرار والرفاء والديمقراطية.

سكرتير الحركة الديمقراطية العراقية
بهاء الدين نوري
2003/6/9

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

دعونا إلى سحب الثقة
من الحزبين الحاكمين في الإقليم

في الظروف المستجدة التي أعقبت سقوط نظام صدام كنا نحن في حركة ديمقراطيي كردستان أول حزب مجاز رسميا في الإقليم يتخذ موقفا حازما ويعلن للملأ أن هذين الحزبين غير جديرين بالثقة لأسباب ذكرناها، وقد دعونا جماهير كردستان إلى سحب الثقة عنهما وعدم التصويت لصالحهما في الانتخابات البرلمانية، ولكي اقدم للقراء الكرام صورة واضحة لما قلنا وأردنا آنئذ اقدم اليهم أدناه نص التقرير الذي كتبته أنا وقدمته إلى المكتب السياسي لكي يناقشه ويعرضه على الاجتماع الموسع للحركة، الذي عقدناه بعد انقضاء أربعة اشهر على سقوط صدام. وقد شارك في الاجتماع معظم كوادرنا، إلى جانب اللجنة العليا للحركة، واقترن طلبنا بإزاحتهما عن السلطة بالدعوة إلى اتباع الأسلوب السلمي الهادئ في النضال، بعيدا عن العنف والفوضى. وأقدم هنا النص الذي أقره الاجتماع الموسع المنوه عنه ونشرته جريدتنا (شارستانى) باللغة الكردية في عددها أواخر 2003، كما نشرته مجلة الحضارة باللغة العربية لاحقا، مؤكدا أن هذه الوثيقة لاتزال بعد مرور ثماني سنوات على صدورها، تحتفظ بحيويتها كوثيقة إدانة تاريخية لقيادة الحزبين ولحكام الإقليم، الذين لم يجيبوا للآن على أي من الأسئلة الثمانية التي وجهناها اليهم آنئذ، كما لم يحققوا إلا القليل من المطالب المعيشية التي كانت ولاتزال ملحة بالنسبة للشعب. لقد قدم صدام وحفنة من أعوانه إلى العدالة، ومدد العمل بالقرار 986 الخاص بالبطاقة التموينية، لكن ذلك نفذ من قبل حكام بغداد، فيما لم يحاكم في الإقليم ولا واحد من كبار المجرمين الأكراد الملطخة أيديهم بدماء أعداد كبيرة من أبناء الشعب الكردي، بل ساعد مسؤولو الإقليم البعض من هؤلاء للاختفاء هنا والسفر سرا إلى الخارج، كما جرى مع محافظ السليمانية المجرم جعفر البرزنجي، وكافأوا البعض الآخر بمنحهم مناصب قيادية ورواتب ضخمة وامتيازات كثيرة!!

نص الوثيقة

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

تقرير المكتب السياسي إلى الاجتماع الموسع لحركة ديمقراطيي كردستان

اسقط نظام البعث الفاشي العنصري في 9 نيسان الماضي دون أن يتمكن الحكام من إبداء مقاومة جدية إزاء قوات التحالف. وجاء ذلك تأكيدا على حقيقة أن صدام كان يحتفظ بحكمه معتمدا على القمع والإرهاب وليس على التأييد الجماهيري. ومن الطبيعي أن يكون السقوط بداية لتغييرات جذرية في العراق، بما في ذلك إقليم كردستان. واضح أن ذلك لم يتحقق دون ثمن، بل اقترنت بسفك الدماء وعمليات الهدم والنهب الواسعة. بيد أن إقليم كردستان المحرر لم يصبح هذه المرة – لحسن حظه – ساحة للقتال والهدم ولم يصب بأضرار جدية، بل على العكس من ذلك، انه كسب الكثير.

في اجتماع سابق عقب سقوط صدام لخصت اللجنة العليا وجهة نظرها حول الوضع ورحبت بسقوط الدكتاتورية وقدمت إلى الحاكمين الجدد جملة مطاليب، واليوم، بعد مرور أربعة اشهر على سقوط صدام، نجد الأمور اكثر وضوحا وملاءمة للتقييم.

نرى أن شعبنا الكردي، شأن سائر الشعوب العراقية، هو المستفيد من هذا التغيير، إذ:

- بإزاحة نظام الأنفال والقصف الكيمياوي والتهديم تحررت الجماهير من الخوف والقلق الدائمين اللذين كان النظام المتوحش مصدرا لهما.

- نشأت ظروف افضل لكي يعاد إلى أحضان الإقليم بعض ما كان قد سيطر عليه النظام من مدن وقصبات وقرى كردية (لم يتحقق هذا المطلب مع الأسف) وبات بمستطاع المهجرين قسرا أن يعودوا إلى أماكنهم الأصلية.

- يشارك اليوم في السلطة المركزية ممثلو الإقليم الذين كان صدام يعتبرهم بالأمس خونة وعملاء.

- نشأ وضع افضل لبدء عملية الإعمار وإعادة البناء.

- توفرت الأجواء للحريات السياسية وفتحت آفاق افضل لإشاعة الديمقراطية في العراق، بما في ذلك الإقليم.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

ـ تقلصت مخاطر التدخل من قبل الأعداء المحيطين بالإقليم لأنهم الآن يجدون أمامهم أميركا.

هذه مكاسب جديدة هامة تضاف إلى مكاسب شعبنا السابقة. وبزوال النظام الدكتاتوري حل وضع افضل لكي نطالب مسؤولي الإقليم بمراجعة موضوعية لما ارتكبوا من أخطاء وهفوات خلال سني حكمهم (10-12 سنة) التي أعقبت انتفاضة 1991. في الماضي، حيث كان صدام يشكل مصدر الخطر الرئيسي، كان علينا أن نتجنب تشديد الصراعات الداخلية ونحرص على حشد كل الطاقات النضالية ضد النظام. لكن الوضع يختلف اليوم إذ بات من الأمور الاعتيادية أن نطالب بإعادة النظر في المواقف والتصرفات السابقة وبتقييم المسؤولين وتصرفاتهم في تلك الفترة، وبالأخص تقييم تلك الأخطاء التي خلفت وراءها عواقب جد سيئة. من واجبنا أن نطلب التحقيق لتحديد مسؤولية الحزب أو المسؤول أو السلطة. إننا نوجه إلى مسؤولي الحزب والحكومة الإقليمية جملة من الأسئلة مطالبين منهم إعطاء أجوبة واضحة وصريحة.

1 ـ علام الاقتتال الداخلي ومن المسؤول عنه؟

في الحرب الأهلية لسني 94- 997 قتلت ألوف الشبان الأبرياء وقسم الإقليم إلى حكومتين وهدرت ثروات هذا الشعب. لماذا ومن المسؤول عما حدث؟ هل كان هناك سبب لهذا الصراع الدموي سوى التنافس على كرسي الحكم؟ ألم يكن الأجدر بالحكام أن ينفقوا تلك الثروات والطاقات على إعادة البناء والإعمار؟ لماذا رفض المسؤولون الإصغاء إلينا والى أمثالنا حين كنا نصرخ ملء أفواهنا مطالبين بالكف عن الاقتتال؟ ألم يضع هؤلاء المصالح الحزبية والشخصية الضيقة فوق مصلحة الشعب والوطن؟

2 ـ ماذا عملتم لتوحيد جزئي الإقليم؟

بعد أربعة اشهر من سقوط صدام لايزال مشروع توحيد إدارتي الإقليم يراوح في مكانه، دون أن يتقدم شبرا، لماذا؟ وهل من سبب

منشورات «ألف ياء «AlfYaa»

لهذا الشقاق سوى التنافس الحزبي اللامشروع؟

3 ـ لماذا احتكرتم لأنصاركم جميع الوظائف والامتيازات؟

بأي حق وعلى أي أساس احتكر الحزبان الحاكمان جميع الوظائف والامتيازات اللامشروعة للناس الموالين لهما؟ لماذا أسسا أجهزة الحكم على أساس التزكية الحزبية ولم يعين حتى الفراش والحارس إلا بموجب التزكية الحزبية؟ هل ينسجم مثل هذا النهج مع الديمقراطية والحضارة المعاصرة؟ أم انه شكل من أشكال نظام الحزب الواحد؟ لماذا أحللتم الهوية الحزبية محل الكفاءة والإخلاص والنزاهة في تعيين الموظفين؟ من هو المسؤول عن هذا التضخم والفساد الإداري وضعف القدرات التنفيذية في أجهزة الحكم الإقليمية؟ إذا لم تكن هناك محاسبة لأحد على جميع هذه الخروقات والمساوئ المترتبة على اعتماد التزكية الحزبية فإن هذه الظاهرة ستتكرر من جديد حين يتسلم حزب آخر السلطة ويتصرف على نفس المنوال.

4 ـ لماذا استمرار حكم الميليشيا مدة 12 عاما؟

في 91- 92 كان وجود تشكيلات الميليشيا أمرا طبيعيا وضروريا. لكن بقاء الميليشيا طوال 12 عاما لم يكن طبيعيا، بعد أن تشكلت حكومة الإقليم. كان الشعب الكردي في حاجة إلى قوة مسلحة للدفاع عن نفسه ضد وحش كصدام. وكان بالإمكان ومن الضروري أن تكون هذه القوة جيشا نظاميا خاضعا للقانون، بدلا من الميليشيا التي لم تخضع يوما وفي أي مكان للقوانين. وقد أريد لمسؤولي الميليشيا أن يحلوا محل السلطة القانونية طيلة هذه الأعوام. فمن المسؤول يا ترى عن ذلك؟

5 ـ لماذا السهر على بعث وتقوية الكيانات والتقاليد العشائرية؟

كان ظهور الكيانات والتقاليد العشائرية أمرا طبيعيا في وقت ما،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

كما كان ضمور وانحلال هذه الكيانات أمرا طبيعيا في وقت لاحق – كما حدث في أوروبا. لكننا نسأل عن الحكمة في سهر مسؤولي الإقليم على بعث وانعاش الكيانات والتقاليد العشائرية في الإقليم بعد أن سارت شوطا كبيرا نحو الانحلال؟ هل كان وراء ذلك سبب سوى السعي لكسب رئيس العشيرة الفلانية إلى جانب الحزب الفلاني؟ ما معنى أن يتبجح المسؤولون بأنهم يسعون لإقامة مجتمع مدني من جهة وان ينصرفوا إلى ما هو عكسي كالمشاركة في اجتماعات رؤساء العشائر وتقديم العون المادي لهم ومنحهم مخصصات المضايف؟ لماذا يقتدي قادة الإقليم في هذا الشأن بصدام، الذي كان له مصلحة في بعث الكيانات العشائرية؟

6 ـ كيف وعلام أنفقت الميزانية العامة للإقليم؟

آن الأوان لكي يسأل حكام الإقليم عن الأسس والقوانين التي صرفوا بموجبها ميزانية الإقليم خلال الـ 10 – 12 سنة المنصرمة. أين هي حسابات الوارد والصرف وأين الشفافية؟ قال نوشيروان مصطفى في مقال نشر: "ان 70% من الميزانية العامة تسلم إلى الحزبين الحاكمين" أيام حكم الجبهة الكردستانية. وفق أي مبدأ جرى ذلك؟ أليس من حق هذه الجماهير أن تطالبكم بذلك؟ أين هي الحسابات؟

7 ـ الاقتصاد الحر بين الأقوال والأفعال

أكد المسؤولون مرارا وتكرارا وقوفهم إلى جانب الاقتصاد الحر والسوق الحرة وتصميمهم على إدارة السياسة الاقتصادية من هذا المنطلق. وكان ذلك معقولا لو لم يتناقض مع نهجهم الرسمي – العملي، الشخصي والحكومي. انهم احتكروا معظم المرافق الهامة في تجارة الوقود والسمنت والسجاير والتلفونات والفنادق والعقارات ...الخ. فأية حرية ابقوا في اقتصاد السوق بعيدا عن سيطرة السلطات أو سيطرة بعض المسؤولين؟

8 ـ إدارة الإقليم بين التعامل بالدولار والدينار السويسري

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

إن تدخل مسؤولي الإقليم بشتى الصور في تسعير الدولار والدينار ومحاولة التحكم بالأسعار قدم نموذجا صارخا لرفض الاقتصاد الحر والسوق الحرة ولوضع المصالح الحزبية الضيقة فوق مصالح الشعب والبلد. لم يكن خافيا عليهم أن الدينار السويسري أصبح بصورة طبيعية عملة كردستان المتداولة كما أصبح جزءا من ثروات هذا الإقليم. ومع ذلك، ودونما اهتمام بمصالح الموظفين والمتقاعدين، حولوا الرواتب من الدينار إلى الدولار وحددوا للدولار سعرا تعسفيا بعشرة دنانير منذ 2002، فكان الموظف يقبض راتبه بالدولار الرسمي (أي احتساب الدولار بعشرة دنانير) ليصرفه في السوق بنصف هذا السعر. وهكذا خفضوا الرواتب 25 – 50% عمليا دون أن يعترفوا بذلك، يضاف إلى ذلك أن ألوف المواطنين الأبرياء قد تضرروا من هذه التقلبات في أسواق تصريف العملة.

ما أوردنا أعلاه ليس إلا القليل من الكثير، وسيستمر الوضع على هذا المنوال السيئ ويتكرر غدا وبعد غد إذا لم يكن هناك تحقيق ومساءلة في هذه الأمور. على أن التغيير الكبير في العراق قد أوجد فرصة مؤاتية أمام حكام الإقليم لكي يعيدوا النظر في تصرفاتهم السابقة ويعترفوا بأخطائهم ونواقصهم ويسعوا إلى معالجتها بهدف تقليص الهوة التي أوجدوها بينهم وبين جماهير واسعة في البلاد. ومن المؤسف انه لم يظهر للآن ما يشير إلى انهم اوشكوا على إعادة النظر في سياساتهم. واكثر من ذلك، فإنهم راضون عن انفسهم إلى حد الغرور، كما اتضح في تصريحاتهم وتصرفاتهم الأخيرة. لقد وعدوا بدعوة ممثلي سائر الأحزاب والأطراف السياسية إلى اجتماع عام (أو مؤتمر) مكرس لمناقشة الوضع السياسي ولإقامة سلطة انتقالية. لكن أي اجتماع لم يعقد قبل أن يعلن عن تأسيس مجلس الحكم. وكان بمستطاع أوك وحدك أن ينظما – على الأقل – اجتماعا على مستوى الإقليم وبمشاركة ممثلي الأحزاب والأطراف الأخرى لغرض التوضيح والتشاور. لكنهم لم يفعلوا ذلك لأنهم اعتبروا انفسهم وحدهم الممثلين للإقليم

وضع العراق العام

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

بقي نظام صدام على دست الحكم اكثر مما ينبغي، ومن المفارقات أن إسقاطه قد جرى على أيدي أولئك الذين أتوا به إلى الحكم في تموز 1968، والذين حالوا دون سقوطه خلال ثماني سنوات من الحرب العراقية – الإيرانية. لقد القى صدام بنظامه إلى دوامة المشاكل والمتناقضات الحادة وأثار العداء مع الكثيرين لدرجة لم يعد بإمكانه الاستمرار على البقاء. وهاجمته قوات التحالف الإنكلو – أميركي باسم "حرب تحرير العراق". لكن الحقيقة أن أهدافا أخرى لم يعلنوا عنها كانت وراء هجومهم. وفي صلب هذه الأهداف كانت قضية الطاقة وإعادة ترتيب الأمور في المنطقة والصراع مع قوى أخرى وكبرى ...الخ.

على أن إسقاط صدام استجاب لمصلحة العراق العامة. وكانت المعارضة العراقية اضعف من أن تستطيع القيام بمهمة الإسقاط. لكن السؤال الآن: هل سيتابع الأميركيون، بعد إسقاطهم لصدام واعتقاله، سياسة ترضي العراقيين لكي ينظروا اليهم كمحررين؟ إن تجارب الإخفاقات لدى الأميركيين أكثر من تجارب النجاحات. وإذا قسنا على ما فعلوا في العراق خلال الأشهر المنصرمة فإن من الصعب أن يتفاءل المرء. ومما يزيد من تعقيدات الوضع هو غرورهم وعدم إصغائهم إلى الآخرين، اللهم إلا إذا أعادت ضربات الخصم اليهم الرشد.

نحن لا نوقع أوراقا بيضاء لأميركا ولا نؤيد بقاءهم لآماد طويلة. نبغي أن يكون بقاءهم مؤقتا. لكننا لا نطلب انسحاب قواتهم الآن، لأن الانسحاب سيؤدي إلى إثارة حرب أهلية في العراق (عدا إقليم كردستان الذي لا يخلو أيضا من المخاطر) في وقت لاتزال فلول النظام المنهار وبعض القوى الإسلامية الرجعية تشكل قوة كبيرة واسعة. إننا مع تشديد الضغط على قوات التحالف لكي تفي بوعدها في إقامة الديمقراطية في العراق وفي مكافأة شعب كردستان كحليف حقيقي لها. ولئن كان الشعب الكردي مدينا لأميركا وبريطانيا حيث جعلتا من معظم مناطق كردستان (منطقة آمنة) وحموها من اعتداء صدام طوال سني ما بعد انتفاضة 991، فإن قوات التحالف هي الأخرى مدينة بدورها للشعب الكردي الذي تعاون معهم ضد صدام ورحب بدخولهم إلى أرضه دون قتال، في حين تخلت عنهم حليفتهم

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

القديمة تركيا وحرمت على جنودهم الدخول عبر أراضيها إلى العراق. إن الأميركيين سيرتكبون خطأ قاتلا إذا زعموا بأنهم قادرون على بسط وتثبيت سيطرتهم عن طريق القوة وإذا تعاملوا مع العراق كبقرة حلوب لهم دون أن يوازنوا بين مصالحهم ومصالح العراقيين، وسيدفعون غاليا ضريبة سياسة خاطئة كهذه. وإذا رغبوا في تجنب المشاكل والمطبات الصعبة فإن أمامهم طريقا واحدا لا غير، طريق التعاون مع الجماهير العراقية وقواها الديمقراطية الحقيقية التي لاتزال ضعيفة إذ لم تضمد للآن جراحها. ويحسن بأميركا أن تعرف أنها لا تملك سمعة جيدة بين العراقيين، الذين عرفوها كدولة استعمارية. وليس بمقدور أحد أن يجمل صورتها أمام الناس إذا لم تجمل نفسها بنفسها. والعراق اليوم خرب اقتصاديا وليس قادرا على تحمل المزيد من النهب والسلب. وستصبح أميركا موضع الكره الشديد لدى الناس إذا لم تفلح في تحسين مستواهم المعاشي.

نحن نؤيد تشكيل مجلس الحكم، لكننا نراه، بوضعه الحالي، دون الحد الأدنى مما يتطلبه الوضع، وما يتطلع إليه الشعب. فهو الآن عاجز عن عمل الكثير لضمان الأمن والاستقرار، بل انه أشبه بخراعة خضرة منه بجهاز حكم حقيقي. نحن لا نرفض تركيبته الحالية كخليط روعي فيه الوضع القومي والديني والطائفي. لكن ما يؤخذ عليه ويلام من أسسه هو انه يضم أناسا غير لائقين وغير كفوئين. وهؤلاء لن يقدروا على كسب العطف والتأييد لأميركا.

نحن نرى أن أول شرط لمعالجة مشاكل العراق المتنوعة ودفع المسيرة إلى الأمام إنما يكمن في إشاعة الديمقراطية وترسيخها على أسس مدروسة.

وبقدر ما يتعلق الأمر بالحقوق القومية المشروعة لشعبنا الكردي فإننا على اعتقاد بأن طريق التوصل إلى هذه الحقوق إنما يمر عبر النضال السلمي الديمقراطي، بعيدا عن العنف وسفك الدماء والتهديم، إذا غدا العراق ديمقراطيا فيدراليا حضاريا. إننا ديمقراطيي كردستان نقول لجميع الأخوة الديمقراطيين العرب في العراق:

اذا كنتم حريصين حقا على صيانة وتعزيز الأخوة الكردية

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

العربية، فإن الطريق إلى ذلك يمر عبر اعترافكم بالحقوق القومية المشروعة للشعب الكردي إلى حد الإقرار بحقه في تقرير المصير.

ماذا تريد حركة ديمقراطيي كردستان؟
أيها الرفاق المناضلون
أيها المواطنون الكرام

في هذه الظروف الدقيقة التي تمر علينا عقب سقوط صدام، تعلن حركة ديمقراطيي كردستان أنها تقف موقف المعارضة تجاه حكومة الإقليم بشقيها، وهي ترفض جميع أشكال التطرف وتعارض معارضة ديمقراطية سلمية حضارية وتريد الاحتكام إلى صناديق الاقتراع وحسب. إننا لا نكن أي عداء لأوك وحدك ولا نعتبرهما أعداءا لنا، بل ننظر إليهما كحزبين حاكمين ومن حق الآخرين أن يؤيدوهما أو يعارضوا. في الماضي دعمنا حكم الحزبين ضد صدام، ونبقى الآن ومستقبلا مؤيدين لأي عمل جيد يقومان به. لكننا نريد أن يعرف الجميع بأننا غير راضين عن خطهم العام واننا نعتبرهما مسؤولين عن الأضرار الجسيمة التي لحقت بالشعب والوطن خلال اثنتي عشر سنة المنصرمة، غير راضين خصوصا عن دورهما في اقتتال الأخوة، وعن خلطهما المربك بين الحزب وبين الحكومة. وقد آن الأوان لكي يعيد المواطنون النظر في موقفهم من هذين الحزبين. نحن نحترم تاريخهما النضالي الحافل بالتضحيات. لكن من الواجب أن نقول لهما، بعد تجربة حكمهما 12 عاما، انهما لم يقدما نموذجا ناجحا في الحكم بصورة ديمقراطية حضارية. وعليهما أن يدفعا ضريبة ما ارتكبا من أخطاء وإخفاقات.

وبهدف إصلاح وضع الإقليم تقترح حركة ديمقراطيي كردستان ما يلي:

1 ـ إحصاء سكاني دقيق وتعديل قانون الانتخابات بحيث يدخل البرلمان أي قائمة تحصل على ما يكفي من الأصوات لمقعد واحد، وانتخاب برلمان إقليمي جديد في الربيع القادم.

2 ـ توحيد إدارتي الإقليم في حكومة تضم المناطق المحررة حديثا وتضطلع بمعالجة المشاكل الناجمة عن التعريب وبدفع

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

التعويض إلى المتضررين في كردستان.

3 ـ تحريم تعيين الموظفين وفق نظام التزكية الحزبية وإعادة النظر في وضع جميع المعينين عن طريق التزكية الحزبية، وتطهير عام في جهاز الدولة، واعتماد مبدأ الكفاءة والإخلاص والنزاهة في تعيين الموظفين وإصلاح الفساد الإداري.

4 ـ تمديد العمل بالقرار 986 آخذين بنظر الاعتبار الأضرار الفادحة التي لحقت بهذه الجماهير في ظل النظام المنهار.

5 ـ تقديم كبار المسؤولين الذين اجرموا بحق شعبنا أيام حكم صدام إلى المحاكم مع تسهيل مهمة تسجيل الدعاوى عليهم من قبل ذوي الضحايا.

نُقل نصا عن مجلة الحضارة

العدد (1) 2004

منشورات «ألف ياء «AlfYaa

تجارة الفايلات

منذ أن سقط النظام البعثي في نيسان 2003 انهمكت فئات واسعة من الناس في جميع المدن والقصبات (باستثناء إقليم كردستان المحرر، والذي شهد حملة النهب هذه في 1991) في نهب الممتلكات العامة في الدوائر وشتى المؤسسات المدنية والعسكرية. ووجد بين الناس من كانت لديهم هواية نهب الوثائق والملفات (الفايلات) الخاصة برجال السياسة وأعضاء الأحزاب والجماعات السياسية. وقد خسرت الدولة جراء حملات النهب هذه مليارات الدولارات. وكان بالإمكان تلا في ذلك فيما لو وجد هناك حزب أو هيأة منظمة على رأس عملية إسقاط النظام. وكانت القوات الأمريكية التي أسقطت النظام قادرة على كبح الجماح، ولكن البرنامج الأمريكي وضع للعمل العسكري ولضبط وزارة النفط بما فيها من وثائق، وليس لسائر المرافق.

كان الاستيلاء على الفايلات في الأمن العام طريقا لكشف الكثير من الأسرار المخبأة في ثنايا البعض من تلك الفايلات. كان مصدرا لكشف الصلات السرية لبعض الناس، بمن فيهم من مسؤولين، مع النظام البعثي. وقد كشف، بهذه الطريقة أو تلك عن تورط بعض المسؤولين في الأحزاب وفي السلطة الإقليمية في هذه الصلات السرية مع نظام صدام وسبب الإحراج الشديد لمن كشف عنه ولكل إنسان كانت له صلات سرية، ولو لم يكشف بعد. وفي ظل أجواء كهذه كان من الطبيعي أن يصاب بالذعر كل من كان على صلة سرية مع النظام خوفا من وقوع فايله في أيدي الأخرين وكشف صلاته على صفحات الجرائد. فكان من الطبيعي أن تنشأ ظاهرة البيع والشراء في عالم الفايلات والوثائق السرية، أي ظاهرة المتاجرة بالفايلات. فالذي كان يخشى نشر فايله غير النظيف حاول بشتى السبل الوصول إلى من حاز على ذلك الفايل سعيا لشرائه بثمن غال بغية تلافي الفضيحة. وقد أشيع - ولم أتوثق من صحة هذه الإشاعة – بأن احد المسؤولين اشترى فايله الشخصي بـ(12)الف دولار.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وأبّان رواج هذه التجارة رن جرس تلفوني، وأنا موجود في بيتي، ليقول لي احد رفاقي من المقر:

- جاءنا شخص وبحوزته فايلك في الأمن العام، وعرضه عليك للشراء.
- وكم يطلب ثمنا له؟
- يطلب 700 دولار - ان لم تخنني الذاكرة.
- قل له أنني ادفع له فقط مئة ولن أزيد فلسا واحدا.

لم تعقد بيننا صفقة البيع والشراء لأنني لم أزد المبلغ وهو لم يرض به ثمنا فانسحب مع بضاعته. واخبرني رفاقي لاحقا انه كان مرتبكا بعض الشيء عند خروجه خوفا من أن ينتزع منه الرفاق تلك (البضاعة) عنوة. وانقضت سنوات بعد ذلك دون أي بحث عن ذلك الفايل وعمن كان قد عرضه للبيع إلى أن جاءني ذات يوم وكنت في قرية تكية في 2008، الصحفي الشيوعي الشاب رحمان غريب (وقد تعرفت عليه بعد إجراء العملية الجراحية لي في (2007) بصحبة أبو شوان (قادر رشيد)وأجرى معي مقابلة صحفية نشرها في جريدة هاولاتي، وزارني على أثرها ممثلون عن أوك وعن الطالباني وعن مسعود البارزاني وعن حشع. وفي أعقاب ذلك بفترة، حمل رحمان نفسه فايلي الشخصي إلي دون أن يتطرق إلى قصة البيع والشراء، وقبلته شاكرا. وقد رغبت في أن اطلع على محتوياته فقراته من ألفه إلى يائه ولم أجد فيه ما يسبب نشره أي إحراج لي أو يثير الانتباه باستثناء رسالة موجهة في (..../.../....) من الشيوعي السابق حميد عثمان إلى قيادة حزب البعث الحاكم، وهو يطلب منها اعتقالي بسبب النشاطات التخريبية التي أقوم بها ضد النظام.

«AlfYaa منشورات «ألف ياء

سرقة القاصة في المقر

ظاهرة السرقة في بلاد كالعراق ظاهرة اعتيادية حدثت في البنوك والدوائر والبيوت عشرات المرات أو اكثر، كما حدثت لدى الأحزاب بهذا الشكل أو ذاك. ومع ذلك فإنها تراءت لي، حين أخبرت بسرقة ما ملكنا في قاصتنا في يوم من أيام شباط 2004، وكأن هذه هي السرقة الأولى في التأريخ. جلست فورا مع أميني الصندوق (أو القاصة ذات القفلين) لاستمع إلى ما حدث وما يقولان – وهما عضوا قيادة الحركة سوران بكر وعمر شاوري. قال عمر شاوري:

- قبل يومين ذهبنا سوية لنفتح القاصة، فوجدنا احد القفلين مفتوحا، وأصبنا بالذعر إلى أن فتحنا القفل الثاني ورأينا النقود باقية. حذرت سوران وقلت له أن هذا حدث بالغ الخطورة وعلينا أن نخبر السكرتير بالأمر وننقل المبلغ من هنا إلى مكان أخر. لكن سوران لم يوافق وقال انه مجرد نسيان لغلق القفل ولا داعي لإخبار احد بالأمر ولا نقل النقود. وبعد نقاش طويل التزمنا الصمت واغلق القفل الذي كان مفتوحا. وعندما ذهبنا صباح اليوم وجدناها مفتوحة ومسروقة وهي خمسة وأربعون الف دولار، وبقيت في القسم الأسفل مبلغ خمسة آلاف دولار يبدو أن السارق لم يره، بسبب الاستعجال.

أيده حامل المفتاح الثاني سوران بكر، وحاول تبرير موقفه في عدم إخبار أحد عندما وجدا أحد القفلين مفتوحا. واقتنعت أنا بأنهما قدما إفادة صادقة وانهما يتحملان وجدانيا وأخلاقيا المسؤولية عن سرقة القاصة، إلا أن موقفهما الخاطئ هذا لم يأت من النوايا السيئة، بل أتى من قلة التجربة مع قدر من الغباء والحماقة. ولم اقتنع مع نفسي وجدانيا في شباط 2004، ولست مقتنعا حتى الآن، بأنهما كانا سارقي القاصة، رغم أنني رجحت وأرجح حتى اللحظة بأن من سرق المبلغ لم يكن خارج الحلقة الضيقة التي كانت تتكون من أشخاص موجودين آنئذ في المقر وحوالي القاصة - وهم كل من بهاء الدين نوري وسوران بكر وعمر شاوري وسامان علاء وبختيار مصطفى وعبدالله صوفي كريم واكرم محمود ودرسيم عبدول.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

لقد ناقشنا فيما بيننا سبل التحقيق والتدقيق وقمنا ببعض الإجراءات، منها إرسال بعض الرفاق إلى فتاح فال يدعى شيخ لقمان، وقد سخر البعض من هذا الإجراء معتبرين انه شعوذة وخرافة. وأنا لا أستطيع الموافقة على هذا الرأي، على العكس من ذلك فان هؤلاء يعطونك في بعض الحالات رأيا مصيبا - وهذه ليست خرافة، بل هي ظاهرة مادية ترتبط بما يسمى "الحاسة السادسة" أو "البراسيكولوجيا"، وهي ظاهرة سيطرة البعض على الحركة الإلكترونية عن طريق حيازة جهاز بيولوجي- إلكتروني يمكن ذلك الرجل من الاتصال الإلكتروني عن طريق الدماغ مع الدماغ وتبادل المعلومات بين الأدمغة.

وقد زرت يومها اللواء أحمد الذي كان مديرا لمكافحة الإجرام، وعرضت كل ماكنت أعرفه من تفاصيل المسألة عليه وطلبت منه المساعدة والنصح. فقال أن التحقيق بمنطق البوليس يجب أن يبدأ من حاملي مفتاح القاصة وبدءا باعتقالهما. وقد يتطلب اعتقال آخرين أيضا.

وكنت أرى رأيه معقولا ومنطقيا لكنني كنت اكره اللجوء إلى التعذيب الجسدي، الملازم عادة للتحقيق في دوائر الشرطة عندنا، بهدف الحصول على الاعترافات، وكنت ازعم أننا سنواجه فضيحة سياسية - إعلامية تزيد أضرارها المعنوية عن الأضرار المادية التي ترتبت على سرقة أموالنا. وقد أرسلت كلا من سوران وعمر إليه للجلوس معهما وتوجيه الأسئلة وتكوين انطباعات. وأبلغته مقدما بأنني أعرف هذين الشخصيين جيدا واعتبرهما مسؤولين عن ضياع المبلغ ولكنني لا استطيع وجدانيا اعتبارهما سارقين.

وتراودني الآن، وأنا أدون هذه المذكرات، فكرة التداول مع محام صديق حول إثارة الموضوع وجدوى إقامة دعوى قضائية الآن، بعد مرور اكثر من ثماني سنوات على الحادث. والناس ذوو العلاقة لايزالون أحياء حتى الآن. وسأكون سعيدا جدا إذا امكن الكشف عن الجاني. وانا على ثقة تامة بأن أيا من أعضاء قيادة ح د لم يتأذ قدر ما تأذيت أنا سكرتير المنظمة آنئذ. ذلك أنني كنت المسؤول الأول عن الحادث بصفتي مسؤولا أول عن الحركة، من جهة، ولأنني كنت قد قررت اعتزال النشاط الحزبي في تلك الأيام وآلمني أن يقترن حادث اعتزالي بهذه السرقة، من جهة أخرى.

بقي أن اخبر القارئ بأن هذا المبلغ قد أتانا من بيع قطعة أرض سكنية

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

كنت قد اشتريتها قبل بضع سنوات بمساعدة قريب لي مهندس يدعى ريبوار نوري، يوم كان لدينا شيء من الوفر وكانت الأرض رخيصة. لم أخبر أحدا وقت الشراء ولكنني سجلتها بأسماء ثلاث أخوات لثلاثة رفاق مع الكشف عن صفة الأرض باعتبارها تعود للحزب. وقد صادرت البلدية الأرض الأصلية، التي اشتريتها، وكانت بجوار مبنى السراي الأثري في مركز مدينة السليمانية. وحصلنا على تعويض عنها - قطعة أخرى على الشارع الرئيسي لحي(هواري تازه) في مدينة السليمانية. وتلك هي التي بعناها بحوالي 90 ألف دولار حينما قطع أوك المعونة عنا قطعا كليا.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وداعا أيها العمل الحزبي

أكملت في 2004 عشر سنوات كسكرتير لحركة الديمقراطيين(ح د)، وهي المدة النظامية المسموح بها - بموجب وثيقة النظام الداخلي التي صغتها بنفسي وحددت فيها عشرة أعوام كأقصى حد لبقاء الشخص سكرتيرا. وكنت قد بلغت السابعة والسبعين من عمري والثامنة والخمسين من انخراطي في النشاط الحزبي دون انقطاع. لم أعمل كموظف للدولة أو لأي جهة، بل ناضلت كمتطوع. ولهذا لم يكن هناك من يحيلني على التقاعد ولا من يدفع إلى راتبا تقاعديا، بل كنت أنا الذي قررت أن أحيل نفسي على التقاعد، لأشذ بذلك عن التقاليد السائدة في هذه البلدان النامية حيث يتعامل زعيم الحزب كما لو تملك هذا الحزب بسند الطابو ولا مجال لترك كرسي الزعامة إلا بالموت أو بشكل من أشكال الانقلابات.

كان البعض من أعضاء الهيأة القيادية ومن كوادرنا يطلبون مني العدول عن التقاعد على الأقل لفترة أخرى، مبدين مخاوفهم من أن ينشأ - على اثر تقاعدي - فراغ وتعقيد في وضع الحركة.

وكان هناك من يضمر الفرح بتقاعدي متصورا بأنني أصبحت عائقا أمام تطور وتوسع الحركة. وأبلغني عضو القيادة ناصح ملا كريم، الغاضب علي لبعض الأسباب، (وهو كان من أقرب المقربين إلى سابقا) بأنه يجمد نفسه ويجلس في بيته ولن يعود إلى المقر إلى أن أتقاعد وأرحل. وكنت أنا مصمما على التقاعد مهما كانت الأمور. وارتأيت أن أعلن تقاعدي بحضور أخرين في إحدى القاعات لعلني أشجع ولو قليلا ظاهرة الاستقالة والقبول بالتنازل عن منصب زعامة الحزب أو الحكومة حينما يبلغ الإنسان سن الشيخوخة أو يواجه فشلا في العمل وفيما راهن عليه. وقد استأجرنا قاعة غرفة التجارة، التي تسع لأكثر من مئتي شخص، واضطلع رفاق اللجنة العليا بمهمات إرسال بطاقات الدعوة إلى من أريد حضورهم من بين ممثلين للأحزاب وبعض المنظمات ورجال الثقافة والأدب ومن الأصدقاء والأقارب. وحضر معظم المدعوين مشكورين.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

في الحفل أعلنت أنني قضيت (58) عاما في العمل الحزبي - السياسي وعملت في سبيل الأهداف التي أمنت بها وناضلت بإخلاص ونزاهة، وها أنا أتقاعد دون أن املك شيئا سوى ملابسي الشخصية وقطعة أرض سكنية استلمتها من حكومة الإقليم في 1994.

ووجهت أمام الحضور، وبينهم عضو المكتب السياسي لأوك عمر سيد على وسكرتير حزب كادحي كردستان والحزب الاشتراكي الديمقراطي الكردستاني قادر عزيز ومحمد الحاج محمود وكثيرين غيرهم، وجهت النقد الصريح إلى سياسة الحزبين الحاكمين والى ظواهر الفساد الإداري واللاتضامن على قضية الحرية والديمقراطية ونزعة احتكار السلطة وغير ذلك، فضلا عن التركيز على إدانة اقتتال الأخوة وما سبب من أضرار جسيمة لقضية الشعب الكردي وكل العراق. وتكلم بعض السادة من الحاضرين. وقد أعجبني ما جاء في كلمة محمد الحاج محمود أنه يتمنى أن يقتدى الآخرون، الذين بلغوا سن التقاعد، بالأستاذ بهاء الدين نوري.

هجرت المقر منذ اليوم الذي اعقب الاحتفال وهجرت معه العمل الحزبي اليومي وقررت أن يقترن تقاعدي بعدم التدخل بأي شكل من الأشكال في شؤون ح د تاركا الأمر للرفاق الذين يقودونه. وتمسكت تمسكا تاما بهذا القرار، لكن السنوات الست اللاحقة خلقت لدي الشكوك فيما إذا كان هذا القرار صحيحا إذ نشأت وانفجرت داخل ح د مشاكل أدت إلى شق صفوف الحركة وإدخالها في دوامة صراعات مدمرة انتهت بتدمير المنظمة نفسها وبسحب إجازتها القانونية. وكان من غير المستبعد أن استطيع تقديم العون لهم للحيلولة دون نشوء واشتداد هذه الصراعات فيما لو بقيت على علاقة أوثق معهم وإجراء المشاورات معهم حول هذه المشاكل في بداية نشوئها.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أول انتخابات نيابية بعد سقوط صدام

على أثر سقوط النظام البعثي- الصدامي في 2003 توفرت، لأول مرة في تأريخ العراق، أجواء سياسية يمكن أن تجري في ظلها انتخابات نيابية حرة، ولا أقول نزيهة. غير أن المواطنين لم يمارسوا حق الانتخاب الحر قبلئذ، في ظل أنظمة الحكم الاستبدادية، وبالأخص في ظل نظام البعث العفلقي الذي كانت النتائج معروفة مسبقا بحصول صدام ومن يؤيدهم على اكثر من 99% من الأصوات. كان سكان إقليم كردستان قد مارسوا الانتخابات البرلمانية مرة، في أيار 1992، غير أن ذلك لم يصل إلى مستوى يعتد به، إضافة إلى أن قانون الانتخابات لم يكن ديمقراطيا وأن النتيجة كانت تشكيل برلمان خمسين - خمسين المعروف والمقرون بالاقتتال والتدمير. ولم يتعبنا البحث عمن ينضمون إلى قائمتنا إذ كان الكثيرون من المثقفين وذوي الاهتمامات السياسية ينتظرون شيئا من هذا القبيل ويبحثون عنه. وما أن أنتشر خبر وجود قائمتنا الديمقراطية الحيادية حتى تقاطر العشرات من الرجال والنساء إلى مقرنا في بناية توفيق قزاز وسط شارع مولوي عارضين علينا رغبتهم في الانضمام، خصوصا في مدينة السليمانية، وقد اتصلت تلفونيا مع أستاذ الدراسات العليا د. إحسان فؤاد داعيا إياه للانضمام، فاستجاب متحمسا وأصبح منذ البداية واحدا من انشط رجال القائمة. وعن طريقه اتانا البروفيسور أميد نوري محمد أمين ليكون بين الفعالين. وكان بين النخبة الفعالة من المشاركين كل من كريم غفور- الشاب الصحفي المعروف باسم كريموك - والشاب النقابي المعروف باسم أنور سنديكا والمناضل الشيوعي السابق المعروف باسم غني الخباز والشابة اليسارية نيان والسبدة المتزنة فضيلة وكثيرون غيرهم. ونشأت في مقر القائمة (وهو المقر السابق لمجلة ديموكراسي) حركة واسعة ودائبة قوامها المتطوعون للعمل. وقد سافرنا إلى أربيل ولم نجد هناك مصاعب في ضم عدد إلى القائمة. وأتى للانضمام إلينا رجال من سنجار ومن كفري وخانقين وكركوك. ووصل العدد إلى الأربعين شخصا- ثم انسحب البعض منهم. وتأسفت بصورة خاصة على انسحاب المحامي طلعت نادر في أربيل. ولم اعرف هل انسحب تحت ضغط الپارتي أم بسبب عدم رضاه من رئاسة

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

فرهاد بيربال للقائمة أم لسبب أخر؟

واعتبرت قائمتنا متميزة إذ كان فيها سبعة من حمله شهادة الدكتوراه وثلاثة من شهادة الماجستير وخمسة عشر من حمله الشهادة الجامعية وستة من الصحفيين وفي القائمة إحدى عشر امرأة وأخرين - ويجد القارئ طيا قائمة بالأسماء.

لم نعان من المشاكل عند تأسيس القائمة، لكن المعاناة والمصاعب قد ظهرت بعد ذلك، بعد أن انتقلنا إلى الخطوات اللاحقة. وأولى المشاكل كانت الحصول على التأمينات النقدية التي يجب دفعها إلى المفوضية العليا للانتخابات كشرط لتسجيل القائمة رسميا. لم يكن المبلغ كبيرا - فقط خمسة آلاف دولار. لكننا لم نكن قادرين على تأمينه اعتمادا على جيوبنا. فكيف ندبر المبلغ؟ عرضت الأمر تلفونيا على البعض فأشار علي عضو قائمتنا الصحفي كمال رؤف - وكان آنذاك خارج البلاد - بأن نطلب من فاروق ملا مصطفى مساعدتنا. وقد طلبت فوراً من فاروق المبلغ وقلت له إننا سنعيده إليه إذا استعدناه من المفوضية العليا، ولن نستطيع تسديده إذا لم يُعد إلينا. فاستجاب مشكورا وقدم المبلغ.

على أن المشاكل الأعقد تأتى منذ أن تم تسجيل قائمتنا. كيف ندبر أمرنا في تدبير حملة الدعاية الانتخابية؟ المنافسون أقوياء بما يملكون من أجهزة الإعلام، من محطات التلفاز والراديو ومن الصحف والمجلات، والاهم من كل ذلك، من ملايين الدولارات التي يمكن لهم أن يشتروا بها حتى أصوات الناخبين! ونحن لا نملك شيئا من هذه الأجهزة الإعلامية ولا من المال الذي ننفقه على الدعاية الانتخابية. ولا مناص من اللجوء إلى جمع التبرعات من المتعاطفين معنا وما شاكل. وقد اتفقنا أن نطلب العون من الحكومة الإقليمية وبالأخص من زعيمي الإقليم البارزاني والطالباني الممسكين بمفتاح القاصة الرئيسية. وكان الأمل في الطالباني اكثر لأنه دفع لنا في انتخابات 1992 مساعدة بأربعة آلاف دولار. لكنهما لم يستجيبا، لا هما ولا الحكومة، ولم يقدموا لنا فلسا واحدا ولم يعطونا دقيقة واحدة من الفرص لنشر أي شيء في أجهزة إعلامهما. ولم يكن في مستطاعنا، اعتمادا على قدراتنا الشحيحة جدا، أن نعرف قائمتنا وما تحمل من أهداف وما تتميز به من أفضليات، بالناخبين. وفي جمع التبرعات لم نحصل على الكثير. استقرضنا من فاروق ملا مصطفى، كما أسبقت، خمسة آلاف دولار. وبذلت جهودا متواصلة بعد

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الانتخابات حتى استعدت المبلغ من المفوضية بشكل صك مصرفي سلمته إلى فاروق. وطلبت شخصيا من أسو باموكي التبرع فقدم لقائمتنا مشكورا مبلغ ثلاثة ملايين دينار كتبرع – وكان ذلك أكبر مبلغ يأتي تبرعا من شخص واحد. وشكلنا لجنة مالية تسلم إليها التبرعات المستحصلة لتنفقها، كما شكلنا لجنة إعلامية من الدكتورين إحسان فؤاد وأميد نوري وكريموك وأنور غريب وغني الخباز، بعد أن اصطدمنا بالواقع المر المشار إليه أعلاه أصدرنا البلاغ التالي:

بلاغ من القائمة المحايدة

إلى الرأي العام في كردستان وكل العالم

صرح ناطق باسم القائمة المحايدة بما يلي:

اعتماداً على ما نشرته المفوضية العليا للانتخابات وما ذكره الحكام في بغداد والسليمانية وأربيل، كنا ننتظر انتخابات حرة في جو ديمقراطي هادئ تتنافس فيها القوائم في ظروف فرص متوفرة للجميع من حيث النشر والدعاية، على أن تساعد المفوضية والحاكمون القوائم المفتقرة إلى المال. لكن الأعمال جاءت، مع شديد الأسف، على عكس الأقوال. فقد وجدنا أنفسنا، نحن القائمة المحايدة في الانتخابات، محرومين لا المساعدة المالية ولا مساعدة أجهزة الإعلام ولا الدعوة إلى المناظرة التلفزيونية مع مسؤولي السلطة كما هي التقاليد السائدة في البلدان الديمقراطية فحسب، بل تجاهل السلطة وكل المتنفذين لقائمتنا بعيدا عن كل شكل من أشكال الديمقراطية والحضارة المعاصرة، انهم صرفوا من الميزانية العامة للدولة على نشاطاتهم المشروعة واللامشروعة في الدعاية الانتخابية واحتكروا لأنفسهم القنوات الإعلامية كلها واغلقوها في وجهنا ورفضوا حتى لقاءا واحدا مع ممثلي قائمتنا المحايدة، الذين عبثا حاولوا طوال أسبوعين، عن طريق الرسائل والتلفونات، اللقاء مع مام جلال وكاك مسعود أو مع نيجيرفان وعمر فتاح. ولئن رفض هؤلاء المسؤولون مجرد لقاء مع نخبة من أساتذة الجامعات فأي انتخاب حر ينتظر منهم؟

إننا نقدم احتجاجنا الشديد إزاء موقف مسؤولي الإقليم ونرى في هذا الموقف نقطة سوداء لا حضارية وجديرة بأن تقابلها جماهير

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الناخبين بعدم إعطاء أصواتهم لممثلي الحزبين الحاكمين، بأن يصوتوا للقائمة المحايدة التي تعتمد على الجماهير وحسب.

االقائمة المحايدة

2005/1/24

* * *

أثناء سفرة لنا إلى أربيل لكسب بعض الشخصيات المعروفة إلى قائمة مرشحينا زرنا الدكتور فرهاد بيربال في بيته بالقرية الجامعية لكي نطلب منه الانضمام إلينا. كان معنا كريموك، الذي كان يعرف بيت الدكتور. وعند بدء الحديث عن الموضوع، ودون أن نكون قد بحثنا شيئا اكثر من انضمام الرجل إلى قائمتنا قال كريموك مرتجلا:

ـ أعط، يا أستاذ بهاء، رئاسة القائمة إلى الدكتور فرهاد.

كان هذا الطلب مفاجأة بالنسبة إليّ أنا مؤسس القائمة والمعروف من الجميع بأنني رئيسها. بماذا أجيب؟ هل أقول: (كلا لن أتنازل له عن رئاسة القائمة)؟ أم أقول: (اصبروا وسندرس الموضوع)؟ أم ماذا ؟ يقينا أن كريموك لم يفكر مسبقا في أمر من هذا القبيل، بل نشأت لديه الفكرة في تلك اللحظة. أنا الآخر لم افكر طويلا ولم التق مع فرهاد قبل تلك اللحظة ولم تكن لدي فكرة واضحة عن وضعه. ومع ذلك حسمت امري واجبت بعد لحظات ودون تردد:

- فليكن الدكتور فرهاد رئيسا للقائمة.

وقد قبلها الدكتور فورا ومن دون تحفظ. وهو كان نشطا في داخل أربيل، ولكنه لم يعر انتباها يذكر إلى السليمانية والأماكن الأخرى ولم يهتم بعقد اجتماعات للبارزين من رجال القائمة. ولم يكن وضع أربيل افضل من السليمانية للتحرك والدعاية الانتخابية ندمت على تنازلي عن الرئاسة للدكتور فرهاد بعد حوالي السنة من الانتخابات، يوم كنت جالسا في ندوة عقدها بالسليمانية ليتحدث إلى الشباب حول الوضع، وكان لا يزال ضمن المعارضين، فسأله أحد الحاضرين عما دفعه للانضمام إلى القائمة الحيادية ورئاسته لها في الانتخابات البرلمانية. وأجاب فرهاد مشبها نفسه بتشارلي تشابلن في أحد أفلامه، حيث كان تشارلي واقفا بالصدفة في الشارع عندما مرت مظاهرة من هناك. ودون أن يكون له علاقة بالمظاهرة وجد نفسه

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

يجرفه الزحام إلى سيارة بيك أب مليئة بالمتظاهرين ...الخ. صور نفسه كمن خدع وانجرف. بدلا من أن يعتز بشرف رئاسته لتلك القائمة ونضاله في سبيل أهداف سامية. وقد غير موقفه هذا ما كان لدي من انطباع سابق عنه.

أخيرا جرى التصويت وفرز الأصوات وتفاجأت باننا لم نحصل حتى على مقعد واحد، إذ كسبنا اكثر بقليل من عشرة آلاف صوت فيما كان المقعد الواحد في البرلمان يتطلب الحصول على حوالي 18 ألف صوت. ترى ماذا حدث ولماذا هذه النتيجة؟ بقي ذلك لغزا لم أجد حلا له إلا بعد الاطلاع على النتائج كلها وخصوصا عدد الأصوات التي حصل عليها كل من قائمة حزب العمل على استقلال كردستان (اكثر من عشرة آلاف صوت) وقائمة مام خدر(اكثر من عشرة آلاف صوت) وقائمة حركة الديمقراطيين (اكثر من ثمانية آلاف صوت). هذه القوائم الثلاث كانت متشابهة الأسماء مع بعضها ومع قائمتنا وغير مذيلة بأسماء أحزاب. ومنها قائمة - مام خدر- كانت منسحبة رسميا من المشاركة في الانتخابات داخل مدينة السليمانية. وتقارب الأصوات المعطاة لهذه القوائم + المعطاة لقائمتنا الأربعين ألفا. وقد أصبحت على يقين من أن الأصوات المعطاة كلها أوجلها إنما أعطيت لقائمتنا، ولكن ضعف دعايتنا الانتخابية وعدم قدرتنا على تعريف القائمة بالناخبين بشكل واضح خلق الالتباس لدى أولئك الناخبين الذين كانوا يريدون التصويت لنا وليس للحزبين الحاكمين ولا للإسلاميين. بتعبير أوضح تشتت أصواتنا وتوزعت على أربع قوائم! ولولا ذلك لحصلنا على مقعدين.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

مجلة ماديا

اتفقنا أنا والراحل د. إحسان فؤاد في خريف 2006 على إصدار مجلة سياسية – ثقافية – اجتماعية باللغة الكردية. وأصبح د. أميد ثالثنا في تبني الفكرة، وقررنا إصدار بعض الأعداد اعتمادا على جيوبنا قبل أن نطلب العون من أي جهة. وكنا نعرف أننا لا نستطيع تحمل العبء المالي لأكثر من بضعة أعداد، ولكننا تباحثنا بشيء من التفاؤل عن وزير الثقافة فلك الدين كاكيي باعتباره مثقفا متفاهما وإنسانا طيبا يمكن توقع الخير منه. وقد سافرنا أنا ود. إحسان سوية إلى أربيل فإلى وزارة الثقافة وقدمنا إليه في مقابلة مباشرة العريضة المدونة أدناه. وهو وعد وكتب لنا شيئا إلى دائرة في وزارة المالية، ولكن النتيجة كانت لا شيء. وخابت آمالنا. واتفقنا على أن نطلب الدعم من الثري فاروق ملا مصطفى. وذهبنا أنا والدكتور الراحل ذات مساء إليه في مكتبه بمقر شركة آسيا سيل وعرضنا عليه الغرض من زيارتنا، وسألناه عما يجود به، أجاب انه سيدفع إلينا شيئا، وطلب إرسال احد لاستلامه في اليوم التالي.

بعد خروجنا من مكتب فاروق سألت د. إحسان:

- كم سيدفع إلينا فاروق كمساعدة؟
- لا اعرف، وأتصور انه يقدم مبلغا جيدا، خاصة بعد أن أصبح من كبار الأثرياء أو صار شريكا تجاريا لجلال الطالباني وأحد مالكي شركة آسيا سيل. وكم تقدر أنت؟
- لا اعرف.

وفي اليوم التالي ارسل لنا فاروق مبلغ (500) دولار، واستلمناه ولكن من دون ارتياح، واتفقنا على أن نعتبره دينا ونعيده إليه كاحتجاج عند تحسن وضعنا المالي، وقد توفي د. إحسان ونحن مدينون للمطبعة التي كانت تطبع لنا المجلة، وساعدنا د. كمال فؤاد مشكورا لتسديد تلك الديون، أما دين فاروق، أو ما اتفقنا أنا والدكتور على أن نحسبه دينا ونسدده له، فإن فرصة تسديده لم تسنح في حياة الدكتور الراحل، ولكنني بقيت مصمما على تسديده

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

في أي فرصة سانحة، وقد سددته أخيرا ولو بعد بعض التأخر.

بعد وفاة الدكتور إحسان أصدرت عددا أو عددين ثم أوقفت صدورها لعدم القدرة على استمرارها. وأود الإشارة هنا إلى أن الدكتور قد وجد أيام إصداره للمجلة أصدقاء عملوا معه متطوعين، دون مقابل، واخص بالذكر الصحفيين فيصل محمد وعثمان، اللذين قدما الكثير للمجلة مشكورين.

عريضتنا إلى فلك الدين كاكه يي

السيد وزير الثقافة في الإقليم

الموضوع/ دعم مجلة

إننا نصدر مجلة ماديا كمجلة سياسية – ثقافية ـ مستقلة ونأمل أن تدعم حكومة الإقليم شهريا بمبلغ الف دولار كإسهام رمزي في ضمان استمرارية إصدارها.

مع الاحترام.

د. إحسان فؤاد
أستاذ الدراسات العليا في الجامعة
بهاءالدين نوري
صحفي وسياسي
2006/1/25

«AlfYaa منشورات «ألف ياء

سفرة إلى فينا للمعالجة

بعد مرور حوالي السنة على إجراء العملية الجراحية لي في الأردن وبعد أن اتضح لي أن الأطباء في السليمانية وفي طهران وعمان لم يفلحوا في تشخيص مرضي وتشخيص سبل العلاج الصحيحة قررت أن أسعى للوصول إلى أوروبا لعرض نفسي على الأطباء هناك، ولو بعد خراب البصرة. ولم يكن بمقدوري الاعتماد على نفسي لتدبير السفر، لا من الناحية المالية ولا من حيث ترتيبات الفيزا والسفر. فبعثت رسالة إلى صديقي القديم رئيس جمهورية العراق جلال الطالباني راجيا ترتيب السفر إلى بلد أوروبي لغرض العلاج. وقد لامني بعض أصدقائي على ما حوته رسالتي من مجاملات ولون من التنازل إزاء الطالباني، رغم أن طلبي كان مشروعا إذا اخذ بنظر الاعتبار أنني قضيت اكثر من ستين عاما في سوح النضال دفاعا عن قضية الشعب والوطن. ولا أظن أن طلبي كان ثقيلا وصعب المنال بالنسبة لرجل يجلس على كرسي رئاسة العراق ويركض بنفسه إلى أمريكا أو أوروبا كلما ضايقه المرض ولو قليلا. غير أنه كان ينظر إلى المسألة نظرة مغايرة، كان لايزال بروحية الثأر والشماتة إزاء (الجريمة) التي ارتكبتها في آب 2003، بعد سقوط صدام بخمسة اشهر، يوم دعوت في اجتماع موسع لحركة الديمقراطيين الجماهير في الإقليم إلى سحب الثقة من الحزبين الحاكمين وعدم التصويت لهما في الانتخابات القادمة. وقد أرسل لي، جوابا على رسالتي بطلب إرسالي للعلاج، مبلغ عشرة آلاف دولار دون أن يكلف نفسه عناء كتابة رسالة من سطرين أو مكالمة تلفونية يسأل فيها عن صحتي، لكي اذهب إلى أوروبا للعلاج. لم أعد إليه المبلغ رغم أنني نظرت إليه كلون من السخرية، لأنه يعرف جيدا بأن كلفة الفحص والعلاج في أوروبا تزيد مما أرسله بأضعاف.

وبعد أن رفض جلال الاستجابة لطلبي أرسلت رسالة عن طريق مسؤول الفرع الرابع للپارتي في السليمانية سلام عبدالله إلى رئيس الإقليم مسعود البارزاني طالبا إرسالي للعلاج، فابلغوني تلفونيا بأن استجاب وقرر إرسالي إلى النمسا. ورغم تأخر الحصول على الفيزا لعدة اشهر فأنني سافرت

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

ووصلت إلى العاصمة النمساوية في الشهر الثامن 2008 وفي مطار فينا وقف بانتظاري الشيوعي السابق د. ناظم الجواهري وعجل بنقلي إلى احد الفنادق قبل أن ألقى أيا من الأخوة الپارتيين. بعد يومين جاءني ممثل حكومة الإقليم ونقلني إلى بنسيون في أحد الفنادق ووضع برنامج العلاج من فحوصات في مستشفى أهلي ولدى أطباء إخصائيين. وقد نمت في غرفة داخل المستشفى مدة أسبوع لإجراء بعض الفحوصات هنالك. وكانت أجور الغرفة مع الأكل يوميا 600 يورو، أو 900 دولار بسعر تصريف ذلك الوقت. وكانت نتيجة الفحوصات أنني شفيت من مرض التدرن، لكن على الخضوع لفحوصات دورية ومراقبة المضاعفات المحتملة للمرض وللعملية الجراحية. وقد أخذني الأخوة الپارتيون إلى عيادات طبية خاصة خارج المستشفى لبروفيسورات نمساويين. وكان مما أعجبت به أن كان البروفيسور يقوم بأعمال خدمية في عيادته يستحيل أن يقوم البروفيسور بها في هذا البلد لأنها تقلل - حسب مزاعم الاطباء هنا - من شأنه وهيبته!

كانت المرة الأولى لوصولي إلى النمسا. وقد لاحظت وجود تعاطف قوي إزاء الألمان على اعتبار أن شعبي الطرفين – النمسا وألمانيا – يتكلمون نفس اللغة. ورغم أن عيني لم تكونا على ما يرام، فأنني وجدت مدينة فينا هادئة ونظيفة وجميلة، تغطي الأشجار قسما كبيرا من المساحات داخل المدينة. واخبرني د. ناظم أن السلطات النمساوية حريصة على حصر أعمال الكنس والتنظيف في فينا في أيدي عمال نمسويين نشطين، وليس اللاجئين. ولكي يكون من يؤدون هذه المهمة بصورة جيدة ويحافظون دوما على نظافة المدينة لدرجة عالية فانه يدفع للكناس راتبا جيدا قدره خمسة آلاف يورو (أي 7500 دولار بسعر التصريف في ذلك الحين). وكان ذلك راتبا فوق المعدل الوسطي للأجور.

في البلدان المتخلفة تصبح القاذورات التي ترمي بها العوائل ومياه المجاري وما شاكلها مصدرا لنشر الحشرات والجراثيم والأمراض والروائح النتنة وشتى الإزعاجات. أما في ظروف تطور العلم والتكنيك فان بالإمكان أن تصبح القاذورات والمزابل سببا للخير ومصدرا لزيادة رفاه المجتمع. وهذا ما رأيته في فينا حيث ينقل عمال التنظيف في سيارات البلدية جميع الفضلات والقاذورات التي ترميها عوائل مؤلفة من مليون إنسان إلى

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

معمل ضخم وسط المدينة لكي يتخذوا منها وقودا لتشغيل ذلك المعمل، بعد أن تفصل منها قطع الزجاج المكسور لتعاد إلى معامل الزجاج وقطع البلاستيك لتعاد إلى معامل البلاستيك. وأما النار الملتهبة فإنها تسخن كمية كبيرة من المياه النظيفة لتزود في أنابيب التوزيع قسطا كبيرا من العوائل الساكنة في العاصمة بالمياه الحارة. وأما الزبل الذي يحترق فانه يتحول إلى سماد جيد يأخذ طريقه إلى المزارع والبساتين ليزيد من الإنتاج الزراعي.

قبالة فندقنا كان هناك مطعم صغير صاحبه كردي من أربيل ويدعى هردي. كنا نجلس فيه أحيانا، أنا وزوجتي، لنشرب الشاي ونتكلم مع بعض الجالسين بلغتنا الكردية. ورأينا ذات مرة أربعة شباب يدخلون المطعم ليجلسوا ويثيروا بضحكاتهم وأصواتهم العالية ضجيجا لا يثيره الناس الاعتياديون، ويشربون البيرة بشكل يختلف عن غيرهم. وقد قدم لهم هردي وجبة أكل فالتهموها كما لو كانوا جياعا جدا. وكان أكثرهم ضجيجا الفتاة الوحيدة بينهم. سألت شقيق هردي الشاب الجالس بالقرب مني عن هذه التشكيلة غير الاعتيادية من البشر، فقال:

- هؤلاء نوع خاص من البشر. ويقال أن عددهم في فينا يتراوح بين 70 - 80 شخصا. وهم يرفضون القيام بأي عمل ويكتفون بمعونة الضمان الاجتماعي التي تدفعها اليهم البلدية شهريا ومقدارها 600 يورو شهريا. وهم ينامون في الشوارع صيفا وشتاءا. وكلهم مدمنون على الخمور. وغالبا ما يأكلون وجبة ليصوموا وجبتين. ولا يخجلون من الاستجداء للحصول على مبلغ يكفي لشراء قنينة من البيرة، أو استجداء وجبة أكل بسيطة عندما يشتد بهم الجوع! وقد شيدت لهم الحكومة مبنى خاصا بهم وأجرة النوم فيه يورو واحد يوميا، ولكنهم لا ينامون فيه إلا ما ندر. فالشوارع هي المفضلة!

- وهل يدفعون النقود لقاء تناولهم الطعام والبيرة هنا – سألت الشاب.

- كلا لا يملكون النقود. في كل أسبوع يقدم لهم هردي اكثر من وجبة ويسمح لهم أحيانا بالنوم هنا في مطعمه.

* * *

أخذنا د. ناظم ذات مساء إلى مطعم صغير في فينا لتناول الأكلات العراقية. وكان صاحب المطعم شيوعيا سابقا عراقيا يدعى أبو علاء

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

النجفي. وفيما كنا نتناول العشاء روى لي د. ناظم قصة ما كان في هذا المطعم حتى وقت قريب:

- كان هذا المطعم فيما مضى شبه مقر لفريق من الإسلاميين المتطرفين، الذين كانوا قد اتفقوا مع السلطات النمساوية على أن تتغاضى هي عن نشاطهم وفعالياتهم لقاء تعهدهم بالامتناع عن أي مس بمصالح النمسا وألمانيا. وهم أحرار فيما يفعلون ضد الآخرين. وعندما اكتشفت المخابرات الأميركية هذه الصفقة النمساوية - الإسلامية شددت الضغط على الحكومة النمساوية حتى أرغمتها على إبطال الصفقة وإخلاء المطعم.

كانت شقتنا في الفندق مكونة من غرفة نوم وهول ألحقت به المرافق الصحية ومطبخ صغير. وكانت زوجتي ريزه قد تعلمت الذهاب إلى المخازن القريبة لشراء ما تريد من المواد الغذائية. وتدفع النقود دون التلفظ بشيء وتعود إلى الفندق وتطبخ بنفس الشكل الذي كانت تفعل في السليمانية. وقد دعانا بعض الأصدقاء إلى تناول الطعام في بيوتهم - من قبيل دشتي وفرهاد - أو يطبخون في بيوتهم ويجلبون الأكل إلى فندقنا. وكان دشتي، وهو شيوعي سابق من بلدة العمادية، أكثر الجميع ارتباطا معنا واستعدادا لمساعدتنا. وأبلغنا دشتي ذات يوم بأن نستعد للذهاب في اليوم التالي إلى ضفاف نهر الدانوب الذي يجري وسط فينا (ودانوب كلمة آرية مؤلفة من دوان آب، دوان أي أثنان، وآب أي الماء. ويسميه النمساويون دوناو). وكان يتأتى على الشيوعيين أن يستأجروا بقعة أرض من بلدية النمسا ليقيموا فيها مهرجانهم السنوي. وكانت منظمة الحزبين الشيوعيين العراقي والكردستاني تستغل هذه المناسبة لتقيم مطعما موقتا هناك وتبيع فيه الأكل والبيرة إلى المشاركين في المهرجان، وغالبيتهم عراقيون في تلك الزوية. ورغم قطع علاقاتهم مع الحزب الشيوعي فان دشتي وزوجته زكيه كانا يتطوعان في هذه المناسبة من كل عام لتحضير وبيع الأكل للحزب الشيوعي العراقي وفاء لشهداء شيوعيين من ذويهم. وقد أنفق الشيوعيون العراقيون في فينا المبلغ الذي كسبوه في المهرجان على إقامة دعوة لزملائهم وأصدقائهم، وكنت بين المدعوين، في أمسية لاحقة على ضفاف الدانوب.

أبلغني ذات يوم الجواهري بأن أتهيأ في اليوم التالي للذهاب إلى

«AlfYaa منشورات «ألف ياء

براتيسلافا، وهي عاصمة سلوفاكيا التي كانت في العهد الاشتراكي تشكل جزءا من الدولة التشيكوسلوفاكية، وانفصلت بعد انهيار النظام الاشتراكي عبر استفتاء شعبي صوت فيه الناخبون لتكوين دولة سلوفاكية مستقلة. وقد تكونت هذه الدولة دون أي نزاع أو مشاكل مع التشيك. ذهبنا في اليوم التالي إلى مدينة براتيسلافا القريبة من فينا واستقبلنا مضيفنا في منزله الشخصي الصغير الجميل وقدموا لنا الطعام على الطريقة العراقية.

بدلا من مجيئ أولادي من السويد إلي في فينا قررت أن اذهب أنا اليهم، وكنت احمل فيزا شنكن التي تتيح لي الدخول إلى بلدان الاتحاد الأوروبي- عدا بريطانيا. وكان على أن أنفق بنفسي على هذا السفر لأنه خارج موضوع العلاج الطبي الذي تعهدت حكومة الإقليم بتغطية نفقاته. وذهبنا إلى براتيسلافا لنصعد هناك الطائرة إلى ستوكهولم ولنجد في المطار السويدي ابنتي بري وصديقي بختيار ولي صاحب السيارة القادمة إلى المطار. وقد نزلت في شقة بري بالعاصمة السويدية وأتاني ابني سلام البروفيسور في فيزياء البيولوجيا من جامعة لند وابنتي الطبيبة حياة وأحفادي، إضافة إلى بعض أصدقائي العراقيين الذين ألقى بهم الدهر إلى ذلك البلد الإسكندنافي.

قضيت حوالي عشرة أيام في السويد لأعود بعدها إلى فينا ثم إلى أربيل فالسليمانية. ولا أعرف للآن كلفة سفرتي، التي دفعتها حكومة إقليم كردستان. وعلي أن أقول أن الدكتور مصطفى رمضان قام بواجبه تجاهي مشكورا أيام وجودي في فينا. وعندما التقيت بالدكتور فؤاد حسين رئيس ديوان الرئاسة في أربيل اقترحت إيجاد بعثة دبلوماسية من ثلاثة أشخاص في النمسا بدلا من ممثل واحد، وطلبت موعد زيارة مع مسعود لأشكره على إتاحة الفرصة لي كي أسافر للعلاج. لكنني لم احصل أبدا على موعد منه إذ لازال الحظر باقيا على زياراتي إليه.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

جلال الطالباني ومسعود البارزاني
كما عرفتهما

ظهر جلال الطالباني على المسرح السياسي منذ خمسينيات القرن العشرين وعبر السنوات اللاحقة كأحد الزعماء البارزين في الحركة القومية الكردية داخل العراق. ولعب خلال هذه الحقبة دورا متميزا في الحركة السياسية الكردية، دورا إيجابيا مشرفا في بعض الأحيان وسلبيا مخجلا في أحيان أخرى. وقد غدا من العناصر القيادية البارزة في تشكيلة الحزب الديمقراطي الكردستاني منذ خمسينيات القرن العشرين، حين كان رئيس الحزب الملا مصطفى البارزاني لايزال لاجئا في الاتحاد السوفيتي وكان حمزة عبدالله سكرتيرا للحزب. وقد ازداد الطالباني بروزا منذ 1963، حيث دبت الخلافات والتكتلات في صفوف حدك، بين رئيس الحزب مصطفى البارزاني من جهة وبين المكتب السياسي الذي كان إبراهيم أحمد سكرتيرا له من جهة ثانية. وقد طغت شخصية الطالباني على شخصية السكرتير في صفوف الحزب وبين الناس، إذ سمي مؤيدو المكتب السياسي بـ(الجلاليين) بدلا من الـ(إبراهيميين)، في حين سمي مؤيدو البارزاني بـ(الملائيين). وعندما انفجرت الخلافات عام 1964 وانتصر البارزاني بعد أول تصادم مسلح ذهب الطالباني مع السكرتير وجميع أعضاء المكتب السياسي إلى مدينة همدان في إيران حيث بقوا لاجئين لدى نظام الشاه لمدة سنة، وعادوا إلى كردستان العراق بعدئذ مسلمين انفسهم للبارزاني ظاهريا، ولكنهم حملوا في جعبتهم مشروعا لتحقيق ما عجزوا عن تحقيقه قبلئذ. فكان أن تمردوا على البارزاني في 1966 بعد إبرام اتفاق سري مع نظام بغداد ليزودهم بالمال والسلاح. واستمر هذا التعاون مع البعثيين أيضا بعد انقلاب 17 تموز 1968، أي استمر مدة اربع سنوات دون أن يحققوا نجاحا يذكر حتى اضطر صدام على إبرام اتفاقية الحادي عشر من آذار 1970 مع مصطفى البارزاني. فانهارت معنويات وآمال المتمردين وانسحب السكرتير من ساحة النضال السياسي الكردستاني ليذهب لاجئا في بريطانيا حتى وفاته عام 1999، فيما بقي الطالباني وسائر أعضاء المكتب السياسي (باستثناء نوري

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

شاويس وعلي عبدالله اللذين رفضا التعاون مع نظام بغداد عند تمرد 1966 وبقيا مع البارزاني) مستسلمين من جديد للبارزاني كما فعلوا اثر عودتهم من همدان. وآخر مهمة أنيطت بالطالباني كان تعيينه ممثلا شخصيا للبارزاني في لبنان. وقد سمعت في شريط مسجل الكلمة التي ألقاها في بيروت بمناسبة عيد نوروز 1975، المليئة بكيل المديح للبارزاني. وعلى اثر انهيار الحركة الكردية المسلحة، في أعقاب اتفاقية الجزائر بين صدام وشاه إيران، رفض الطالباني – وكان في سوريا – سياسة الاستسلام واتخذ موقفا شجاعا بالمبادرة إلى تأسيس أوك (الاتحاد الوطني الكردستاني) على انقاض حدك ولملء الفراغ الذي أوجده انهيار الحركة المسلحة. ولم يهن ذلك على الشباب من عائلة البارزاني وعناصر قيادية أخرى من حدك (كسامي عبدالرحمن ونوري شاويس وعلي عبدالله ...الخ) فاتجهوا إلى إحياء حدك واختاروا مسعود البارزاني رئيسا للحزب وشكلوا قيادة مؤقتة، وتصدوا لنشاط أوك الذي شكل تهديدا لزعامة عائلة البارزاني في الحركة الكردية. ومن جهة أخرى ظهر فريق بين كوادر حدك – من ابرزهم صالح اليوسفي وعلي العسكري – لم يرضوا لا بقيادة البارزاني ولا الطالباني، فشكلوا منظمة باسم (الحركة الاشتراكية الكردية) التي كانت تنافس أوك وبالأخص حدك أو القيادة المؤقتة، وكانت تتبنى لونا غامضا من الفكر الاشتراكي. على أن الإصرار على رفض الاستسلام ومواصلة الدفاع عن حقوق الشعب الكردي قد مكن الطالباني من الصمود ومن جر جمهرة غفيرة من أبناء كردستان وراء حزبه، ومن لعب دور نضالي كبير في هذا الإقليم. إلا أن حلمه في الانفراد بالسيطرة على الساحة السياسية وإزاحة المنافسين لم يتحقق. ورغم أن الحركة الاشتراكية الكردية كانت اقوى وأوسع نفوذا على ارض الواقع لفترة من الزمن، فإن انعدام قائد كفوء لها بمستوى الطالباني وفقدان علي العسكري كزعيم ميداني للحركة، قد رجح كفة أوك منذ أوائل الثمانينيات، فيما حافظت القيادة المؤقتة لحدك على قوتها كمنافس رئيسي لأوك، بالأخص بفضل التأييد الأوسع لها في مناطق بهدينان.

يمتد التاريخ النضالي – السياسي للطالباني إلى أربعينيات القرن الماضي، وهو تاريخ حافل بالأمجاد النضالية الجديرة بالثناء والاعتزاز، فهو لم يكن من أولئك السياسيين الذين اختاروا العيش في بعض البلدان الأوروبية ليكثروا من الثرثرة السياسية بعيدا عن جماهير شعبهم، بل اتصف

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

بالثبات والمثابرة النضالية وبقي في ساحة النضال الساخن بين مناضلي حزبه وشعبه، وكان في الكثير من الأحيان على احتكاك يومي مع مسلحي حركته، مشرفا على نشاطهم، راسما لهم الخطط العامة سياسيا وتكتيكيا. ولعل ذلك احد الأسباب الرئيسية لكونه محبوبا ومحترما بينهم واستمرار ولائهم له طوال سني الكفاح المسلح ضد النظام الشوفيني في بغداد.

لا بد من الاعتراف بأن جلال الطالباني رجل مثقف وسياسي حنكته التجارب، ولم يشوه سمعته اللغط عن ملاحقة الحسناوات – كما حدث لبعض الساسة. وهو شخص لطيف المعشر، يحب النكات ويحفظ منها الكثير ويطرحها في اللحظة المناسبة ويبحث عنها بشغف. كما انه اشتهر بين الناس بحبه للأكل الطيب إلى حد المبالغة وبولعه بأكل اللحوم، وخاصة لحوم ديك الهند. وشاعت بين الناس في السليمانية بأن غلاء لحم ديك الهند في الأسواق يعود إلى دور الطالباني الذي أصر على شرائه بكثرة مهما غلا الثمن. وقدر لي أن أتناول الطعام عنده مرارا ولاحظت فعلا مبالغته في تناول اللحوم لدرجة مضرة بصحته. وكان يحرض ضيوفه على تناول المزيد من اللحوم ويقدمها اليهم بنفسه. أقام المكتب السياسي لأوك ذات مرة وليمة طعام لنا في قلاجولان، وكان السمك المشوي على منضدة الطعام بكميات وافرة والى جانب الرز وغيره، لممثلي الأحزاب الكردستانية المجتمعين هناك. وبعد ذلك بأسبوعين أقام الطالباني بنفسه، في أعقاب اجتماع حزبي آخر، وليمة لنا وحضر فيه وفر من مختلف اللحوم، وبالأخص السمك، وسأل الحاضرين باهتمام: أيهما الأفضل، وليمة المكتب السياسي السابقة أم وليمة السكرتير هذه؟

كانت علاقاتي معه جيدة أحيانا ومتوترة أحيانا، كانت أبوابه مفتوحة أمامي في بعض الأحيان ومغلقة بوجهي أحيانا أخرى بسبب من موقف لم يرض عنه سياسيا، ككتابتي لبيان سياسي أو مقال لم يرق له. وكنت أوجه النقد الصريح إليه أو إلى بعض مواقف أوك، كان يقبله أحيانا ويرفضه أحيانا. واعتذر لي أكثر من مرة عما انتقدته عليه.

تعرض حفيد لإحدى اخواتي للاعتقال من قبل جهاز البوليس السري الخاص بأوك والمعروف باسم (زانياري)، وكان هذا الشاب على علاقة شخصية معي في بعض الأمور الشخصية بعيدا عن السياسة. واخبرني هو

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

نفسه بأنه كان سابقا على ارتباط مع (زانياري) وقطع العلاقة معه كليا. وهو لم يكشف لي يوما ما يمكن اعتباره سرا من أسرار (زانياري) ولم أسأله عن شيء. وقد أتاني أبواه في احد الأيام مذعورين لينبئاني باعتقال ابنهما وقطع كل علاقة له مع الأهل وخوفهما على مصيره. وعبثا حاولت الحصول على أي جواب أو معلومات عنه لدى الدوائر المعنية، فاضطررت إلى كتابة الرسالة التالية إلى الطالباني:

السيد رئيس الإقليم

السيد رئيس مجلس الوزراء في الإقليم

م/ شكوى على جهاز زانياري

في ظهيرة 2001/5/8 اختطف في احد شوارع السليمانية ومن قبل جهاز زانياري هنر كمال نوري، وهو احد أعضاء حركتنا وحفيد لأختي طوبى، ولا أثر له حتى هذه اللحظة، ولم يجب مسؤولو زانياري ولا بكلمة عن مصيره، ذلكم في وقت أن مثل هذا الاعتقال يكون في ظل سلطة القانون ورعاية حقوق الإنسان، بصورة قانونية ويكون للشخص المعتقل حق الاتصال مع ذويه وتوكيل محام له.

اذا كان لجهاز بوليسي حق الاعتقال وإضاعة الأثر لشخص ما، فإنه يستطيع دون شك انتزاع الاعترافات الكاذبة من المعتقلين وحتى قتلهم. فأية قيمة تبقى، والحالة هذه، للحديث عن سلطة القانون وحقوق الإنسان؟ واي فرق يبقى بين هذا الأسلوب وأسلوب نظام البعث؟ واي لون من المبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان يطبق هنا؟

أيها السادة

اذا كان لهنر كمال جرم لا نعرف عنه، فإننا نريد فقط اطلاعنا لكي لا ندافع عنه، بل نساعدكم بدورنا، وإذا كان اعتقاله على غير وجه الحق، فإن ذلك الإجراء لا يجمعه جامع مع الديمقراطية وسلطة القانون وحقوق الإنسان.

باسم سلطة القانون وحقوق الإنسان أطالبكم بالكف عن هذه

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

التصرفات اللاقانونية – اللاحضارية، وبعدم وضع جهاز زانياري وأي جهاز آخر فوق القانون وعدم إيداع مهمات الاعتقال والتحقيق السري والقتل إلى جهاز زانياري.

أنا اعتقد أن أي تحقيق نزيه مع هنر كمال يثبت براءته، وإذا احترم القانون والعدالة فإن الذين يعتقلون ويعذبون أناسا من هذا القبيل يجب أن يحالوا إلى التحقيق والمحاكمة، لانزال العقاب بهم.

بأمل أن تسود سلطة القانون وتصان حقوق الإنسان.

أخوكم

بهاءالدين نوري

2001/5/11

وقد رفضها وأعادها إلي مع الاحتجاج على أسلوب كتابتي، وانا لم اندم على ما كتبت إليه واترك الحكم للناس الواعين المحايدين. وكتبت إليه في مناسبات أخرى رسائل شبيهة بهذه – مثلا عند اعتقال وقتل عضو قيادة حزب العمل لاستقلال كردستان محمد الحلاق، غير أن أي رسالة أخرى لم يثر سخطه كما أثارته رسالتي تلك التي تعلقت بعمل جهاز (زانياري). وقد كتب على رسالتي العبارة التالية وأعادها إلي:

الأستاذ بهاءالدين نوري المحترم

تحية

حقا لا تليق هذه الرسالة بعقلك. إنها بعيدة جدا عن الأصول والأدب السياسي، ولهذا أعيدها إليكم مع الاحتجاج

جلال الطالباني

2001/5/12

ومن دون أن أطلب منه شخصيا كان يبادر من تلقاء نفسه أحيانا إلى منحي مبلغا من المال لي شخصيا، إضافة إلى المعونة الحزبية الشحيحة لحركتنا الديمقراطية. وكنت اشعر بقدر من الحرج حين استلم منه المال لي. وكنت اجد العزاء لنفسي في إنها أموال الدولة وهم يتصرفون بها كما يشاؤون ولا مفر لأمثالي من المناضلين الذين لا يوجد لهم مصدر العيش من

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

قبول هذه المنح غير المشروطة، وقد حاولت كثيرا ودون جدوى لكي يزيد المنحة الشهرية للحركة الديمقراطية، التي كنت أقودها، إلى ما يعادل ربع أو خمس المبلغ الشهري الذي كان يدفع لحزب كادحي كردستان أو الحزب الاشتراكي الديمقراطي الكردستاني، ومع ذلك كنت ممتنا منه حين كنت أقارنه بمنافسه رئيس حدك (البارزاني).

قلت وأكرر أن للطالباني تاريخا حافلا بالأمجاد وبالنضالات البطولية ضمن حركة التحرر القومي، غير أن للعملة وجهين مختلفين، فإلى جانب تلك الأمجاد يوجد وفر من المواقف والتصرفات المشينة أيضا، وابرزها: نهج احتكار الساحة السياسية والشغف باقتتال الأخوة بالإضافة إلى الفساد الإداري الذي استفحل بعد استلام السلطة بوجه خاص. وقد يسأل البعض كيف اجتمع في الرجل هذه المتناقضات كلها؟ كيف يكون صاحب الكثير من الأمجاد النضالية من جهة وصاحب المواقف المشينة من جهة ثانية؟ سأجيب على السؤال في ختام هذا الموضوع، ودعوني الآن لأتكلم بإيجاز عن المواقف السلبية في تاريخه.

* * *

الطالباني واقتتال الأخوة

لم يكن الطالباني أول سياسي شغوف باقتتال الأخوة، لا في كردستان ولا في البلدان المتخلفة بوجه عام. إن ظاهرة اقتتال الأخوة بأشكاله المختلفة تكاد تكون ظاهرة عامة وشاملة في كافة البلدان النامية التي أقامت فيها حركات وطنية وقومية تحررية مسلحة. هذه هي الحقيقة وإن كانت مؤسفة ومأساوية. ومع ذلك لا يمكن تبرير اقتتال الأخوة والمغفرة للمتورطين فيه ولو بدرجات متفاوتة.

إن ظاهرة اقتتال الأخوة، أينما كان وبأي شكل ظهر، مترابطة عضويا مع ظاهرة التخلف الاجتماعي وانعدام الديمقراطية. ففي المجتمعات المتخلفة توجد ترسبات كثيرة للتراث الثقافي المنبثق من عصور الأنظمة الملكية، حيث كانت السلطات كلها تتركز في يدي الملك أو الأمير، وكان الملك صاحب البلاد ويفعل ما يشاء والناس يعتبرون ذلك أمرا اعتياديا ومشروعا. فالثقافة السائدة كانت ثقافة عبادة الفرد ودور القائد وصياغة هذه المفاهيم في قوالب دينية ومذهبية. وهذه الثقافة لاتزال حية وتعيش في العديد من بلدان العالم – كالبلدان الخليجية مثلا – وتصاغ أحيانا في الوان جديدة

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

من القوالب الدينية. من منطلقات هذه الثقافة أتى صدام حسين إلى الحكم وتصرف كما راق لعقله المتخلف المريض طيلة عشرات السنين، ومنها قال قولته الشهيرة "اذا قال صدام قال العراق"، ومنها أيضا يتصرف هذا الزعيم أو ذاك في كردستان أو في العراق أو غيره ليعتبر نفسه القائد المنتظر و"المنقذ" وصاحب الحق في أن ينفرد بالسيطرة على الساحة السياسية ويحتكر لنفسه السلطة ويقمع كل تحرك يتصدى له ويعترض على حقه في الانفراد.

ولم يشذ عن هذه القاعدة زعماء بلدنا، لا الطالباني ولا البارزاني ولا غيرهما، بل ولا الزعماء الصغار الذين حاولوا تنظير الزعامة الفردية وحق الانفراد بالسيطرة واقتتال الأخوة ورفض الاعتراف بالرأي الآخر ...الخ. وبديهي أن محاولات السيطرة والانفراد والاحتكار قديمة قدم التاريخ، غير أن ما نحن بصدد مناقشته هنا يعود إلى ما بعد نشوب الثورة الكردية المسلحة منذ أوائل الستينيات من القرن العشرين.

كانت الفترة الرئيسية الأولى من اقتتال الأخوة في كردستان العراق هي الصدام الدموي الجاري بين سني 1964- 1970 بين المكتب السياسي لحدك وبين مصطفى البارزاني. والشخص الذي يتحمل المسؤولية اكثر من غيره في هذه الفترة إنما كان سكرتير الحزب والشخص المتنفذ فيه إبراهيم أحمد، الذي حاول إزاحة البارزاني والحلول محله في الزعامة. لكن جلال الطالباني، الذي غدا صهر إبراهيم أحمد وخليفة له في الحزب كان المسؤول الثاني في المسؤولية لأنه كان الأنشط فكريا وعمليا. ولم يكن من الصدف أن لُقب مؤيدو جناح المكتب السياسي بـ"الجلاليين". أذكر ذلك لأن الكتاب والمؤرخين لم يذكروا – بقدر ما أعرف – دور إبراهيم أحمد في إثارة اقتتال الأخوة. وحسنا فعل إبراهيم أحمد عندما ترك ساحة العمل الحزبي – السياسي في كردستان وذهب لاجئا إلى لندن، بعد أن واجه الفشل في أعقاب أربع سنوات من تعاونه مع نظام بغداد واقتتاله مع مصطفى البارزاني. ولم يقتد به خليفته الطالباني ولم يتعظ بإخفاقاته في مواصلة اقتتال الأخوة طوال أربعة وثلاثين عاما (تخللتها فترات من الانقطاعات والمصالحات)، أي من سنة 1964 إلى 1997. وقد انتهى بعض جولاته في الاقتتال بالهزيمة. وأكبر هزائمه، وكان يعمل تحت قيادة إبراهيم أحمد، كانت في آذار 1970 وبعد أربع سنوات من التعاون مع نظام بغداد (مع آل عارف ثم مع نظام صدام حسين) ومن الاقتتال مع الثورة الكردية.

إن التشبث بفكرة اقتتال الأخوة يتنافى كليا مع أي ادعاء بالديمقراطية

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وينسجم كل الانسجام مع نهج الاحتكار للساحة السياسية وفرض نظام الحزب الواحد، أو سموه "الحزب القائد". فاقتتال الأخوة مجرد وسيلة لتحقيق الغرض غير المشروع في الانفراد بالسلطة واحتكار الساحة السياسية وإفراغ الديمقراطية من محتواها واستبدالها بلون من الحكم الفردي والدكتاتورية المكشوفة المغطاة أحيانا بواجهة برلمانية زائفة وبوجود أحزاب كرتونية.

ومن أسوأ المبررات لاقتتال الأخوة كان محاولات الطالباني ونائبه في أوك سابقا نوشيروان مصطفى لتنظير هذا الاقتتال، أي لتعزيز ثقافة الاقتتال الموروثة من العصور الغابرة. في الماضي كان المنظرون يعتبرون الاستعمار الأجنبي هو العدو رقم واحد للعراق كله، بضمنه إقليم كردستان. وفي وقت لاحق اعتبر القوميون المتشددون من الأكراد الفئة الشوفينية العربية الحاكمة هي العدو الرئيسي للشعب الكردي، أما في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، وبعد بدء الكفاح المسلح في كردستان وبعد نشوب اقتتال الأخوة بين جناحي الحركة القومية المسلحة، فإن العدو الرئيسي أو العدو رقم واحد للشعب الكردي أصبح هو الحزب المحسوب على البارزاني، أو هو عائلة البارزاني، وبديهي أن الأولوية في العمل السياسي، في مثل هذه الحالة، تكون تركيز النضال ضد هذا العدو!! ولا أظن أصحاب هذه النظرية تخلوا عنها جذريا طيلة سني اقتتال الأخوة، فالإصرار على الاقتتال الداخلي في تسعينيات القرن العشرين وفي وقت كان صدام باقيا على كرسيه متربصا بفرصة سانحة لضرب التمرد الكردي، كان دليلا على أن الطالباني وفريقا من مساعديه كانوا محتفظين بجوهر الرأي السابق ولو بشكل مختلف صوريا، ولابد من التأكيد هنا على أنني في إدانتي للطالباني لا أبرئ مسؤولي حدك وسائر الأطراف المشاركة عن المسؤولية في اقتتال الأخوة.

كلمة أخيرة بهذا الصدد: إن الطالباني لم يجن الكثير من اقتتال الأخوة حتى لنفسه كزعيم سياسي ولحزبه أوك، فقد كانت الأغلبية الساحقة من إقليم كردستان المحرر منذ انتفاضة 1991 تحت سيطرته إلى 1996، لكن إصراره على مواصلة الاقتتال ورفضه لطلب الحكومة الأميركية بإيقاف القتال والعودة إلى حدود ما قبل تلك الجولة في آب 1996 جلب عليه النكبة وأصيب بنكسة 31 آب 1996 التي نفذت من قبل قوات صدام وبضوء اخضر من واشنطن. ولم يتعظ بما حدث في 31 آب، بل أقدم على مغامرة جديدة في 1997 حين كان الجيش التركي داخل كردستان العراق – مناطق

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

سيطرة البارزاني، فخاض جولة جديدة من الاقتتال واحرز نجاحات جزئية قبل أن تتدخل القوات التركية من سلاح الجو والمدرعات لترغم مسلحي أوك على التقهقر والانسحاب حتى من مناطق كانت تحت سيطرة أوك قبلئذ. ومن المرجح أن هذا التدخل التركي كان وفق اتفاق تركي – أميركي. وقد جعلته التجارب المريرة يائسا من تحقيق حلم السيطرة على بوابة إبراهيم الخليل وعلى كافة المناطق المحررة في الإقليم عن طريق الحرب ووسط معادلة سياسية معقدة في المنطقة، فوجد نفسه مضطرا على مهادنة البارزاني، ولو بعد 34 سنة من الاقتتال. بيد أن سنوات الاقتتال خلفت وراءها إقليما خربا مقسما إلى حكومتين، وأحيانا إلى ثلاث حكومات (الثالثة كانت حكومة جند الإسلام المتطرفين المدعومة من إيران داخل منطقة هورامان الحدودية، والتي أسقطت بعملية عسكرية شارك فيها إلى جانب مسلحي أوك السلاح الجوي الأميركي مشاركة فعالة)، ولم يستمع إلى مناشدات واحتجاجات المثقفين وكثرة من الناس في كردستان، لا الطالباني ولا البارزاني ولا غيرهما ممن راهنوا على اقتتال الأخوة كسبيل لغرض السيطرة واحتكار الساحة السياسية، بعيدا عن الديمقراطية إلى أن لقنتهم الحياة درسا قاسيا لم يمكن لأحد أن يتجاهله. فكفوا مشكورين عن الاقتتال الساخن منذ أوائل 1998، إلا أن ثقافة العنف والصراعات اللاديمقراطية بقيت كما كانت في السابق متخذة أشكالا أخرى. فطوال السنوات الثلاثة عشر التي أعقبت صمت البنادق بين أوك وحدك – وهي فترة لم تكن قليلة – بقيت الإدارتان الحكوميتان في الإقليم دونما اندماج عملي وبقي رئيس وزراء الإقليم رئيسا حقيقيا فقط لإدارة الحزب الذي ينتمي إليه وليس للإقليم كله إلا من الناحية الشكلية، وبقي كل وزير من وزراء الداخلية والبيشمرگة والمالية وزيرا لأحد الجانبين ولا سلطان له على الجانب الآخر، وبقيت البنوك غير مندمجة، وبقيت التعيينات في الوظائف الحكومية وفق أسس الحزبية الضيقة وباشتراط التزكية الخضراء أو الصفراء، وبقي جهاز البوليس السري الخاص بكل منهما (زانياري عند أوك وباراستن عند حدك) يمارس نشاطه كما كان في السابق ...الخ. وبدلا من أن ينظر الطالباني ونائبه السابق نوشيروان مصطفى إلى البارزاني وحزبه كالعدو رقم واحد، فإن الطالباني ينظر اليوم إلى البارزاني كالحليف رقم واحد، وينظر إلى نوشيروان مصطفى كما ينظر الأخير إلى الطالباني كالعدو رقم واحد بُعيد

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

انشقاق حركة گوران!!

بديهي أنه كان من حق الطالباني وغير الطالباني أن يرفض العمل الحزبي مع البارزاني وأن يكون من معارضي سياسة البارزاني وأن يبشر بآرائه ومفاهيمه المخالفة وان يؤسس التنظيم السياسي الذي يروق له، اعتمادا على السبل والأساليب الديمقراطية الحضارية المعاصرة. لكن ذلك شيء واللجوء إلى اقتتال الأخوة بهدف فرض السيطرة واحتكار الساحة شيء آخر. أن يرفض زعيمان العمل مع بعضهما شيء وأن يصر كل منهما على إزاحة الآخر من الساحة عن طريق العنف واقتتال الأخوة شيء آخر، أن يمارس الإنسان بهدوء حقه في النشاط السياسي والحزبي وينافس الآخرين بأساليب ديمقراطية وسلمية شيء وان يستخدم العنف لإزهاق ألوف الأرواح البريئة في سبيل الانفراد بالسلطة شيء آخر. ومن العدل والإنصاف أن يطالب المسؤولون عن اقتتال الأخوة، ويطالب بشكل خاص الطالباني والبارزاني وأمثالهما بتقديم الحساب عما فعل من ممارسة الإرهاب والاقتتال الداخلي، ومن المنطقي تماما أن تناقش أمور كهذه في أروقة البرلمان وفي قاعات المحاكم وأن يسمع الشهود وتقام الدعاوى على المذنبين ويعاقب من تثبت إدانته ...الخ، آخذين بنظر الاعتبار ما سببه الاقتتال من إزهاق الأرواح البريئة ومن الحاق الأضرار الجسيمة بقضية الشعب الكردي خاصة والعراق عامة. نعم كان المكان الأفضل لإثارة هذه القضايا وتشكيل لجان التحقيق الحيادية بصددها هو البرلمان، غير أن التسلط الفردي وانعدام الديمقراطية الحقيقية جعل من غير الممكن مناقشة قضايا كهذه في برلمان يسيطر عليه حزبان، بل زعيمان يمليان على النواب ما يصوتون له وما لا يصوتون ولا يتجرأ أحد على عصيان الأمر.

ذلكم هو الوضع اليوم، لكن ما يجري اليوم لن يكون نهاية تاريخ هذه البلاد، بل سيأتي حتما يوم تكتب فيه صفحات أخرى وتوضع فيه النقاط على الحروف دون خوف أو خجل من احد. ولن يشفع لأحد من كبار المسؤولين عن اقتتال الأخوة طوال عشرات السنين أن يدعي اليوم بأنه نادم على الانفصال من البارزاني أو من الإقدام على العمل الفلاني، فالندم لن يعيد الحياة إلى احد من عشرات ألوف الضحايا الذين حصدهم اقتتال الأخوة. ويظل من حق ذوي الضحايا أن يقيموا الدعاوى القانونية أمام المحاكم على من سبب قتل أبنائهم أو إصابتهم بالعاهات.

لا أريد الإسهاب في هذا الموضوع اليوم، لكن كل إنسان واع يدرك بأن سلطان المسؤولين عن سياسة احتكار الساحة ومحاولة التسلط واقتتال

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الأخوة ...الخ لم يعد بعد 2003، أي بعد تدخل المجتمع الدولي وإسقاط الدكتاتورية، كما كان قبل 2003، وهوامش الديمقراطية التي كانوا يتبجحون بها في الإقليم (وكانت مهمة فعلا مقارنة مع دكتاتورية صدام) لم تعد ذات بريق وجاذبية بعد أن أسقط وبدأ العمل لبناء الديمقراطية في العراق على أسس حضارية حديثة. وإذا كانت انتفاضة ربيع 1991 بداية لمرحلة جديدة في كردستان العراق، فإن إسقاط نظام صدام حسين عام 2003 كان هو الآخر نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة تميزت ليس فقط بزوال خطر العودة لسيطرة صدام، بل كذلك بوضع الحكام الجدد على محك الاختبار بالنسبة لمسائل جوهرية: بأي أسلوب يديرون دفة الحكم في بلدهم؟ وهل يكسبون ثقة الشعب، وهم على كراسي الحكم، كما كسبوها حين كانوا في الجبال؟ هل يكرسون جهودهم لخدمة الشعب والوطن أم ينصرفون إلى كسب الامتيازات الشخصية؟

إن التركيز على الامتيازات الشخصية بدأت بصور معينة حتى قبل انتفاضة 1991، وانتقل الأمر إلى طور جديد واسع الأبعاد بعد الانتفاضة، حيث نشرت صحيفة سويدية بأن رصيد الطالباني في البنك يبلغ 83 مليون دولار، وبعد 1991 كبر الرصيد تدريجيا، ولو بخطوات اصغر مما كان لدى البارزاني بفضل بوابة إبراهيم الخليل، ولكن مصروفات اقتتال الأخوة كانت ترهق ميزانية الحكومة الإقليمية لدى كلتا الإدارتين – أوك وحدك – حتى أواخر 1997. كما كانت الحروب والمغامرات المستمرة لدى صدام، إضافة إلى الحصار الدولي على العراق اقتصاديا، قد أرهقت ميزانية نظام صدام في التسعينيات وحتى سقوطه. وكان ذلك يؤثر على كردستان أيضا.

لقد كانت انتفاضة كردستان عام 1991 في أعقاب حرب الخليج انتصارا تاريخيا كبيرا للشعب الكردي، كما كان إسقاط النظام البعثي في نيسان 2003 انتصارا أكبر للإقليم وللعراق عامة، بيد أن لكل انتصار جوانبه السلبية أيضا، ففي هذه الحالة التي نحن بصددها كان الجانب السلبي ظهور فئة أو مرتبة اجتماعية جديدة بين الحكام الجدد استغلت السلطة، التي سيطرت على زمامها، لغرض الإثراء السريع غير المشروع. حلت هذه الفئة محل الفئة السابقة المرتبطة بنظام البعث في السلب والنهب. وبقدر ما كانت هذه الفئة (أو غالبيتها) نشطة وجريئة سابقا في اقتحام الربايا العسكرية التابعة لنظام صدام، فإنها غدت نشطة ومستعجلة في جمع المال بالطرق المختلفة غير المشروعة. وهذه الظاهرة قد لوحظت في جميع البلدان التي وجدت فيها الميليشيات، شأنها شأن ظاهرة اقتتال الأخوة، وشأن

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

ظاهرة أمراء الحرب وتجار الاقتتال. والعائق الرئيسي أمام التصدي لهذه الظاهرة الجديدة، بل السبب الأول لانتشارها هو أنها بدأت بالانتشار من الأعلى، ومن أعلى المسؤولين، قبل أن تبدأ من الأسفل. واصطلح على تسمية هذه الظاهرة بالفساد الإداري. وقد نشرت تقارير بعض المنظمات والدول لتؤكد بأن العراق واحد من الدول القليلة في العالم التي شاع فيها الفساد الإداري الواسع جدا، وهناك قرائن وأدلة كثيرة تدعم هذه الحقيقة.

لقد كانت هذه هي الثغرة الثانية، بعد اقتتال الأخوة، في سلوك وسياسة حكامنا، وفي مقدمة أحد الفريقين الحاكمين الطالباني، فالرجل الوطني الثائر ضد الاضطهاد القومي وضد العنصرية – البعثية، لم يعد كما كان سابقا، بعد أن حملته التطورات من الجبال المعرضة للقصف اليومي إلى كراسي الحكم في المدينة. لاريب في أن ظاهرة الضعف إزاء الإغراءات المالية كانت موجودة في سني النضال حتى في الجبال، غير أن النضال القومي التحرري كان هو الطاغي على كل شيء في تلك الفترة، فضلا عن أن المجال للحصول على المال كان ضيقا إبّان ذلك العهد.

كان في مستطاع الطالباني، وقد غدا حاكما وتحت تصرفه الشرطة والمحاكم والسجون، أن يتصدى بنجاح لظاهرة الفساد الإداري لو لم يتورط نفسه فيه، لو لم يكن غارقا حتى الأذنين فيه. وإذا كان الآخرون متورطين بحدود معينة، فإن أكبر زعماء الإقليم، الذين كانوا يتصرفون في كثير من الأحيان تصرف الملوك في العصور الوسطى، قد تورطوا في الفساد الإداري لدرجة خيالية حتى غدوا من أكبر أثرياء البلد. ولهذا السبب كان لسانهم قصيرا تجاه المتورطين الأصغر، بل جعلوا من المسؤوليات في الحزب وفي الدولة وسائل للإثراء السريع أو معامل لتفريخ الأثرياء الجدد ممن كانوا حتى انتفاضة 1991 ضمن الفئات الفقيرة والوسطى وتحولوا بعد ذلك بسرعة قياسية إلى أصحاب قصور وفيلات فخمة في البساتين خارج المدن وأصحاب الشركات والمؤسسات الاقتصادية الكبيرة. ولم يكن من قبيل الصدف أن لم يحاكم ولم يعاقب ولا واحد من كوادر ومسؤولي الحزب الحاكم والحكومة في أي من الإدارتين أمام لجنة تحقيق أو محكمة طوال الأعوام المتعاقبة ورغم كثرة السرقات والاختلاس والارتشاء، ورغم ضخامة المبالغ المسروقة والمنهوبة، ولم يصدر حكم بالسجن أو الإعدام على احد.. فالذي يكون متورطا في الفساد ليس مؤهلا لمحاربة المتورطين الآخرين ولا قادرا على معالجة مشكلة الفساد الإداري في أجهزة الحزب والسلطة.

إن واحدا من الأدلة القاطعة على تورط كل من زعيمي أوك وحدك في

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

الفساد الإداري كان ما نشره الصحفي الأميركي مايكل روبن ونشرت جريدة (هاولاتي – الأهالي) التي تصدر في السليمانية ترجمته الكردية في (كانون الثاني 2008)، أقيمت الدعوى هنا عندنا على الصحيفة لأنها نشرت مقالا مترجما لرجل اجنبي معروف، وانبرى الرجل ليتحدى الزعيمين سوية ويطلب منهما إقامة الدعوى عليه وليس على صحيفة كردية، وسوف يثبت صحة ما نشر! سكت الزعيمان الطالباني والبارزاني، ولو حدث في بلد أوروبي أو في أميركا أو في أي بلد يحترم فيه القانون لبادر البرلمان والمحاكم والشرطة إلى فتح التحقيق واستدعاء الرجلين لأخذ إفاداتهما والتقديم إلى المحكمة، كان رصيد البارزاني في بعض البنوك الأجنبية الف مليون دولار، فيما كان رصيد الطالباني في ذلك التاريخ 400 مليون دولار – حسب مايكل روبن. وأشار الصحفي إلى أن رصيد الطالباني أكثر من ذلك في الواقع، وذلك بقوله انه لا يعرف رصيد زوجة الطالباني هيرو إبراهيم.

أريد التوقف عند هذه المسألة، ليس من المهم أن يكون هناك في بعض البنوك حساب مصرفي باسم هيرو أو لا يكون، وليس انعدام الحساب باسمها أو وجوده بكميات قليلة دليلا على الثراء الفاحش أو الفقر. فالإنسان يستطيع أن يسجل حساباته المصرفية بأسماء أخرى غير اسمه، فلا يعرف الآخرون عن طريق الاطلاع على حساباته مقدار رصيده. لكن الجميع يعرفون في السليمانية وخارج السليمانية أن السيدة هيرو – عقيلة الطالباني – دخلت إلى عالم التجارة والاقتصاد في سني ما بعد انتفاضة 1991، في ذات الوقت الذي كان الطالباني نفسه الشخصية الأولى في أوك وفي الحكم بالنسبة لإدارة أوك. انطلقت هيرو تصول وتجول وفي حوزتها المال والسلطة، دون أن يتجرأ احد على اعتراض سبيلها ورفض طلباتها. وبديهي أنها لم ترث المال ولا السلطة من أبويها، بل استمدتهما من أموال وسلطات زوجها، لتصبح من كبار الأثرياء في هذا البلد بعد أن كانت قبل عام 1991 مجرد امرأة لا تملك شروى نقير. فالناس يشيرون إليها الآن بأنها من أكبر مالكي العقارات في السليمانية إذ تملك بهذا الشكل أو ذاك ارقى الفنادق وأرقى العمارات والمباني المتنوعة، كما تملك الشركات والمؤسسات المختلفة وتستحوذ على مرافق تجارية هامة في تجارة الاستيراد ...الخ. وما أن تظهر عمارة جديدة شاهقة أكثر من الاعتيادي حتى تقول الناس أن هذه عمارة جديدة لهيرو خان. إن الطالباني ارتكب خطأ أساء به إلى نفسه عندما اطلق العنان لزوجته لكي تتصرف كتاجر جشع وتتخذ من أموال الدولة رساميل للأغراض الشخصية وتستغل نفوذ وهيبة زوجها للقيام بأعمال غير

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

مشروعة. بأي منطق يجوز – كمثال – إقامة مؤسسة تلفزيونية فضائية وأخرى تلفزيونية محلية (خاك) وتوجيهها من قبل هيرو، التي لم تكن في أي وظيفة حكومية رسمية، حتى ولا في منصب حزبي، وإلزام الدولة بتسديد كامل نفقاتهما من الميزانية العامة؟ وبأي منطق يحق لامرأة أن تأمر على دوائر الدولة وتملي ما تريد لمجرد أنها زوجة السكرتير العام لأوك؟

شيء آخر يجب أن يقال للطالباني: طوال السنوات العشرين المنصرمة تعاقبت تصريحات منك، أيها الزعيم الوطني، بأنكم أقمتم في كردستان العراق نظاما ديمقراطيا نموذجيا في المنطقة. فهل هذه هي الحقيقة؟ هل أقمتم نظاما ديمقراطيا حقا؟ حبذا لو كان الأمر كذلك، لكن من المؤسف أن الواقع على ارض كردستان لا يدعم ما ادعيتموه، حقا إن هوامش من الديمقراطية وجدت في إقليم كردستان، وجد برلمان إقليمي وشكلت أحزاب وصدرت صحف وأسست نقابات ومنظمات المجتمع المدني، وغير ذلك من مظاهر الديمقراطية، وكان ذلك مهما بالمقارنة مع ما ساد العراق في ظل نظام صدام الدكتاتوري الفاشي الذي اتصف بالعنف الدموي الصارخ ضد ابسط أشكال المعارضة، غير أن ما وجد في الإقليم لم يكن ديمقراطية معاصرة، بل كان لونا من نظام الحزب الواحد المغلف بلافتات متباينة الألوان، فالحزبان الحاكمان في الإقليم أحكما السيطرة على كل شيء مع تعدد الوان هذه السيطرة.

إنني لم أنته من كتابة كل ما أردت عن الطالباني ولم أفلح في الكتابة عن البارزاني، وسبب ذلك كان تدهور صحتي بشكل لم يسمح بالكتابة عن هذا الموضوع وعن نقاط أخرى مذكورة في الملاحق، وهنا أرى من الضروري أن أذكر إن الزعيمين الطالباني والبارزاني كانا متشابهين من حيث القضايا الرئيسية في المنهج والسلوك، فهما مسؤولان عن أسوأ ما جرى تحت قيادتهما بالنسبة للشعب الكردي في العراق، واقصد اقتال الأخوة وما ترتب عليه من سفك للدماء، وتدمير للبلاد وهدر للثروة الوطنية، مسؤولان عن نزعة احتكار السلطة وعن نشر الفساد الإداري في الإقليم ووضع السلطة في خدمة التحزب الضيق وما إلى ذلك، وإن كان هناك فرق بينهما فإنه كان فقط في التفاصيل والجزئيات. ويشارك في تحمل المسؤولية مع الطالباني زعيم حركة التغيير نوشيروان مصطفى، الذي كان نائباً لسكرتير أوك ومشاركا فاعلا في احتكار السلطة وإثارة اقتتال الأخوة.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

رأيت نوشيروان مصطفى
في عهدين من حياته

تعرفت على نوشيروان مصطفى في أوائل الثمانينات من القرن الماضي، حين كان نائباً للسكرتير العام لـ«أوك». كان سياسياً قومياً نشطاً وبارزاً كما كان منظراً لسياسة وشعارات أوك، وفي الوقت نفسه قائداً ميدانياً للمقاتلين. ورغم أن السكرتير العام كان صاحب الرأي الحاسم في اتخاذ القرارات، فإن نوشيروان كان الرجل الثاني في أوك ليس فقط بصورة شكلية، بل بصورة واقعية، وكان الشخص الأكثر تأثيراً على الطالباني وقرارته. وأظن أنه كان الوحيد بين مسؤولي أوك القادر على القول لطالباني «لا أوافق على هذا». وقد كان شريكاً للطالباني في النجاحات والانتصارات السياسية والعسكرية، كما كان في الوقت نفسه شريكاً في الأخطاء السياسية والعسكرية، وقبل كل شيء في الخطأ القاتل الذي ألحق أكبر الأضرار بحركة التحرر القومي الكردية - وأعني خطأ نزعة احتكار الساحة السياسية فقط لنشاط أوك وخوض الجولات المتواصلة منذ 1964 وحتى التسعينات بهدف الانفراد بالتسلط - وإذا قارنّا بين السكرتير العام ونائبه فأنني أتصور أن النائب - خلال هذه السنين- كان الأشد تمسكاً بنهج احتكار السطلة وما يترتب عليه من فكرة رفض كل انفتاح وكل اعتراف بالرأي الآخر. ومن الواضح أن هذا النهج السياسي كان، ولا يزال، نهجاً سائداً للحركات السياسية في جميع البلدان النامية وليس في بلدنا وحده. غير أن رياح التغيير هبت منذ تسعينات القرن الماضي، وبالأخص بعد أن طرح الزعيم السوفيتي ميخائيل گورباچوف مشروعه لإعادة بناء النظام السوفيتي (البيروسترويكا) وأخفق في تحقيقه. ويعرف الجميع أن إحدى نقاط الضعف الأساسية في ذلك النظام كان يتلخص في نهج احتكار السلطة والساحة السياسية ورفض الاعتراف بالرأي الآخر.

تلكم كانت المرحلة الأولى من تأريخ هذا الزعيم القومي(نوشيروان)، وما يؤخذ عليه هو أنه لم يُشر خلال المرحلة الجديدة من حياته، التي دخلها

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

في أوائل القرن الجديد، ولا بكلمة إلى مشاركته في تلك الأخطاء الكبرى وما اقترن بها من إزهاق أرواح الأبرياء والدمار أثناء اقتتال الأخوة وعمليات الاغتيال السرية وما إلى ذلك.. كان من واجبه أن يشير ببعض الكلمات إليها وأن يعتذر لأبناء شعبه عن انتهاكات وتجاوزات لن تمحوها الأيام عن ذاكرة الناس.

أما شخصية نوشيروان مصطفى الجديدة، التي ظهرت في سني القرن الحالي، فهي مغايرة لماضيه حيث انتقل إلى المعارضة وقاد انشقاقاً ناجحاً من أحد الحزبين الحاكمين ليتزعم حركة سياسية وتأسيس معارضة برلمانية قوية، لأول مرة في تاريخ هذا الإقليم. صحيح أن حركة المعارضة البرلمانية السلمية ما كانت لتنشق بهذه الصورة الناضجة لولا الظروف السياسية - الجماهيرية الناضجة في مكان مثل مدينة السليمانية، حيث تنامى استياء قاعدة أوك والجماهير المتعاطفة معها إلى حد الانفجار. ومن المؤكد أن تلك الحركة الجماهيرية لم تكن لتنبثق بتلك الصورة الموفقة لو لم يكن لها قائد حائز على ثقة الجماهير ومتناغم مع خطواتها وطلباتها. وهكذا كان التفاعل الضروري في مثل هذه الحالات بين الجماهير المهيأة للتحرك والمفتقرة إلى قائد كفوء لها وبين الرجل الذي كان معروفاً لدى تلك الجماهير ومعروفاً بأنه دخل صراعاً ضد القيادة التي أثارت استياء وغضب الجماهير.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الذين استجابوا لنداء نوشيروان وساروا وراءه لتأسيس حركة گوران «التغيير» كانوا فئة من أنصار أوك وليس الجميع، فيما بقيت فئة أخرى مع القيادة التقليدية. ومن المؤكد أن الصراع بين هذين الجناحين المنقسمين على بعضهما سوف يستمر دون أن يستطيع أي منهما إزاحة الأخر من الساحة لكن من غير المستبعد أن تؤدي الأخطاء الذاتية الكبيرة إلى إزاحة أو تصغير طرف منهما وإعطاء الفرصة لتقدم وتوسيع الطرف الأخر.

لقد انقضت في الإقليم قرابة 18 سنة على انتفاضة ربيع 1991 قبل أن تظهر في البرلمان الإقليمي معارضة برلمانية سلمية حقيقية. كان الحزبان الحاكمان مسيطرين على البرلمان الإقليمي واحتكرا الساحة السياسية لأنفسهما عملياً، مع بذل المساعي وبعض الفلوس لكي يعرضا لونا مفتعلاً

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

من التعددية السياسية وما يشبه المعارضة، لكي يقولا للعالم أن في كردستان نظاماً ديمقراطياً. ووُجد فعلاً هامش من الديمقراطية مقارنة مع الأنظمة الحاكمة في البلدان المحيطة بالعراق وبالأخص مقارنة مع نظام صدام. وكان الإسلاميون موجودين في البرلمان وميالين إلى لون من المعارضة. ولكنهم لم يملكوا الشجاعة ليظهروا أنفسهم كمعارضة برلمانية حقيقية، قبل أن تنبثق الكتلة البرلمانية من انتخابات (2009) التي خاضتها حركة التغيير، فكان للنائب السابق للسكرتير العام في أوك شرف المبادرة إلى المعارضة البرلمانية السلمية المعاصرة. وهذه مسألة بالغة الأهمية إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن العالم المعاصر سار ويسير شوط الاعتماد على صناديق الاقتراع في تحقيق التغيرات السياسية، وأن دور البندقية يتقلص تدريجياً كوسيلة للتغيير السياسي. إن المعارضة البرلمانية التي أسستها حركة التغيير، يمكن أن تتعرض للانتكاسات لكنها ستبقى وتتنامى في هذه المرحلة لأنها حاجة ضرورية للمجتمع وجزء من التطور الديمقراطي الحضاري في هذا البلد.

لقد تربي نوشيروان في المدرسة القومية التقليدية المتمثلة في الپارتي وفي أوك طوال عشرات السنين، وعندما تمرد على الزعامة التقليدية في الحركة القومية وانشق عنها فأنه لم يستطع التخلص من السلبيات التي تربى وتمرس عليها سابقاً. وعلى سبيل المثال فأنه ظل متشبثاً بأسلوب القيادة الفردية لأكثر من أربعة أعوام أعقبت انبثاق حركة التغيير، فكان وحده الذي يتخذ القرارات، دون تشكيل أي هيأة من الكوادر الموجودة حواليه، وحتى بعد انعقاد مؤتمره الأول، الذي تأخر كثيراً، أقام نمطاً من التنظيم يستمر معه في الانفراد باتخاذ القرار السياسي. ويحمل هذا الأسلوب مخاطر جدية على حركة التغيير في مستقبلها السياسي والتنظيمي والتربوي.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

حوار بين قره داغيين
علماني وإسلامي

في مقابلة تلفزيونية له مع فضائيته الخاصة – سبيده – باللغة الكردية تهجم د. على القرداغي قبل حوالي السنتين علينا، أنا والراحل ملا أحمد البانيخيلاني متهما إيانا بتضليل القرويين ونشر الإلحاد لأننا نشرنا الدعاية للشيوعية بين الجماهير الكردية وعرقلنا عمل الإسلاميين في نشر الإسلام. وانحرفنا بذلك عن الطريق الذي سلكه أبوانا. وقد قررت في حينه أن أناقش الدكتور على ما قال عندما تسنح لي فرصة النقاش.

وفي خريف 2012 نقل إلي احد أقربائي طلبا من مراسل فضائية سبيده بإجراء مقابلة له معي. فاعتذرت أول الأمر ثم وافقت أمام إلحاحه شريطة أن نخصص قسما من المقابلة لتناول قضايا سياسية تخص الوضع الراهن، بما في ذلك وضع الحركة الإسلامية. وقد أبلغني قريبي بأن المراسل بيستون زاليي موافق على ما اشترطته. وعندما وصل المراسل إلى بيتي في القرية كررت عليه ماكنت قد اشترطته، فأجاب:

- بالطبع تجري المقابلة مثلما طلبت أنت.

وعندما تم تسجيل ونشر حلقتين واعلن التلفزيون أن المقابلة قد انتهت، عند ذاك اتضح لي أن مراسل سبيده بيستون قد كان مخادعا وكذب علي عن عمد. وردا على هذا الأسلوب المعيب في التعامل الصحفي قررت أن اكتب على ما فعل مراسل سبيده وعلى ما قاله صاحب سبيده د. علي قبل سنتين. فالمسألة تطورت من مقابلة تلفزيونية أخل فيها المراسل بقواعد العمل الصحفي إلى نقاش بين سياسيين قرداغيين- علماني وإسلامي. وإذا كان الأول شيوعيا ومسنا متقاعدا الآن فان الثاني شاب يمثل الشخصية الرئيسية في حركة الإخوان المسلمين بكردستان العراق اليوم.

* * *

في حديث مع مراسل فضائيته قبل سنتين ظلمني د. علي وظلم أحمد

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

بانيخيلاني حين اتهمنا بالانحراف عن مسار أبوينا والعمل على تضليل القرويين، بنشرنا الأفكار الشيوعية والإلحادية. إذا كان أبوانا بين رجال الدين الذين خدموا مجتمعهم في تلك الفترة، فان أبناءهم من أمثال بانيخيلاني ومحمد ملا كريم ود. عزالدين مصطفى وبهاء الدين نوري وكثيرين غيرهم قد خدموا بجد وحماس أكبر، ولكن بأشكال جديدة مغايرة لما فعل آباؤهم. ويعود هذا الاختلاف في أشكال نشاطنا الحزبي، مقارنة مع آبائنا، إلى أننا ولدنا وترعرعنا في أوضاع مستجدة مغايرة لما كان في شباب آبائنا، حيث لم يوجد آنئذ سوى المدارس الدينية القديمة – الكتاب للأطفال ثم المدارس الملحقة بالجوامع. نحن من أجيال ما بعد حربين عالميتين وعشرات الثورات والحروب الإقليمية التي ارتبطت بالتكنيك الحديث، من أجيال ما بعد ثورات الشيخ سعيد البيران والشيخ محمود الحفيد وجمهورية مهاباد والثورات الكردية التي يعيش ويعمل د. علي اليوم في ظل بعضها. نحن جئنا بعد طرد الغاصب العثماني ليحل محله الغاصب البريطاني وليجابه الشعب العراقي المحتلين الجدد بثورة العشرين لانتزاع استقلال العراق. نحن عددنا من فئة كانت تشكل مثقفي ذلك العصر الأكثر وعيا سياسيا. فكان من الطبيعي أن يكونا مستجيبين لنداء الشعب والوطن في خوض النشاط السياسي من أجل التحرر والتقدم الاجتماعي والعدالة. واعتبر نفسي سعيدا ومحظوظا لأنه قُدر لي أن أعيش شبابي في خضم الكفاح ضد أعداء الشعب المستعمرين وأعوانهم العراقيين، في سبيل التحرر والديمقراطية.. بعد اعتقالي بقي والدي في بغداد لأكثر من مئة يوم بانتظار صدور حكم المحكمة علي. وعندما التقينا، ونحن في طرفي السياج الحديدي، بكي فرجوته ألا يبكي لأني خلصت من الإعدام وحُكمت بالسجن المؤبد. فأجاب:

- انه بكاء الفرح يا ولدي، وأنا اعرف أنكم ستخرجون من السجن منتصرين.

وتعرف الناس أي استقبال جماهيري استقبلتنا جماهير السليمانية عند خروجنا من السجن عام 1958، يوم انتصرت ثورة 14 تموز وخرجنا نحن المناضلين من السجن. ولو رأى الشيخ محي الدين ما حظينا به من تقدير واعتزاز لتمنى أن يرى ابنه علي حال مشابه لحالنا، بدلا من أن يراه مقيما في بلد خليجي فرحا بمناصب في أحد تيارات الحركة السياسية الإسلامية.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

لمتنا يا د. علي لأننا نشرنا في قرى قره داغ الأفكار الشيوعية. فماذا كنا نبتغي من وراء نشر الأفكار؟ هل حصل بانيخيلاني على شيء سوى الملاحقة والسجن والتشرد والموت في حياة الغربة القاسية؟ وهل حصل بهاء الدين نوري على شيء سوى الملاحقة والسجن وحياة الاختفاء الصعبة في المدن أو العيش عرضة على الدوام لقصف المدافع وطائرات نظام صدام الفاشي؟ هل كنا نحن الذين سعينا للحصول على منصب السكرتير لمنظمة الإخوان المسلمين العالمية أو مدير بنكها؟ حكم وجدانك وقل بشيء من الإنصاف: إذا كنت تلومنا بهذه المرارة لأننا كنا قبل عشرات السنين ننشر أفكاراً لا تروق لك، في وقت لم يكن لمنظمتكم وجود في الساحة السياسية، فماذا كنت تعمل بحقنا فيما لو كانت حركة الإخوان على كرسي الحكم ونحن في المعارضة؟ نعم يحق لكم، يا دكتور، أن تعملوا كل ما تريدون للوصول إلى كرسي الحكم، ولا يحق للشيوعيين أن يقوموا بمجرد الدعاية ضد الاستعمار وأعوانه بزعم أن ذلك شيء موجه ضد الدين الإسلامي! فهل يعتبر ذلك دفاعا عن المقدسات الدينية أم انخراطا في جبهة محاربة الشيوعية التي كان يقودها الاستعمار البريطاني وأعوانه في النظام الملكي المتمثل في أمثال الوصي عبدالاله ونورى السعيد؟ حلال لكم أن تخاطبوا حشود المصلين في كافة الجوامع وتستخدموا شتى المناسبات والصحف والتلفازات لنشر الدعاية لحركتكم، وحرام على الشيوعيين أن يتجولوا مشيا على الأقدام في قرى قره داغ لنشر الدعاية لبرنامجهم السياسي الذي راق لأعدائهم أن يسموه «الدعاية للإلحاد». أهكذا تكون ديمقراطيتكم إذا وصلتم إلى سدة الحكم؟

نعم أنني معكم، يا صديقي الدكتور القره داغي، في التصدي للتطاول على الدين ولكل ما يسئ إلى المقدسات الدينية، لكنني أقولها جازما أن الدنيا قد تغيرت ولن تعود إلى ما كان قبل قرون حيث كان من المألوف إن يجمع رئيس الدولة بين السلطتين الدينية والسياسية شأن الخلفاء الأمويين والعباسيين. إن التطور الحضاري للمجتمع البشري وصل إلى المرحلة التي لا مفر عندها من الفصل بين الدين وبين الدولة. وحتى إذا انتخبتكم الأغلبية فإنكم لن تستطيعوا ممارسة الحكم وفق تعاليم المرحوم حسن البنا، بل ينبغي أن تحكموا كالعلمانيين – كما فعل رجب طيب أردوغان وكما يفعل على مضض مرسي في مصر والغنوشي في تونس. فالحياة نفسها تحتم في نهاية

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

المطاف إرادة الأغلبية، ولا مرد لذلك!

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

مع (البروفيسور الألماني)
في مستشفى ببرلين

استقبلنا آزاد في مطار برلين وحمل حقائبنا إلى سيارة تسوقها امرأة، اتضح فيما بعد إنها شيوعية إيطالية مقيمة منذ سنوات في برلين وتعتاش على شراء وبيع الجبن، دخلنا منزل حفيد خالي آزاد وهي دار من الدور الريفية التي تكون حزاما للعاصمة الألمانية، لكن هذا الحزام ملتصق مباشرة مع المدينة. قطعة الأرض المشيدة 800 متر مربع لكن البناء يتكون من خمس غرف صغيرة اثنتان منها في الطابق العلوي وبدت خريطة البناء متخلفة لا تنسجم مع تطورات التكنيك والفن المعماري المعاصر والسلطة الحاكمة متمسكة بهذا النمط الكلاسيكي الذي يمتد تاريخه إلى عصور قديمة فأجد في مثل هذا الموقف جموداً سخيفاً غير إن الحديقة الفسيحة، التي زرع فيها آزاد أنواع الخضراوات وأعطت البيت قيمة خاصة. وبسبب الصعوبات المترتبة على نقل طفليه إلى المدرسة ذهاباً وإياباً قرر آزاد استئجار شقة وسط المدينة حيث المدارس تكون قريبة من البيوت وعرض بيته للآجار وأول من جاء إليه لغرض الاستئجار كانت امرأتان متعايشتان سويا تلعب إحداهما دور الفحل في نشاطهما الجنسي.

كنت أتصور إن النظام الاشتراكي المنهار في ألمانيا الشرقية كان معزولاً وإن الغالبية فرحوا بسقوطه. لكنني وجدت بين البرلينيين الشرقيين عكس ذلك. جواباً على سؤال وجهته لسائق تكسي ركبنا برفقته صوب المستشفى عما إذا كان يحصل الآن على دخل شهري من عمله أكثر مما كان في ظل النظام الشيوعي، أجاب السائق يحكي وكأنه وجد الفرصة للتخلص من عبء أرهقه كثيراً:

- أتوا من الغرب وأسقطوا نظامنا دون أن يسألوا أهل هذه البلاد بكلمة واحدة عما إذا يرضى بهذا التغيير أم لا. إنهم يدعون الديمقراطية، وهذه هي ديمقراطيتهم.

أردت أن أعرف ما إذا كان شيوعياً ومتمتعاً بامتيازات في ظل النظام السابق، فسألته:

- هل كنت عضواً في الحزب الشيوعي الحاكم، أنت وأحد أبناءك أو أخوتك؟

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

- كلا لم انتسب يوماً إلى الحزب الشيوعي وينشر هؤلاء مزاعم مفادها إن الدراسة في الجامعات كانت مباحة فقط للشيوعيين وقد أكمل ابني وابن أخي دراستهما الجامعية دون أن يكون أي منهما شيوعياً.

تصورت هذا السائق يتحدث بشكل فردي وإنها مسألة عرضية. لكنه اتضح في مجرى الإحداث التي أوضحها لي آزاد أن غالبية سكان برلين الشرقية السابقين لا يزالون على تعاطف مع النظام السابق وأنهم دأبوا في الانتخابات أن يصوتوا المرة تلو المرة لمرشحي اليسار السياسي، فاليساريون هم الذين يحكمون مدينة برلين بوصفها إحدى الولايات الألمانية.

ما كنت قادراً على السفر إلى ألمانيا اعتماداً على نفسي فطلبت العون من حكومة الإقليم فاستجابت السلطة، أو بالأحرى استجاب نائب رئيس الوزراء عماد أحمد وأرسل لي خمسة عشر ألف دولار أضفتها إلى عشرين ألفاً كنت قد ادخرتها لنفسي وسافرت، وكان لي شيء من الأمل في أن أحصل على بعض العون من ممثلية الإقليم في برلين. وبعد الاستفسار قيل لي إن ممثل حكومة الإقليم هو دلشاد برزاني وأخذوا لي تلفون وعنوان الممثلية من الأنترنيت.

فاتصلت بتلفونهم وطلبت السيد ممثل الإقليم لأتحدث إليه، وأجاب الموظف المسؤول عن التلفون ، وهو ألماني ـ قائلا:

لا استطيع ربطكم معه تلفونيا ولكني أستطيع إيصال ما ترسلونه بإيميل إلى الممثلية، فأرسلت الرسالة التالي نصها:

السيد المحترم دلشاد

بعد السلام والاحترام

أنا قادم من كردستان لغرض المعالجة. هناك استلمت 15 ألف دولار، وجئت بأمل أن أرتبط بكم هنا وأن أستطيع طلب الدعم المالي للمستشفى والعلاج. ولإيضاح الأمر أرجو التفضل بإعطائي رقم هاتفكم لكي أتحدث إليكم.

مع الاحترام

بهاء الدين نوري

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

المناضل المعروف القديم

المتقاعد بدرجة وزير

موبايلي هنا: 017620075479

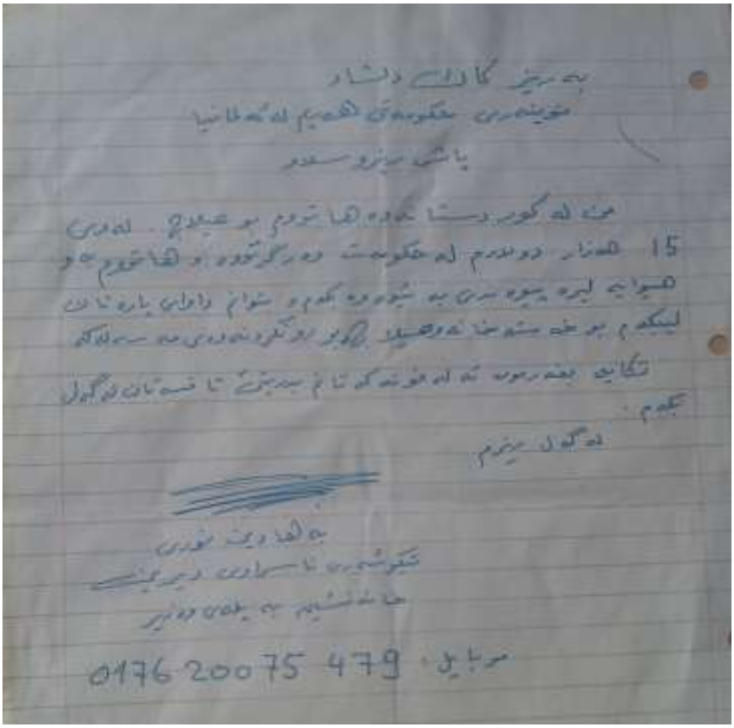
0176 20075 479

وقد انتظرت يوما ويومين وأياما، لعل الممثل يتفضل بالتحدث إلينا تلفونيا أو بإرسال رقمه لأخابره أنا.. ولا جواب. وهل يتوجب على رجل بمستواه أن يجيب على رجل من أمثالي؟ إن المهمات التي يتأتى عليه القيام بها أكبر وأخطر من أن يتعب نفسه بإضاعة الوقت في التحدث إلى أمثالي. أو انه دأب على تقليد شقيقه الكبير السيد مسعود البارزاني، الذي لم يعتد على إرسال الجواب للرسائل التي أرسلتها إليه بمناسبات مختلفة خلال السنوات التي أعقبت انتفاضة 1991.

بصحبة آزاد وهيوا نهجت زرت في برلين العضو السابق للمكتب السياسي في أوك د. كمال فؤاد، الذي كان شيوعيا في السنين الأولى من شبابه ثم انضم إلى البارتي في سبعينات القرن العشرين، وكان من مؤسسي

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أوك بعد نكسة الحركة الكردية المسلحة في ربيع 1975. وقد كان من المثقفين الطيبين في أوك واحتفظ بقدر من التعاطف مع ماضيه السياسي ـ الشيوعي، ولم يدخل في عداد القوميين الشوفينيين، وكنت قد التقيت به في برلين عام 1990، حين كنت لاجئا سياسيا في السويد وسافرت إلى ألمانيا كسائح وعزمني هو في أحد مطاعم المدينة. وها أنا جالس معه في برلين مرة أخرى، داخل إحدى دور الشيخوخة التي تنفق عليها الدولة، وأجد رجلا يختلف عما كنت أعرفه سابقا، فقد أثرت عليه الإصابة بجلطة في الدماغ، وعبثا يحاول (حمه ملا) الشيوعي السابق المقيم في برلين لاجئا، أن يفهمه بأن ضيفه هو بهاء الدين نوري القادم من السليمانية. غادرنا المبنى دون أن يعرفني، رغم أنني جلست أمامه وكنا سابقا أصدقاء. وبعد يومين من هذه الزيارة خابرني هيوا نهجت قائلا:

ـ يبدو أن كمال فؤاد استعاد صحوه بعد ساعة من مغادرتنا له وسأل حمه عن الشخص الزائر قبل ساعة. فأجابه حمه "إنه بهاء الدين نوري، وهو قادم من السليمانية.". فطلب كمال بإلحاح شديد أن يجدني حمه ولو تحت الأرض! فزرته بصحبة هيوا مرة ثانية، ويظهر أنه عرفني في هذه المرة ولكنه لم يكن في وضع رجل قادر على خوض النقاش وتبادل الحديث، وقد عرضت عليه المجيء إلى كردستان للإقامة أسبوعين في ضيافتي بمنطقة ريفية جبلية. فسالني:

ـ هل المبنى الذي تسكنه هناك مريح؟

ـ نعم. وإذا لم يعجبك فسنجد أفضل منه.

وعندما خرجنا من المبنى ورغم أن الخدمات هناك جيدة، فإنني تمنيت لو انه كان بين ذويه في السليمانية.

كان آزاد قد حجز لي المكان في نفس المستشفى الذي نُقل إليه رئيس الجمهورية جلال الطالباني، ولم أحاول هناك زيارته لأنني كنت على ثقة من انهم لن يسمحوا لي بزيارته. وعندما زارني محمد الحاج محمود (سكرتير الحزب الاشتراكي الديمقراطي الكردستاني) في بيت آزاد سالته عما إذا زار الرئيس طالباني أجاب:

ـ ذهبت إلى المستشفى لزيارته فلم يسمحوا له بالوصول إليه

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

ـ وما استنتجت من ذلك؟

ـ استنتجت إن وضعه ليس على ما يرام؟ وإلا لسمحوا لي أن أراه.

أعرف إنه عائلته، بالأحرى زوجته، قد تسترت على أخباره منذ أن نقل من بغداد إلى مستشفى برلين، ولم يُسمح لأحد الاطلاع على وضعه الحقيقي ولم يعرف أعضاء المكتب السياسي أكثر مما عرف رجل الشارع في السليمانية... لكنني لم أعرف لماذا اللجوء إلى الأسلوب البوليسي في التعامل مع أمر كهذا ؟ لماذا غياب الشفافية حتى في مسألة كهذه؟ إن المرض يمكن أن يصيب أي إنسان ولا داعي لإخفائه رئيساً كان أم شيخاً أم طفلاً.

أعرف إن لرئيس وزراء العراق نوري المالكي مصلحة في أن يحسب الطالباني على رئاسة الجمهورية ويكون غائباً عن الدوام الفعلي ولكن أي مصلحة للشعب الكردي بالخصوص والشعب العراقي بالعموم، في إخفاء الوضع الصحي للطالباني عن الناس.

* * *

أعود إلى العلاج الطبي في يوم وصولي إلى برلين بصحبة آزاد في سيارة أجرة إلى المستشفى لألتقي بالبروفيسور الألماني، الذي قرر إجراء فحص عام لي، دون أن يدخلني إلى المستشفى، وبعد أسبوعيين من الفحوصات قال لي:

ـ إن كل شيء في أعضاء جسمك الباطنية بخير ولا مرض إلا في رئتك.

ـ أنا قادم إلى برلين فقط لعلاج الرئة.

ـ سنقوم بفحص معمق للرئة، سندخل إلى الأعماق عبر الفحص الناظوري وسنحاول سد الثقب الموجود فيها الذي كشفناه بواسطة الأشعة التنويرية، دون عملية جراحية. عليك أن تدخل المستشفى لثلاثة أيام وتدفع التكلفة التقريبية لهذه الأيام (وكان المبلغ المطلوب مني دفعه حوالي 14000 دولار) سنصفي الحساب فيما بعد.

في اليوم الثاني خضعت للبنج العام حوالي ثلاث ساعات، وفي اليوم التالي أبلغوني إنهم لم يتوفقوا في سد الثقب. وسألت عما إذا بقي المرض القديم، التدرن الرئوي، عندي أم لم يبق. فأجابني البروفيسور أن المرض قد عولج ولم نعثر إلى ما يشير إلى بقائه وقد بقي آخر فحص سنجريه لك.

ـ ما هذا الفحص ومتى تظهر نتيجته؟ سألته.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

ـ سكبنا محلولاً في الرئة وسحبناه بعد ساعة لغرض الزراعة في المختبر. وبإمكانك الآن أن تعود إلى بلدك. سنرسل لك نتيجة الزرعة بعد عدة أسابيع.

وعلي هنا أن أذكر أنني ممتن غاية الامتنان لأزاد وزوجته حسيبة وأخته بهار على ما قدموه إلي من خدمات. أيام وجودي ببيتهم في برلين.

وقد أخذني آزاد إلى مطار دسلدورف ،حيث كنت على موعد مع محمد الحاج محمود لنعود على نفس الطائرة إلى السليمانية مباشرة.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

التحزب الضيق يشوه الأدب أيضا

في 2013/8/5 توفي الشاعر الوطني الكردي شيركو بيكس في السويد - وكان قد لجأ إلى السويد أيام حكم صدام- ونقلت جنازته إلى مسقط رأسه في مدينة السليمانية لكي يدفن فيها. ولفت انتباهي أن جميع الأحزاب في كردستان خصصت برامج واسعة في وسائل إعلامها للتحدث والإشادة به. وكأنها تتنافس على كسب وده ورضاه ولكيل النعوت والألقاب التعظيمية. وكان ذلك بسبب ما نشره وروج له إعلام بعض الأحزاب خلال سنوات سابقة، في معرض الدعاية له بوصفه شاعر الشعب الأول والأجدر بالتقدير.

وسواء كان الراحل شيركو بيكس الشاعر الأول أو لم يكن فإن من المؤكد أنه كان شاعراً من الشعراء المرموقين وكان وطنياً مشاركاً في نضالات شعبه التحررية الديمقراطية.

إلا أن تقييمه من منطلق التنافس الحزبي الضيق بين الحزبين الحاكمين أمر لا يمكن الوثوق به بسهولة. فالأخوة في أوك دأبوا على أن يصوروا للناس بأن من عندهم من الرجال في كل الميادين، السياسية والعسكرية والثقافية والفنية...الخ هم الأفضل، ولا يملك الپارتي أو غيره من الأحزاب أناساً من أمثالهم. ورأينا من نماذج هذه الظاهرة اللاحضارية في التنافس الحزبي الضيق تعظيم الراحل إبراهيم أحمد. عند وفاته في مدينة لندن ونقل جنازته لدفنها في السليمانية، بعد أن نُقلت جنازة الراحل ملا مصطفى البارزاني من إيران إلى مسقط رأسه ولقي استقبالاً جماهيرياً واسعاً.. ومنها الدعاية والتعظيم الفني للشاب المغني زكريا وللمغني الشعبي عزيز ويسي الذي لم يحلم بشيء من هذا التعظيم بين أبناء شعبه في كردستان الشرقية. وعلى نفس المنوال دأبت وسائل إعلام أوك على إبراز وتعظيم الشاعر بيكس لأنه كان من منتسبي أوك والمنحازين إليه في سني اقتتال الأخوة، أي الصراع الدموي الرهيب بين أوك والپارتي، ولا تقع المسؤولية والملامة على هؤلاء، الذين عظمتهم وسائل إعلام أوك، بل هم ضحايا التنافس الحزبي الضيق.

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

في مثل هذه المناسبة أريد كمثقف وهاو، أن أبدي رأيي في الشعر ومواصفات الشاعر الجيد: الشعر كلام صيغ ليجمع بين الفن والجمال الأدبي. والفن في الشعر، الذي يوفر فيه لونين من التناسق والتناغم - الميلوديا - إنما يتمثل في وجود الوزن والقافية اللذين يميزانه عن أشكال الكلام الأخرى بما في ذلك عن النثر الأدبي. والجمال الأدبي يتأتى من انتقاء الكلمات الملائمة والتعابير الرقيقة والصياغات الجيدة المزينة بالأوصاف وبالتشابيه والكنايات وما إلى ذلك مما يقدم صوراً أدبية جميلة تتناغم مع عواطف الإنسان وتثير لديه الحساسية المنعشة.

ولا أوافق على فرضية وجود شخص اخترع الشعر، كما أخترع أديسون الإنارة الكهربائية. فالشعر نشأ وتبلور تدريجياً، عبر مرحلة امتدت لآلاف السنين وساهم فيها أعداد غفيرة في أجيال متعاقبة. حتى وصل إلى مرحلة تطوره الحالية. وبديهي أن الشعر، شأنه أي شيء أخر، قابل للتطور والتجديد في شكله ومحتواه، وقد شهد مراحل من التطور والتجديد فعلاً. ومن السخف أن ينكر المرء هذه الحقيقة، بيد أنني لا أوافق الذين يعتبرون تجريد الشعر من موسيقاه، أي من الوزن والقافية، تجديداً له، بل أعتبر ذلك لونا من العودة إلى الوراء. أري الشعر من دون الوزن والقافية لونا من النثر، قد يكون نثرُاً جميلاً وقد يكون العكس.

الدقة والإبداع في الوصف كانا ولا يزالان مسألتين حيويتين هامتين في نجاح الشاعر حين يصف في شعره ما يريد، سواء كان في مجال الغزل والغرام أم في ميدان الحرب والقتال أم في الكرم والسخاء...الخ، إن المتنبي تبوأ عرش الشعر العربي في زمانه، قبل أكثر من ألف سنة، لأنه كان يجيد الوصف في شعره قبل كل شيء. وتبوأ مولوي وگوران وهيمن عرش الشعر الكردي، كل في زمانه، لانهم أجادوا الوصف وقدموا الصور الأدبية الجميلة.

إن الشعراء الكبار، الذين اشتهروا شعبياً وعالمياً وخلدهم التاريخ لم يصنعهم الملوك والأنظمة والأحزاب الحاكمة، لا في قديم الزمان ولا جديده، بل صنعتهم مواهبهم الأدبية والفنية الكبيرة وإنتاجهم الأدبي المرموق، فضلاً عن الظروف والأجواء التي نشأوا وترعرعوا فيها. وهذا لا يعني نفياً لدور السلطة الحاكمة أو الحزب الحاكم أو المؤسسات الإعلامية الرأسمالية

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

الكبيرة في إبراز كاتب أو شاعر ولإعطائه مكانة معروفة في المجتمع، إلا أن هؤلاء لن يستطيعوا تخليد الشاعر، إن لم تخلده روعة وعظمة شعره. كما لن يستطيعوا النيل من شاعر عظيم يتحصن بقصائده العظيمة.

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

حشع لم ينجب فقط أبطالا مضحين
بل فرخ أيضا أثرياء رأسماليين

بعد سقوط صدام زارني شخص من عائلة د. صفاء الحافظ يحدثني عن قصة استشهاد الكادرين الشيوعيين الدكتورين صفاء الحافظ وصباح الدرة في 1980، فقال: بقي الرفيقان في بغداد أثناء الحملة البعثية ضد الشيوعيين معرضين للاعتقال والقتل في أية لحظة. فأرادت قيادة حشع إخراجهما بصورة سرية مناسبة وكلفت فخري كريم زنگنه بتدبير جوازي سفر مزورين وإرسالهما بأمل مغادرة البلاد. وكان فخري آنئذ مسؤول الشيوعيين الواصلين إلى لبنان هربا من نظام صدام. فجلب جوازين لإرسالهما مع امرأة مخفيين بإتّقان. وفي المخفر الحدودي بين سوريا والعراق عثر رجال الأمن بمنتهى البساطة على تينك الوثيقتين، لأن فخري كان قد أخبر مقدما الأمن العام العراقي بالآمر. وعلى اثر مسك الجوازين اعتقل الرجلان وصفي أي أثر لهما دون أية محاكمة. وذكر الراوي بأنه سجل الدعوى على المتهم في إحدى الجهات. وأنا لا أملك أي دليل ملموس على صحة هذا الاتهام. ولكن أحدا لم يقدم الدليل، من الجهة الثانية، على بطلان التهمة. ويبقى من حق المشتكي أن يطالب بالتحقيق القانوني لغرض التوصل إلى التبرأة أو الإدانة.

على أن ما كان يشاع عن فخري لم يكن الاتصال مع الدوائر البعثية في العراق، إنما كان التشكيك بارتباطاته مع بعض المخابرات الغربية. ففي 1972، حين كنا منهمكين في العمل على إعادة بناء تنظيم الحزب بعد أن حطمته الحملة البوليسية البعثية عام 1971، وكنا ندقق في وضع من تعاد صلته مع الحزب، أتتنا رسالة من الشيوعية المعروفة زكية خليفة تذكر فيها أنه يشاع عن فخري هو ارتباطه بإحدى المخابرات الغربية، وهو الآن يعمل في جريدة (الراصد) التي يصدرها خير الله طلفاح - خال صدام حسين (وقد ذكرت ذلك في الجزء الأول من مذكراتي). وأجرينا التحقيق ولم نتوصل إلى أي نتيجة، فأنهينا التحقيق إلى أن يستجد شيء ما. وذكر الكادر

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الشيوعي النجفي (...) بأن فخري كان على علاقة مع عائلة الطريحي المعروفة بعلاقاتها مع المخابرات البريطانية وعن طريق هذه العائلة أقام الصلة مع تلك المخابرات. وليس لدي أي دليل لإثبات ذلك لكن فخري كان يردد في بعض الفترات بأنه متهم بالعمالة لـ(ك. ج. ب)، المخابرات السوفيتية. وكان البعض يفسرون ذلك بأنه محاولة لاستبعاد أي ارتباط له مع المخابرات الغربية. وأيا كانت الحقيقة فان ما يلفت الانتباه هو أن مثل هذه التهمة لم توجه إلى شخص آخر من قادة حشع عداه هو فخري.

مسألة أخرى أثارت اللغط حول شخصية فخري تتعلق بإثرائه، بل انفراده بالثراء بين المسؤولين الشيوعيين. فالقادة والمسؤولون في حشع طوال عشرات السنين المتعاقبة، أمثال فهد وزكي بسيم وحسين محمد الشبيبي وسلام عادل وعزيز محمد وكريم أحمد وبهاء الدين نوري وزكي خيري وجمال الحيدري وأبو العيس وعشرات آخرين. استشهدوا أو تقاعدوا أو هجروا الحزب دون أن يترك أي منهم خلفه الثراء... انهم عرفوا بالنزاهة والأمانة في الصرف. وشذ عنهم شخص واحد هو فخري كريم زنگنه الذي أثرى بوتائر سريعة في مجرى ممارسة العمل الحزبي، دون أن يمارس أي نشاط تجاري معروف ودون أن يكون قد ورث فلسا واحدا من عائلته. فالسؤال المطروح هنا: من أين حصل هذا الرجل على هذه الثروة؟ يجيب خصومه على هذا السؤال بقولهم أن ما في حوزته من الثروة حصل عليها بسبل غير مشروعة، وفي مقدمتها سرقة أموال الحزب الشيوعي، بعد أن أصبح في عداد المسؤولين.

وبعد أن أصبح مسؤولا في بيروت ومكلفا بالاتصال كممثل لحشع مع قادة اليمن الجنوبي وقادة المنظمات الفلسطينية ومع القذافي وشتى الأطراف الأخرى لطلب المعونة المالية منهم للحزب في محنته تلك. ولم يكن هناك من يراقب، فسرق القسم الأكبر مما كان يحصل عليه من هؤلاء. في حين أن الإجراء الأصولي هو أن يقوم بالطلب والاستلام وتسجيل الحسابات عدد لا يقل عن ثلاثة أشخاص، بدلا من أن يضطلع شخص بمفرده بذلك.

وكان المصدر الثاني لإثرائه هو إصدار مجلة «النهج»، كترجمة عربية لمجلة «قضايا السلم والاشتراكية» التي كانت تصدر في براغ وكان ذلك قد تم وفق عقد ثنائي أبرمه فخري مع الجهة المعنية من السوفيت مستغلا

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الفساد المتزايد في النظام السوفيتي خصوصا أيام حكم بريجنيف، دون أي مراقبة أو مشاركة من حشع. ويتحدث البعض عن مصادر أخرى محتملة لا يقوم عليها دليل.

وكنت اعرف بأن فخري أصبح ثريا ولكن لا إلى عداد المليونيرية (بالدولار) إلا بعد أن رأيت في عام 1992 اتفاقية مبرمة بينه وبين وزير الثقافة في إقليم كردستان شيركو بيكس. وبموجب هذه الاتفاقية كان فخري قد التزم باستثمار 12 مليون دولار في مؤسسات ثقافية وإعلامية في الإقليم. لا أدري سبب عدم تنفيذ الاتفاقية آنئذ، لكن الجميع يعرفون أنه أقام عند عودته إلى العراق بعد سقوط صدام مؤسسة دار المدى الإعلامية الكبيرة.

ويذهب البعض من منتقدي فخري كريم إلى انتقاد زعيمي الحزبين الحاكمين في إقليم كردستان الطالباني والبارزاني لانهما أوليا هذا الرجل بأكثر مما يستحق، وبالأخص الطالباني الذي عينه كبيرا لمستشاريه.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

سحب الإجازة القانونية
من حركة الديمقراطيين

أسسنا حركة الديمقراطيين كمنظمة سياسية قانونية في 1994 كما أسبقت، وبقيت معها عشرة أعوام اقترنت بتغيرات في وضع العراق، وأهمها سقوط النظام البعثي الفاشي. ويجب الاعتراف بأنها لم تستطع خلال هذه الفترة إنجاز مهمات سياسية ذات تأثير محسوس على وضع العراق أو إقليم كردستان. إنها عاشت منظمة صغيرة محدودة التأثير، إلا أنها قدمت نموذجا جيدا لما يجب أن يكون عليه أي تنظيم سياسي من حيث الحفاظ على استقلاليته ورفض التبعية وراء الآخرين. ويكفي أن أشير إلى إننا رفضنا الخضوع لمشيئة الحزبين الحاكمين في المشاركة في اقتتال الأخوة، وأننا اعلنا موقفا واضحا في إدانة أخطاء وتجاوزات الحزبين الحاكمين دون الانحياز إلى أي منهما.

ولم نفلح في تحقيق التوسع الجدي، التنظيمي والسياسي- الجماهيري، إلا لدرجة ضئيلة. وظهر أن السبب الرئيسي وراء ذلك يعود إلى أن الحزبين الرئيسيين كانا قد احكما السيطرة على الساحة السياسية في الإقليم وأصبحا قادرين على التحكم بمصائر الجماعات السياسية الأخرى، لاسيما من العلمانيين – لأن الإسلام السياسي كان يملك مصادر دعمه الخاصة في الدول المجاورة. ولم تشهد الساحة السياسية الإقليمية تنامى أي قوة سياسية جديدة في كردستان قبل انشطار أوك وظهور حركة التغيير «گوران» بزعامة نائب السكرتير العام لأوك نوشيروان مصطفى.

عندما أحلت نفسي على التقاعد في 2004 تركت ورائي منظمة سياسية صغيرة متعافية ومستقلة سياسيا واخترت، بالتشاور مع رفيقي حاجي ملا وملا شيخة، شابا لم يكن من مؤسسي حركتنا، بل انضم إلينا مع الملازم رابر في 1996، لكنه كان مناضلا شيوعيا سابقا وشابا جهاديا مندفعا ومقاتلا لسنوات في صفوف البيشمرگة الشيوعيين. وكانت نقطة ضعفه الرئيسية هي افتقاره إلى الخبرة الكافية في العمل القيادي. وكان الشاب

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

المقرب إليه آنئذ سامان علاء أقل خبرة وكفاءة. وربما زعم الاثنان بأنهما سيطوران المنظمة بعد أن أتقاعد ويضعان خططهما الخاصة موضع التطبيق. إلا إن ضعف الخبرة كان الثغرة الرئيسية التي تسللت منها الأمراض والمشاكل الرئيسية المؤدية إلى هلاك المنظمة بعد انقسامها على نفسها.

ومن المؤكد أن الانشقاق فيها لم يحدث بمعزل عن مساعي الحزبين الحاكمين المولعين على الدوام بمحاربة أي تنظيم سياسي غير مؤتمر بأمرهما. وكانا يجدان بين كوادر كل منظمة أناسا مستعدين ليكونوا رهن إشارتهما.

وبسبب المساعي الحميدة من البعض سنحت فرصة مؤاتية في (2000) لتوحيد الجناحين المنقسمين وإعادة المنظمة إلى وضعها الطبيعي. غير أن شكر الله انخدع بوعد مكتب علاقات الپارتي، نتيجة ضعف خبرته كما أسبقت، وفوت الفرصة المؤاتية لتوحيد الجناحين واستعادة الوضع الطبيعي في الحركة. ونشرت في بعض الصحف إيضاحا بتاريخ 2001/10/10 حول الموضوع. وقد أعطت المنظمة، بعد تزايد أخطائها المتفاقمة، ذرائع إلى السلطة الحاكمة في الإقليم لتقيم الدعوى عليها وتطالب بسحب إجازتها القانونية. فقررت محكمة بداءة أربيل سحب إجازتها. وعند الاستئناف أحيلت القضية إلى مجلس القضاء في الإقليم وارتأيت أن اساهم بقسطي فوجهت مذكرة بصفتي سكرتيرا سابقا للمنظمة انتقد فيها تسييس القضية وطالبت بعدم سحب الإجازة. لكن مجلس القضاء أصر على سحب الإجازة.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

أنا والربيع العربي

عندما نشرت وكالات الأنباء والصحف بأن شابا تونسيا «البوعزيزي» حرق نفسه في مدينة سيدى بوزيد لم يفطن احد من القراء والمستمعين إلى أن هذا الخبر سيكون البداية لسلسلة طويلة من الإحداث والأخبار تمتد في أبعادها الزمنية والجغرافية إلى اكثر من 15 قطرا عربيا، ويكون ذلك الحرق الصغير الذي أشعله الشاب التونسي في مدينته «سيدي بوزيد» شرارة يندلع منها اللهيب لترتفع السنة النيران في ساحات واسعة من أرض أفريقيا وآسيا، التاريخ فاجأ في هذه المرة أيضا الزعماء والملوك والمثقفين في هذه البلدان، كما سبق أن فاجأ إمبراطور روما الذي لم يتصور بأن عبيده يثورون بقيادة رجل منهم دعي (سبارتاكوس) ويقلبون العرش رأسا على عقب.. وكما فاجأ ملك فرنسا يوم انتفض الباريسيون في 14 تموز 1789، وكما فاجأ ملك العراق وأقطاب نظامه في 1958/7/14، وكما فاجأ شاه إيران في 1979/2/9...الخ. ليس من المهم أن نعرف لماذا كانت الشرارة الأولى من تونس وفي تلك المدينة الصغيرة التي سمع الكثيرون باسمها لأول مرة. لكن اللهب قد ارتفع ليفاجئ رئيس البلاد، الذي كان ممسكا بزمام السلطة لما يقرب من ثلاثين سنة، منهمكا في ترتيب الأمور لتوريث رئاسته إلى بعض أقاربه، واثقا من أن أحدا من أبناء بلده لن يستطيع تكدير صفوه... فالمظاهرات التي حدثت في سيدي بوزيد ستنتهي بفضل نشاط الأجهزة الأمنية اليقظة، كما كانت في كل مرة.

لكن الأمر اختلف في هذه المرة. فالمظاهرات عمت كل المدن التونسية والأجهزة القمعية عجزت عن فرض سيطرتها والجيش وقف موقف الحياد والأخطار تحدق بـ(بن علي)! ترى هل هي مفاجأة جديدة من مفاجآت التأريخ، ليس في روما ولا في بغداد الف ليلة وليلة، بل في هذا البلد العربي الأفريقي الصغير!

نعم إنها المفاجأة! ذكرت وكالات الأنباء بأن الطائرة التي هرب فيها رئيس الدولة من بلده وشعبه المنتفض تجول في الأجواء بحثا عن مكان

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

تهبط فيه! مطارات فرنسا لم تمنحه الموافقة على الهبوط.. وحتى مالطا رفضت السماح بهبوطه! ما الذي يفعله هذا الرئيس المشرد المسكين، الذي تحول فجأة من حاكم مستبد في بلاده إلى منبوذ مرعوب هارب من وجه العدالة، من شعبه المنتفض؟ "خير لك يا بن علي أن تتجه إلى المملكة السعودية، حيث يحكم ملك متمسك بالتقاليد العشائرية ولا يرفض مساعدة رئيس منكوب مثلي".

- اذهب إلى الرياض ولنجرب هناك حظنا –

أمر بن علي قائد طائرته. ونفذ الأمر فورا. أمر الملك بهبوط الطائرة واستقبال الرجل المنكوب وعائلته. ولم لا؟ أليس الملك نفسه معرضا لمثل هذه النكبة في يوم من الأيام؟ فرح الرئيس المشرد الهارب لأنه حصل على ملجأ آمن. وفرح المنتفضون في تونس لأنهم سجلوا نصرا تأريخيا على حاكمهم المستبد الظالم المسؤول عن جرائم لا تحصى. وفرحت أنا، الرجل الكردي الأممي المسن المتقاعد، فرحة الثوار التونسيين وتمنيت لو كنت شابا بينهم في شوارع تونس، مشاركا في نضالهم المجيد.

اذا كان الرئيس التونسي قد اجتاز حدود بلاده خلال دقائق، بفضل الطائرة النفاثة التي كانت تحت تصرفه ليصل إلى مكان أمن بعيدا عن بلده، فان النيران التي كانت مشتعلة في تونس هي الأخرى قد اجتازت الحدود إلى بلدان مجاورة بفضل الفضائيات والإنترنيت، أو بفضل ظروف العولمة التي جعلت من هذا العالم الفسيح قرية صغيرة لا حاجز فيها بين بيت وبيت، بل بين بلد وآخر.. فالشباب الليبيون والمصريون، الذين شاهدوا على شاشة التلفاز تفاصيل ما جرى في تونس وشاهدوا مصير الحاكم التونسي المستبد، الذي جاء إلى الحكم قبل اكثر من ثلاثين عاماً عبر انقلاب عسكري، نعم إن شبان القاهرة وبنغازي تساءلوا مع انفسهم: هل نحن أقل من زملائنا شبان تونس؟ وهل حاكمنا افضل من حاكم تونس؟ أليست بلادنا أحوج إلى الإصلاح والتغيير؟ وفي هذا الزمان العجيب، الذي يؤكد فيه بعض المعممين بظهور بعض علامات (الآخرة)، أصبح الفيسبوك ومواقع التواصل الاجتماعي على الإنترنت، في خدمة الجميع أثرياء كانوا أم فقراء. ويمكن لشبان لا يعرفون بعضهم ولا ينتسبون إلى أي حزب أن يتفقوا عن طريق الفيسبوك وسائر المواقع الإلكترونية، أن يتفقوا على موعد ومكان تجمع أو

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

تظاهر أو غير ذلك.

ها قد أشعلت النيران في ليبيا ومصر.. بدأت الشبيبة، من دون تخطيط أو توجيه مسبق لأي حزب أو قائد سياسي معروف، تتحرك بصورة منظمة، وان كان التنظيم بدائيا وتلقائيا.. إنها تريد ما أرادته شبيبة تونس، ومستعدة لأن تضحي كما ضحت شبيبة تونس.. إنها تريد الحرية، تريد الديمقراطية، تريد حياة عصرية تليق بإنسان القرن الواحد والعشرين.. إنها تريد التغيير وكفى للظلم وللاستبداد!

القذافي سمع عن المظاهرات والاعتصامات في بنغازي، ولكنه لم ير فيها خطرا جديا وهل هناك ما يستطيع تشكيل خطر جدي ما دام هو القائد والمسيطر على كل شيء في بلاده؟ ألا يعرف الليبيون فضله في القيام بأعظم ثورة، على الأقل في القارة الأفريقية؟ أليس هو القائد الذي صاغ لشعبه ولكل العرب نظريات فلسفية - اجتماعية جديدة وعرضها في تلك الوثيقة التأريخية، التي سميت (الكتاب الأخضر)؟ وما أدراك ما الكتاب الأخضر؟ انه الكتاب الذي فند كل النظريات الاشتراكية والرأسمالية! كلا وألف كلا، لن يستطيع هؤلاء "الجرذان" النيل من نظام بناه قائد مثله ووطد أركانه طيلة أربعين عاما. فالجماهير الليبية تعبده وتقدر ما فعله، وهو لم يخطئ حين سمى دولته "الجماهيرية العظمى".

وساور الرئيس المصري بعض القلق حين سمع عن قيام المظاهرات والاعتصامات في القاهرة وأوصى وزير داخليته باليقظة والحذر وباتخاذ الإجراءات الضرورية لمنع الإخلال بالأمن العام.. بيد أن هذه قلاقل مؤقتة وستزول كما حدث خلال عشرات السنين السابقة من عهده بالرئاسة. انه مطمئن على سلامة نظامه لأنه رئيس أكبر دولة عربية وهو السياسي الذي اجتاز أزمة اتفاق كامب ديفيد ونجح في تطبيع العلاقات مع الدول العربية دون أي مساس بتلك الاتفاقية، وهو يملك تجربة عشرات السنين من ممارسة الحكم في قمة النظام ويملك تجربة عسكرية لأنه ضابط عسكري تربى مع قادة ثورة 1952 وأمكن له بناء صداقة متينة مع الغرب والشرق ومع الملوك والرؤساء العرب.. فعلام الخوف؟ كلا، لا داعي لأي خوف. هؤلاء الشباب مجانين وسيعود اليهم رشدهم بعد تأديبهم وزج عدد منهم في السجون.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

لكن الشباب يختلفون في هذه المرة عن المرات السابقة.. فهم مصرون على التظاهر والاعتصام ونشر الفوضى والإخلال بالأمن العام. إن الذنب ذنب بن علي، الذي استسلم للمتظاهرين وهرب وشجع الشباب في الأقطار الأخرى على التظاهرات الاحتجاجية. اعتقل ألوف المحتجين وسفكت دماء المئات بين قتلى وجرحى والنيران تزداد لهبا في كلا البلدين. ولحسن حظ المصريين لم يكن رئيسهم بعثيا، بل كان من فصيلة بن علي إذ اقتنع بأن المقاومة والقمع لا تجدي ولا مناص من التخلي عن الحكم، رغم أن قرار التخلي صعب جدا! إلا أن حاكم طرابلس كان من فصيلة مغايرة، كان بعثيا من حيث التصرفات، وان لم يكن منتميا إلى حزب البعث. والأدلة كثيرة على انه كان من طراز البعثيين صدام التكريتي وبشار الأسد، منها:

- انه لا يأبه بقتل المواطنين وسفك الدماء البريئة. فهو سفاح متوحش مولع بالتقتيل والتجويع.
- وأنه يحمل الفكرة البعثية التي تبيح للحاكم البعثي إبادة تسعة أعشار سكان البلد حين يكون ذلك ضروريا للبقاء في الحكم، تماما كما فعل صدام حسين وكما يفعل بشار الأسد.
- وأنه يتصف بالغباء البعثي إذ يزعم أن له الفضل الأكبر على شعبه لأنه قام بثورة عظيمة لم يكن بإمكان الليبيين أن يقوموا بها لولاه حتى بعد خمسمائة سنة، وأوجد زعامة ليبية ارتعب أمامها زعماء الشرق والغرب معا.. أليس هو القذافي، الذي أسقطت بإشارة خفية منه طائرة فوق لوكربي ومات جميع ركابها الـ 350 شخصا؟

لو لم يكن رجلا مصابا بداء العظمة، لو لم يكن شديد الغباء سياسيا، لعرف بمنتهى السهولة أن هؤلاء الشبان، الذين سماهم (جرذانا)، المدعومين من السلاح الجوي لحلف الأطلسي، ينتصرون عليه حتما، كان الأفضل له أن يسلم البلد إلى صاحبه الشرعي - الشعب الليبي - ويرحل مع ما سرقه من الشعب، بدلا من أن ينتهي إلى هذا المصير المأساوي.

منذ أن هبت عاصفة الثورة من تونس لازمت أنا في منزلي بالسليمانية شاشة التلفزيون ولم استطع الابتعاد عنها ولا ليوم واحد. وصفقت لانتصارات الثوار في جميع ميادين الثورة، وصفقت طويلا يوم حرر الثوار باب العزيزية في طرابلس، لكنني لم اصفق عندما قتل القذافي. تمنيت لو

منشورات «ألف ياء» AlfYaa

اعتقل ليقدم إلى محاكمة عادلة كما قدم دكتاتور العراق وكما جرى لدكتاتور مصر، وكما سيجري لآخرين بلا ريب. والعاصفة عمت، كما كان منتظرا، أقطارا أخرى بدرجات متفاوتة، وتحولت في اليمن وسوريا والبحرين إلى موجة عارمة من المظاهرات والمناوشات السياسية. ويبدو أن جهود الدول الخليجية، المرتعبة من الديمقراطية القادمة مع العاصفة، قد أفلحت في إيجاد حل وسطي في اليمن، حيث لم يكن بمقدور الشبيبة أن تحسم الوضع طبقا لما ترغب فيه، فلا مناص من القبول بالحل الوسط، كما جرى أيضا في تونس ومصر. لكن الوضع في سوريا مغاير، حيث يقف في احد طرفي الصراع الدموي حاكم من طينة خاصة تميزه عن سائر الحكام. في البلدان العربية.. انه حاكم بعثي وكفى! وإذا أراد علماء اللغة العربية أن يكونوا منصفين في مواكبة تطورات اللغة فان عليهم أن يكتبوا في الطبعة الجديدة لقاموس اللغة – المنجد: (البعثي: كلمة جديدة، أو مصطلح جديد، معناها قمة التوحش والهمجية والقسوة.. فهو طراز جديد من البشر المتوحشين ظهروا على سطح كوكبنا خلال القرن العشرين وعرفوا بأسماء مختلفة طبقا لاختلاف الأماكن. ففي ألمانيا سموهم بالنازيين وفي إيطاليا بالفاشيين وفي سوريا والعراق بالبعثيين، ويقول المتخصصون في علم النفس أن ظهور هذا النمط غير الطبيعي من البشر امر طارئ ولا مستقبل له في عالمنا المعاصر وسينقرض كما انقرض الديناصور).

العاصفة الثورية جارية ولا أعتقد أنها ستتوقف، وستكتسح الأنظمة الرجعية العربية، التي أكل عليها الدهر وشرب، ولن يبقى مكان لأنظمة مثل نظام بن علي ومبارك وبشار الأسد ولا للأنظمة المملوكة لعوائل الأمراء والملوك الذين لا يزالون يتصرفون كما كان يجري قبل قرون. الرؤساء الدكتاتوريون المتشبثون بالحكم - أمثال القذافي وصدام والأسد - ينتهون إلى مصير لا يحسدون عليه، وأمثال بن علي ومبارك ينتهون إلى مصير ذينك الرجلين والملوك الذين يصرون على البقاء حكاما كما هم الآن سيجدون انفسهم في مزبلة التأريخ، والعقلاء منهم، الذين يبادرون بأنفسهم إلى جعل أنظمتهم ملكية دستورية شبيهة بما في هولندا والسويد قد تكون لهم فرصة البقاء على عروشهم كرموز. أما الذين يريدون البقاء كما هم عليه الآن، فمن المؤكد أن العاصفة ستعصف بهم وسينتهون إلى مصير لا يحسدون عليه. والمسألة هي مسألة وقت وحسب.

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

الهدف من هذه الثورات هو التحرر من الأنظمة الرجعية المتخلفة المليئة بالفساد، التي ظهرت في هذه البلدان، على انقاض النظام الكولونيالي إبّان القرن العشرين، وإقامة أنظمة ديموقراطية اكثر تمدنا وحضارة، شبيهة بأنظمة الحكم الأوروبية التي تضمن قدرا مناسبا من الحقوق والحريات لأبناء المجتمع. ومن المؤكد أن هذا الهدف سيتحقق في هذه البلدان وحواليها، مع التفاوت في الزمن وفي إحراز النجاحات بين هذه البلدان بسبب التفاوت في خصائصها التاريخية والاقتصادية وما إلى ذلك.

وبديهي أن الوصول إلى إقامة أنظمة ديمقراطية شبيهة بتلك القائمة في افضل البلدان الأوروبية لن يكون قمة النجاح ولا الهدف الأمثل للبشر، أو لغالبيتهم الساحقة. فالبلدان الأوروبية وأشباهها في آسيا وأمريكا لاتزال مليئة بالمشاكل المتنوعة وبحاجة إلى كثرة من الإصلاحات السياسية والاقتصادية - الاجتماعية، وشوارع مدنها وساحاتها تشهد بين الحين والحين تظاهرات الاحتجاج الجماهيرية، خصوصا الشبابية، المطالبة بالإصلاحات. غير أن الفرق لايزال شاسعا بين ما حصلت عليه الشعوب الأوروبية وما تصبو إليه شعوب هذه البلدان. فالوصول هنا إلى مستوى أوروبا هو الأهم في المرحلة الراهنة، هو غاية ووسيلة، غاية لهذه المرحلة ووسيلة للعبور اللاحق إلى مراحل أخرى.

إن الاستقرار المنشود، الذي تتطلع إليه الشعوب، صعب المنال أو من المستحيلات مادامت مفاتيح التحكم بالنظام الاقتصادي – الاجتماعي تظل في أيدي الأثرياء المستغلين ومادام استغلال الإنسان للإنسان باقيا على سطح كوكبنا. سيستمر هذا الصراع بين المستغِلين والمستغَلين حتى يزول الاستغلال. والأرجح أن ذلك سيتحقق عبر صناديق الاقتراع، وسيختفي العنف والتفجيرات الانتحارية ولعلعة الرصاص وتُخيّم أجنحة السلم الأبدي - إذا لم يخرب الإنسان نفسه كل شيء قبل أن يحل ذلك اليوم المنشود.

الإسلام السياسي استفاد من قيام الثورات العربية وامكن له أن يسرق الثورة ويصعد في بعض البلدان إلى الحكم، لكن ذلك لا يشكل خطرا جديا على هذه الثورات لأن الشعوب انتقلت إلى مستوى اعلى من الوعي والتجربة ولن يستطيع كائن من كان الوقوف طويلا في وجه طموحاتها وإرادتها. ولم يكن بمعزل عن ذلك أن تخلى التيار الرئيسي في الإسلام

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

السياسي - حركة الإخوان المسلمين - عن الكثير من مفاهيمها وتوجهاتها الكلاسيكية وتبنى مفاهيم جديدة ضيقت الفوارق بينه وبين الحركات السياسية العلمانية.

السليمانية / صيف 2012

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

ظاهرة سنودن - ويكيليكس
هل هي ظاهرة اجتماعية عالمية جديدة؟

شوهدت ظاهرة العولمة، وهي ظاهرة اجتماعية عالمية، في القرن العشرين وتبلورت أكثر في سني القرن الجاري، الواحد والعشرين. ولم يعد من المستغرب بعد ذلك أن نرى ظواهر اجتماعية جديدة متفرعة من تلك الظاهرة الرئيسية، والسؤال الذي أريد طرحه هنا: أليست ظاهرة سنودن - ويكيليكس، التي شوهدت في 1011 - 2013، إحدى هذه الظواهر الفرعية؟

فكروا مليا فيما حدث: نشر وكشف ملايين الوثائق السرية الخاصة بأقوى دولة في العالم، الدولة التي افترض أن تكون الأكثر حصانة والأقدر على صيانة أسرارها!! والنشر أو الفضح لم يكن عن طريق حصول أحد عملاء المخابرات التابعة لإحدى الدول على وثيقة سرية يسلمها عميل المخابرات لدولة أخرى لقاء مبلغ من المال أو بسبب آخر..، بل حدث ما حدث باتفاق بسيط بين جندي أمريكي برتبة عريف يدعى برادلي مانينغ وبين أسترالي مؤسس لموقع للنشر الإلكتروني يدعى جون آسانج. ولاحظوا: أن ما كانت الدول الكبرى بأسرها تعجز عن النشر والتوزيع لتلك الوثائق خلال أشهر متعاقبة، قبل عشرات من السنين قد قام به أسانج خلال فترة قصيرة في العام 2011، والسبب وراء ذلك يعود إلى أننا قد أصبحنا في ظروف مرحلة متقدمة من العولمة، أي من تطور العلم والتكنيك والإنترنت ووصول الصحافة الإلكترونية إلى جميع بقاع العالم. أكرر: إن الناشر هنا لم يكن سياسيا كبيرا مطلعا على كل أسرار الدولة الأمريكية ولا صحفيا معروفا في العالم، بل جندي أمريكي بسيط وناشر استرالي لم يسمع أحد باسمه قبل أن ينشر هذه الوثائق! فالعولمة قادرة على اختراق حدود الدول كلها في لحظات دون حيازة جوازات المرور وفيزا الدخول عبر مكتب الجوازات الحدودي.

أفلا يحق لنا أن ننظر إلى ما حدث، أو ما سميته ظاهرة سنودن - ويكيليكس، بأنها إيذان بحلول (أو بداية حلول) مرحلة جديدة من تطور العلاقات بين الدول والشعوب، خاصة في البلدان المتطورة؟ ألم يأت الكشف عن كل هذه الوثائق لأقوى دولة في العالم كتعبير عن رفض الشعب

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الأمريكي نفسه، على لسان المواطن البسيط سنودن، بأن ظروف العولمة الراهنة لا تقبل بقاء العلاقات على أشكالها القديمة بين الشعوب والدول ولا تقبل اعتماد أساليب التجسس والتحكم البوليسي في إدارة هذه العلاقات من منطلق أن من حق القوي أن يبتلع الضعيف. فالشعوب المتقدمة تريد الشفافية في العلاقات بين الدول على الصعيد العالمي أيضا، كما تطلب الشفافية في السياسة المحلية على صعيد الدولة الواحدة. والتقدم العلمي ـ التكنيكي الراهن لم يجلب للدول المتطورة الكبيرة فقط الإيجابيات في تنفيذ خططها ومشاريعها التسلطية، بل جلبت كذلك السلبيات من قبيل ما قام به سنودن ـ آسانج ـ مانينغ خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة، وهذه السلبيات بالنسبة لبعض الأنظمة لا تدخل في باب السلبيات بالنسبة إلى الشعوب أو البشرية بوجه عام، بل هي إيجابيات كبيرة تصب في صالح البشرية.

إنني أتوقع تكرار ما حدث على نطاق أوسع، لكن ذلك قد يتطلب وقتا، فأول الغيث قطر ثم ينهمر المطر، ويُرغم الأنظمة على العدول عن سياسات وتصرفات أكل الدهر عليها وشرب. وإذا كانت الإدارة الأمريكية عاجزة اليوم عن القيام بعمل لاسترداد سنودن الذي تمكن من الوصول إلى روسيا لاجئا أو القبض على آسانج الذي التجأ إلى سفارة الأكوادور في لندن، فإن التحديات في وجه الدول القوية ستزداد، ستبقى أمريكا دولة قوية سياسيا واقتصاديا، وستقوى دول أخرى إلى مستويات عالية، إلا أن هذه الدول ستواجه تحديات أكثر فأكثر وستفقد القدرة على تأديب المُتَحَدين من دول وجماعات وأشخاص كما كانت تؤدب أمثال هؤلاء في الماضي. إن العلاقات الدولية تتطور في منحى مغاير لما يرغب فيه بعض الحكام الحاليين. تلكم هي العولمة.

أكتفي بهذا الشيء القليل وأعتذر للقراء، لأن تردي صحتي لا يتيح لي أن أكتب.

بهاء الدين نوري
سليمانية ـ أوائل 2014

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

أمَرُّ الذكريات

أنا أصبت بأمراض وأجريت لي عمليات جراحية مختلفة أخطرها عملية في الفقرات عام 1962، لكن صحتي كانت جيدة بوجه عام وبنيتي الجسدية كانت مرصوصة وقوية بفضل منشأي القروي وكثافة حركتي ليس فقط في سني طفولتي، بل في خضم سني حياتي. إلا أن ذلك لم يحمني من مداهمة عدو خبيث ليرافقني سني حياتي كلها، لا أعرف متى وأين ظفر هذا العدو اللعين بي. غير أن ذلك كان على الأغلب في لحظة من لحظات حياتي السابقة لهجرنا القرية في كانون الثاني 1941، تسلل هذا العدو الخطير إلى رئتي ليتخذ منها مسكناً ومطعماً لنفسه دون أن أعرف به قبل الثمانين من عمري. وفي شبابي كنت أملك مناعة قوية وصحة جيدة تضمن لي الغلبة على المرض. غير أن الشيخوخة، وما أدراك ما الشيخوخة! هيأت الجو الملائم لنقل الصراع بيني وبين العدو إلى مرحلة جديدة، وكان ذلك في نيسان (2007)، حيث أخذ الأطباء قطعة كبيرة من رئتي، التي بترت بالسكين، إلى مختبر التحليل ليتضح لاحقاً بأن العدو هذا، الذي تعايش معي عشرات السنين، كان مكروب سل الطيور الذي قد يصيب الإنسان أيضا. وطوال سبعين عاماً، منذ أن اكتشف الدكتور كوخ مسببات هذا المرض، عولج وشفي في كل سنة ملايين المسلولين في عالمنا هذا. لكن المرض استعصى علي وأبى أن يتركني. فسلبني الراحة في شيخوختي وحول السنوات السبع الأخيرة من حياتي إلى حياة ملؤها العذاب والمعاناة المريرة. أنا أعرف أن الملايين من الناس عانوا أضعاف ما عانيت أنا من المرض وأن الملايين ماتوا في شبابهم ضحايا للحروب أو للإرهاب وللفقر وانعدام إمكانية العلاج أو الغرق أو دعم السيارات...الخ، وأعرف أني وصلت إلى العمر الذي يكون فيه الموت طبيعياً.. لكن الآخرين، وبضمنهم الأطباء والشباب، لا يعرفون مرارة العيش لدى شخص تجتمع عنده الشيخوخة والمرض سوية.

اعتقد أن تكوين جسدي كأن مهياً للعيش سنوات أخرى عديدة فيما لو لم أُصب بهذا المرض، ولو لم يخطئ الأطباء في العلاج، وقد أخبرت الأطباء

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

الذين راجعتهم، مراراً بأن وزني أنخفض كثيراً، وهو مستمر في الانخفاض، فلم يبادر أحدهم إلى أجراء الفحوصات اللازمة للتوثق من التدرن، بل كانوا يسألون:

- هل عندك سخونة في الليل؟ وهل تتعرق في الليل؟ وهل عندك السعال والبلغم؟

وعندما أجيب بالنفي فأن أحدا منهم لا يفكر في احتمال الإصابة بالتدرن لأن ما قرأوه في الكتب الطبية تذكر أن أعراض هذا المرض هي السخونة والعرق في الليل والسعال والبلغم وهبوط الوزن. وعندما كنت أنفي هذه الحالات باستثناء هبوط الوزن كان الطبيب يستبعد بدوره احتمال الإصابة بالتدرن ويبحث عن أمراض أخرى. وعندما شوهد عن طريق التصوير الإشعاعي ورم على الجهة اليمنى من رئتي في خريف 2006. فكر الأطباء أول ما فكروا في احتمال الورم السرطاني وفي إجراء عملية جراحية، ونصحوني بالسفر إلى طهران. وأخذت لي صورة بالإشعاع التنويري وأبلغني الدكتور طاهر عارف إن الورم (كيس ماء) حسب تصوره وقد ذهبت إلى طهران بصحبة ابن أخي سامان علاء، الذي يجيد اللغة الفارسية، ودخلت مستشفى (دي) الأهلي في شارع (ولي عصر) لمدة خمسة عشر يوماً. كنت في ضيافة «أوك» واعتنى بشأني ممثله ماموستا ناظم مشكورا. بعد كل الفحوصات اتضح أن الورم ليس خبيثاً بل هو ما سموه (كيس ماء) ورداً على سؤالي إذا ما كان من الضروري إجراء عملية قال طبيبي المعالج د. ساسان: "الأفضل إجراء العملية" وجاءني الطبيب الجراح بعدها بدقائق ليخبرني إنه مستعد لإجراء العملية، لكنني اعتذرت له وأشرت إلى أنني لست مستعجلاً.

عدت إلى السليمانية وبناءاً على نصائح بعض الأصدقاء توجهت بصحبة أبن أخي گوران كمال، الذي يجيد اللغة العربية، إلى عاصمة الأردن وانتقينا هناك المستشفى التخصصي في عمان، لأستقر فيه بغية المعالجة وأكتفى الطبيبان بالاطلاع على أوراق مستشفى طهران وفحص روتيني بسيط كي يطرحوني على منضدة الجراحة ويفتحوا صدري مخدراً.

بعد العملية وبعد الفحص المختبري للقطعة المبتورة من رئتي اتضح لأول مرة أنني مصاب بالتدرن الرئوي - العدو الصغير المخفي الذي كان

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

متخذاً من رئتي مسكناً ومطعماً لنفسه.

هنا اتضح لي لأول مرة بأي مرض أصبت. وتراءى لي أن بمستطاعي أن أتعالج كما يتعالج الآخرون من مرض التدرن. لكن الأيام، بل الأعوام اللاحقة عقب نيسان 2007، أكدت إن مرضي مزمن وإن هذا الميكروب يعيش منذ طفولتي في ثلاثينيات القرن الماضي، كما أكدت ملابسات العلاج وتعقيداته، فضلاً عن انعدام تجربة بل جهلي ولا أبالية الأطباء.....الخ.

كل ذلك زاد من تعقيدات المرض ومصاعب العلاج وجعلني أدور في حلقة مفرغة طيلة السبع سنوات المنصرمة. لا يعرف الناس، مهما كانوا مثقفين وأذكياء، أي عدو شرس يواجه المرء صحياً حين يتكون هذا العدو من اندماج هذا المرض اللعين مع أمراض ومتاعب الشيخوخة وحين يهدد المرض أغلى ما يملكه الإنسان ـ الحياة!!

نعم أنا لا زلت إنساناً حياً أعيش ضمن عائلتي في بيتي وأستلم منذ أواخر 2007 راتباً تقاعدياً جيداً ولا تنقصني الخدمات الضرورية والمطلوبة لمسن مثلي. ومع ذلك لم يعد من النادر أن أتمنى سكتة قلبية تنهي هذه الحياة التي سئمتها خصوصاً في السنة الأخيرة. يقول لي البعض من الأصدقاء:

ـ لا يليق بمناضل قديم مثلك أن يضعف معنوياً ويستسلم لليأس.

وأجيب هؤلاء اللائمين:

ـ أنا أحب الحياة والبقاء أطول ما يمكن، لكنني لا أتشبث بالحياة في أي وضع كان ولا أجهل إن الموت محتم شاء الإنسان أو أبى. ولم تندر تلك اللحظات التي تمنيت فيها الموت تحت وطأة العذاب والآلام. غير إن ما لا يقبل الجدال هو أن الحياة أغلى ما يملكه الإنسان.

عندما يقرأ الآخرون ما كتبته هنا بشيء من الإسهاب حول مرضي قد يتساءلون: هل من علاقة بين كتابة مذكرات رجل قضى عمره في النشاط الحزبي السياسي وبين كل هذا الحديث حول المرض والعلاج الخاص بشخصه؟

أقول لهؤلاء أنني أكتب ذكرياتي وليس مقالاً سياسياً والحياة ليست مجرد النشاط السياسي، بل هي لوحة متنوعة. والصفحة الأكثر مرارة في حياتي

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

إنما هي ذكريات السنوات السبع الأخيرة من حياة كلها مرارة بسبب مداهمة الشيخوخة والمرض معاً واستعصاء هذا المرض على العلاج، فالملايين من البشر فوق هذا الكوكب أصيبوا بمرض التدرن وعولجوا، ولكن المرض عندي بقي كحالة شاذة وغريبة والميكروبات في رئتي أتقنت العمل السري واختبأت ولم يتمكن الأطباء من كشفها طوال ما يقرب ثمانين عاماً إلا في الحالتين المشار إليهما.

تراءى لي أول الأمر بان العلاج ممكن في أي بلد أوروبي، واستنجدت بجلال الطالباني الذي كان يعرفني ويعرف ماضي النضالي جيداً راجياً إرسالي إلى أوربا على نفقة الحكومة الإقليمية لغرض العلاج، فلم يستجب لطلبي، واستجاب مسعود البارزاني وأرسلني إلى النمسا وخضعت للعلاج هناك. وبعد الفحوصات زعم البروفيسورية النمساويون بأني شفيت من مرض التدرن. لكن الوقائع أكدت فيما بعد أن مرضي لم يشف وأن هؤلاء الأطباء كانوا مخطئين. ولم يستجب البارزاني لطلبي بالإرسال ثانية، ولم أملك شخصياً المبلغ الكافي لأذهب على نفقتي. فطلبت من حكومة نيچرفان – عماد في 2012 إرسالي على نفقتها للعلاج في أوربا. لم أرَ أي جواب من نيچرفان كعادته، لكن عماد تعاطف مع طلبي تعاطفاً خجولاً وارسل لي (15) ألف دولار، وهي أقل من نصف المبلغ الذي أنفقته في السفرة. وقد ذهبت إلى المشفى الذي توجه إليه جلال الطالباني في برلين. بعد الفحوصات ابلغني البروفيسور المعالج ما يلي:

- لم نجد أثراً يشير إلى بقاء مرض التدرن عندك. إلا أن نتيجة الزرعة أثر الفحص الناظوري لرئتيك لم تخرج ويتأتى الانتظار أسبوعين أخرين.
- إذن يمكن أن أعود إلى بلدي وأنتظر هناك جوابكم.
- هذا هو الأفضل.

عدت إلى السليمانية. بعد أسابيع من العودة، وفيما كان وزني يستمر في الهبوط، وصحتي تتدهور أكثر فأكثر فوجئت بالتقرير الطبي المرسل من المستشفى عن طريق آزاد إلي: إن مكروب التدرن - السل - لا يزال يعيث في رئتي الفساد وأن علي أن أتناول كورساً جديداً من الحبوب التقليدية، تضاف إليها يومياً حبتان من كلاري ثرومايسين 500 إحداهما صباحاً

«منشورات «ألف ياء AlfYaa»

والأخرى مساءاً. في الأسابيع الأولى من تناول العلاج تفاءلت خيراً، ولكن وضعي قد تدهور بعد شهر ونصف ونقلوني إلى المستشفى بعد أربعة أشهر وبعد تدهور كبير في صحتي، وقد زارني الدكتور آراس وقرر قطع العلاج، بعد أن تناولت الحبوب مدة 122 يوماً، وأردت التوثق مما إذا كان قد قضي على الميكروب. وقد تنامت الالتهابات لدرجة خطيرة ونصحني طبيبي بقطع جميع أنواع الأدوية لأسبوعين أو أكثر وخلا ل شهر هدأت الاضطرابات والالتهابات، لكن وضعي استمر بالتدهور ووزني في الهبوط.

والآن، في كانون الثاني من 2014، أجرى لي د. آرام بارام فحصا ناظوريا جديدا في المستشفى التعليمي بالسليمانية. وفي مجرى الفحص ادخل إلى الرئة محلولا ليسحبه فيما بعد ويرسله للزرعة كما فعلوا في المانيا. وتوقع د.آراس، بعد أن أخبرته بالأمر، أن تكون النتيجة (نظيفة) كما كانت في فحوصات ناظورية سابقة في السليمانية وطهران وفينا. وجاءت النتيجة نفسها (نظيفة) في شباط. وانا بانتظار ما ستأتي به الأيام القادمة، وتؤكد تجربتي الشخصية، بعد أن أجريت لي في غضون 14 شهرا ثلاثة فحوصات ناظورية، اثنتان منها في السليمانية، وعلى أيدي الدكتور كوسار، ثم الدكتور ئارام، والثالثة في ألمانيا، بأن هذه الفحوصات ألحقت أضرارا جسيمة ببقايا القصبات في رئتي، التي أتنفس بها، وتدهور وضعي وقدرتي على التنفس تدهورا كبيرا جدا .

أحس بأن نهايتي قد اقتربت ولم أعد بنفسي راغباً في استمرار الحياة على هذا النمط وأتمنى أن تحل بي سكتة قلبية لأرحل دون مزيد من عذابات المرض. لقد شاهدت في حياتي الكثير من الصعوبات والمرارات وغدوت قاب قوسين أو ادنى مراراً من الموت قتلاً أو إعداماً...الخ. لكن أمرّ الذكريات عندي كانت سنوات المرض هذه. وقد مرت الأيام أو السنوات الأولى بعد العملية الجراحية بشكل مغاير إذ كنت آمل أن يعالج مرضي، وأن أعيش بضعة أعوام أخرى بهدوء. لكنني قطعت هذا الأمل منذ حوالي ثلاثة أعوام. وكل ما تمنيت هو أن يتسنى لي كتابة الجزء الثاني من مذكراتي قبل أن أرحل. ويبدو أن هذه الأمنية قد تحققت ولكن بصورة غير متكاملة لان المرض لم يمهلني.

إن آلام ومتاعب المرض قد زادت من تعاطفي وإشفاقي على كافة

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

ضحايا الأمراض في عالمنا هذا، أيا كانت قومياتهم وآلامهم - وما أكثر الضحايا، خصوصاً في البلدان المتخلفة! ولا يلام المريض على مرضه إلا في الحالات الاستثنائية. والمهمات الملقاة على عاتق الدوائر والمؤسسات الصحية هي الوقاية الاجتماعية - الصحية ومعالجة من يمرضون من الناس والرعاية الصحية في هذا العصر أصبحت من القضايا الأساسية في توفير الخدمات الاجتماعية، خصوصاً في المئة سنة الأخيرة من تاريخ البشرية، حيث أدت الثورة العلمية - التكنيكية إلى تغيير كبير في الشؤون المتعلقة بحياة الناس فوق كوكبنا، لم تأت هذه الثورة فقط بما فيه الخير والرحمة للبشر، بل كذلك بما فيه من الشرور والنكبات، ولا أتحدث هنا عن جميع هذه النكبات من أوجه مختلفة، بل أتحدث هنا عن ظهور الأمراض الجديدة، العضوية اللاجرثومية، التي لم يكن لها وجود يذكر في جميع، أو الأغلبية الساحقة، من بلدان العالم، فقبل القرن العشرين، أي قبل اتساع الثورة العلمية التكنيكية الحديثة التي نضجت وبلورت العولمة بشكلها الحالي. وما دمنا نعيش في ظروف العولمة المتقدمة فإن من المنطق تماماً أن تكون هنالك منظمة عالمية مكرسة لشؤون الصحة العامة في هذا العالم كله. وسرعان ما تذكرت وجود اليونيسيف (منظمة الصحة العالمية) التابعة لـ UN وتذكرت إن هذه المنظمة هي التي توزع حبوب معالجة التدرن على جميع أو معظم بلدان العالم، وقد تناولت بنفسي هذه الحبوب مرتين، مرة لمدة ثمانية أشهر، بزيادة شهرين عن المدة الأصولية في 2007 - 2008 ومرة أخرى في 2009 - 2010 ولمدة سنة كاملة. وأكد لي طبيبي الدكتور آراس أنه مطمئن 100% على أنني تخلصت من المرض ولم يبق شيء من ميكروبات التدرن. وصدقت ذلك تماماً أول الأمر. غير أن شكوكاً قد ساورتني بعد مرور أشهر وثبت في أيار 2013 في المستشفى الألماني إن هذه الشكوك كانت في مكانها وأن الميكروبات لا تزال تواصل نشاطها التخريبي في رئتي، وتأتى على أن أتناول الكورس الثالث من العلاج. وهو نفس العلاج التقليدي، أضاف البروفيسور الألماني حبتين من كلاري ثرومايسين أحدهما صباحاً والأخرى مساءاً.

فكرت في الدور الذي تلعبه اليونيسيف وتراءى لي إنه مجرد دور مؤسسة أخذت على عاتقها توفير وتوزيع هذه الحبوب. وهذا شيء مؤسف

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وجدير بتوجيه النقد اللاذع. لماذا لم يعثروا خلال السبعين السنة المنصرمة على علاج للمرض؟ لماذا لم يطوروا شكل ومحتوى العلاج أسوة بما جرى بالنسبة لأمراض أخرى؟ هل بذلت المساعي الكافية لتشخيص المرض في وقت مبكر ومعالجته خلال مدة أقصر وبعلاج أنجح، مثلاً بتسليط شعاع على الرئة لقتل الجراثيم أو بضخ دواء ما أو بزرق أبر في الرئة مباشرة أو غير ذلك؟ أليس من الضرورة إجراء الفحص لكل إنسان في عمر معين لمعرفة ما إذا كان مصابا بالتدرن؟ إن الطب اليوم إزاء فشل ذريع لمعالجة التدرن الرئوي. وأتفهم مسؤولية معظم الدول والحكومات في قلة التخصيصات المالية السنوية الخاصة بشؤون الصحة العامة كما إن تخصيصات UN نفسها قد تكون قليلة...الخ.

لقد وقعت الرسالة باسم المريض بهاء الدين نوري الموجود في مدينة السليمانية في العراق وذيلتها بتلفون وإيميل الدكتور آراس عزيز كعنوان لإرسال الجواب إلي. لكنني لم أستلم أي جواب من اليونيسيف، لا من أربيل ولا من بغداد المرسلة إليهما.

وبقدر ما يتعلق بزيادة الأمراض اللاجرثومية ، كأمراض القلب والضغط والسكر والسرطان ...الخ، فإنما هي النتيجة السلبية لتطور التكنولوجيا التي قللت من حركة الإنسان العضلية وغيرت من البيئة التي تعود على العيش فيها عبر القرون المتعاقبة. فالإنسان الذي كان يتأتى عليه أن يقطع مسافة مئات أو آلاف الكيلومترات مشياً على الأقدام أو ركوباً على الدابة لكي يصل من بغداد إلى إستنبول، في حين لا يحتاج اليوم لأكثر من لحظات لكي يتحدث إلى شخص في إستنبول أو في أي بلد في أقصى الدنيا أو لكي يذهب خلال ساعات بنفسه إلى أي مدينة في مشرق الأرض أو مغربها.. ذلكم بفضل تكنولوجيا المواصلات.

والتكنولوجيا، التي جلبت مالا يحصى من الخبرات والمنافع للبشر جلبت معها تلويث البيئة أيضا فالشعوب بكاملها فوق كوكبنا تدفع ضريبة باهظة عن تلويث البيئة الناجم عن احتراق النفط ومشتقاته داخل المكائن والمعامل والمطابخ، مما غير المناخ في كوكبنا وما يهدد بذوبان الثلوج في المناطق القطبية وكوارث عظمى للبشرية، وأسوأ ما في تلويث البيئة هو تلويث الهواء، الذي كان صافياً نقياً وفقد نقاءه في المدن الكبرى خاصة خلال

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

القرن العشرين.

ودخول التكنولوجيا إلى الصناعة شمل الصناعات الغذائية أيضا لغرض جعل المنتجات الغذائية أكثر رواجاً وربحاً في السوق. يضاف إلى ذلك الإكثار من تناول اللحوم والدهون مع ارتفاع المستوى المعاشي. فأصبح الناس يأكلون أكثر مما تستوعب معدتهم وتقدر أجسامهم على هضمها، الأمر الذي يسبب الإرهاق الجدي للجسم وبالتالي يسفر عن اختلال التوازن في نشاط الأجهزة والمعامل البيولوجية في الجسم ومن شأن هذا الاختلال أن يؤدي إلى المرض في القلب والكلية أو ضغط الدم أو السكر أو إنتاج خلايا مشوهة (سرطانية)...الخ.

ورابعة الظواهر الجديرة بالذكر هو القلق الدائم المقرون بالسياسة الشريرة للدول الرأسمالية، خصوصاً منذ مطلع القرن العشرين الذي كان قرن الصراعات الدموية الأشد والأوسع على امتداد التأريخ البشري فأثيرت فيه أكثر الحروب بين الدول، بضمنها حربان عالميتان، ذهبت ضحيتهما قرابة مئة مليون إنسان. إن هذه الحروب وما أعقبها من العنف الوحشي المستمر وفي ظروف أسلحة الدمار التي أوجدتها الصناعة الرأسمالية الحديثة فضلاً عن اتساع الفوارق الطبقية والقومية...الخ، التي أوجدت القلق الدائم، الأمر الذي أضعف ويضعف المناعة الذاتية لدى الناس تجاه الأمراض.

الناس يستمتعون بمنجزات التطور الحضاري المعاصر من حيث المآكل والملبس والمسكن وحيازة السيارات والتلفزيونات وشتى وسائل الراحة والتسلية لكنهم يدفعون في نفس الوقت ضريبة الجانب السلبي لهذا التطور، فالاتساع الرهيب في ممارسة العنف على الصعيد العالمي ليس بمعزل عن التطور في صناعة الأسلحة والمتفجرات، وسرعة انتشار الأوبئة ليس بمعزل عن تطور المواصلات، فوسائل المواصلات العصرية لم توفر لنا فقط إمكانية التكلم الفوري من البيت أو أينما كنا، مع رجل أخر في أي مكان على سطح كوكبنا، بل كذلك إمكان انتقال الميكروبات والفيروسات خلال ساعات من مدينة إلى أخرى أو من بلد شرقي إلى آخر غربي عن طريق مئات الألوف من المسافرين جواً بين المدن وبين الدول المختلفة والتكنولوجيا المتقدمة هي التي سهلت وصول الشباب من جميع القارات إلى

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

أفغانستان والعراق وسوريا وغيرها للانضمام إلى التشكيلات الإرهابية.

إن الطب قد تطور علماً وتكنيكاً وازدادت ميزانيات الدول لشؤون الصحة ولكن الفارق لا يزال كبيراً فالخدمات الصحية بين البلدان المتقدمة وبين المتخلفة، وفي الدول المتطورة نفسها يتباين مستوى الخدمات الصحية العامة بين تلك الدول، من تأمين صحي كامل (اسكندينافيا) إلى تأمين صحي مشروط بثمن ضريبي، فإلي انعدام شيء من التأمين الصحي لدافعي الضرائب ـ كما كان الحال في أثرى وأكبر دولة برجوازية في العالم، أي الولايات المتحدة الأمريكية التي انعدم فيها أي تأمين صحي حتى 2013، حيث شرع أوباما أول قانون بهذا الصدد.

قضيت سبعة أعوام على فراش المرض وتأتى علي خلالها أن أراجع أطباء كثيرين ومستشفيات عديدة في السليمانية وطهران والأردن والنمسا وألمانيا...الخ، وأكتب هنا بعض ما لفت انتباهي، وقد أكتب بعض الكلمات التي لا تروق لآخرين، ولكن ذلك لن يهدم الكعبة، وأسامح بدوري من يكتب ما لا يروق لي حتى إذا سموني رجلاً مجنوناً. هدفي هو أن أقدم خدمة، ولو ضئيلة جداً لمرضى التدرن، وسائر المرضى في بلدي وكل العالم ولو كانت لي ثروة لأوصيت باستثمارها لإقامة مؤسسة خيرية مكرسة لهذا الغرض.

أبدأ من الحكومة وأناشد البرلمانيين ورجال الإعلام لكي يكثفوا الضغط على الحكومتين المركزية والإقليمية بغية زيادة تخصيصات الشأن الصحي في ميزانية الدولة، لكي تقترب حصة الصحة مما ينهبه المسؤولون على مختلف المستويات من الأموال العامة سنوياً، ولكي يساهم في رسم برامج الصرف الصحي جميع أساتذة كليات الطب وكوادر الشأن الصحي ولكي تضمن رقابة جديدة صارمة على الصرف والخدمات الصحية عامة.

وأعود إلى دور الـ UN وآمل منها تعزيز دورها الصحي بالعمل على زيادة التخصيصات للشؤون الصحية في العالم وإيجاد نوع من الإشراف على قضية التخصيصات الصحية في ميزانية كل دولة من الدول الأعضاء. لقد آن الأوان لتتدخل الـ UN بأسلوب مباشر ومعقول في مراقبة وتوزيع ميزانيات الدول وإبداء الرأي في ما تعتبره خطأ، وإسداء النصح لكل دولة، وتعطي الأولوية في الصرف لبعض أوجه الصرف على حساب الخدمات

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

الاجتماعية الضرورية وأعرف إن UN لا تستطيع عمل الكثير في هذه الأمور اليوم لكن البدء بهذا العمل منذ الآن أمر هام وضروري وأول الغيث قطر ثم ينهمر.

وفي مقدور UN صياغة وتعميم برامج التغذية والرياضة، وهما مسألتان أساسيتان في الحفاظ على الصحة ومستلزمات وقاية الصحة العامة والشخصية على الصعيد العالمي وتضمين الدساتير، في كافة الدول، ما يعبر عن الاهتمام بهذه القضايا والإنفاق عليها والعناية بتجديدها ووضعها في خدمة الصحة والعناية الصحية ونشر روح التآخي والتعاون الإنساني بين الشعوب.

كلمة عن القطاع الطبي الخاص وضعف ورقابة الدولة

وجود القطاع الطبي الخاص في البلد أمر طبيعي وضروري كشيء مكمل ومنافس للقطاع العام. لكن الطبابة مسألة إنسانية قبل أن تكون مسألة ربحية ويستطيع القطاع الخاص أن يلعب دوراً مفيداً عندما يحافظ على التوازن بين الجانبين الربحي والإنساني. وعندما يختل التوازن يتحول القطاع الخاص إلى وسيلة غير مجدية بل ضارة عملياً بقدر ما يتناسب مع حجم الخلل الذي ينجم عادة عن انعدام أو ضعف الرقابة الحكومية على مؤسسات القطاع الطبي الخاص من عيادات ومستشفيات وصيدليات...الخ، عن طريق إصدار التشريعات وضمان الرقابة الصارمة لمنع الطبيب من تسخير المصالح العامة في خدمة مصلحته الشخصية (عندما يشتغل نهاراً في مستشفى حكومي ومساءاً في عيادته الشخصية، أو يتلاعب بأسعار الأدوية وبالغش فيها عندما يبيعها في صيدليته الشخصية، بما في ذلك أدوية القطاع العام الحكومي التي تباع بثمن بخس من قبل الكثيرين من موظفي هذا القطاع سراً)، ويكاد دور نقابة الأطباء وفروعها غائباً في الرقابة والعناية بالوضع الصحي العام.

كلمة أخيرة للأطباء مع تكرار اعتذاري لأني أخوض موضوعاً خارج اختصاصي.

إنني أشك في صواب الأسلوب السائد من حيث التعامل مع بعض

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الأمراض العضوية العصبية على العلاج التي تفتك سنوياً بملايين البشر في شتى البلدان. أخشى أن يكون الأطباء قد شدوا الحصان إلى العربة من الخلف بدلاً من المكان الطبيعي. لنأخذ - على سبيل المثال- السرطان الذي يتكون من مجموعة من الخلايا المتورمة أو المشوهة المتراكمة في مكان ما من الجسم. أليس من المنطقي أن يبحثوا أولاً عن الأسباب التي تؤدي إلى نشوء هذه الخلايا؟ أو لا يمكن أن يكمن سبب التورم – التشوه - في وجود خلل أو اضطراب داخل بعض المعامل البيولوجية التي تنتج هذه الخلايا تماماً كما يحدث في معامل النسيج الميكانيكية؟ في سقوط الشعر نجد مثلاً واضحاً: في المراحل الأولى من حياته يكون نمو الشعر لدى الإنسان اعتيادياً وفي مرحلة لاحقة من عمره قد يحدث ما يسمى بالصلع في رأسه، وليس ذلك إلا ظهور خلل في نشاط المعامل البيولوجية الخاصة بإنتاج الخلايا الشعرية في تلك البقعة. لقد دب الخلل فيها وأصبحت تنتج خلايا غير متماسكة لفترة ثم تتوقف عن الإنتاج كلياً وحتى إذا ذهب الأصلع إلى الطبيب ليزرع له الشعر في بقعة الصلع فإن الشعر المزروع لا يعمر طويلاً ما لم تتعالج المشكلة في المعامل البيولوجية المنتجة للخلايا الشعرية، وهكذا القول عن معالجة مرض السكر وضغط الدم وما شاكل.

حبذا لو ركزت معاهد البحث العلمي - الطبي وشركات الأدوية عن نقطتين في البحث عن علاج للسرطان - أولهما تقوية المناعة الذاتية بالجسم لكي يستطيع التصدي بمزيد من القوة لأي مرض والثانية هو وضع برنامج مدروس ومتكامل للعلاج الطبيعي المتكامل وأقصد بالعلاج الطبيعي الالتزام ببرنامج جيد في التغذية + برنامج مدروس في الرياضة والحركة العضلية عموماً + توفير جو نقي للتنفس + الإكثار من شرب المياه النقية + أن يقتنع المريض بأنه يمكن ويجب أن يصبح طبيباً لنفسه، وإن لم يعوض عن الطبيب الآخر الذي يعالجه.

المريض منذ سبع سنوات
بهاءالدين نوري

«AlfYaa منشورات «ألف ياء

مع (البروفيسور الألماني)
في مستشفى ببرلين

استقبلنا آزاد في مطار برلين وحمل حقائبنا إلى سيارة تسوقها امرأة، اتضح فيما بعد إنها شيوعية إيطالية مقيمة منذ سنوات في برلين وتعتاش على شراء وبيع الجبن، دخلنا منزل حفيد خالي آزاد وهي دار من الدور الريفية التي تكون حزاما للعاصمة الألمانية، لكن هذا الحزام ملتصق مباشرة مع المدينة. قطعة الأرض المشيدة 800 متر مربع لكن البناء يتكون من خمس غرف صغيرة اثنتان منها في الطابق العلوي وبدت خريطة البناء متخلفة لا تنسجم مع تطورات التكنيك والفن المعماري المعاصر والسلطة الحاكمة متمسكة بهذا النمط الكلاسيكي الذي يمتد تاريخه إلى عصور قديمة فأجد في مثل هذا الموقف جموداً سخيفاً غير إن الحديقة الفسيحة، التي زرع فيها آزاد أنواع الخضراوات وأعطت البيت قيمة خاصة. وبسبب الصعوبات المترتبة على نقل طفليه إلى المدرسة ذهاباً وإياباً قرر آزاد استئجار شقة وسط المدينة حيث المدارس تكون قريبة من البيوت وعرض بيته للآجار وأول من جاء إليه لغرض الاستئجار كانت امرأتان متعايشتان سويا تلعب إحداهما دور الفحل في نشاطهما الجنسي.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الرسالة الأخيرة

يطيب لي أن أوجه لكم هذه الرسالة، أيها الناس الطيبون أينما كنتم من سطح كوكبنا، وأياً كانت انتماءاتكم القومية والدينية والفلسفية والسياسية ولون بشرتكم، وقد يكون ما أقدم عليه هنا عملاً غير مألوف، إذ من أنا حتى يحق لي توجيه رسالة إلى الناس في كل العالم؟ غير أن تطور العولمة، بخطى متسارعة قد نقل بعض ما كان غير مألوف بالأمس إلى عداد ما يصبح مألوفاً اليوم؟

إن قاطني كوكبنا يختلفون عن بعضهم في القومية واللغة والدين ولون البشرة، لكنهم بشر جميعاً ولم يكن هذا الاختلاف من صنعهم، بل نشأ وعلى هذه الشاكلة في مجرى التطور التاريخي العفوي الذي فرق بني الإنسان على شتى بقاع الأرض هرباً من الموت أو من الجوع وبحثاً عن ظروف أفضل للعيش.

وسواء كنا منحدرين من أدم وحواء أو من القردة فإننا نشكل بأسرنا ما يسمى اليوم "المجتمع البشري". ونرتبط مع بعضنا، وبفضل تقدم المواصلات الميكانيكية والإلكترونية، بروابط لم يحلم بها أجدادنا، ولكننا لم نكف حتى في عصر العولمة عما بيننا من الصراعات الدموية الرهيبة، الموروثة من أجدادنا على امتداد ملايين السنين، ولم تمنع الحضارة البشرية المتمثلة بأهرامات مصر ومعلقات بابل وسور الصين وبرج إيفل وغيرها استمرار هذه الصراعات. وفي القرون الأخيرة حصل نشوء وتطور النظام الرأسمالي مرحلة تأريخية جديدة مقرونة بتقدم كبير للعلم والتكنيك، لكن هذا النظام فشل هو الآخر في إنهاء الصراعات الموروثة، بل زاد من نطاقها ووحشيتها. في القرن العشرين وحده أثار النظام الرأسمالي حربين عالميتين، إلى جانب عشرات الحروب الموضعية، التي فاق عدد ضحاياها، بسبب التكنيك الحربي الحديث، مجموع ضحايا الحروب على امتداد التاريخ في عهود القتال بالرماح والسيوف، فالنظام الرأسمالي لم يوظف التقدم العلمي ـ التكنيكي فقط في خدمة المجتمع البشري، بل وظفه كذلك في سفك

منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

الدماء ونشر الدمار. ولحسن الحظ أمكن تلافي حرب كونية جديدة خلال السبعين سنة الأخيرة وتقلص حجم الحروب لكن خطر الحروب لم ينمح للآن والصراعات الدموية لم تختف في عالمنا المضطرب، على العكس من ذلك، فإن ما يجري اليوم على كوكبنا هو لون جديد من الحروب، هو انتشار للعنف والصراعات الدموية بشكل لم يسبق مثيله في تأريخ البشرية، وقد اصطلح على تسمية هذه الحرب الجديدة «الإرهاب» فيما يسميه القائمون بها «الجهاد».

ورغم أن الدافع الأساسي وراء العنف والإرهاب الدموي هو الطموح لدى الفئات الإسلامية المتخلفة إلى استلام السلطة فإن جل الضحايا هم الناس المسالمون الذين لا يشغلون أي مركز في الدولة ولا يحملون أي سلاح، بل هم من الأطفال والنساء والشيوخ وسائر المسالمين، الذين تستهدفهم التفجيرات الإرهابية أثناء عبادتهم في الكنائس والجوامع أو تواجدهم في مدارس الأطفال وفي الأسواق والشوارع والمطاعم والمقاهي وما إلى ذلك. وتجب الإشارة هنا إلى أن بعض الدول، التي تدعي الديمقراطية والحرص على حقوق الإنسان، تمارس الإرهاب المنظم بدرجات متفاوتة.

أيتها الأخوات والأخوة الكرام أينما كنتم!

يسعدني أن أتحدث إليكم عن تجاربي في النضال السياسي الذي كان لي شرف المشاركة فيه طوال عشرات السنين المنصرمة، دفاعاً عن حقوق الشعب، وبالأخص حقوق العمال وأهل الكدح.

في أجواء النهوض الثوري عالمياً ومحلياً، عقب انتصار السوفيت والحلفاء على الفاشية في الحرب الكونية الثانية، بدأت نشاطي الحزبي - السياسي وأنا في التاسعة عشر من عمري، بالانضمام إلى الحزب الشيوعي العراقي في ربيع ألف وتسعمائة وستة وأربعين. ولا زلت مقتنعاً بأنني توفقت في اختيار التنظيم السياسي الأفضل لممارسة النضال تحت رايته، لأنه كان حزباً سياسياً نظيفاً ومخلصاً للشعب والوطن ومدافعاً حقيقياً عن مصالح العمال والكادحين، صادقاً في وطنيته وأمميته حريصاً على تربية أعضاءه بروح جهادية عالية، صادقاً في الالتزام بالمبادئ والقيم الأخلاقية.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وكان الفضل في ذلك يعود لا إلى الأجواء التي مرت بها الحركة الشيوعية العمالية في تلك الحقبة وحسب، بل كذلك إلى الدور المتميز لمؤسس الحزب وقائده الشهيد الشيوعي الأكبر في العراق يوسف سلمان (فهد)، وأنا مدين لحشع في تربيتي بروح أممية راسخة لم ولن تزحزحها العواصف الفكرية، والسياسية العاتية من طغيان العواطف القومية، فالناس كلهم سواسية، أياً كانت قوميتهم ولغتهم ودينهم ولون بشرتهم، ومدين لحشع في أن أصبحت منحازاً على الدوام إلى المظلومين ضد الظالمين المستغلين أينما كانوا.

لم يتسنَ لي أن أدرس أكثر من الصف الثالث المتوسط مسائياً لكن رغباتي الشخصية في التعلم ساعدتني على أن أنمي مستواي الفكري - الثقافي - النظري. ومنحتني ممارستي النضالية الخبرة، ومهد لي اندفاعي الشخصي لكي أصبح مبكراً كادراً حزبياً نشطاً ومتفرغاً طوعياً. كنت أحلم بالعدالة الاجتماعية وبالتحرر من الاستعمار المسيطر على وطني العراق وبناء نظام اشتراكي مبني على أسس العدل والمساواة بين الناس، وكما هو الحال في ظل النظام السوفيتي.

وقد تفاعلت مع العمل الحزبي لدرجة جعلت معها الحزب كل شيء في الحياة. لم يبق في ذهني شيء جدير بتكريس حياتي وزهرة شبابي سوى النضال والحزب. ولم يكن في ذهني مكان حتى لشيء من علاقات الحب والغرام أيام كنت في عنفوان شبابي. كان الاهتمام بالنشاط الحزبي وخدمة الحزب هو الواجب الأول وفوق كل شيء. ولم يحدث أن أتهرب من أي واجب أوكله الحزب إياي، ولم أبال بالمخاطر التي كانت تترتب على القيام بتنفيذ واجباتي. كنت أقدس الحزب والواجبات الحزبية وأحرص على مصلحة الحزب كحرصي على حدقة العين.

وقد جنيت ثمار جهودي المكثفة فتوفقت في عملي الحزبي، إذ لم يلبث أنه أصبحت سكرتيراً لمنظمة محافظتي. وتلقيت بعد أشهر رسالة من بغداد تدعوني لأسافر إلى هناك. واستجبت للدعوة فذهبت لأجد هناك في انتظاري ما لم أفكر فيه أبداً: "أن أكون سكرتيراً لحشع". يا له من أمر عجيب شاب كردي لا يتقن اللغة العربية ولا يزيد عمره عن 22 عاماً ولم ينتم إلى حشع السري منذ نشوئه إلا قبل ثلاثة أعوام.. وها هو يغدو سكرتيراً للحزب! وأي حزب؟ سري محرم قانونا ومعرض لحملات البوليس المتواصلة، وغُلق

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

على أعواد المشانق سكرتيره وخيرة أعضاء قيادته في شوارع العاصمة قبل أشهر ويقبع الألوف من كوادره وأعضائه في السجون في ظل حكم مستقل صورياً ولكنه بوليسي إرهابي تدير دفته السفارة البريطانية.. نعم أنه حزب مثخن بالجراح، مطارد أعنف ما تكون المطاردة، ونجحت الشرطة في سحق تنظيماته والقبض على مركزه القيادي السري خمسة مرات متتالية في أقل من سنة وسط انهيارات بعض كوادره الذين لم يصمدوا تحت التعذيب الوحشي. ترى، ماذا أستطيع عمله وسط كل هذه الصعوبات وبجيوب خاوية لا تدخل إليها سوى دريهمات من اشتراكات أعضائه وتبرعات أصدقائه؟ ألا يشبه ذلك فيلماً من أفلام هوليود؟ غدوت سكرتيراً للحزب منذ وصولي إلى بغداد، بناءاً على توصية من مسؤول المركز الحزبي الخامس قبل اعتقاله وتحملت أعباء المسؤولية دون تردد فشكلت المركز الحزبي السادس وبدأت العمل مع عدد قليل من الرفاق الذين لم أعرفهم ولم يعرفوني قبل ذلك، كان علينا أن نضمد الجراح ونعيد بناء التنظيمات المحطمة. وعلى الرغم من كل الصعوبات ومن افتقاري إلى المؤهلات القيادية السياسية ـ الثقافية، صمدنا ونجحنا في نهاية المطاف بفضل حماسنا الثوري المقرون بروح الفداء والجهادية العالية أولاً، وبفضل التعاطف الشعبي الكبير الذي شكل لحزبنا الغلاف الواقي وضمن تغذيته المتواصلة بالدم الجديد، بالمناضلين الجدد. وخلال السنوات الأربع التي بقيت فيها على رأس الحزب (1949 - 1953) تعافى وعاد إلى ميادين النضال الجماهيري بشكل غير مسبوق وقاد مئات الإضرابات والمظاهرات العمالية والطلابية والجماهيرية في بغداد وسائر المدن، وعدلنا برنامج الحزب لندخل إليه أربعة أمور رئيسية: إسقاط الملكية وإقامة حكم جمهوري شعبي + الإعتراف بحق تقرير المصير للشعب الكردي + تأميم شركات النفط + توزيع أراضي كبار الملاكين إلى جانب الأراضي الأميرية، على الفلاحين مجاناً. وتوجت سلسلة الفعاليات الجماهيرية في تشرين الثاني 1952 بقيام انتفاضة جماهيرية سلمية لم يسبق مثيل لها في تاريخ العراق. وأصبحنا قاب قوسين من إسقاط النظام الملكي. غير أن النظام تمكن أخيراً من استخدام الجيش وقمع الانتفاضة بالدبابات. وفي نيسان 1953 تمكن الأمن العام من إلقاء القبض عليّ في بغداد. وقدموني في ظل الإدارة العرفية العسكرية إلى محكمة عسكرية ـ وفيت بعهدي أمام المحكمة ودافعت بجرأة عن الحزب وسياسته وتهيأت للموت

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

شنقاً، لكن حملة احتجاجات واسعة داخل العراق وخارجه أرغمت حكام بغداد على استبدال الإعدام بالسجن المؤبد.

نقلت إلى سجن نقرة سليمان القديم لأفاجأ هناك بقيام جمهورية شعبية ترفرف رايتها فوق رؤوسنا ويقف في الباب حارس مسلح بسيف مصنوع من بليت البرميل! وجواباً على سؤال مني قال مسؤول منظمتنا حميد عثمان، الذي كان في وقت سابق مسؤولي الحزبي في السليمانية:

هذه نواة الجمهورية الشعبية في عراق المستقبل.

آثرت الصمت وقلت مع نفسي "إن المجزرة الثالثة ستقع في هذا السجن، بعد أن شهد سجنا بغداد والكوت مجزرتين بين السجناء السياسيين في الأيام الأخيرة، إن لم نتدارك الأمر سريعاً. وجمعت اللجنة الحزبية، بعد أن حللت محل حميد عثمان كمسؤول، وعرضت عليهم الأمر ورجوت العمل على تلافي المجزرة، بالدخول في محادثات مع إدارة السجن وبإلغاء الجمهورية الشعبية، ولاحظت أن الجميع فرحون برأيي عدا حميد وحده. كانوا يخافون الجهر بآرائهم سابقاً كي لا يتهموا بالجبن!

منذ أن اعتقلت انتهى دوري في قيادة الحزب قرابة ست سنوات قضيتها في السجن. وبانتصار ثورة تموز 1958 وخروجي من السجن عدت إلى القيادة كعضو في المكتب السياسي لسنتين، بعدها غضب على السكرتير سلام عادل وأبعدني إلى موسكو بذريعة الدراسة الحزبية. وبقيت مجمداً لثلاثة أعوام. دُعيت في آب 1964 إلى اجتماع (ل م) (اللجنة المركزية) المنعقد في براغ لأبلغ بإلغاء العقوبات الظالمة سابقاً وإعادتي إلى (ل م) وأنتُخبت في نفس الاجتماع إلى المكتب السياسي وعدت في الخريف إلى بغداد سراً، وقُدر لي أن أكون المسؤول الأول بالوكالة في غياب السكرتير، واعتقال عمر الشيخ. فبادرت إلى عقد اجتماع لـ(ل م) ضم الأعضاء العشرة الموجودين في العراق، واقتنعنا جميعاً بأن الخط السياسي الذي رسمه اجتماع آب 964، والذي كنت من الموقعين عليه، مرفوض من قاعدة حشع. وغيرنا سياسة الحزب رأساً على عقب ورفعنا شعار إسقاط النظام الدكتاتوري العسكري بدلاً من محاولة التقرب إليه ومغازلته.

أرجو المعذرة أيها الأخوة والأخوات أينما كنتم من الإطالة في أمور قد

«AlfYaa منشورات «ألف ياء

لا تعنيكم، لكنها تشكل الخلفية لبعض ما سأذكره.

* * *

قلت إنني بدأت عهدي بالنضال السياسي في صفوف حشع وقضيت زهرة شبابي وعشرات السنين من عمري في خدمته واندمجت معه أشد ما يكون الاندماج، وضحيت كثيراً من أجله، ولست نادماً على ما فعلت. كما إنني لست نادماً على هجره بل كان علي أن أهجره قبل ذلك التاريخ لأنه لم يعد بمقدوري التعايش مع التشكيلة القيادية التي بسطت السيطرة الكاملة على الحزب، وسارت به إلى نفق مظلم لم يخرج منه إلى الآن. اني خرجت من صفوف حشع احتجاجاً على تصرفات قادته غير المؤهلين للقيادة وليس تعبيراً عن أي تغيير إزاء نظرية كارل ماركس من حيث الجوهر. كنا نعيش في بلد يسوده الفقر والبطالة والتخلف ويحكم من قبل نظام ملكي رجعي شبه إقطاعي وشبه رأسمالي خاضع للاستعمار، وغارق في فساد شامل إدارياً وسياسياً واقتصادياً ومعزول عن شعبه، يضاف إلى ذلك أن عائلتنا تعاني الفقر والحرمان وضنك العيش بعد أن نقلنا والدي إلى المدينة في 1941، فهل من الغرابة في شيء أن ينجذب أمثالي إلى الحزب الذي تبنى فكرة تأسيس نظام اشتراكي قائم على مبادئ العدل والمساواة بين المواطنين.

وقد مررت بعد انتمائي إلى حشع بمرحلة "الدروشة" شأن سائر زملائي في الحزب، واستمر ذلك سنوات غير قليلة، كنا مناضلين متفانين ودراويش حقيقيين لا لشيوخ الطريقة القادرية أو النقشبندية بل لشيوخ القيادة الشيوعية الحاكمة في موسكو، التي كان لها شرف إقامة أول نظام من النوع الذي حلمنا به ولـ"أنبياء" الشيوعية في العالم ماركس وانكلس ولنين وستالين، هؤلاء القادة المعصومين من الأخطاء ـ حسب تصورنا. وكان من واجبنا أن نتفهم ونطبق ما كتبوه لكي نضمن الوصول إلى الهدف المنشود الذي كنا نتصور بأنه قريب المنال. ففي أعقاب الحرب الكونية الأولى انتصرت ثورة أكتوبر وفي أعقاب الحرب الكونية الثانية تأسس معسكر اشتراكي مكون من الاتحاد السوفيتي ومن بلدان بولونيا ورومانيا وهنغاريا ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا وشرق ألمانيا وألبانيا. وفي 1949 انتصرت الثورة الشعبية العظمى في أكبر بلد من حيث السكان، في الصين. وحُسب ذلك انتصاراً بالغ الأهمية، بل أكبر انتصار بعد ثورة أكتوبر وأقوى تعزيز

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

للمعسكر الاشتراكي العالمي، وكان انتصار الصين بالفعل عنصر إلهام كبير جداً، إضافة إلى انتصار الدولة السوفيتية في الحرب العالمية الثانية، فاتسع نفوذ وهيبة الاتحاد السوفيتي، وتنامت الحركة الثورية العمالية والتحررية في جميع بلدان العالم، وتضعضع وضع النظام الرأسمالي وخيمت أجواء الخوف والقلق على الكثيرين من حكام الولايات المتحدة وغيرهم.

وقد تُوجت انتصارات الحركة الشيوعية العالمية بنهوض وانتصارات شعوب المستعمرات الناهضة ضد السيطرة الاستعمارية في شتى بقاع الأرض، وفي المقدمة منها شعوب الهند، الذي اعتبره الإنكليز تاج الإمبراطورية البريطانية والذي أفلح في انتزاع الاستقلال عام 1947. وأصبح القرن العشرون قرن انهيار النظام الكولونيالي في العالم، وتباينت البلدان المستعمرة عن بعضها من حيث طريق التحرير، فمنها من حصل سلمياً، ومنها ما اضطر على حمل السلاح وتقديم التضحيات الجسيمة من اجل الاستقلال، كما حدث في الجزائر وفي فيتنام. وقد كانت للثورة الفيتنامية المسلحة خصوصيتها، فهي بدأت خلال الحرب الكونية الثانية ضد المحتل الياباني، وواجهت بعد الحرب الاستعمار الفرنسي وسجلت نصراً كبيراً عام 1954، واعترفت فرنسا بالهزيمة عقب معركة (ديان بيانفو) وتأسست جمهورية فيتنام الشمالية.

لكن المستعمر الأمريكي لم يترك الفيتناميين ليعيشوا بسلام، بل حل محل الفرنسيين ونقل قواته إلى فيتنام الجنوبية، وخاض حرباً طاحنة لسنوات، ومُني في النهاية بشر هزيمة، ورفع يديه مستسلماً. وكان لهذا الانتصار التأريخي صدى واسع وألقى الرعب في قلوب كافة قوى الاستعمار والاستثمار، ولكن هذه الانتصارات ضد الاستعمار وضد الاستثمار الرأسمالي لم تقترن بتعزيز دور المعسكر الاشتراكي كما كان يفترض. على العكس من ذلك فإنه كان متزامناً مع التدهور المستمر في وضع النظام السوفيتي، ارتباطاً مع استمرارا تفاقم الأخطاء التي رافقت مسيرة الثورة منذ بداياتها وطيلة عمرها حتى يوم السقوط. ويعود ذلك إلى ما اصطلح على تسميته بالنهج الستاليني أو "الستالينية".

وهنا أجد من المناسب أن أتطرق ببعض الكلمات إلى "الستالينية".

كان جوزيف ستالين أحد قادة الحزب البولشفي الذي قاد ثورة أكتوبر

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

1917، وحل محل لينين بعد وفاته في 1924، وبقي يقود الحزب والدولة حتى 1953، حيث توفي بجلطة دماغية. واستلم بعده نيكيتا سرگيفيج خروشيوف قيادة الحزب والدولة وهو الذي كشف عن أخطاء ستالين لأول مرة، في المؤتمر العشرين للحزب عام 1956، ووجه لها الانتقاد الصريح وبذل جهداً مخلصاً لإصلاح ما تركت تلك الأخطاء في وضع الحزب والدولة ومن هنا ظهر مصطلح "الستالينية" نسبة للراحل ستالين. وواصل خروشيوف مساعيه الإصلاحية لإنقاذ النظام الاشتراكي من عيوبه الكبيرة حتى عام 1964 حيث أفلح أنصار الستالينية داخل الحزب، وقد غدوا التيار السائد في الحزب وقيادته، في تدبير عملية شبه انقلابية، إذ اجتمعت اللجنة المركزية للحزب في غياب السكرتير وقررت إزاحته وتنصيب بريجنيف سكرتيراً للحزب. وكان ذلك انتصاراً حاسماً للتيار الستاليني ونهاية لعملية الإصلاح في تلك الفترة.

ترى ما هي الستالينية؟

هي نهج فكري في الحركة العمالية والشيوعية متطرف قدم الأساس الأيديولوجي لأسلوب التعامل التنظيمي داخل الحزب الشيوعي والتعامل السياسي داخل الدولة والمجتمع، حيث يقود الحزب السلطة السياسية. وقد ساد هذا النهج الحزب البولشفي الحاكم في روسيا السوفيتية ومر في تطوره بعدة مراحل وأدى إلى نخر الكيان الحزبي وتآكله تدريجياً وسقوط الدولة السوفيتية التي كانت طوال عشرات الأعوام واحدة من أعظم دولتين في العالم ونداً للدولة البرجوازية الأقوى في العالم، الولايات المتحدة الأمريكية.

إن الستالينية تميزت بخصائص فكرية ـ تنظيمية ـ سياسية ـ عدة أشير أدناه إلى الأهم منها:

1 ـ تأليه القائد وتغذية عبادة الفرد، كما كان سائداً آلاف السنين المنصرمة، حيث كان الملك صاحب السلطة المطلقة والحاكم المتفرد في اتخاذ القرارات. ولا تزال بقايا هذا النمط من الملكية سائدة في العديد من البلدان العربية وغير العربية. وبديهي إن أسلوب القيادة الفردية كان ويبقى هو المعتمد في أنظمة كهذه، سواء كانت ملكية إقطاعية أم رأسمالية دكتاتورية كما كان في ألمانيا وإيطاليا واليابان قبل وأثناء الحرب الكونية

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الثانية.

2 ـ غياب الديمقراطية سواء في حياة الحزب التنظيمية الداخلية أو في حياة المجتمع الاعتيادية. ويعتمد أسلوب الحكم المخابراتي في التعامل مع المواطنين. وقد تجري الانتخابات الصورية دون منافسة حقيقية حرة، ويُأخذ ما يسمى بالديمقراطية الموجهة أو الديمقراطية البروليتارية.

3 ـ توجيه النشاط الفكري ـ التثقيفي باتجاه تغذية الجمود العقائدي، وبهدف تحويل النظرية الماركسية إلى ما يشبه عقيدة دينية لها أنبياءها وأولياؤها وكتبها المقدسة التي ألفها هؤلاء، ويجب التمسك ببنودها والبحث عن الحلول لجميع المشاكل فيما كتب فيها، تماماً كما يتعامل رجال الدين مع الكتب السماوية، وقد حددهم ستالين في أربعة أشخاص هو آخرهم وخاتم الأنبياء.

إن النهج الستاليني في الحكم لم يكن شيئاً جديداً ولا من ابتكار ستالين شخصياً، بل كان امتداداً لنهج الأنظمة الإقطاعية (أمبراطورية روسيا القيصرية نفسها والإمبراطورية العثمانية والهنغارية ـ النمساوية ونهج كمال أتاتورك بعد الحرب العالمية الثانية) والرأسمالية (ألمانيا الهتلرية وإيطاليا الفاشية.... الخ) والدول البرجوازية التي تبجحت بديمقراطيتها (بريطانيا وفرنسا وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية) فإنها طبقت هذا النهج السياسي قبل ستالين إذ أذاقت شعوب المستعمرات الأمرين ومارست إرهاب الدولة المنظم ودبرت عشرات الانقلابات العسكرية في مختلف البلدان ومارست أسلوب الحكم المخابراتي إزاء شعوبها حيث اقتضت مصالح الرأسمالية الحاكمة. ولم يندر إن قامت المخابرات بجرائم غير مسبوقة باغتيال رئيس الدولة المنتخب (اغتيال جون كندي بالستينات) واغتيال أخيه روبرت كندي الذي رشح نفسه للرئاسة واغتيال أولف بالما (رئيس الوزراء السويدي الاشتراكي المسالم) لأن سياسة هؤلاء لم ترق لبعض الأوساط المتنفذة في أمريكا!

إن النهج الستاليني مرض مزمن خطير أصاب جسم النظام الاشتراكي السوفيتي منذ ولادته وعبر تطوره ولكن تأثيره السلبي تجلى خاصة في سني ما بعد الحرب الكونية الثانية. وقد لازم هذا المرض النظام وسبب إزهاق أرواح بريئة بين الكوادر وألحق أضراراً جسيمة بقضية الثورة الاشتراكية،

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

وأدى في النهاية إلى إسقاط النظام الاشتراكي السوفيتي ومن كان في ركبه. وكانت إزاحة خروشيوف وتنصيب بريجنيف في 1964 بداية لتسريع وتيرة تآكله خلال سني وجود بريجنيف على رأس السلطة. وعندما استلم گربچوف منصب زعامة الحزب والدولة أدرك المرض ووضع برنامجاً – بيروسترويكا - لمعالجته وسار خطوات بالتنفيذ لكنه كان مخطئاً في تقدير قوة الخصم من أنصار النهج الستاليني، تماماً كما أخطأ خروشيوف، فتغدوا به قبل أن يتعشى بهم وهزم في معركة الإصلاح وحاول الستالينيون داخل الحزب إزاحته بانقلاب عسكري غير إن الشيوعي المرتد بوريس يلسن تلقف الكرة وقفز إلى الحكم. بذلك سقط النظام السوفيتي سقوطاً تاماً. وما إن استلم يلسن السلطة حتى تحول جهاز المخابرات السوفيتية السابق (ك گ ب) من حارس سابق للستالينية إلى حارس مخلص للرئيس الجديد ووثق الصلات معه حتى أقنعه بالتنحي عن السلطة ليحل محله الرجل المهيأ من ك گ ب فلاديمير بوتن الذي يحكم منذ سنوات وإلى الآن تارة باسم رئيس الدولة وتارة باسم رئيس الوزراء.

إن القرن العشرين كان على امتداد تاريخ البشرية، قرن تغيرات غير مسبوقة من شتى نواحي الحياة العلمية ـ التكنيكية، والسياسية والجغرافية وغير ذلكز ونشير بين أحداثه إلى: وقوع حربين عالميتين لأول مرة في التاريخ + انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية + انهيار النظام الكولونيالي ـ الاستعماري في العالم + تأسيس أول منظمة عالمية من نوعها في التاريخ ـ عصبة الأمم بعد الحرب الأولى والـ UN التي ضمت تسعين دولة إلى صفوفها بعد الحرب الثانية + غزو الفضاء الخارجي وإدخاله إلى ميادين النشاط البشري + صنع التلفاز المحلي والبث الفضائي + صنع الكومبيوترات والأنترنيت + انهيار النظام السوفيتي الذي كان يشكل إحدى القوتين العظيمتين في العالم ...الخ.

وأكثر ما أثار انتباهي هنا هو انهيار النظام الاشتراكي السوفيتي بعد انتصار الثورة بسبعين عاماً وبعد أن كرر بعض المنظرين استحالة عودة المجتمع البشري من الاشتراكية إلى الرأسمالية. إن ما حدث من انهيار النظام الاشتراكي طرح أمامنا عدة أسئلة. هل إن هذا الانهيار معناه إن النظام الرأسمالي وجد ليبقى إلى الأبد؟ هل كان الانهيار آخر كلمة لتأريخ

«منشورات «ألف ياء» AlfYaa»

المجتمع البشري؟ أم إن ما حدث كانت جولة في اللعبة وستليها جولات قادمة؟

إن الانهيار لم يكن بسبب هجوم عسكري من الخارج ولا انقلاب أو انتفاضة شعبية، وكان بالإمكان تلافي الانهيار فيما لو أفلح خروشيوف أو گربجوف في الإصلاح. معنى ذلك أن الانهيار كان ناجماً عن تراكم أخطاء ذاتية ارتكبها الحزب وخنق الديمقراطية في الحياة التنظيمية والاجتماعية فضلاً عن التخبط في البرمجة الاقتصادية مما سمح لمسؤولي الحزب والدولة بالتصرف دون أي رقابة بالسرقة والارتشاء وما هو أسوأ. وكان عشرون عاماً من بقاء بريجنيف في منصب زعامة الحزب والدولة أسوأ فترة في تاريخ الدولة السوفيتية، إذ تحولت دوائر الدولة ومقرات الكادر الحزبي إلى معامل لتفريخ الرأسماليين الجدد فيما كان البعض من المسؤولين منشغلين بإلقاء المحاضرات الفارغة حول تجربة التطور اللارأسمالي في بعض بلدان العالم الثالث. بديهي أن انهيار النظام السوفيتي كان تعبيراً عن فشل للتجربة الروسية في الثورة الاشتراكية. لكن ذلك ليس دليلاً على أن مبدأ القيام بالثورة خاطئ من أساسه. ويُخبر التأريخ بأن الثورات الفاشلة والمنتكسة في هذه الدنيا كانت كثيرة ومتكررة. كم من الثورات فشلت ضد الأنظمة الإقطاعية في قرون ماضية؟ ومع ذلك أسقطت في نهاية المطاف الأنظمة الإقطاعية كلها أو في طريقها إلى السقوط. إن أفكار لينين التي اتخذ منها قوانين للثورات الاشتراكية في العالم (كتاب شيوعية الجناح اليساري) قد تكون صائبة بالنسبة إلى ظروف روسيا في تلك الفترة التي مرت بها ولكن لينين أخطأ إطلاقاً في تعميمها على الثورات الاشتراكية في العالم أو تعميمها على روسيا في كل زمان. فالقرار الذي يصح أتخاذه في هذا البلد قد لا يصلح لبلد آخر أو لزمن آخر لأن الظروف في تغير مستمر. إن تجربة ثورة أكتوبر الاشتراكية ستتكرر وتنتصر حتماً ولكن ليس بذلك الشكل القديم بل عبر صناديق الاقتراع وفي ظروف مستجدة مغايرة لظروف ثورة أكتوبر.

إن النظام السوفيتي وسائر الأنظمة التي وجدت في فلكه قد سقط، ولكن الأحزاب الشيوعية لا تزال تحكم بأسلوب ستاليني في دول يقطنها خمس سكان كوكبنا ـ الصين وفيتنام وكوريا الشمالية في آسيا وكوبا في أمريكا

«AlfYaa منشورات «ألف ياء

اللاتينية. فهل إن هذه الأنظمة في طريقها إلى السقوط أيضاً أم أنها تستفيد من تجربة سقوط الدولة السوفيتية؟

أبدأ من كوريا الشمالية التي تشكل نموذجاً شاذاً بين الدول المعاصرة، فهي تخضع لنظام استبدادي يجلس في قمته حاكم نصف مجنون شغوف بالتآليه المستمر، كما كان أبوه وجده ويعاني شعبه من الجوع والحرمان بعد حوالي سبعين عاماً من سيطرة هذه العائلة ـ الشيوعية ـ شبه الإقطاعية. إن بقاء نظام كهذا سيكون من أغرب معجزات القرن!

والوضع في الصين الذي يقدم ثاني اقتصاد في العالم من حيث الإنتاج الإجمالي، لا يبعث على الثقة والاطمئنان، بل العكس هو الصحيح. ولا أعرف شيئاً عن وضع فيتنام وكوبا ولكنني أعتقد إنهما يواجهان نفس المصاعب التي تواجه الصين، ولكن لم يفت الأوان للبدء بإصلاحات تدريجية مدروسة ومبرمجة يمكن أن يرجح كفة الميزان لصالح تذليل الصعوبات وإنقاذ النظام من خطر الانهيار. أما السير في طريق شبيه بما كان في بلاد السوفيت فإنه لن يقود إلا إلى نفس النتيجة.

ومهما كان الأمر وأياً كانت مصائر الأنظمة التي لا يزال الشيوعيون يديرونها فإن الصراع الطبقي بين الطبقتين العمالية والرأسمالية يبقى طالما بقي التملك الفردي الرأسمالي لوسائل الإنتاج. فالأسلوب الرأسمالي في الإنتاج القائم على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج هو الأساس المادي لاستغلال الإنسان للإنسان، للصراع الطبقي في المجتمع البرجوازي، ولا حل لهذه المسألة أبداً إلا بتبديل أسلوب الإنتاج الرأسمالي بأسلوب اشتراكي، أي بإعادة الملكيات الفردية لوسائل الإنتاج إلى أصحابها الشرعيين، إلى المجتمع البشريالمعني. وقد صاغ كارل ماركس نظريته الاشتراكية العلمية على ضوء الظروف الواقعية الملموسة التي أفرزها تطور المجتمع الرأسمالي منذ بداية المرحلة وإلى حين ما عاصره في القرن التاسع عشر. إن الإنتاج الرأسمالي يخلق الخلل في عملية الإنتاج والتوزيع، فالإنتاج يأتي من عمل جماعي لشغيلة العمل اليدوي والفكري، ولكن التوزيع يكون مختلاً إذ يستحوذ رب العمل الرأسمالي على قسط كبير منها كأرباح فيما يوزع القسط الآخر على المنتجين العمال في شكل أجور يومية. وهذه اللاعدالة في المجتمع لا تنتهي إلا بانتصار الطبقة العاملة، التي لا تخسر من سقوط

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الرأسمالية سوى القيود المكبلة بها ـ على حد تعبير ماركس.

إن سقوط النظام السوفيتي عقب سبعين عاماً من وجوده وضع علامة الاستفهام على النظرية الماركسية ـ اللينينية والفكر الشيوعي والاشتراكي بوجه عام، وهذه مسألة طبيعية وفرصة ذهبية أمام المدافعين عن النظام الرأسمالي ليقولوا للناس:

أرأيتم كيف سقط النظام الشيوعي؟ ألم نقل لكم إن الماركسية ـ اللينينية خاطئة؟ والعديد حتى من الشيوعيين أنفسهم تساءلوا مع أنفسهم وفيما بينهم عما إذا لم يكن سقوط النظام السوفيتي سقوطاً أيضاً لتلك النظرية التي كونت الأساس الأيديولوجي للنظام؟ أنا أدلو بدولي في الإجابة على هذا السؤال، فأقول: إن اللينينية، أي الأفكار والمقولات الرئيسية المصاغة من قبل لينين لإغناء أفكار ماركس، كانت تسمع بلهفة من لدن الشيوعيين في روسيا وفي الأماكن الأخرى، وكانت تؤخذ كجزء مكمل من تعاليم ماركس وأنگلس لأن المقولات اللينينية اقترنت بالانتصارات الكبيرة التي أحرزها البلاشفة، وتعزز هذا التصور إثر انتصار السوفيت على الهتلرية في الحرب الثانية، بيد إن الحياة كشفت بعدئذ عن شيء مغاير في ظروف ما بعد الحرب. ويعود ذلك إلى أسباب، من أهمها الجمود على أفكار لينين وعدم مواكبتها للتطورات المستجدة ولا يعرف أحد فيما لو بقي لينين على قيد الحياة لجمد على أفكاره غير المتلائمة للظروف المستجدة. كما جمد عليها ستالين، أم كان يبادر إلى تعديلها، ولم يكتب للزعيمين السوفيتيين خروشيوف وگربچوف أن يحققا الإصلاح المنشود ـ كما أسبقت ـ وكان ثمن ذلك باهظاً جداً: عودة النظام الرأسمالي إلى روسيا الاشتراكية، والدرس المستخلص من ذلك هو إن الأفكار والنظريات الخاصة بالمجتمع البشري تظل بحاجة إلى التعديل والتجديد تبعاً لحركة المجتمع نفسه وتغيراته في شتى نواحي الحياة، فالتغيرات التي طرأت على المجتمع البشري منذ ثورة أكتوبر 1917 وحتى ثمانينات القرن العشرين كانت نوعية وكبيرة وكانت تتطلب التجديد في النظرية ولم تصمد أفكار لينين أو القوانين العامة التي صاغها للثورات الاشتراكية، إزاء أعاصير الزمن، وانتهى الأمر باندحار اللينينية الستالينية، لكن أفكار ماركس التي تتلخص في حتمية سقوط النظام الرأسمالي كما سقط قبله النظام الإقطاعي والعبودي، لا تزال محتفظة بكامل

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

حيويتها، لأنها قائمة على أسس صحيحة، قائمة على استغلال الإنسان للإنسان. وهذا الاستغلال يحتم وجود وتواصل التناقض والتصارع بين الطبقتين ويحول دون توفير العدالة الاجتماعية في ظل هذا النظام، كما يؤدي إلى سقوط أحد طرفي الصراع في نهاية المطاف. والطبقة العاملة لن تسقط لأنها هي التي تنتج الخيرات المادية التي تضمن إدامة حياة الناس وإدامة الطبقة البرجوازية نفسها خلال المرحلة البرجوازية، لكن سقوط الطبقة الرأسمالية وزوالها من الوجود لا يؤدي إلى شيء سوى زوال كبار الأثرياء المستغلين وتغيير شكل إدارة الدولة، ولا يخسر العمال من ذلك إلا القيود المكبلون بها على حد تعبير ماركس.

إن البشر لم ولن يعيشوا أبداً بدون الصراع، لكن الصراع لم يكن بادئ ذي بدء بين الطبقات المستغِلة والمستغَلة، بل كان ـ في بداية تكون المجتمع البشري وتمايزه عن الحيوانات الأخرى نوعياً، صراعاً بين الإنسان والطبيعة، حيث كان البشر يعيشون في المرحلة الانتقالية بين الحيوان وبين الإنسان، وكانوا يعتمدون في تأمين طعامهم على الصيد وافتراس الحيوانات أو على جمع الثمار البرية بين الأشجار والنبات، وكذلك الصراع بين القبائل البدائية المختلفة التي كانت تتقاتل من أجل الاستحواذ على أفضل مناطق الصيد والثمار، وكان الأضعف عرضة للإبادة أو يهرب بعيداً، ولم تتوفر المستلزمات لاستغلال الإنسان لأخيه الإنسان إلا بعد توصل الناس إلى الزرع وإلى تربية المواشي والدواجن، حيث أصبح بمستطاع المرء أن ينتج ما يفيض ولو قليلاً عن حاجته لإدامة الحياة، وبالتالي غدا بإمكان الأقوى أن يسيطر على الضعيف للتصرف بفائض منتوجه، وهكذا فإن بدايات الانقسام الطبقي في المجتمع البشري تعود إلى تعلم الإنسان ممارسة العمل وتطويره وطبعاً إلى جانب الصيد وجمع الثمار البرية كمصدر مضمون للطعام، والانقسام الطبقي الذي أباح للقوي استعباد الضعيف والتعامل معه كتعامله مع ماشيته، أوجد هذا النوع من الصراع الذي نسميه بالصراع الطبقي دون أن يلغي الصراع القبلي، فالتشكل القبلي في تلك الحقبة كان ظاهرة اجتماعية طبيعية وضرورية لأن الإنسان الفرد كان عاجزاً عن حماية نفسه من بطش الحيوانات المفترسة الأقوى والقبائل الأخرى المجاورة، والأرجح إن الانقسام الطبقي حدث بالدرجة الرئيسية في المجتمعات الزراعية المستقرة نسبياً، بخلاف التجمعات المنشغلة بتربية المواشي المعتمدة على رحلة

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الصيف والشتاء. كان مسار التطور في تجمعات الراحلة مختلفاً إلى حد.

مع تبلور الانقسام الطبقي في المجتمع العبودي نشأ لون جديد من الحراك الاجتماعي، وأعني الصراع بين طبقتي العبيد المستغَلين والأسياد المستَغِلين (ثورة العبيد في روما بقيادة سبارتاكوس ضد أسيادهم والثورات المشابهة). ومع مرور الزمن تأتى على النظام العبودي أن يخلي المكان لنظام جديد أيضاً، هو النظام الإقطاعي الذي بقي فيه الاستغلال الطبقي مع تغير شكل الاستغلال حيث أصبح الصراع الطبقي دائراً بين الإقطاعيين من جهة والفلاحين من جهة أخرى. وكان من المحتمل أن يبدأ الانتقال من النظام الإقطاعي إلى الرأسمالية، حيث تحل طبقتا الرأسماليين والعمال محل طبقتي الإقطاعيين والفلاحين، في البلدان الشرقية التي سبقت في التطور الحضاري كمصر والعراق وإيران والهند والصين. لكن الحروب والغزوات المستمرة من المغول والتتار وأمثالهم عرقلت التطور وأرجعت هذه البلدان إلى الوراء. وقدر للبلدان الأوروبية أن تشهد أولى المانفكتورات وتكون طليعة العالم في الثورة الصناعية. وفي هذه البلدان نفسها ظهرت الحركات العمالية المطالبة بالحقوق النقابية والداعية إلى إسقاط الرأسمالية وإقامة النظام الاشتراكي الخالي من استغلال الإنسان للإنسان. وقد انتصرت الثورة الاشتراكية قبل حوالي مئة عام لا في البلدان الصناعية الأكثر تطوراً مثل ألمانيا وبريطانيا، وفرنسا، بل في بلد متخلف جعلت منها جملة من التناقضات والأسباب مركزا للحركة الثورية في تلك الفترة. وهكذا انتصرت ثورة أكتوبر الاشتراكية حلم العمال وكل الكادحين في روسيا.

وقد مرت الثورة بمرحلتين. ففي المرحلة الأولى، ورغم أخطاء لينين وستالين، حققت السلطة النجاحات المطردة في البناء وتحويل الاتحاد السوفيتي إلى بلد صناعي. وتوجت سلسلة انتصاراتها بالنصر التاريخي في الحرب الكونية الثانية. وتمكنت السلطة من إعادة بناء ما خربته الحرب بسرعة قياسية. وآن الأوان لكي تعيد القيادة النظر في التوجهات النظرية الخاطئة والبرامج الاقتصادية غير المتوازنة وغير الواقعية. لكن ستالين كان راضياً عن أدائه وزاعماً بأن كل الأمور تسير على خير ما يرام. وهنا بدأت المرحلة الثانية، مرحلة المراوحة والتخلف. فيما بدأت البلدان الرأسمالية المنتصرة والمندحرة معاً تضع وتنفذ برامج واقعية وطموحة لإعادة البناء

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

والتقدم السريع. وبدلاً من أن يتمنى العمال في البلدان الغربية الرأسمالية أن يعيشوا بمستوى أخوتهم العمال في البلدان الاشتراكية كان العكس هو الصحيح. كان عمال موسكو يتمنون لو عاشوا. بمستوى أخوتهم في برلين الغربية وفي لندن وباريس. فأية جاذبية تبقى نحو الاشتراكية والحالة هذه؟ تريد جماهير العمال من النظام الاشتراكي أن يوفر لها عيشاً أرفه وحرية أوسع وطمأنينة أكثر وحياة أسعد بالمقارنة مع حياة العمال في البلدان الرأسمالية. أما حين يكون العمال في ظل نظام يسمى حكم الطبقة العاملة منهكين في العمل ويعانون من الفقر ويسلط عليهم حكم بوليسي (حكم ك گ ب) ...الخ. أفلا يحق لهم أن يلعنوا هذه الاشتراكية؟ إن حياة العمال وجميع أهل الكدح قد غدت صعبة وقاسية في مرحلة المراوحة والتدهور اللذين بدأا منذ منتصف القرن العشرين، على العكس من حياة الكوادر الحزبية والحكومية التي كانت تستمتع بامتيازات كثيرة وتعيش في رفاه كبير في ظل الفساد الإداري، وتحول الكثيرون منهم إلى أصحاب رساميل كبيرة. ففي رحم النظام الاشتراكي عادت الرأسمالية إلى الوجود. وتجسدت هذه الحقيقة في نهوض الآلاف لتأييد يلسن يوم اغتصب السلطة وأسقط گربجوف في حين التزم العمال والكادحون الصمت ولم يحركوا ساكناً للدفاع عن گربجوف وعن النظام الاشتراكي، بعكس ما كانوا يفعلون في سني ثورة أكتوبر 1917 والحرب الأهلية. ولم يتحرك العمال في أي بلد خارج الاتحاد السوفيتي ليوجهوا صيحة احتجاج دفاعاً عن النظام السوفيتي، بعكس ما كان أيام ثورة أكتوبر والحرب الأهلية حيث نظمت الطبقة العاملة في شتى الدول الأوروبية مظاهرات التضامن مع البلاشفة ضد خصومهم.

وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن النظام السوفيتي قد تحول في سنين ما بعد الحرب الثانية من نظام اشتراكي كان يمر بمرحلة البناء إلى كاريكاتير للاشتراكية. ومن المضحك إن القادة السوفييت كانوا يتحدثون في تلك السنوات عن الانتقال الوشيك من الاشتراكية إلى الشيوعية. وهم أقاموا مدينة نموذجية مفتعلة تعيش فيها الناس على النمط الشيوعي في حين كان النظام الاشتراكي مريضاً سائراً بخطوات متسارعة نحو الانهيار.

والآن وقد انهارت الاشتراكية السوفيتية، ماذا يجب عملة من قبل أنصار الاشتراكية؟ هل يستسلمون لليأس ويتركون الرأسماليين المستغِلين ليعيثوا

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

في الأرض فساداً؟ هل قبر مرة وإلى الأبد حلم العمال والكادحين في التخلص من الاستغلال الطبقي؟ هل خلقت الرأسمالية لتبقى إلى الأبد؟ أم إن ما حدث ظاهرة وقتية وستعود الاشتراكية وتوطد أركانها؟

يروق لمفكري البرجوازية أن يبشروا بفكرة خلود الرأسمالية ويحاولوا نشر اليأس بين أنصار الاشتراكية. وهم يستغلون النكسة المؤقتة، التي نجمت عن أخطاء القيادة السوفيتية، لكن التطورات الاجتماعية اللاحقة ستعطي جواباً مغايراً وستثبت على أرض الواقع أن ما حدث للنظام السوفيتي مجرد نكسة وقتية شأنها شأن مئات النكسات السابقة في تاريخ الثورات ومنها ثورة 1905 في روسيا نفسها حيث انتكست ثم تكررت بقوة أكبر بعد 12 سنة. نحن لا نستطيع تحديد الوقت لنهوض لاحق، خاصة لأن أساليب الثورات والتغيرات الاجتماعية قد تغيرت وسيكون التحكيم عبر صناديق الاقتراع. لكن ما هو محتم، آجلاً أم عاجلاً، هو إن غالبية المجتمع ستقول كلمتها بصوت واحد: نعم للاشتراكية، لا لنظام الظلم والاستغلال!

غمرني الفرح يوم شاهدت سقوط النظام الملكي العميل في العراق، وأنا قابع في سجن بعقوبة الانفرادي في سادس سنة من الحكم بالسجن المؤبد. وفرحت يوم شاهدت سقوط نظام صدام الفاشي عام 2003، كما فرحت بسقوط شاه إيران وسقوط بن علي ومبارك والقذافي، وأتمنى أن يغمرني الفرح أيضاً بسقوط دكتاتور سوريا. وسأفرح أكثر إذا أمهلني الموت لأشاهد عودة النظام الاشتراكي عبر صناديق الاقتراع إلى روسيا أو أي بلد أوروبي. وأنا واثق من أن هذا الانتصار سيأتي ولكن ليس بهذه العجالة ولا بتلك الكيفية السابقة، بل كنتيجة للعمل المكثف الفكري والتنظيمي والسياسي، بتعبير أوضح فإننا بحاجة ماسة، قبل كل شيء، إلى ما يلي:

1 ـ في المجال النظري، إن المجتمع البشري يعيش اليوم في عالم مغاير نوعياً لما كان قبل وقت غير بعيد، يعيش في ظروف مرحلة متقدمة من العولمة، يعيش في عالم جعل منه التقدم العلمي ـ التكنيكي ما يشبه قرية صغيرة. يسيطر الإنسان ليس فقط على سطحها، بل كذلك على الفضاء المحيط بها والمليء بالأقمار الاصطناعية المسخرة لأداء مختلف المهام والوظائف. ويمتلك الإنسان في حوزته من الأسلحة ما يكفي لتدمير الحياة البشرية فوق كوكبنا إذا جن جنون الحاكمين ودخلوا في اشتباك نووي ضد

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

بعضهم.

إن ماركس كان إنساناً. ولا يمكن لأي إنسان، مهما كان عبقرياً، أن يكون معصوماً عن الخطأ، فلا غرابة في أن يقول بعضهم إن ماركس أخطأ في هذا الرأي أو ذاك، إن كان بمقدوره أن يوضح أوجه الخطأ والبديل الصحيح. هذا من جهة، ومن الجهة الثانية ـ وهذا هو الأهم ـ عاش كارل ماركس وقال ما قال قبل 150 سنة، وطرأت في هذه الحقبة تغيرات كبرى على العالم. نحن الآن نعيش في ظروف العولمة. أفليس من المنطقي أن يكون بعض ما قيل في ذلك الحين، وكان ملائماً لزمانه، غير ملائم للظروف المستجدة؟ أيجوز أن ننسى الحكمة القديمة "لكل مقام مقال ولكل زمان رجال"؟

2 ـ إعادة النظر في أشكال التنظيم السياسي والإداري والنقابي والاقتصادي والثقافي ...الخ، المكتوبة في البرامج الحزبية والحكومية والمدرسية ...الخ بهدف تشخيص وتعديل ما أكل عليه الدهر ولم يعد صالحاً للظروف المستجدة. وعلى سبيل المثال، فإن التمسك بنظام الحزب الواحد أو ما يسمى بالديمقراطية الموجهة (هو شكل من أشكال الاستبداد تعطى فيه الحرية فقط لأنصار السلطة الحاكمة وتكبت المعارضة) والجمود على شكل معين من التنظيم الإداري في مؤسسات الإنتاج الصناعي أو الزراعي أو في شكل إدارة الدولة دون احتساب التغيرات المستمرة في الوضع، لكن هذه وما يشبهها أمور مرفوضة في ظل حكم يقوده الشيوعيون، ولا يفهم شيئاً من الماركسية من يرفض مبدأ تداول السلطة عبر صناديق الاقتراع في انتخابات حرة نزيهة، حتى ولو كانت نتيجة التداول عودة ممثلي البرجوازية إلى الحكم. فالماركسيون يجب أن ينصاعوا لإرادة الشعب وليس للتسلط كما يفعل الدكتاتوريون. وقد يكون ذلك صعب المنال ويتطلب صبراً طويلاً وعملاً شاقاً حتى تقتنع الجماهير من تجربتها الخاصة بأن النظام الاشتراكي هو الأفضل والأكثر عدالة. لكن ذلك هو الطريق الصحيح الناجح.

3 ـ إعادة الصياغة في النهج السياسي الذي اتبعته القيادة السوفيتية وفرضته على الأحزاب الشيوعية الحاكمة في البلدان الأوروبية. فالستالينية كانت نهجاً بيروقراطياً واستبدادياً وقاسياً إزاء أي شكل من أشكال المعارضة، وإزاء من شكك في ولائهم للدكتاتور الحاكم. لكن ستالين احتفظ

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

بقدر مناسب من الصلابة المبدئية اللينينية إزاء خصوم الاشتراكية الحاكمين في الدول الرأسمالية، كما أحتفظ بالنزاهة ومات في بيت متواضع دون أن يخلف ما يشير إلى تورطه في الفساد الإداري المالي. لكن عهد بريجنيف كان شيئاً مغايراً، ولم ينحصر في البيروقراطية والاستبداد، بل حول البلاد الاشتراكية إلى بؤرة للفساد ونهب الدولة وتأسيس المافيات، وتفريخ جيل جديد من الرأسماليين والأثرياء الذين استغلوا الخلل والتفكك في النظام لينهبوا أموال الدولة في وقت كان العمال وكل الكادحين يعانون من ضنك العيش.

وكانت القيادة السوفيتية تدّعي قولاً التزامها بالأممية البروليتارية وتطلب من الأحزاب الشيوعية المرتبطة بها هذا الالتزام وتصور للآخرين بأن الأممية تتجسد قبل كل شيء في إخلاص الشيوعيين لدولة الاشتراكية الأم. كانت تريد من شيوعي البلدان الأخرى أن يكونوا أمميين تجاه النظام السوفيتي. ولكنها كانت بنفسها قد استبدلت النهج الأممي تجاه الأحزاب الشيوعية الأخرى بنهج قومي مصلحي، وهي أمتنعت عن الدعم السياسي - الإعلامي للحزب الشيوعي العراقي ضد اعتداء سلطة صدام البعثي الدكتاتوري، على سبيل المثال، في وقت قرر صدام العراقي إعدام أربعين شيوعياً بتهم باطلة ودون أي محاكمة قانونية، وحرضت الشيوعين على تقبل الإعدامات حرصاً على مصلحة الشعب والوطن، وشجعت الشيوعيين العراقيين على الارتباط بتحالف ذيلي مذل مع نظام صدام الفاشي، زاعمة إن صدام سائر في طريق التطور اللارأسمالي صوب الاشتراكية، في وقت كان دكتاتور العراق متمادياً في القمع الدموي ضد الشيوعيين وضد الشعب الكردي وضد جماهير الشيعة وجميع الوطنيين. كانت الخدمة الوحيدة التي قدمت إلى حشع لقاء الرضوخ لمشيئتها في تلك الأيام دفع مبلغ مالي تافه سنوياً، وكان الهدف من إبقاء العلاقة مع النظام الدكتاتوري والإرهابي لكي يشتري منها الأسلحة التي استخدمها ضد الشعب الكردي وكل العراقيين وضد إيران والكويت. كانت تقدم الأسلحة بلا توقف للنظام الإرهابي، تماماً كما تفعل الحكومة الروسية اليوم في تقديم الأسلحة وشتى أشكال الدعم إلى نظام بشار الأسد الفاشي.

إنني قدمت العراق كنموذج لتصرفات ومواقف القيادة السوفيتية، التي

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

كانت تملي المواقف السياسية على الأحزاب الشيوعية حيثما أمكن لها ذلك. وقد دفع حشع ثمناً باهظاً عن هذه العلاقات اللامتوازنة فتحول تدريجياً من حزب سياسي جماهيري كبير إلى منظمة هامشية معزولة غير قادرة على كسب مقعد واحد في انتخابات برلمانية جرت بعد سقوط صدام فالقيادة السوفيتية مسؤولة عن انحسار الحركة العمالية والشيوعية خلال النصف الثاني من القرن العشرين لأن سياستها كانت خاطئة على الصعيدين الداخلي والخارجي. فهي أقامت علاقاتها مع الشيوعيين في البلدان الأخرى لا من منطلق التآخي والثقة المتبادلة، بل من منطلق الآمرية وفرض السياسات التي تروق لها. أنا كنت عضواً في قيادة حشع بعد ثورة 1958، ورأيت بنفسي التدخلات السوفيتية. ففي مظاهرة مليونية نظمناها في بغداد بمناسبة الأول من أيار 1959 رفع المتظاهرون شعار (إشراك حشع في الوزارة) باعتباره أكبر حزب سياسي في البلد مهيأ لكسب 60 ـ 70 بالمائة من أصوات الناخبين في حالة إجراء انتخابات برلمانية حرة ونزيهة في ذلك الحين. وكان عبد الكريم قاسم قد شكل وزارة ائتلافية تضم ممثلي كافة الأحزاب الوطنية وأستثنى منها فقط الشيوعيين. وقد استجبنا نحن في القيادة لرغبة الجماهير وقررنا العمل على إشراك حزبنا في الحكم. وبعد بضعة أيام طلب السفير السوفيتي زابتسيف لقاءاً مستعجلاً مع ممثلي حزبنا ليقرأ لنا رسالة مستعجلة من القيادة السوفيتية موجهة إلى قيادة حزبنا مطالبة بتراجع حشع عن هذه السياسة فوراً. فاطعنا وغيرنا سياستنا. كان هدفهم ترضية عبد الكريم قاسم. ولم يتداولوا معنا حول الموضوع ولا بكلمة. علماً إن المسألة كانت شأناً عراقياً خاصاً بنا وبلدنا، وكان يفترض أن يعتبرونا نحن الشيوعيين العراقيين أكثر فهماً وقدرة على تحليل قضايا بلدنا وحتى إذا أفترض أنه كان من حقهم أن يقودوا الحركة الشيوعية وأن يبدوا ملاحظات حول سياسة الأحزاب في البلدان الأخرى.. فإن التدخل بهذا الشكل الفج غير مقبول. ولم يصدف ولا مرة أن سألونا عن رأينا ـ بقدر ما كنت أعرف ـ في أمر ما حتى من الأمور الخاصة ببلادنا. كانوا يريدون الشيوعيين في البلدان الأخرى كدراويش إزاء شيوخ الطريقة أو كأدوات يستخدمونها في تحقيق أغراضهم على المسرح الدولي.

وأود الإشارة هنا إلى إن الشيوعيين الروس، الذين بادروا إلى إعادة بناء الحزب بعد سقوط النظام، ورثوا الكثير من الأخطاء والتقاليد الستالينية التي

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

سارت عليها القيادة السوفيتية. وهذا ما يشكل خطراً جدياً على مستقبل الحركة الشيوعية والعمالية في روسيا إن لم يبادروا إلى تصحيح الوضع ومعالجة المشكلة. إنني أناشد الشيوعيين الروس، أحفاد البلاشفة الذين قاموا بالمعجزات النضالية في ثورة أكتوبر والحرب الأهلية والحرب الكونية الثانية أن يسهروا على تحرير حركتهم من ترسبات العقلية الستالينية ـ البريجنيفية. وقد يتيح ذلك لهم الفرصة ليكونوا في هذه المرة أيضاً طليعة الحركة العمالية في الانتقال السلمي إلى الاشتراكية.

أيها الرفاق المناضلون فوق كوكبنا!

أيها الأصدقاء المتعاطفون مع الاشتراكية، أينما كنتم!

إن إعادة صياغة النظرية الماركسية والتنظيم والنهج السياسي مهمة ملقاة على عاتقكم جميعاً. وبإنجاز هذه المهمة النضالية الكبرى ستكون الحركة العمالية قد انتقلت إلى المرحلة الثالثة من مراحل تطورها التاريخي، بعد أن انتهت مرحلتها الأولى في أواخر القرن التاسع عشر بتخلي الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية عن هدفها في البناء الاشتراكي وتحولت إلى أحزاب برجوازية غير معنية بقضية الاشتراكية، كما انتهت مرحلتها الثانية بسقوط النظام السوفيتي وانتكاسة الحركة الشيوعية والعمالية في ظروف شيوع الستالينية. ومن المتوقع أن يكون القرن الواحد والعشرون قرن استكمال البناء الديمقراطي في العالم، في ظروف المزيد من التطور العلمي ـ التكنيكي، وهناك بعض المخاوف من نشوب حرب كونية ثالثة قد تغير وضع العالم وتسبب كارثة غير مسبوقة للبشرية. وإذا اقتنع النظام البرجوازي في روسيا بالانضمام إلى الاتحاد الأوروبي فإن ذلك سيكون من مصلحته ويزيد من قوة أوروبا إزاء أمريكا ويقلل من مخاطر الصدام العالمي ويجعل من الاتحاد الأوروبي القوة رقم 1 عالمياً من كل النواحي. وستفقد واشنطن مكانتها الحالية كزعيمة للعالم. وقد تتكون قوى جماعية بدلاً من وجود دولة واحدة أو دولتين متنافستين. ويتراءى لي إن تعاظم دور الاتحاد الأوروبي سيكون في صالح جميع الشعوب لأن الحضارة والديمقراطية في أوروبا أعرق مما في أمريكا. وسيكون ذلك في صالح منظمة الأمم المتحدة أيضاً، مع التنامي المستمر في دورها العالمي كنواة

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

لسلطة عالمية، إن لم تمزقها حرب جديدة.

أيها المناضلون ضد استغلال الإنسان للآن!

نحن نتحدث عن الانتقال إلى الاشتراكية عبر صناديق الاقتراع. بعيداً عن العنف، وهذا أمر مستحيل من دون وجود نظام ديمقراطي راسخ في البلد المعني. لذا فإن هناك علاقة عضوية راسخة بين قضيتي الديمقراطية والاشتراكية منذ البداية. إن الجو الديمقراطي الراسخ في النظام الاشتراكي أشبه بالجو المليء بالأوكسجين النقي لحياة الإنسان. فإذا انعدم الأوكسجين اختنق الإنسان وانعدام الديمقراطية يعني الشي نفسه بالنسبة للنظام الاشتراكي كما أثبتت تجربة النظام السوفيتي، والرقابة الشعبية المنظمة، الضرورية للحفاظ على الاشتراكية، مسألة حيوية. والكلام عن الرقابة مجرد هراء في ظروف انعدام الديمقراطية.

مادامت الانتخابات تشكل ركناً أساسياً من أركان النظام الديمقراطي فإن من الضروري توفير المستلزمات لانتخابات حرة نزيهة. هناك نظامان للانتخاب: نظام الدوائر الانتخابية المعمول به في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وبعض البلدان الأخرى + نظام التمثيل النسبي المأخوذ به في معظم بلدان العالم. فأيهما أصلح؟

ـ إن نظام الدوائر، الذي يحسم مصير المتنافسين داخل كل دائرة انتخابية ، يقوم على اعتبار الفائز هو من يحصل على الأغلبية واحتراق الأصوات التي يحصل عليها المرشح الخاسر. وهذا النظام كان مقبولاً قبل مئات السنين، ولكن التطور الحضاري العاصف أتى بنظام انتخابي أرقى معمول به في معظم الدول، وهو نظام التمثيل النسبي الذي يقوم على حساب جميع الأصوات المعطاة للقوائم الكبيرة والصغيرة في إقامة بنية البرلمان ولا يقبل باحتراق أصوات الأقلية.

ـ نظام التمثيل النسبي القائم على قاعدة أخذ المقاعد بنسبة أصوات القائمة إلى إجمالي الأصوات المفرزة في البلاد. ويمكن الجمع في هذا النظام بين لون من الترشيح الفردي وبين ترشيح القائمة ككل، ومن أهم مزايا التمثيل النسبي إن البلاد كلها تكون دائرة انتخابية واحدة إن لم يتحايلوا عليها كما

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

فعل الحكام الإسلاميون في العراق حيث جعلوا من كل محافظة دائرة انتخابية مستقلة، مما يؤدي إلى ضياع الكثير من أصوات الناخبين في مختلف القوائم. وهناك لون آخر من التحايل الذي ابتكره الحكام البرجوازيون في التمثيل النسبي، وهو اشتراط حصول القائمة على 5%من إجمالي الأصوات، وفي بعض البلدان 7% ، لقبول ممثلي الجهة المعنية في البرلمان.

نقطة جوهرية أخرى، هي؛ أية حكومة تشرف على الانتخابات؟ حكام البلدان النامية يصرون على بقائهم في الحكم للإشراف على الانتخابات، بدلاً من تشكيل حكومة تكنوقراط مستقلة ومحايدة للإشراف على الانتخابات. كان يستحيل على رئيس الحكومة العراقية نوري المالكي وحزبه الإسلامي الحصول على هذا العدد من الأصوات في انتخابات 30 نيسان الماضي لو تخلى عن منصبه وشكل وزارة تكنوقراطية للإشراف على الانتخابات.

وقد آن الأوان لاستخدام الأجهزة الإلكترونية في الرقابة ولمساءلة المزورين والمتحايلين.

إن الأخذ بعنصر التنافس وبالمحفزات المادية والمعنوية شرط أساسي لغرض الازدهار والتقدم في شتى ميادين الحياة الاقتصادية والثقافية والفنية وغيرها. فالإنسان بحاجة إلى المكافآت لتشجيع إبداعاته ومبادراته حتى في ظروف أرقى تطور اقتصادي. والإنسان المبدع، الذي يستطيع القيام بتقديم الاختراعات الراقية لتطوير المجتمع وازدهار الحياة لا يقبل التساوي بينه وبين عامل كولي، وليس من الإنصاف بشيء أن يكافأ بمستوى العامل الكولي الذي لا يملك أي مهارة. بسبب الفوارق الموجودة لدى الناس من حيث تراكيب الأجهزة العصبية فإن لوناً من الفارق يظل موجوداً بينهم. ومن مصلحة المجتمع نفسه أن تأخذ الهيآت التي ستدير شؤونه هذه الفوارق بنظر الاعتبار. فالنظام الاشتراكي أو الشيوعي لن يستطيع إلغاء الفوارق بين الأفراد ولا تأمين المساواة المطلقة، ولكنه يستطيع إلغاء استغلال الإنسان للإنسان وتأمين حد معقول من مستوى العيش للجميع اعتمادا على الضرائب التي تجنيها من المنتجين وذوي المداخيل.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

أيها المناضلون من أجل السلم والاستقرار والديمقراطية والاشتراكية في مجتمع خال من الاستغلال والاضطهاد الطبقي والقومي والديني!

حافظوا على راية النضال، التي حملها جيل المناضلين قبلكم، وتركها لكم اليوم. وكونوا على ثقة من أن عجلة التاريخ لن تتوقف وأن التغيرات الاجتماعية لن تتوقف، بل تزداد في ظل العولمة، وسيحل اليوم الذي يختفي فيه الصراع الطبقي والقومي والديني ويصبح بنو الإنسان أخوة منسجمين ومتآخين لبعضهم وسوف يختفي العنف وسفك الدماء البريئة وترفرف راية السلم. أن الطريق الذي تسير عبره البشرية غير مطروق من قبل ولا يمكن لإنسان عاقل أن يصر على أنه يعرف تفاصيل ما يحدث للمجتمع البشري في المراحل اللاحقة من تطوره. والناس، مهما كان مستواهم الثقافي العلمي اليوم، غير قادرين على معرفة تفاصيل ما سيحدث وكيف سيكون الوضع بعد آلاف السنين، بل بعد بضعة قرون.

ولكن ما يمكننا التأكيد عليه دون تردد هو أن حركة المادة، على صعيد الكون وعلى صعيد كل جزء من الكون بما في ذلك الحركة الاجتماعية، ستظل مستمرة أبداً، كما كانت من قبل، وإن هذه الحركة مصدر التغيرات التي لن تتوقف مستقبلاً كما لم تتوقف في الماضي. والأجيال القادمة، التي تعاصر المراحل اللاحقة لتطور المجتمع البشري، هي المدعوة إلى الدراسة والتحليل والاستنتاج، كل جيل في زمانه، ومواكبة المستجدات.

كردستان العراق ـ السليمانية
بهاء الدين نوري
أيار 2014

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

الملاحق

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

مشروع مقترح لإصلاح
الوضع في الإقليم

نشرت الصحافة مؤخر آراءا ومناقشات حول الوضع داخل أوك وفي الإقليم وطرحت أفكارا ومشاريع من قبل الطالباني وغيره من قادة حربه. وبديهي أن الإصلاح داخل أوك شأن خاص بمنتسبي أوك ولسنا معنيين بالأمر ولكن الإصلاح في الإقليم يهم كل مواطن. وقد آثرت أن أدلو بدلوي في هذا الأمر.

إن المشاريع المطروحة من الطالباني وبعض الآخرين للإصلاح تحوى أفكارا صحيحة، من قبيل مسألة فصل الحزب عن الدولة. ولكن المرء يتساءل عن مدى جديتهم في طرح الأمور، إذ أن هذه المشاكل من صنعهم أصلا وانهم نُبهوا إليها مرارا ولم يصغوا. وإضافة إلى ذلك فأن ما طرحوه لم يتناول سوى جزء من المشاكل. إن تجربة السنوات الـ (17) المنصرمة لا تسمح لنا بأن نتفاءل ونقتنع بجديتهم في الإصلاح. ومع ذلك فان أحدا من خارج أوك لم يمنعهم من الإصلاح.

لكي تتوفر الجدية في الاتجاهات الإصلاحية ينبغي أولا فصل المشاكل الحزبية - الداخلية عن مشاكل المجتمع العامة، ذلك لأن للمشاكل الحزبية خصوصيتها وتعود أسبابها بالدرجة الأولى إلى الصراعات في سبيل المناصب الأعلى والامتيازات المالية الأكثر. وكثيرا ما يدار هذا الصراع بسبل متخلفة ولاديمقراطية تنتهي بجعل البعض كبش فداء للبعض الآخر. أما بالنسبة إلى المشاكل العامة فان الحزب بأسره، أو في غالبيته، يكون طرفا في الصراع والجماهير تكون طرفا آخر وتدفع ضريبة التحزب الضيق غاليا كما دفعت من قبل وعانت كثيرا من نتائجها. وأصغر هذه المشاكل كان اشتراط التزكية الخضراء أو الصفراء للتعيين فراشا في إحدى الدوائر، أو للحصول على قطعة أرض سكنية. فهناك من كوادر الحزبين من اخذ الأرض خمس أو ستة مرات بفضل هويته الحزبية مقابل آلاف ممن يستحقون ولم يحصلوا عليها لأنهم لم يكونوا حزبيين.

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

ولكي تعالج هذه المشاكل ينبغي أن نعرف أسباب نشوئها واحتدامها اليوم. ومن الواضح أن الحزب أو الشخص الذي يتكلم من موقع المعارضة يختلف عمن ينطق وهو على كرسي الحكم. فالأحزاب وقادتها الذين انتقلوا من الجبال إلى كراسي الحكم قد تغيروا واغتروا وتعودوا على الكثير مما لم يعرفوه سابقا، وبالأخص على الإثراء السريع الذي لم يحلموا به سابقا.

ومن جهة أخرى لا يفهم حكامنا للآن بأن عالم اليوم يختلف عما كان قبل 20 - 30 سنة من شتى النواحي وان بعض التصرفات التي كانت مقبولة شعبيا في الماضي لم تعد تقبل اليوم لأن رياح الديمقراطية والحضارة المعاصرة وصلت إلى بلادنا أيضا وان الناس لم يعودوا يرضون بطراز الحكم القديم، ولا يقبلون من زعيم أن يتحدث ويتصرف باسمهم جميعا في شؤون لا تتفق مع آرائهم.

وسط هذه الصراعات لست منحازا إلى احد ولا راضيا عن أساليب الحكم التي مارسها الطالباني. بل اعتبره مسؤولا اكثر من أي شخص بحكم مركزه الحزبي - الحكومي. لكن علينا أن نقول أيضا حقيقة أن الكثيرين من معارضيه اليوم كانوا مساهمين بدورهم في صنع كل هذه المشاكل، كانوا يتصرفون بأساليب الطالباني نفسها. ولهذا تجب المطالبة بإصلاح حقيقي وليس تغيير وجه بوجه آخر. ويستحيل تحقيق إصلاح حقيقي من دون إقامة ديمقراطية حقيقية. وهنا ينتصب أما منا السؤال الآتي: هل يستطيع القيام بإصلاح حقيقي من خلقوا بأيديهم هذه المشاكل، وهم غير مؤمنين بالديمقراطية الراسخة، بل هم المسؤولون عن كوارث اقتتال الأخوة وظاهرة الفساد ومختلف الظواهر السيئة؟

في أية مجالات يجب الإصلاح؟ وماهي الآلية للقيام بالإصلاح؟

المشاكل كثيرة ومتنوعة ومتشابكة لدرجة لا يسهل معها الإصلاح. وبديهي أن الإصلاح ضروري ولابديل عنه. والمسألة جديرة بالنقاش الواسع. واختصر رأيي بما يلي:

1- المسألة الأهم في الإصلاح هي أن يتغير هذا الأسلوب اللاديمقراطي المتخلف في ممارسة الحكم بأسلوب ديمقراطي حضاري معاصر قائم على الشفافية وإقامة مجلس وزراء حقيقي وبرلمان مستقل بعيدا عن التبعية

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

للرئيس أو لقيادة الحزب، مع ضمان استقلالية القضاء وعدم التدخل في شؤونه.

2- إيجاد آلية محايدة وكفوءة للإصلاح وتطهير أجهزة الدولة، ولتعيين الموظفين ونقلهم وترفيعهم وتقاعدهم بالاستناد إلى الكفاءة والإخلاص والنزاهة بدلا من التزكية الحزبية والمقاييس التقليدية.

3- التصدي للفساد والسرقة والنهب وتشريع قانون (من أين لك هذا) وتطبيقه والتحقيق القانوني الجدي في كل الجرائم.

4- الشفافية في انفاق ميزانية الدولة دون اللف والدوران والإخفاء.

5 - وضع حد واضح من الناحيتين التشريعية والتطبيقية بين الحزب والسلطة بمنع تدخل المسؤولين في شؤون السلطة وبتحديد شفاف للتخصيصات المالية التي تعطيها الدولة للحزب لكي لا تظل أموال الدولة قاصة مفتوحة، ولكن بشكل سري، أمام الحزب الحاكم.

إن تنفيذ المهمات المذكورة يقع على عاتق المسؤولين. ولجماهير الشعب مهماتها، وحان الوقت لكي تلعب دورها الهام في ممارسة الضغط على الحكام عن طريق تقديم مذكرات الاحتجاج والاجتماعات والمظاهرات وعدم التصويت لتلك القوائم وممثلي الأحزاب التي ترفض الإصلاح.

لقد حان الوقت لكي يتكاتف جميع الديمقراطيين وطلاب الإصلاح، لكي ينقذوا الوطن من هذه الأزمة الخطرة.

بهاءالدين نوري
سليمانية 2009/2/23

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

نداء الحركة الديمقراطية العراقية
إلى جميع العراقيين الشرفاء

أيها المواطنون الكرام رجالا ونساءا ومن شتى القوميات والاتجاهات!

يا أنصار الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان في كل مكان!

يا أعداء الظلم والإرهاب والدكتاتورية!

لقد طال عهد الظلم والظلام والإرهاب الدموي في وطننا المبتلى بالطاغية التكريتي.. كفى ما أصاب هذا الشعب من ويلات وكوارث، من حروب قذرة ومذابح رهيبة ودمار وتجويع.. لقد تمادى الدكتاتور في البطش والتنكيل بأبناء الشعب.. تمادى في الإرهاب والإجرام بحق الإنسانية كلها.

كفى ما عانى بنو وطننا في إقليم كردستان من جرائم الأنفال والقصف الكيمياوي والتقتيل الجماعي وهدم القرى والترحيل القسري وحصد الأرواح البريئة..

كفى ما أصاب بني وطننا الشيعة على أيدي سفاحي علماء الدين وهدامي الأضرحة المقدسة ومثيري الفتن في المدن المقدسة ومجففي الأهوار ومغتصبي الممتلكات...

كفى ما أصاب العراقيين، ديمقراطيين وشيوعيين وقوميين وإسلاميين، بل حتى البعثيين المشكوك في ولائهم لرأس النظام، من غدر وملاحقة وتنكيل.

كفى ما أصاب هذه الجماهير من الفقر والحرمان والمجاعة في بلدنا الغني بالبترول والخيرات الوفيرة.. كفى أن تظل الناس جياعا فيما ينفق الدكتاتور المليارات على حبك الدسائس والمؤامرات وإثارة الحروب وتنظيم جرائم إرهاب الدولة المنظم..

كفى أن يعاني المواطنون من الفقر والحرمان فيما يغدو الحاكم العوجوي

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

من أثرى الناس في العالم وتتكون حوله فئة من المليونيرية الذين سمح لهم - لقاء خيانتهم للشعب والوطن - بالإثراء سلبا ونهبا وارتشاءا.

كفى ما انتشر في المجتمع العراقي من ألوان الفساد والانحطاط الخلقي وتشويه القيم والتقاليد والتراث الحضاري، مقرونا بإشاعة الفرقة وتشجيع العداوات العائلية والقبلية والقومية والمذهبية...الخ.

وأنت، أيها السفاح العوجوي، أما آن الأوان لكي تقدم الحساب عما اقترفت يداك من إجرام بحق الشعب والوطن طيلة ثلث قرن من تسلطك على البلاد؟ يقينا لا يروق لك الاعتراف بانك قدت سفينة العراق إلى الهاوية وليس إلى ساحل النجاة... لا يروق لك أن تقر بانك قدت ثورة الردة ضد ثورة 14 تموز 1958 وجعلت الكثيرين يترحمون على سارق الأكفان.. لك أن تتبجح لا بترسيخ أسس السلام والديمقراطية في العراق، ولا بتوطيد أواصر الصداقة بين القوميات والأديان ولا بنقلة نوعية صناعية - زراعية، بل بمسلسل الحروب العدوانية وما أسفرت عنه من إشاعة الموت والدمار داخل العراق وفي ربوع الجارة المسلمة إيران وفي الكويت الشقيق.. لك أن تتباهى بعشرات ومئات الألوف من ذوى العاهات ضحايا حروبك ومن المشردين والمهجرين ضحايا غدرك... لك أن تتباهى بانك كنت رئيس الدولة الوحيد في التاريخ الذي أقدم على استخدام السلاح الكيمياوي ضد بني وطنه.. ولم يشهد التاريخ حاكما يصاب بمثل هزيمتك العسكرية الكبرى في حرب الخليج فيقدم لا على اطلاق رصاصة على رأسه بل على تسمية تلك الهزيمة " انتصارا في أم المعارك" ويستسلم لخصومه بمنتهى الذل فقط في سبيل البقاء على كرسيه!

وانتم، أيها الحكام في الدول الكبرى الغربية والشرقية، أما آن الأوان لكي تعترفوا على الملأ بانكم أثبتم عدم المصداقية في سياستكم وفي ادعاءكم بالدفاع عن حقوق الإنسان وان دكتاتور العراق لم يكن قادرا على شن تلك الحروب وارتكاب كل هذه الجرائم بحق العراقيين والشعوب المجاورة لولا الدعم المستمر المتنوع، الذي قدمتموه إليه إبّان حكمه.. لقد قويتموه حتى اشتد ساعده فرماكم. وحتى حين طردتموه من الكويت ظللتم حريصين على بقائه كابوسا على العراقيين وناقضتم أقوالكم بأعمالكم. ولايزال بينكم حتى اليوم أناس يتعاطفون مع صدام ويطالبون بالتطبيع معه وبرفع الحصار عنه

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

متجاهلين تشبثه بالأوضاع الاستثنائية ومواصلته للقمع والإرهاب البوليسي ضد الجماهير العراقية... بل لا يزال البعض يتجاهل حقيقة واضحة وضوح الشمس حقيقة أنه كان شريكا لأسامة بن لادن ولنظام طالبان في كل ما كان معاديا للحرية والديمقراطية والتقدم في هذا العالم. في الماضي لم تكترثوا لما جلب هذا الدكتاتور من ويلات وكوارث للعراق جراء حماقته في غزو الكويت، وانتم لا تكترثون اليوم لما قد ينجم من كوارث جديدة للعراق جراء شراكته لمغامرات بن لادن وجرائمه الإرهابية.

وانتم أيها الحكام في بعض الأقطار العربية!

أما آن الأوان لتعيدوا النظر في سياستكم تجاه هذا الدكتاتور الإرهابي الذي دأب على الاضطهاد الوحشي لبني وطنه وعلى الإساءة المستمرة لقضية العروبة وفلسطين؟ هل يشرفكم التعاون مع جلاد الكويتيين والعراقيين مقرونا بالتغاضي عن محنة هذا الشعب المغلوب على أمره؟ لماذا لا يروق لكم أن تروا العراق حرا تعدديا ديمقراطيا تحترم فيه حقوق الإنسان؟

أيها الشرفاء من رجال القوات العراقية المسلحة!

انتم تعلمون جيدا بأن صدام حسين لم يدرس قط ألفباء العلوم العسكرية، كما لم يتعلم قط فنون السياسة. ولم يكن مؤهلا لشغل أي منصب سياسي أو عسكري، ولم ينتخبه الشعب لرئاسة الدولة ولم تعينه سلطة شرعية لمنصب القائد العام للقوات المسلحة... بل فرض نفسه عن طريق التآمر والانقلاب وحطم في سني حكمه لا العراق اقتصاديا وسياسيا وحسب، بل كذلك الجيش العراقي وصفى فيه خيرة ضباطه وكأن الأعداء اختاروه حاكما خصيصا لتنفيذ هذه المهمة القذرة... ولا سبيل إلى إعادة بناء الجيش العراقي على أساس وطني سليم سوى التخلص أولا من هذا الطاغية.. فهبوا، بالتكاتف مع سائر أبناء شعبكم، إلى النضال لاستعادة كرامة جيشنا وأمجاده التي سطرها في ثورة 14 تموز 1958 المجيدة.

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

أيها العراقيون التواقون

إلى الحرية والديمقراطية والعيش الكريم!

إنكم خير من يعرف حقيقة صدام ووحشيته.. تعلمون كم من أبناءكم قتلوا على أيدي أزلامه ولم تعد حتى جثثهم إلى ذويهم.. تعلمون انه وحده السبب وراء فرض الحصار الاقتصادي الدولي على بلادنا منذ أكثر من عشر سنوات، وحده السبب لتكاثر الموت بين أطفالنا ولإعاقة إعمار البلد بعد الحروب وما خلفته من دمار شامل، وحده السبب لهجرة مئات الألوف من أصحاب الأدمغة والكفاءات التي نحن في امس الحاجة إليها، وحده السبب في استمرار الأوضاع الاستثنائية وتحكم ما يسمى " مجلس قيادة الثورة"... ورغم كل ما أثار من حروب وارتكب من جرائم طوال ثلث قرن فأنه لايزال متشبثا بكرسي الحكم دون أن يتعظ بعبر التأريخ ودون أن يأبه بما سيجلب للعراق من ويلات جديدة جراء شراكته الإرهابية لبن لادن ونظام طالبان.

أيها العراقيون والعراقيات! يا أحفاد الثورات والانتفاضات!

إن النظام الدكتاتوري مهزوز، تكاثر له الأعداء ونخرته التناقضات والصراعات حتى داخل العائلة الحاكمة. والإرهاب، مهما اشتد واتسع، عاجز عن إنقاذه.. فهو نظام آيل إلى السقوط المحتم ويعيش أيامه الأخيرة ويتأتى على رأسه أن يقدم إلى الشعب الحساب عما ارتكب من الجرائم وان يمثل أمام العدالة كواحد من أكبر مجرمي الحرب خلال النصف الثاني من القرن العشرين.

فلنتكاتف صفا واحدا ونهب جميعا للإطاحة بالطاغية ولإقامة عراق جديد، تعددي فيدرالي برلماني، ترفرف عليه راية السلم والحرية والديمقراطية ويتعايش فيه الجميع، عربا وكردا وتركمانا وكلدو- آشور، في جو من الأخوة الراسخة وعلى أساس من الاحترام المتبادل والاعتراف المتبادل بالحقوق القومية والفئوية والثقافية المشروعة للجميع، وتظافر الجهود المشتركة من اجل إعادة البناء وتأمين العمل والعيش الكريم للمواطنين كافة.

عاش العراق حرا ديمقراطيا فيدراليا.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

الحركة الديمقراطية العراقية
أواخر كانون الأول 2001

«AlfYaa منشورات «ألف ياء

مشروع مقترح لحل النزاع بين بغداد وأربيل

أدناه مشروع مقترح قابل للنقاش والتعديل، هادف إلى حل النزاع القائم بين الحكومتين المركزية والإقليمية في العراق، وأناشد الجميع أن يقروا بوجود هذه المشكلة، التي أوجدها التطور التاريخي عبر قرون متعاقبة، واحذرهم من اللجوء مرة أخرى إلى القتال سبيلا للحل. على الجميع أن يتعظوا بدروس الماضي المريرة، التي كان من صفحاتها الأنفال واستخدام الأسلحة الكيمياوية وهدم آلاف القرى ونشر القبور الجماعية وإزهاق أرواح مئات الألوف من الأبرياء.. وبالتالي المصير الذي انتهى إليه المجرم الأكبر الطاغية البعثي.

على الجميع أن يدركوا أن الزمن قد تغير، انه عصر العولمة والديمقراطية وتزايد تأثير الرأي العام الدولي ومنظمة الأمم المتحدة. فلم يعد من المقبول أن يتصرف حكام أي دولة تجاه القوميات المضطهدة كما تصرف الحكام العنصريون أمثال هتلر وصدام حسين في حينهما، انه عصر التفاوض بحثا عن حلول سلمية للمنازعات الدولية، وفي نهاية المطاف لا يمكن حل النزاع بين بغداد وإقليم كردستان إلا عن طريق التفاوض لإيجاد حل سلمي مقبول من الطرفين.

سأكون مسرورا إذا ما ناقش القراء المشروع الذي اقدمه هنا:

البند الأول – يطالب الطرفان الإدارة الأمريكية، التي حررت العراق في 2003 من دكتاتورية صدام حسين، والتي تتحمل المسؤولية الأخلاقية عن صون السلم واستكمال البناء الديمقراطي في العراق، بالمشاركة في لجنة ثلاثية مهمتها دراسة النزاع الحالي وإيجاد حل سلمي له دون اللجوء إلى العنف.

البند الثاني – يتفق الطرفان على بروتوكول نافذ خلال الفترة الانتقالية، يلتزمان بموجبه بالحل السلمي عن طريق الحوار والتفاوض، ويصادق كلا البرلمانين المركزي والإقليمي على هذا البروتوكول وتضمن الإدارة الأمريكية رعايته.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

البند الثالث – يلتزم الطرفان بالامتناع عن أي إجراء إداري أو عسكري أو تشريعي من شأنه أن يسبب تغييرات في الوضع القائم داخل المناطق المتنازع عليها إلا ضمن ما تقرره اللجنة الثلاثية.

البند الرابع – تشكل اللجنة الثلاثية هيئات فرعية مشتركة مكرسة لتسهيل مهماتها ولخلق جو من العلاقات الأخوية – الإنسانية بين أبناء جميع القوميات والطوائف والأديان، وبالأخص بين الشباب في شتى ميادين النشاط الاجتماعي، الفني – الرياضي، وتشكل لجانا للنظر في الشكاوى حول الخروقات القانونية وما إلى ذلك.

البند الخامس – بغية تقليص المناطق المتنازع عليها تدرس اللجنة الثلاثية أي طلب يقدمه احد طرفي النزاع بصدد وضوح الانتساب لإحدى المدن أو المناطق إلى هذا الطرف أو ذاك، في هذه الحال يحق للجنة الثلاثية أن تدقق وتحسم دون انتظار النتائج النهائية لكل المشكلة.

البند السادس – وحيثما يتطلب التركيب السكاني أو الوضع التاريخي والجغرافي إجراء الإحصاء السكاني أو التحقيق الأوسع في التفاصيل ينظم إحصاء حر نزيه تحت إشراف UN واللجنة الثلاثية ومنظمات المجتمع المدني سبيلا للحل.

البند السابع – لا يحق لأي ممن جلبهم نظام صدام سابقا إلى المناطق المتنازع عليها في مجرى عملية التعريب أن يشاركوا في التصويت أثناء الاستفتاء.

البند الثامن – أولا: التزاما بميثاق منظمة الأمم المتحدة الذي يعترف بحق كافة الشعوب في تقرير المصير وسعيا لتجنب اللجوء إلى العنف كسبيل للحل تبذل اللجنة الثلاثية قصارى الجهد بغية التوصل إلى حل سلمي يرضي الطرفين، بالاتفاق على احد الخيارات الثلاثة الآتية:

أ/ تثبيت ومباركة علاقات التعايش الفيدرالية القائمة الآن، في اطار دولة العراق، لكي يعيش الشعبان العربي والكردي مع كافة الأقليات سوية، كما تعيش سوية ثلاث قوميات في الدولة السويسرية.

ب/ العيش سوية في كيان عراقي كونفيدرالي على أسس ديمقراطية سليمة.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

ج/ اختيار الشعب الكردي للانفصال عن دولة العراق عن طريق استفتاء حر نزيه وإقامة دولته المستقلة الخاصة به، كما حدث في جنوب السودان، مع الحفاظ على العلاقات الأخوية بين الشعبين الكردي والعربي كما كان بين الشعبين التشيكي والسلوفاكي بعد انفصال السلوفاك عن التشيك.

ثانيا: يحدد سقف زمني أقصاه سنتان بعد انتهاء المرحلة الانتقالية (البادئة بإصدار الدستور العراقي الحالي والمنتهية في آخر يوم من سنة 2014) لتنفيذ البند الثامن.

ثالثا: إذا لم يمكن التوصل إلى حل خلال الفترة المحددة فستعرض المشكلة على UN وعلى محكمة العدل الدولية للحسم خلال فترة لا تزيد عن سنة.

البند التاسع – إذا لم يتم التوصل إلى حل حتى نهاية الفترة المحددة في الفقرة ثانيا من البند الثامن فسيصبح من حق الشعب الكردي أن يجري استفتاءا حرا نزيها ليقرر فيه مصيره.

البند العاشر – أيا كانت نتيجة المباحثات بين الطرفين العربي – الكردي، ينبغي صون الحقوق القومية – الثقافية – الإدارية للتركمان والكلدو – آشور وجميع الأقليات من لدن الطرفين.

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

من الذين التحقوا بمفرزتي في قرداغ

(وأكتب الأسماء على الذاكرة، ولا أذكر الأسماء الأخرى)

1. أمجد، (يوسف هادي متروك) يقيم الآن في الدنمارك
2. جاسم، () عربي من بغداد وسمعت أنه استشهد لاحقاً في بغداد
3. سامي حركات، (ستار غانم) سمعت أنه اعتقل، واستشهد لاحقاً في بغداد
4. علي (أمين ....)
5. مصور من الناصرية دعي مهند وأقام لنا استديو للتصوير
6. جابر
7. ناصر
8. شادمان

كان هؤلاء الثمانية من الرفاق العرب

1. علاء الدين نوري ـ شقيقي مقيم في السليمانية
2. حمه ئاسو ـ متوفي
3. آزاد نجم الدين ـ متوفي
4. شرف الدين محمد علي مقيم في أستراليا
5. ليلى قادر زوجة شرف الدين والمقيمه معه في استراليا
6. محمود صديق، الآن في السليمانية
7. محمد علي قادر ـ الآن في قرية تكيه
8. نوزاد كمال حامد ـ استشهد في معركة ضد قوات صدام
9. زردشت فاضل مجيد ـ الآن في أمريكا

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

10.كامران عبد الرحمن ـ في سويسرا حالياً

11.واحد كامل ـ في السليمانية

12.فؤاد (خليل) في هولنده

13.روناك (أخت فؤاد) في أمريكا.

14.قاسم ـ في هولنده الآن

15.عاصف ـ في السويد حالياً

16.نبيل ـ في خانقين حالياً

17.گوران ـ كرمياني، لا أعرف أين هو الآن

18.عبد الله حسين عمر ـ مقيم في قريته التكية

19.محمود عبد الله أمين ـ في السليمانية

20.حسام الدين قادر سميع ـ في السليمانية

21.محي الدين محمد مزير ـ في السليمانية

22.حكيم أحمد حمه أمين ـ في السليمانية

23.فرهاد ـ تركماني، لا أعرف أين هو

24.علي أمين، في السليمانية

25.دلشاد ـ لا أعرف أين هو

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

قبيل نشر الجزء الثاني من مذكراتي
قصة الجزء الأول من مذكراتي مع حازم السامرائي

حازم السامرائي عراقي مقيم في لندن وهو صاحب دار الحكمة للطباعة والنشر، كما يقول عن نفسه. في كانون الأول 2000 أرسل لي مع السيد جوهر سورچي رسالة يطلب فيها موافقتي على طبع كتاب مذكراتي ـ الجزء الأول. فأجبته برسالة مؤرخة في 2000/12/15 وأعلمته بموافقتي المشروطة. من ضمن الشروط توقيع عقد مع السيد جوهر نيابة عني. وفي شباط 2001 استلمت منه، عن طريق السيد جوهر نفسه، الرسالة التالية:

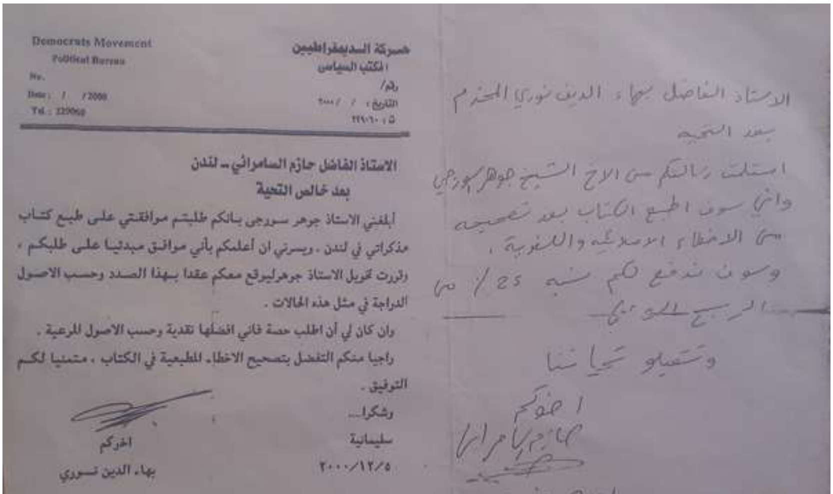

Democrats Movement
Political Bureau
No.
Date: / /2000
Tel.: 320060

حركة الديمقراطيين
المكتب السياسي
رقم/
التاريخ: / /٢٠٠٠
٥، ٣٢٩١٦٠

الاستاذ الفاضل حازم السامرائي ـ لندن
بعد خالص التحية

أبلغني الاستاذ جوهر سورجي بانكم طلبتم موافقتي على طبع كتاب مذكراتي في لندن. ويسرني ان أعلمكم بأني موافق مبدئيا على طلبكم، وقررت تخويل الاستاذ جوهر ليوقع معكم عقدا بهذا الصدد وحسب الاصول الدراجة في مثل هذه الحالات.

وان كان لي أن اطلب حصة فاني افضلها نقدية وحسب الاصول المرعية.

راجيا منكم التفضل بتصحيح الاخطاء المطبعية في الكتاب، متمنيا لكم التوفيق.

وشكرا...

سليمانية
٢٠٠٠/١٢/٥

اخوكم
بهاء الدين نوري

الاستاذ الفاضل بهاء الدين نوري المحترم
بعد التحية
استلمت رسالتكم من الاخ الشيخ جوهر سورچي
واني سوف اطبع الكتاب بعد تصحيحه
من الاخطاء الاملائية واللغوية،
وسوف ندفع لكم نسبة 25 ٪ من
الربح الموعود
وتقبلوا تحياتنا
اخوكم
حازم سامرائي
3-2-2001

وقد طبع الكتاب في بلد عربي ووزعه على الدول العربية وعلى الجاليات العربية في شتى البلدان الأوروبية وغير الأوروبية، وأرسل نسخا منه، بعد سقوط صدام، إلى معارض الكتب في بغداد وأربيل والسليمانية، وعمل كل شيء لبيع المزيد منه. إن من يحترم نفسه يفي بما يتعهد به. لكن السامرائي تهرب من أي اتصال معي ومن تقديم أي حساب لي. وقد اتصلت به في لندن تلفونيا عندما حضرت للمشاركة في مؤتمر المعارضة العراقية

منشورات «ألف ياء» AlfYaa«

أواخر 2002. وكلفت السيد گنج زهدي، المقيم في لندن، للاتصال به في 2012، وتهرب في كلتا الحالتين، ولم يقدم أي حساب وأي فلس أو اعتذار.

من جهة ثانية جاوز ما هو مخول وما يحق له عمله في طبع الكتاب، وتصرف كما راق له:

ـ غير عنوان الكتاب من (مذكرات بهاء الدين نوري) إلى (مذكرات بهاء الدين نوري سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي).

ـ خصص إحدى صفحات الكتاب لكتابة (باسم الله الرحمن الرحيم)، علما أن شيئا من هذا القبيل لا يوجد في النسخ المطبوعة عندي ولم يخول بأي تغيير.

ـ سمى الطبعة التي قام بها مخولا مني بـ(الطبعة الأولى آب 2001 - جمادى الثاني 1422 هـ) في حين أن الطبعة الأولى كانت في إقليم كردستان عام 1995.

ـ حذف عند طبع الكتاب الملاحق المنشورة التي تشكل جزءا من الكتاب، دون أن يعلمني ويأخذ موافقتي على هذا الحذف.

ـ في طبعة الكتاب، عنده، أخطاء لغوية شوهت موضوع البحث بالنسبة لبعض الأمور.

إنني أنشر المعلومات المدونة أعلاه، وأنا أهيء لنشر الجزء الثاني من مذكراتي، وأسأل القراء: ماذا يسمون رجلا من طراز حازم السامرائي؟ إنني لم أره قط ولا أعرفه ولا أنكر أنني تورطت في هذه العلاقة معه، ولكنني قررت اللجوء إلى القضاء ضده في لندن وفي بغداد معا، وأطلب من المحامي، الذي يجد في نفسه الاستعداد للقيام بهذه المهمة، أن يتصل بي تلفونيا في السليمانية، أو بابني علي في لندن لغرض الاتفاق.

مؤلف الكتاب بهاء الدين نوري

منشورات «ألف ياء» «AlfYaa»

منشورات «ألف ياء AlfYaa»